سليمان الباروني باشا

في أطوار حياته

بقلم

أبي اليقظان الحاج إبراهيم

سليمان الباروني باشا

في اطوار حياته

بقلم

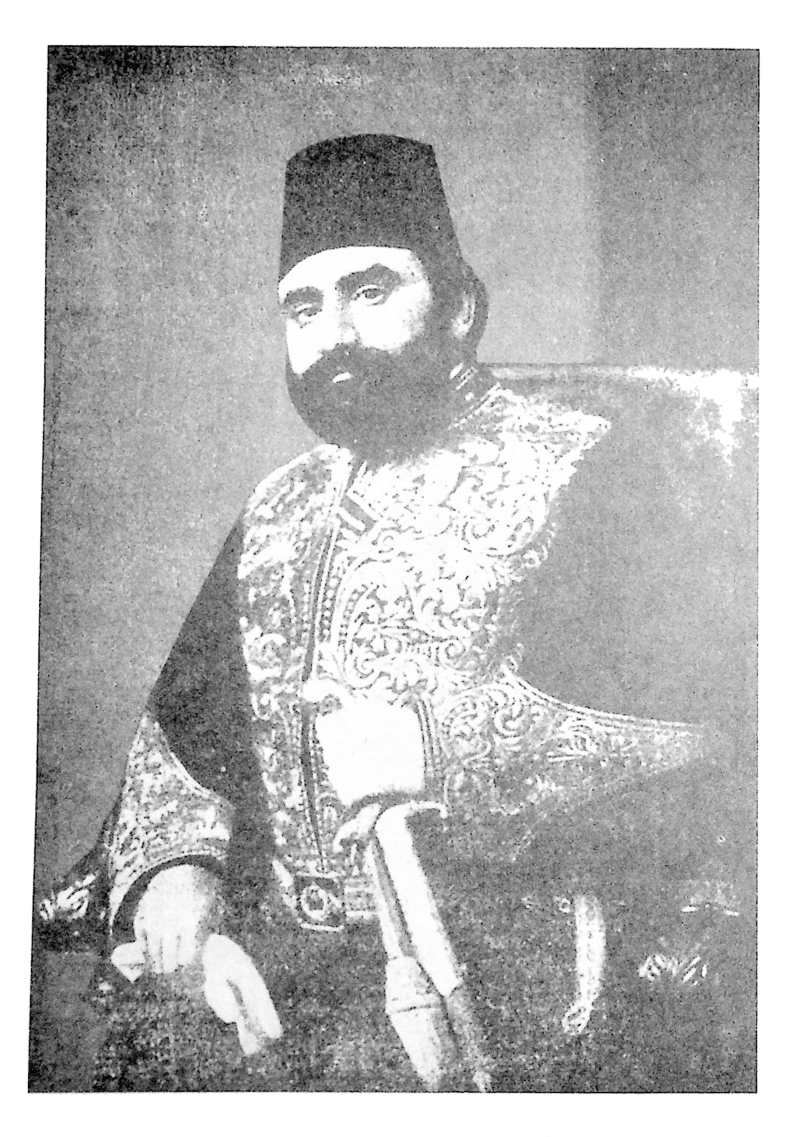
ابي اليقظان الحاج ابراهيم

١٣٧٦ - ١٩٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وءاله وصحبه وسلم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على اشرف الانبياء والمرسلين، سيدنا محمد خاتم النبيئين، وعلى ءاله الابرار، واصحابه الاطهار، وعلى من تبعهم باحسان الى يوم تشخص فيه الابصار،



سليمان باشا الباروني بلباسه الرسمي وهو ولي وكوماندان طرابلس الغرب

تمهيد

امـا بعـد فان استعراض حياة عظماء الامم وابطال الشعوب فى ادوارهم وأطوارهم وسائر تقلباتهم فى ميادين الحياة لمـا يحفز الهمة ، ويوقظ الشعور وينبه الاحساس ، ويلهب الفطنة ويذكي الفؤاد ، ويوقد الذكاء ، ويشـع النفس وينير البصيرة ، ويسدد الخطا .

كما انه ـ من جهة اخرى ـ يرشد الحائر ، ويهدى الضال، ويرد الشـارد ، ويسترجع التائه ، ويكبح الجامح ، ويستنزل الطائر ، ويكبت الكنود .

وهل هذه الا اشعة من ءايات كتاب الله الكريم . وقد فاضت من قصص الانبياء والرسل واحوالهم واطوارهم مع اممهم المؤمنة الخاضعة منها والكافرة العاتية .

« وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك فى هذه الحق وموعظة وذكـرى للمؤمنين »

هـذا وقد طالما ألح علي اخواني الاعزاء منذ زمان طويل ان اضع مؤلفـا جامعا لما تشتت من حيـاة المجاهد الكبير فخر العربية والاسـلام الشيخ سليمان باشا البارونى رحمه الله .

وطالما تاقت نفسي للقيام بهذه المهمة الخطيرة التى اراها فرضا عينيا علي دون غيرى ـ تقريبا ـ لمـا توثق بيني وبينه من حبل المواصلـة ، وامتـد من اسباب المراسلة من لدن سنة ١٣٢٥ الى سنة ١٣٥٧ هـ فكان لدي بذلك شيىء كثير من وثائقه الثمينـة التى تحف حياته الحافلة الى حد بعيد

ولكن امواج الحوادث تطفو بي تارة وترسب اخرى ، وكلما قربت من شاطىء الهناء والراحة وكدت اغتنم الفرصة للشروع فى المشروع تقاذفت بي امواجها كالجبال فتبعدنى عن اقتطاف المنـال .

وهكـذا دأبي ودأبها تغالبني واغالبها ، حتى احسست اليوم لنفسي بالغلبة فيما ارجو . والحمد لله الذي لا قوة لاي احد على طاعته وفعل الخير له الا بعونه وتوفيقه .

اني - هاهنا - لا ادعى الاحاطة بحياة هذا البطل العظيم ، فان لهـــا ميادين فسيحة ، وآفاقا واسعة ، اكبر من ان يحيط بها فرد واحد اوقلم واحـد ، فضلا عن قلم عاجز كابي اليقظان .

كما اني - لا انكر فضل الـكاتبين السابقين لهذا الموضوع الـكبير ، ولاسيما الشاب النبيه الفقيد الاستاذ ابو القاسم بن سعيد البـــاروني الذي اجادوافاد، وله فضل السبق مقرونا بالشكر والثناء والاعجاب .

غير اني - ارى نواحي عديدة لحياة المرحوم الباروني باشا لم يطرقها الاستاذ ابو القاسم رغم اعادة طبع كتابه « حياة سليمان باشا الباروني » للمرة الثـانية ، ولقلمي فيها مجال ورقصات، تزيد - فيما اظن - لحياة المرحوم الباروني باشا جلاء وروعة وجلالا ، وللاخ القارىء لذة ومتعة وجمالا .

فها انا اذا اقتحم هذا الموضوع الخطير مستعينا بالله الـكريم ان يغمرني بروح منه ، وان يمدني بعونه وتوفيقه وتسديده فى الحال والمآل انه سميع مجيب .

القرارة ٢١ جمادى الثـانية سنة ١٣٧٤ — ١٤ فيفري سنة ١٩٥٥

ابو اليقظان ابراهيم بن عيسى



صورة المؤلف

اجداد البارونى باشا

مقدمـــة

مما لا يخفى ان للوراثة تاثيرا كبيرا فى خلق الانســـان وخلقه . فى مميـــزاته وخصائصه فى صفاته وميوله . وطابعا خاصـا فى مواهبه وغرائزه ومزاياه : من عقل وفطنة وذكاء وسداد وحذق ونبل وشجاعة وكرم وعفة ونزاهة . وصـدق واخلاص وصفاء وحسن سلوك وغير ذلك من الـكمالات الانسانية . والعكس بالعكس .

وان الـكاتب اذا رام ان يكتب عن شخص من الشخصيات البارزة وان يصوره لقرائه كما هو فانما يجدر به ان يلم بـآبائه واجداده بمـا وهبهم الله من الخلال الحميدة والمآثر الجليلة حتى يمكنه ان ينزله من بينهم منزلته التى يستحقها منهم بحكم الوراثة فيكون قد رفعه لهم الى نصف السلم الذى يصبو ان يضعه بمفاخره الطريفة الى قمته .

وعلى هذه الطريقة نسلك نحن فيما يلي ان شـــاء الله بالنسبة للمرحـوم البارونى باشا .

واذا ما خدم العروبة والاسلام بسيفه وقلمه مدة حياته فمن الوفاء له ان نخدمه برهة من الزمن بقلمنا على الاقل .

واذا لم يتيسر لنا ان نقوم بهذا الواجب فى حياته فلا اقل من ان نقوم به بعد مماته تخليدا لذكره ولننفخ روحه فى ارواح اجيالنـا الحـاضرة والمقبلة ان شاء الله .

واننا الآن نقدم بين ايدي قرائنا خلاصة عن تاريـخ اجداده العظـام الذين تداولوا الامارة والمشيخة العامة الـكبرى فى طرابلس ونواحيهـا جنوبا

وشمالا وشرقا من نواحى سرت وزللة وفزان وغدامس الى جبال دمر بالجنوب التونسى ، من لدن اواسط القرن الرابع بعد انقراض دولة بنى رستم بتاهرت الى اواخر القرن العاشر للهجرة .

وكانوا فى ذلك امثلة عليا فى العدل والنزاهة والاستقامة وهم كما قال عنهم حفيدهم العظيم البارونى باشا فى رسالته الآتى ذكرها ما نصه :

« ان المطالع يرى سيرتهم كسيرة الصحابة والتابعين لا تعاظم ولا تكبر، مع العفة التامة والعلم الغزير والاعتناء بالدين والعدل . كتاب الله حجتهم ، وسنة رسوله دليلهم ، وءاثار السلف الصالح منهجهم . ان هم جلسوا للحكم عدلوا ، وان تصدروا للتعليم اجادوا واحيوا ، وان قاموا للدفاع عن وطنهم وملكهم ابلوا ونصروا ، وان بسطوا ايديهم للاحسان اغنوا، وان شمروا للعبادة صاموا النهار وفى الليل تهجدوا .... الخ

* * *

أمنيـــة ثمينـــة

ان من دواعى الغبطة والسرور ان اتحفنا البارونى باشا فى حياته خصيصا برسالة قيمة من تحريره البليغ فى سيرة العائلة البارونية الماجدة لما سألناه مددا فى هذا الصدد عند ما كان هذا المشروع يجول بخواطرنا ويداعب ءامالنا . وقد ارسلها الينا من بغداد مذيلة برسالة خاصة الينا مؤرخة فى ٥ صفر ١٣٥٤.

ونحن فيما سنكتب عنها انما نصدر عن منبع عذب ومنهل صاف لاخيال فيه ولا غلو ولا اغراق . غير اننا لا نلتزم نقلها حرفا بحرف وانما قد ننقل او نلخص او نقتطف طبق منهاجنا فى التحرير وطبق اقتراح ورغبة المرحوم فى رسالته الخاصة الينا ولكن للاخ القارىء فى ذمتنا محاذاة نصه وتحرى مراده منه بدقة بعون الله .

نصائحه الغالية لابنه ابراهيم

كما جاد علينا رحمه الله بتلك الرسالة الثمينة اضاف اليها ما كتبه على ظهرها ناصحا ومرشدا وموجها لابنه ابراهيم البارونى ، وهو اذ ذاك تلميذ بمدرسة راس التين الاميرية بالاسكندرية . وهذا نصها فيما يلي :

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وءاله

الى ابنى ابراهيم البارونى التلميذ فى مدرسة راس التين الاميرية بالاسكندرية وفقه الله وفتح عليه ءامين

اقرأ يا ابراهيم هذه الرسالة المشتملة على تاريخ اجدادك لتعلم انك من سلالة رجال علم وحكومة ، واختر لنفسك ان تكون اما عالما جليلا اوحاكما عادلا ، ومع ذلك لاتعتمد على فخر الجدود بدون ان تتحلى بحليتهم وتقتفى اثرهم ، لان الشاعر يقول :

كن ابن من شئت واكتسب ادبا	يغنيك محموده عن النسب
ان الفتى من يقول ها انا ذا	ليس الفتى من يقول كان ابى

انما اذا اجتمع فى الانسان تمجيده باعماله واعمال جدوده مما كان جامعا لصفات الحمد . فاجهد نفسك ان يكون لك مجد اكتسابى ذاتى . تجمعه الى مجد جدودك . فتكون كاملا معظما بين اقرانك يفتخر بك ابناؤك من بعدك ، والله يلهمك الرشاد واحفظ الابيات الآتية من نصيحة جدك (والدي) الي لما كنت تلميذا مثلك فى الجامع الاعظم الزيتونى بتونس واعمل بها ترشد (١) قال :

---

(١) هى من قصيدة طويلة تشتمل على ١٢٠ بيتا مطلعها: لك الحمد يا منشىء البحار الزواخر الخ... وجهها اليه لتونس سنة ١٣٠٥ يخاطبه بها ناصحا ومرشدا وموجها .

ألا فاغتنمها يا سليمان فرصة ... فعمر الفتى كضيف ليل مسافر
وعمر فراغا قبل شغلك وابتدر ... شبابك قبل الحادثات البواتر
ترانا نعد الوقت يوما وليلة ... وننظر ما يأتي لنا من اخابر
اهل حزت علما واستمدت فوائدا ... ام انت خلي الكف واهي البوادر
لعمري لئن ضيعت وقتك باطلا ... لكنت على حد من العمر حائر
فما عذر من قد حل تونس طالبا ... وفيها علوم طافحات المغادر...الخ

كتبه والدك سليمان البارونى ١٨ ربيع الانور ١٣٤٠ طرابلس الغرب

ما هو الداعي لتحرير تلك الرسالة ؟

ثم ان الاستاذ المرحوم بين الباعث لتحرير تلك الرسالة فكتب فى ديباجتها مـا نصه — بسم الله الرحمن الرحيم ٢٠ جمادى الاولى ١٣٣٩ هجرية

مختصر تاريخ العائلة البارونية

صاحب الدولة المحترم (١)

كتب الي من اثق بكلامه واخبرنى ايضا من اراه صادقا بان دولتكم تبحثون عن تاريخ عائلتنا البارونية وانكم كلفتم بعض المنتسبين الى العلم ان يكتبوا لكم شيئا فى ذلك ولعلمى بانكم لاتجدون من يكتب لكم الحقيقة لعدم الوقوف عليها ، وقلة مواد التاريخ المتعلقة بذلك فى هذا الوقت، رأيت ان اتشرف بان اكتب لكم على سبيل الاختصار ـ لكثرة اشغالى ـ ما امكن نقله من كلام المؤرخين الذين يعد كلامهم حجة فى هذا الباب . ونقدم لذلك مقدمة فنقول :

(١) على هامش هذه الديباجة كتب العبارة التالية « كتبت هذه الرسالة الى احد كبار الاوروبيين عقب الحرب العظمى »

اصل العائلة البارونية

المشهور عندنا ان عائلتنا البارونية الموجودة فى جبل نفوسة من طرابلس الغرب والعائلة البروانية الموجودة فى مملكة عمان الكائنة فى الجانب الشرقى من جزيرة العرب من شجرة واحدة ، ويوجد من العائلة البروانية فى مملكة الزنجبار جماعة معتبرة منها الامير مسعود بن سعيد البروانى حاكم ولاية بسمرك برج الالمانية فى افريقيا الشرقية وكانت المخابرة جارية بيني وبينه الى ان انقطعت المواصلات بالحرب العالمية وقد توفى .

اما جدنا الاول المنتقل من المشرق حسب هذه الشهرة فلم نتحقق اسمه وتاريخه الى الآن .

ولذلك فاني اكتفى فى هذه الرسالة ببيان اسماء من ذكر التاريخ من رجال عائلتنا البارونية انهم تولوا الحكم او الرئاسة العلمية فى جهات طرابلس من اواخر القرن الرابع الهجري تقريبا فنقول :

١ ـ الامام الاكبر لآل بارون

هو الامام ابو هارون موسى بن هارون بن بالول البارونى .

هو الشيخ السمي والعالم التقي ابو هارون التملوشايتى (١) كان صائم الدهر مع علم كثير وورع قوي اخذ العلم عن ابي محمد خصيب بن ابراهيم ثم اسندت اليه المشيخة الكبرى فى جبال طرابلس وجنوبها من نواحى سرت وزلله وفزان وغدامس الى جبال دمر في جهة تونس مدة الامير ابي زكريا امير نفوسة من ذرية ابى منصور الياس النفوسى .

---

(١) التملوشايتى نسبة الى تملوشايت مدينة مشهورة فى الجبل بذلك العهد مثل مدينة شروس وجادو وتغرمين ويفرن ولم يبق الآن الا اطلالها واما ءاثار دار الامام فيها فموجودة معلومة

ثم اسندت اليه الامارة وبسبب ذلك انتقل الى بلدة « ابناين » في جهة كباو لانه كان يزورها ويستحسنها قبل ان يسند اليه الامر . وهناك بنى مسجده ومدرسته المشهورتين (١)

ومن ذلك الوقت شهرت البلدة بالبارونيين وما بقي من ءاثار مسجده يدل على انه كان في غاية من الاتقان فان المحراب وما حوله الباقى الى اليوم مبني بالحجارة المنحوتة المنقوش عليها حكم ومواعظ بالخط الكوفي نقشا جميلا .

وقد صار ابو هارون بعد ان تولى الامر كهفا ومأوى لاهل الاسلام وله امراة صالحة من خيار المسلمين ورعا ودينا ولا ولد له معها فاجتمع اليه اهل الراي من المشايخ وكلموه ان يتزوج غيرها رجاء ان يرزق منها ذرية صالحة تقتفى اثره وتنفع المسلمين فقبل منهم ذلك وفوض اليهم الامر في الخطبة فاختاروا له بعد البحث ابنة العجوز المشهورة بجدة المشايخ ـ تبركانت السدراتية ـ وجلبوها اليه فبارك الله له فيها ورزق منها خمسة اولاد (٢)

مقاومته لامراء الفاطميين ملوك مصر

كان الامام ابو هرون في ءاخر المائة الرابعة واول المائة الخامسة من الهجرة مستقلا في حكمه في جبال طرابلس وما يتبعها .

لان من كان قبله من حكام الجبل كانوا مرتبطين بائمة (تيهرت) عاصمة المغرب الاوسط مقر ملوك بنى رستم المشهور فيما بين تونس ومراكش، وبعد انقراضهم استقل كل وال في جهته وهذا الامام هو الذي كان يقاوم تيار العبيديين ملوك مصر الذين طالما حاولوا اخضاع نفوسة ومن على رايهم في جبال طرابلس وجبال تونس والجزائر وجنوبها ولم يتمكنوا من ذلك لما كان في تلك

(١) انظر سير البدر الشماخى المتوفي ٩٢٨ صفحة ٣٠١

(٢) السير صفحة ٣٠٢ نقلا عن تاريخ نفوسة المؤلف عام ٥٩٩ ه

الجبال في ذلك الوقت من القوة اذ كانت عساكرهم تعد بمئات الالوف رجالا وفرسانا كما هو مذكور في التواريخ

وناهيك ان المعز لدين الله الفاطمي مؤسس مصر القاهرة قال للامام ابن خزر الحامي للماقام عليه في جهة تونس في ايام الامير ابي زكريا النفوسي الذي كان قبل الامام ابي هارون ما نصه :

« تعالوا لنصطلح فيبقى لكم الامر فيما بين تيهرت والجريد والجبل كما كنتم في مدة بني رستم ملوككم ويبقى لنا ـ اي الفاطميين ـ شطر البحر »

فلم يقبل ابو خزر ووقعت بينهم محاربات مدهشة منفصلة في التواريخ حتى ان قسما من عسكر المعزهرب منه وقت انتقاله الى مصر والتجأ الى جبال نفوسة فلم يقدر على ردهم .

* * *

٢ ـ ابو زكريا الباروني (١)

هو من رجال الدين مات وعمره اربع وعشرون سنة همه ءاخرته وقد جمع خصال الخير ويؤثر عنه انه يقول « لا ابالي بالموت متى نزل بي » (٢) وذلك لقوة استعداده له ، ويقول « اني ماعامت اني اقترفت اثما قط الا مرة واحدة وجدت دابة في الظل فاخرجتها الى الشمس وقعدت في موضعها . وكان كثير الوضوء حتى تلف عضو من اعضائه بالبرد فشدد العلماء عليه النكير في ذلك حتى قيل له ان النار اولى بذلك العضو لانه اهلكه بالجور عليه بالماء البارد فتحير وضاق صدره من ذلك الى ان قال له الشيخ ـ وافي بن عمار ـ ان العضو الذي اهلكه في طاعة الله الجنة اولى به فاستراح .

---

(١) هو الولد الاول من اولاد الامام ابى هارون قال المرحوم للباشا ان بيتنا متسلسل من هذا الشيخ ولعدم وجود الشجرة عندى هنا لا يمكن بيان الجدود الى وقتنا هذا

(٢) في تاريخ نفوسه وفى السير صفحة ٣٠٢

٣ ـ الامير ابو الربيع سليمان البـــارونى

هو الولد الثانى من اولاد الامام الاكبر ابى هارون . فهو الشيـخ الامير ابو الربيع سليمان بن ابي هارون البارونى اسندت اليه المشيخة الكبرى ثم الامارة وهو وحيد العصر وفريد الدهر غلب عليه لفظ الشيـخ فصـار علمـا عليه ، وكان سخي الكف عالما شديدا فى الامر والنهى اخذ العلم عن ابي يحي زكرياء بن سفيان اللالوتى وابن سهل البشير بن محمد التندميرتى وابن يوسف وجدليش اليجلاني واخذ عنه بشر كثير وسافر الى الحج (١) ولعله قبـل ان يسند اليه الامر .

عدله وسخـاؤه ومواسـاته لاهل العلم

كان رحمه الله صواما قواما ، قيل انه صام ذات مرة فى « جادو » (٢) واجتهد فى العبادة والقراءة ، وقال لابى عمر ـ لعله حاكم جادو ـ حجر عليهم ان لا يناموا الليـــل ومن كسر الحجر فالسجن اولى به . وتصدق فى تلك المـرة (على الطلبة) بمائة دينار ، ومرة باربعمائة دينار ، وغير ذلك وقد اصـدر ذات مرة حكمه بالتاديب على رجل من بلدة (اكراين) فامر بوضـع سلسلة في عنقه فالتمس منه بعض الوجوه نزعها ، فقـال له لو امكن لي ان اترك رباط يوسف ابن عبد الله بمائة دينار لاعطيتها ولكن الحق اولى .

ومما يذكر من كرمه واعتنائه برجال الدين والتقوى انه اذا قرب شهر رمضان احضر اليـه خواص العلماء كالشيخ طاهر بن يوسف (٣) وغيره من العلمـــاء

---

(١) عن السير ص ٣٠٤ وتاريخ نفوسه

(٢) جادو هى مدينة مشهورة في التاريخ وهى في جبل نفوسه ؛ بهـا كانت تضرب نقودهم وقد وجد بعض الناس في وقتنا هذا درهم فضة فى شكل البشليك العثمـانى مكتوبا في احدى جهتيه بخط جميل «لا الاه الا الله محمد رسول الله» وفى الجهة الاخرى «ضرب في مدينة جادو» وءاثارها موجودة بقرب جادو الجديدة مركز قضاء فساطو الآن

(٣) هو من اجل علماء جهه قابس ومن اهالى ساحل المهدية هرب من ظلم المعز ابن

والعجائز العالمات الصالحات مثل ام ماطوس العالمة الشهيرة فيصومون عنده شهر رمضان يحيون لياليه وايامه بالعبادة وقراءة القرآن ودروس العلم (١)

حظ النساء من هذا الفضل

قال المرحوم الباروني باشا : كان في مساجدهم في ذلك الوقت وبعده قسم مختص بالنساء له باب مخصوص وبينه وبين بقية المسجد حائط رفيع ذو منافذ ، بحيث تسمع النساء الدرس وتكبير الامام في الصلاة ، وما زال هذا الحجاب موجودا في المساجد والجوامع العتيقة كجامع مدينة (شروس) الباقى الى الآن وهي خربة ، وجامع الامام الاكبر ابى هارون فى (ابساين) (٢) وجامع الامير ابي الربيع سليمان هناك ايضا وجامع العلامة الشيخ عامر في يفرن وجامع الوالى أبى عبيدة عبد الحميد في (جساون) وجامع العلامة ابى زيد في (مزغوره)

الا ان النساء في هذا الوقت لا يحضرن الى الجوامع ، وهو موجود في وقتنا هذا في كل جوامع بني ميزاب في قطر الجزائر تاوي اليه النساء لسماع الوعظ والدرس ولصلاة الجماعة .

انصاف الامير واذعانه للحق

مما يذكر من انصاف الامير واذعانه للحق انه اضافه ذات مرة بعض الرؤساء فامتنع بعض من كان في معيته من طلبة العلم من الاكل تورعا فغضب عليه وامر ابا محمد عبد الله ان يطرده ، فلم يوافقه على طرده ، وقال له ان لم تاثم انت

باديس امير افريقية في اوائل المائة الخامسة هجرية والتجأ الى جبل نفوسة واستقبل بالاكرام ورأى من هذا الأمير عزا واحتراما كما ذكر وسكن قرية اشفى احدى القرى التي يسكنها قبائل الرجبان فى هذا الوقت وقبره مشهور يزار

(١) عن السير ص ٣٠٦ — (٢) السير ص ٥٣٦

فلا يأتم هو فانصف واذعن وطأطــأ راسه حتى كاد يصل قربوس السرج ، وهو اذ ذاك راكب فرسه (١)

نظـام اعمــاله اليوميـة

كان رحمه الله من عادته انه اذا صلى العشاء واكمل ورده تصدر للدرس هونا من الليل ، ثم ينصرف الى داره ومعه محمـــد بن زكريا البغطوري ومحمد بن يفوت فيسردان عليه من الـكتب ما شاء وكـانت اتته كتب كـثيرة من فزان وهو اذ ذاك كـبير السن ضعيف البصر ثم ينصرفان فيشتغل هو بالصــلاة الى الفجر فيحضر الصلاة ثم ياخذ في قراءة القرآن الى طلوع الشمس ثم يتصدر للدرس فاذا اتمه خرج الى مجلس الحـكم بين الناس الى وقت الزوال ثم يشتغل بامر صـــلاة الظهر ولذلك قال بعضهم لا ندرى متى ينام .

قدم ذات مرة الى مدينة (جادو) فرأى بعض معاملات لم تعجبه فعـــاتب ابا عمر على ذلك فاعتذر اليه (٢)

احـداثه امـانة الاسواق

لما كـثرت الفتن وفي شمال افريقيا خصوصا خاف اصحاب الراي واهل الشورى من حاشية الامير من دخول الحرام اقطار الجبل فقرروا احداث وظيفة جديدة لمراقبة ما يدخل الاسواق من الحيوانات حتى لا يبـاع فيها ما يمكن ان يـكون مســروقا او مغصوبا من مـكان بعيد . وكـان احداث هـذه الوظيفة في عصر هذا الاميـــر الجليـل ولا تسند هـذه الوظيفـة الا لارباب الامـانـة التامة ، واول من كــلف بها في اسواق مـدينة جادو الشهيـرة في ذلـك العهد هـو الرجل الشهير علما وعملا الشيخ ابو يوسف وجـدليش استاذ ومعلم هـذا الامير

«١» عن السير ص ٣٠٠ — «٢» عن السير ص ٣٠٦

وكان لا يباع في تلك الاسواق شيء من الحيوانات حتى ياذن فيها الشيخ الامين وباذنه يقع البيع او المنع وقد اوتي اليه ذات مرة بولد من قرية « اينر » فسأله عن نسبه وعن نسب غنمه فاجابه بانه ابن فلان وان الغنم مولودة عندهم قديمة الاصل ، ولما تحقق صدقه اذن له . ثم اوتي اليه بولد من قرية «اغل» فسأله مثل الاول فاجابه بانه ابن فلان وكان والده غير محمود السيرة بمخالطته لاهل الريبة فوبخه وقال له : افي اسواق جادو تبيع حرام ابيك ياولد ؟ وهم بتأديبه فهرب (١)

محافظته على استقلال بلاده

كان هذا الامير رحمه الله هو المحافظ على استقلال بلاده الحامي لها من تلك الفتن المرعبة التي عمت شمال القارة الافريقية في ايام المعز بن باديس وغيره.

أناته في الامور

كان هذا الامير رحمه الله سياسيا حكيما ذا اناة وتبصر في اموره ومما يذكر عنه : ان رجلا من بني زمور يختلف اليه مرة بعد مرة يطلب منه على لسان قبيلة (بني زمور) (٢) ان يعين لهم حاكما منهم حتى الح في ذلك وقال له : الى متى تطلع نساء بني زمور عقبة (تالكيت) لاجل مراجعة حاكم (جادو) او حاكم (تغرميز) (٣) وكان الحاكم فيها يومئذ ابا يعقوب التغرميني فيقول له الشيخ الامير ابو الربيع اصبر علي هذه السنة ، الى ان سافر الرجل ومات (٤)

«١» عن السير ص ٣٣٤

«٢» هي قبيلة مشهورة لهم قصر معروف لهم بقي اطلاله في الجهة التي يسكنها في هذا الوقت قبائل الرجبان

«٣» هي مدينة مشهورة كمدينة جادو في ذلك العصر ولم يبق الآن الا اطلالها في البلاد التي يسكنها قبائل الزنتان — «٤» عن السير ص ٣٠٦

عفوه عن مقدرة

اقام رحمه الله ذات يوم الحد الشرعى على رجل من قرية جيطال (١) فحقد عليه الرجل وعزم على قتله فراصده فى الليل عند باب داره فلما خرج من الباب قصد ضربه فيبست يده على سلاحه وبعد مروره انطلقت ولما رجع قصده ايضا مرة ثانية فيبست يده على سلاحه كأول مرة وبعد دخوله البيت انطلقت فاتاه بعد ذلك معترفا طالبا العفو فعفا عنه (٢)

* * *

٤ ـ هارون بن الامير البارونى

هو شيخ الاسلام هارون بن الامير ابي الربيع سليمان الباروني كان عالما متفننا ورعا ـ اسندت اليه المشيخة الكبرى ـ فكان مرجعا فى النوازل والمشكلات فى جبال نفوسة وكان ابنه سليمان كثيرا ما ينقل عنه (٣)

* * *

٥ ـ ابو الربيع سليمان بن هارون البارونى

هو شيخ الاسلام ابو الربيع سليمان بن هارون البارونى كان عالما مفتيا وشيخا تقيا ، اخذ العلم عن ابى زكريا بن الخير اسندت اليه المشيخة الكبرى فكان شيخ اسلام للامير ابى زكريا البارونى يستفتيه فى مشاكله ونوازله (٤)

«١» احدى القرى التى يسكنها قبيله الرحيبات وبعض نفوسه

«٢» عن السير ص ٣٠٦

«٣» عن السير ص ٥٣٨

«٤» عن السير ص ٥٤٠

٦ ـ ابو سليمان داود بن هارون الباروني

هو شيخ الاسلام ابو سليمان داود بن هارون الباروني كان غاية فى العلم والحلم والورع . وقد اسندت اليه المشيخة الكبرى فكان شيخ الاسلام للامير ابي منصور الباروني ثم لأخيه الأمير أبي عبد الله الآتي ذكرهما (١)

وذكر البغطوري ان بعض المغاربة قال فى شأنه : « سرت البلاد شرقا وغربا فلم ار مثل داود بن هارون » وبالجملة انه كان فى ايامه تضرب اليه اكباد الابل في ايضاح كل مشكل وتفسير كل غريب وجواب كل سؤال وشهرته في التقى والورع في بلاد نفوسة بل فى جميع المغرب اشهر من ان تخفى . اه

٧ ـ الامير ابو زكرياء يحي الباروني (٢)

هو الأمير ابو زكرياء يحيى بن ابراهيم الباروني، كان شيخا مذكوراً وحاكما منصوراً أظن انه كان معاصرا لأبي زكريا يحيى ابن الخير ، وكان يستفتي ابا الربيع سليمان بن هارون الباروني في النوازل الواقعة في ايامه وما يستشكله من الحكم . ولأبي الربيع اليه اجوبة (٣)

قال المرحوم الباشا ـ أقول ومن أجوبته اليه قوله :

الى أخي العزيز علي الأبر لربه اطال الله بقاءه فى نعم مأمونة من الزوال ، محفوفة بالكمال دائمة الاتصال انه منان وهاب .

أوصيك ونفسي بتقوى الله العظيم وحده في السر والاعلان والتزام أمره الكريم واجتناب نهيه العظيم وعليك بالجد والاجتهاد فى امر ءاخرتك فيما رأيته من امر عباد الله من الخاص والعام ومن الضعفاء والارامل والايتام فكن لهم سنداً واوصل كل ذى حق حقه وعليك بمحاسبة نفسك والرعاية فى دقيق الأمور

---

١) عن السير صفحة ٥٣٧ ٢) قال المرحوم الباشا من اجدادنا ٣) عن السير صفحة ٥٣٩

وجليلها والأخذ من نفسك بنفسك فبعد الموت يأتيك الخبر اليقين الخ.قال المرحوم الباروني باشا : « ولعمر الحق ان مثل هذا الجـواب لمما يجب ان يكـتبه كل شيخ اسلام لأميره لما فيه من الارشاد والتصريح بالنصيحة البالغة بدون مداهنة قياما بواجب النصيحة في الدين لقوله عليه السلام « الدين النصيحة »

٨ ـ الامير ابو منصور الباروني

هو الامير ابو منصور ابن أبي زكرياء الباروني كان إماما سالكا على الصراط وحاكما قاضيا بالعدل والاقساط وهو ممن اشتهر في زمانه ، وقدم حاكما فى جبل نفوسة ويستفتي فى نوازله ومشكلاته داود بن هارون البـاروني وجوابه اليه بالتعظيم . ومن اجوبته للشيخ الامير أبي منصور ما نصه :

« تولاك الله بالحسنى وزينك بالتقوى ويسرك لليسرى وجنبك سبيل الردى أوصيك ونفسى بتقوى الله التى لا وصية ابلغ منها ولا هداية انفع منهـا . الخ ومثل هذا كثير . ويخاطبه ايضا كما يخاطب ابا عبـد الله « يا شيخى » وكانت حكومته بعد ابيه « الامير أبي زكريا) ولا ادرى قبل اخيه الامير أبي عبد الله ام بعده والاظهر قبله (١)

٩ ـ الامير ابو عبد الله محمد

هو الأمير ابو عبد الله محمد ابن أبي زكرياء الباروني وهو ابنه الثاني وكان شيخا فاضلا وحاكما عادلا وكـثيراً ما يـكاتبه ابو سليمان داود بن هارون الباروني ويخاطبه « يا شيخى » اما تعظيما واما حقيقة . والمشهور عـن أبي سليمان داود انه أخذ العلم عن ابي زكرياء بن الخير ، وكان الأمير ابو عبد الله يستفتى فيما يستشكله من النوازل فى الاحكام ابا سليمان داود بن هارون الباروني ورأيت له اليه اجوبة كـثيرة وكان حاكما على نفوسة بعد ابيه ابي زكرياء (٢)

(١ ـ ٢) عن السير صفحة ٥٣٩

١٠ - الشيخ ابو يحيي زكرياء بن ابراهيم (١)

هو العلامة الشيخ ابو يحيى زكرياء بن ابراهيم الباروني ، وكان معاصرا لابي سليمان داود بن هارون الباروني ، وهو جد الامام أبي يحيى زكرياء الآتى ذكره وكان شيخا مذكوراً وممن يكاتب داود بن هارون المذكور ولعله كان حاكما وداود مفتيه .

١١ - الامام ابو يحيي زكرياء الباروني

هو الامام الكبير ابو يحيى زكرياء بن ابراهيم بن أبي يحيى زكرياء بن ابراهيم ابن ابي زكرياء يحيى بن ابراهيم ابن ابي زكرياء ابن الامام الاكبر أبي هارون موسى الباروني .

وهو الغاية القصوى في العلم والعمل والامر والنهى ، جدد المذهب بعد ان أخلق ، أخذ العلم عن أبي ايوب وجدليش الاملي عن ابي سليمان داود بن هارون الباروني وعن ابى محمد بن محمد عن ابى سليمان داود وفي ايامه خضع له كل مخالف لمن كان قبله — في جنوب طرابلس — ودانت له الدنيا واعطي بسطة في العلم والمال (٢)

كرمه واعتناؤه بنشر العلم

يحكى عن كرمه واعتنائه بالعلم واهله الشيء الكثير ، من ذلك ما قيل انه زاره - وهو في هرمه - بنو يفرن ، ولما ارادوا وداعه أمر باخراج مقدار من المال واعطاء قبضة منه لكل نفر منهم وتسليم الباقي لرئيس بني يفرن اذ ذاك

---

١) قال المرحوم الباشا في هذا : لي عليه تحقيقات وابحاث في حياته غير حاضرة الآن تدل على انه كان اميرا . ٢) عن السير صفحة ٥٤٦

« عون بن حريز » فقبلوا كلهم ما اعطى لهم الا الشيخ عونا فانه قال : انى لا احب المال وما اتيت الا لنيل البركة ، ونشر ثوبه قدام الامام طالبا منه الدعاء فدعا له بخير وضم اطراف ثوبه الى ان بلغ داره ونفضه هناك فبقيت البركة والرئاسة فى ذريته الى يومنا هذا (١) (يعني اول المائة العاشرة من الهجرة)

ومن كرمه واعتنائه بالمعارف والعلوم انه كانت له مدرسة فيها نحو ٨٠ تلميذا يقوم بلوازمهم من ماله الى ان كانت سنة قحط شديد وبلاء كبير (٢) فاتفق الطلبة على ان يعودوا الى اوطانهم الى ان تتبدل الاحوال تخفيفا على الامام فلما بلغه ذلك جمعهم على طعام بدون ادام ، وقال لواحد منهم إيتهم بالادام من المخزن الفلانى فلما دخل وجده مملوءا مالا فرجع اليه فقال اخبرهم بما رأيت ، فانى لم أجمعه الا لأنفقه عليكم فى المسغبة ولا اذن لاحد منكم فى الانصراف فبقوا في المدرسة ، وقد اختلف اهل زمانه فى سبب ثروته الواسعة فقيل كانت من التجارة (٣) وقيل كان يستخدم اسم الله الاعظم ! وقيل كان له علم بالكيمياء وقيل انه عثر على كنز جاهلي عظيم .

ومن ذلك ما يحكى عنه انه وقع قحط شديد فى جهة الجبال ـ نفوسة ـ فى سنة من السنين فتصدق من ماله الخاص لا من بيت مال المسلمين على جميع اهل جبل نفوسة وعلى قبائل بني يفرن وككله وتاكبال وبابل وغيرهم بخمسة دراهم وثمن زيت واكثر على كل بيت (٤)

مقاومته للميورقي

يقول المرحوم الباشا كانت تلك القبائل تعد في ذلك الزمان بمئات الالوف من النفوس لا مثل هذا الوقت . ويكفي لذلك حجة ان هذا الامام كان يقاوم بها

---

١) عن السير صفحة ٥٤٦ ٢) قال المرحوم الباشا لعل ذلك وقت محاربات الميورقى كما يدل عليه ما يأتى ٣) قال المرحوم قبل ان يسند اليه الأمر ٤) عن السير ص ٥٤٦

هجمات اسحاق بن يحيى الميورقى الذي ظهر في وقته ، وهو الذي خرب شمال افريقيا وبلغ الى وارجلان في جنوب الجزائر وهدم اسوارها وخربها بعد حروب هائلة سنة ٦٢٦ هـ وهاجم جبال نفوسة عدة مرات بجيوش كالجراد حتى انه احرق بعض القرى التي هى اسفل الجبال مثل « جناون » فانه احرق من بساتينها نحو اثنى عشر الف شجرة من نوع الزيتون خاصة . وموضعها يسمى الى الآن بالمحاريق . وقصد ذات مرة مركز الامام نفسه وحاصر الجزيرة وهي جبل مشهور بمناعته بالقرب من مدينة « سروس » المشهورة في التاريخ (١) حتى ان صاحب قاموس اللغة ذكرها في كتابه ومكان عسكره معلوم الى اليوم . وقد قال المؤرخون منهم ابن خلدون انهم صالحوه ذات مرة تجنبا لسفك الدماء بالف الف دينار مكررة يعني مليونين من الدنانير وارتحل عنهم . وهذا مما يدل على ما كان لديهم من الثروة الواسعة وكثرة النفوس .

وجبل الجزيرة هذا قريب من مركز الامام وكان له مدخل صعب خصص الامام لحراسته رجلا مشهورا عندهم بالشجاعة وكان يعطيه كل يوم اربعة دراهم (٢)

ومما ورد عن السنة العامة انه لما طالت احدى محاصرات جبل الجزيرة وظن العدو انهم سيسلمون بسبب الجوع اطعموا عجلا قمحا وعدسا وفولا وصار الصغار

---

١) مدينة « سروس » المذكورة كانت من اشهر بلاد الجبل واكثرها عمرانا واكبرها اسواقا وكانت محط رحال قوافل التجارة الى السودان ولم يبق الآن الا اطلالها وهى فى جنوب جبل الجزيرة المذكور ، وفيما بينهما يوجد الجبل الشاهق المنيع الموجود في قمته اطلال قصر « ولم » الذى ذكر التاريخ — كتاب السير — انه كانت به مكتبا « نفوسا » المشهورة التى كانت فيها ثلاثة وثلاثون الف مجلد من كتب المشارقة خاصة وكان العلماء والطلبة يأتون اليها للمطالعة والنسخ من كل فج عميق ، وقد ذهبت كلها ضحية الفتن العمياء والحروب الهمجية الصماء والامر لله يفعل في ملكه ما يشاء .

٢) كما ذكره الشماخى

يطاردونه الى ان وقع من الجبل الى جهة العدو فأتوه وشقوا بطنه ولما رأوا ما فيه من القمح وغيره يئسوا من اخضاعهم بالجوع فارتحلوا .

ومما يحكى فى هذا الصدد ايضا انه لما طالت احدى محاصرات جبل الجزيرة حملوا شباك حطب على ابل كثيرة فى ليلة مظلمة قصدوا معسكر العدو وكان حوله خندق كبير فقبضوا على الحارس وادخلوا الابل الى المعسكر واطلقوا النار فى الحطب فجفلت الابل وتفرقت في المعسكر تجري والنار تلهب فى الحطب الذي على ظهورها فظن العدو ان اهل الجبل قد استولوا عليهم فتراموا فى الخندق وصار بعضهم يضرب بعضا وهم لا يشعرون حتى هلك اكثرهم وتشتت الباقون . والظاهر ان الحكاية المذكورة فى بعض التواريخ كانت فى هذه الواقعة .

خلاصة الواقعة

هى ان عدواً حاصر جهة من جهات جبل نفوسة مدة طويلة بجيش قوي ثم هزموه وشتتوا جموعه ، واختلف العلماء فى مخلفاته ثم قرروا اتلافها محافظة لقطرهم من تفرق المال الحرام فيه فجمعوها فكانت كالجبل العظيم واضرموا فيها النار فارتفعت الى عنان السماء حتى شوهدت من البحر وقيل من قابس ، اما الحيوانات فالظاهر انهم ذبحوها .

وهذه حكاية تشبه الحكاية التي ذكرها كل المؤرخين كابن خلدون وابن الاثير عن تعنف ابي منصور اليأس امير نفوسة عن اموال العباس بن طولون الذى تحرك من مصر قاصداً الاستيلاء على طرابلس والمغرب فلاقاه ابو منصور بجنوده وهزمه شر هزيمة وترك جميع ما اتى به من الاموال من خزائن مصر ولم يأذن ابو منصور لعسكره ان يأخذوا منها شيئا تنزها عن اموال اهل التوحيد ولو كانوا بغاة فتناهبها العربان .

وقد تقدم ذكر ما كانوا يجرونه من المراقبة فى الاسواق لمحافظتها من دخول المال المستراب اليها فى عصر الامير ابي الربيع سليمان الباروني ففيه كفاية لتأييد هذه الحكاية .

وقد هرب اسحاق بن يحيى الميورقى المذكور الى الصحراء بعد تشتت جموعه وهناك مات وحيداً شريداً فى حدود سنة ٦٣١ هـ والميورقى المذكور من جزيرة ميورقة من جزر البحر الابيض المتوسط التابعة الآن لحكومة اسبانيا

وفاة الامام

لما مات الامام ابو يحيى حزنت عليه الخاصة والعامة ورثي بقصائد كثيرة من طلبته رأيت منها جملة (١) وصلى عليه يوجين بن نوح من بلدة امسين ، ووعظ الناس ، واليه يشير الشيخ ابو نصر في مرثيته اذ قال « قام الخطيب »الخ وسنذكر المرثية ، وقد ساد من طلبته جماعة ، وبالجملة فان الشيخ الامام ذو حزم لآخرته ولدنياه ووصل معروفه القريب والبعيد والمطيع والعاصى وفي مدة حياته اقام منار الحق رحمة الله علينا وعليه اهـ (٢)

كانت وفاته رحمه الله في اواسط المائة السابعة تقريبا ، ودفن في محفل عظيم حضره العلماء والادباء والشعراء والرؤساء وانشدت فى مصابه الجلل المراثى وتليت فيه الخطب ورفعت الاكف بالأدعية ، وقد اختاروا لدفنه ربوة عالية امام بلدته في سفح الجبل المعروف بجبل « تيلاجام »

ولا يوجد بقرب قبره الا بعض قبور فى حديقة لبعض افراد عائلته ، وهو مشهور باجابة الدعاء فيه ويزار الى اليوم .

وقد بقي من مدرسته قسم من مسجدها في ربوة عالية فيما بين قرية «تيلزغت» وقرية « إيجرجين » وهي مشهورة بمحكمة أبي يحيى وبمسجد تغليس

١) من كلام البدر الشماخى رحمه الله ٢) عن السير ص ٥٤٨

مرثية أبي نصر

ها هي هذه مرثية أبي نصر البليغة ، وهو شاعر ذلك العصر الذهبي ، وهو ابن أخت الامام المرحوم وتلميذه العبقري وهو صاحب الديوان المشهور عند الطلبة « بالدعائم » قال رحمها الله :

احرى واجدر بالاجفان والمقل ... تفنى ببكاء على الاسلام لم تبل
دعها تسيل اسال الله مقلة من ... يسطو عليها بسطو العتب والعذل
أبعدما نوسها تهوى الكرى وسنا ... لا قر انسان من بالنوم مكتحل
أبعد ما غاب بدر الدين فى جدث ... يهنا الحياة بنو الآداب بالامل
كيف البقاء لطرف زال ناظره ... حين اعترته بنان الذل بالسمل (١)
زر ساحة السفح واسفح عندها حزنا ... دمعا يزيد على التسكاب بالهطل
قبر بجانبه الغربى أرقني ... من اجله بت ارعى النجم في التلل (٢)
سقيا لساكنه رعيا لقاطنه ... سحت عليه عيون المزن لم تبل
اعني الولي ابا يحيى الذي حييت ... صوى العلوم بمحياه ولم يأل
هب النعاة فوافى الناس مدفنه ... كل يفديه بالاباء والنسل
يا موقفا شهدت نفسى حقائقه ... عجت عجيجا به الاشهاد من وجل
تزاحم الناس عند اللحد مكرمة ... ولا تزاحم باب البيت عن عجل
قام الخطيب يبكي شجو مفقده ... هلا تزاحمتم في القول والعمل ؟
مضى الولي فاين اليوم منزعنا ... اين الشكاية ما لله من مثل ؟

---

١) قال المرحوم يتأمل في معناه قلت : ولعله « بنان الهول الخ »

٢) قال المرحوم كان شيخنا القطب رحمه الله كثيرا ما يكرر هذا البيت عندما احضر امامه قبل الدرس ؛ وما كنت اعرف هذه القصيدة ولا اعرف ن ابا يحيى جدي الا بعد ذلك ؛ وكانه كان يعتقد انى عالم بذلك رحمهما الله .

كان الحبيب الينا والحفي بنـا ... فشط عنا مزارا غير ما ملل (١)

احبنا فيه من جاد الرجام به ... وما بذاك يـكافي الود ذو نبـل

ومن أذى هذه الدنيا وفجعتها ... حثو التراب على المحبوب فى التلل

يا غربة الدين بعد الشيخ مفتقداً ... يا وحشة السيرة الغرا عن الاول

لا ـ عن تراض جرى حكم المنون به ... قدما جرى في نبي الله والرسـل

قسراً على الاسد في الاغيال واغلة ... وفي الذرى لوعول صعبة السبـل

ما لامرء في الـذرى امن ولا ثمة ... ولا اعتصام له بالخيل والاسـل

قد طبت حيا وطبت ميتا نخراً ... جوزيت خيرا عن الاسـلام بالجـذل

كمثله فلتلد انـثى مفاخرة ... اولا ـ فلا ولدت عن ءاخر الطـول

يستصحب الحق فى احكامه ابدا ... ويؤثر ألجد دون الهزل والخطل

عذب الشمائل محمـود خلائقه ... مأمون عيب نقي العـرض ذو بذل

فمن لذي البؤس يأتيه وارملة ... تاتى بايتامها شمتـا مـن الهـزل

ومن لمرتعش دانى الخطا زمن ... أحـال حالته دهـر أخـو غلل

لو كنت حيا حياك الله رشتهم ... وكنت غوثا لهم في العل والنهل

ما اقرب القبر يوماً فى زيارته ... وانزح الميت المخروم بالاجـل

ارى الولي وتعـداد مناقبه ... كمذرع البحر لم يوزن ولم يـكل

يستصغر الـكرب فى جنب الفجوع به ... بـل ويهون صغير الرزء والجلـل

يا ايها الشامت المبدي شماتته ... مهلا بفيك تراب السهل والجبـل

فى نجله خلف طابت أرومته ... ما مات من انهـج الاولاد للسبل

يستأسد الشبل نـزاعا لعنصره ... حتى يئول اصيـلا غـير مندخل

لسنا نقول بوهن لا ولا خور ... خلا لك الجو قولا صادق المثـل

---

١) لعله غير ما أمل

نعم الولي بعهد الدين ذو ورع بعد المقدس روحا عند ذي الاجل
حييتم وحييتم فى سلامتكم بني « الامام » وعشتم طيب النزل
شكراً لأنعم من اهدى السداد لكم حتى سلكتم سبيل الوالد الكمل
صلى الالاه على نبئنا المصطفى وخصنا بعده بصالح العمل
ثم السلام على الاخوان كلهم ما لاح لابن دكا نور على القلل

وقد رثاه العلامة الجليل الشيخ ابو زكريا يحيى بن الخير الجناونى مؤلف كتاب الوضع بقصيدة بليغة ذكر الشاخى انها عرضت على البلغاء والفصحاء واهل المعانى من علماء عصره فاستحسنوها ومع الاسف لم نعثر عليها (١)

١٢ - الامير ابو زكرياء البارونى

هو الأمير ابو زكريا يحي بن الامام للبارونى كان في جهة يفرن ومعه حلقة جماعة من العلماء والتلامذة يجول فى البلاد ويذكر الناس وينبههم ويعظهم واظنه كان حاكما بجبل نفوسة (٢)

١٣ - الامير الشيخ بن ابراهيم البارونى

هو الامير المعروف بالشيخ ابن ابراهيم ابن الامام الكبير ابى يحي البارونى ولي اميراً على الجبل فاعطى الامارة حقها ، وكان حاكما عدلا ، وقامعا للجورة باسلا . اخذ العلم عن شيخ الاسلام عيسى الطرميسى ، وكان شديد الشكيمة فى الحق لا يخاف فى الله لومة لائم متعففا الى درجة خارقة للعادة (٣)

عدله وتعففه

مما يحكى عنه فى هذا الباب ان بعض الرؤساء وهو عبد العزيز بن فرحون

---

١) قال المرحوم الباشا ارجو يا ابا اليقظان البحث عن هذه القصيدة في خزائن ميزاب
٢) عن السير صفحة ٥٥٣ (٣) عن السير صفحة ٥٥٤

دعاه الى طعام فى بلدة « جناون » وكان أتاها زائراً وبعد ان اكلوا ذكر له انه اتفق هو وخصمه على ان يتحا كما عنده بعد صلاة الظهر ، فغضب الأمير وسأل رفيقـا له عن ثمن الطعام فوضع مثليه فوق الطبق وخرج بدون ان يدعو الدعاء المعروف فى ذلك العهد بعد الطعام (١)

وفاة الامير

توفي الامير وشيخه المذكور فى يوم واحد عام اثنين وعشرين وسبعمائة (٢)
وقد رثاه الشيخ طاهر بقصيدة بليغة مطلعها :
يموت الصالحون وانت حي ، الخ ولم تحضر عندي وقت تحرير هذه الرسالة (٣)

١٤ - شيخ الاسلام ابو عزيز الباروني

هو اخو الامير الشيخ ابن ابراهيم ، ابو عزيز ابن ابراهيم بن الامام الكبير أبي يحي الباروني ، كان بحراً فى العلم شديد الورع أخذ العلم من معدنه شيخ الاسلام عيسى الطرميسي ، وبعد وفاته اسندت اليه المشيخة الكبرى وتوفى عام ٧٤٦ هـ (٤)

١٥ - أبو عبد الله محمد بن الشيخ الباروني

هو العلامة الجليل الشيخ ابو عبد الله محمد بن الشيخ بن ابراهيم بن ابى يحي الباروني ، أخذ العلم عن عمه ابي عزيز ، فكان شيخا فاضلا .

وهو الذي الف الكتاب الذي نقل مسائله عن عمه ابى عزيز وهو مشهور — يعرف فى هذا الوقت بلغط ابى عزيز — وقد ذيله بمواعظ ووصايا وحكم

١-٢) عن السير ص ٥٥٥ - ٣) قال المرحوم الباروني « ارجو يا ابا اليقظان ان تبحث عن هذه القصيدة . ٤) عن السير ص ٥٥٤

وكان سخي النفس وبقي ذلك فى ذريته . وكان يحيي ليلة الجمعة فى مسجد وشيشال خارج البلد المعلوم بالبركة واجابة الدعاء . وقد تزوج في قبيلة ككله
وتوفي رحمه الله فى عام نيف وتسعين وثمانمائة — لعله وسبعمائة — حسبما علمنا من وفاة شيخه ابى عزيز في عام ٧٤٦ هج (١)

١٦ - الشيخ ابن ابى عبد الله البارونى

هو العلامة المعروف بالشيخ ابن ابى عبد الله محمد بن الشيخ البارونى . كان مشهوراً بالخير وباسط اليد ، أخذ العلم عن العلامة الشيخ ابى ساكن عامر بن علي الشماخى صاحب التأليف المشهور بالايضاح ، وله مسجد بناه داخل داره يجلس فيه ويغشاه فيه الزائرون . وله اخبار مشهورة مذكورة فى الجود والكرم .

من ذلك انه اتخذ جفنة ملأها بالبسيس — وهو نوع من الطعام معروف فى طرابلس مثل السويق — فاذا نفد ملأها ثانيا وهكذا دأبه . فكل من دخل عليه أمره ان يأكل فمكثر ومقل وصائم . واشتهر عنه ذلك فكان الأعراب يغشونه ، وقد مات فى عام ٨٣٣ هج . وتمادى بنوه على ذلك فهي الى يومنا هذا كذلك حتى اشتهرت عائلته بابناء أبى بسيسه ، وكذلك يكتبون فى حججهم (٢) وهم العائلة الموجودة الآن فى القلعة فى جبل يفرن . وقد سمعت وانا فى السلوم فى ابتداء الحرب العمومية عام ١٣٣٣ هج بأن في قبيلة اولاد علي بجهة المطروح التابعة لمصر عائلة قديمة كبيرة تعرف باولاد ابى بسيسة ، ولم يتيسر لي تصحيح نسبهم اذ ذاك ولعلهم فرع من العائلة .

والمتواتر ان جدة اولاد أبى سيف اهل الشهامة والنجدة من هذه العائلة ، بل يؤكد بعضهم انها ابنة الشيخ ابى حفص عمر الآتى ذكره .

---

١ - ٢) عن السير ص ٥٦٨

قلت : وتوجد في القرارة من قرى ميزاب عائلة كبيرة تدعى بآل بسيس ولعلها تحدرت من هذه العائلة الماجدة ، كما تدل على ذلك ارومتهم الكريمة التي من بينها الاستاذ الشيخ قاسم بن الحاج سعيد مدير مدرسة « الحيـــاة » الحالي بالقرارة .

١٧-١٨ - الاخوان ابو الربيع وابو محمد الباروني

هما العالمان الجليلان ابو الربيع سليمان وابو محمد عبد الله ابناء الشيخ ابن ابي عبد الله محمد الباروني ، اخذا العلم عن الشيخ ابي حازم نـــوح بن حازم . ومات ابو محمد عبد الله بن الشيخ في عام ٨٢٩ هج في مدينة طرابلس وهـو مسافر الى الحج ، وخلف ابنا اسمه ابو حفص عمر مشهور بالورع والصلاح . وهو اليوم القائم بامور الدار والاطعام وغير ذلك (١)

اما ابو الربيع سليمان فانه مات في عام ٨٦١هج في تاسع رمضان .

دخل عليه شيخنا — يعني ابا عفيف صالح بن نوح بن زكرياء — وهـو - يعني ابا الربيع سليمان - شيخ كبير وأخذ يسأله عمن ادرك مـن المشائخ ، وكيف كانت سيرتهم ؟ فأتاه من يدعوه إلى الطعام ، فئاثر الفائدة ولم يـرد ان يقطع السؤال . فقال له ابو الربيع سليمان قم مع الداعي يا ابا عفيف اني ادركت اتباع المشائخ لو ادركوني واياك لم يصلوا خلفنا لشدتهم في دينهم وقـــوة ورعهم (٢)

١٩ - الشيخ محمد بن زكرياء الباروني

هو العلامة الجليل الشيخ محمد بن زكرياء بن موسى الباروني ، وهو مؤلف رسالة نسبة الدين التي ذكر فيها الثقاة المأخوذ عنهم الدين جيلا بعد جيل مـــن

١» عن السير ص ٥٦٨ ٢» عن السير ص ٥٦٩

نفوسة وغيرهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وممن ذكره فيها من الثقاة الشيخ ابو زكريا ابن عيسى الباروني والشيخ ابو عزيز الباروني والامام ابو يحي الباروني والشيخ ابو سليمان داود الباروني والشيخ ابو الربيع سليمان بن هارون الباروني ،وقد الف هذه الرسالة عام ٩٦٩ هج تقريبا رحمه الله واياهم اجمعين

قلت : ان هذا الشيخ الجليل هو صاحب الشيخ ابى مهدي عيسى بن اسماعيل المليكي الميزابي الذي كان مالكيا ومن اولاد نائل فرجع الى المذهب وكان من اهل الورع والاستقامة والرسوخ في العلم . وله ديوان شعر رائق ورسالة بليغة فى الرد عن بعض الطاعنين ، يدافع فيها عن زميله الشيخ ابى عبدالله بن محمدالمرزوقى اذ طعن فيه البعض اثر رجوعه للمذهب الاباضي عام٩٢٩هـ

وقد ذكر في كتاب « موانع العامة » لاتفاقات وادي ميزاب في شأن اتصال هذين الشيخين الجليلين : الشيخ محمد بن زكريا والشيخ ابى مهدي عيسى ما نصه :

« ومما سبق ان ثلاث مسائل اتفق عليها عزابة خمسة قصور فى روضة ابي مهدي عيسى بن اسماعيل المليكي في زمان الشيخ محمد بن زكريا النفوسي البارونى وقد كان قعد في ميزاب الى ان مات ابو مهدي الشيخ عيسى بن اسماعيل فانتقل الى جبل نفوسة ... الخ

اما وفاة ابي مهدي الشيخ عيسى فقد كانت بمليكة في ليلة ١١ ذي القعدة عام ٩٧١ هج اي بعد تأليف الشيخ محمد ابن زكرياء لرسالته « نسبة الدين » بنحو عامين .

ويبحث هل اتصال الشيخين احدهما بالآخر اتصال صداقة واخوة ؟ ام اتصال تلميذ بالاستاذ ؟ وايهما اخذ عن الآخر ؟

على ان الوثيقة المومى اليها تشير الى ان الشيخ محمداً هو الذي كان يأخذ عن

الشيخ ابي مهدي فلما توفي انتقل الشيخ محمد الى جبل نفوسة رحمها الله ولعلنا نقف فيما بعد على حقيقة الامر بحول الله .

ولا منافاة بين وقوع الاتفاق في روضة ابي مهدى في زمان الشيخ محمد وبين قعوده الى ان مات الشيخ ابو مهدى ، اذ يمكن ان ينعقد الاتفاق في روضة الشيخ مهدى وفي زمان الشيخ محمد اثر موت الاول وقبل انتقال الثاني الى جبل نفوسة ، فتأمله .

يا ما اغرب الصدف !

بعدما حررت ما تقدم ورجحت فيه ما رجحت راجعت رسالة « نسبة الدين » للشيخ محمد المذكور ، وهي مطبوعة في اخر « سير الشماخي » فوجدته يقول ما نصه : (١)

« وقدمت ايضا عام احد وستين وتسمائة الى جبل بنى مصعب ولازمت الشيخ ابا مهدي عيسى بن اسماعيل غفر الله له ورضى عنه واخذت عنه فوائد جمة في التوحيد وغيره .

وقراءته هو على الشيخ سعيد بن علي الخيري الجربي عن الشيخ ابي النجاة يونس بن سعيد المذكور انفا عن الشيخ ابي نفيف صالح بن نوح النفوسي . الخ والحمد لله على هذا الاتفاق .

خاتمة

قال المرحوم الباشا ما نصه :

احرر هذا وانا انظر الى احد جدران المسجد العتيق لأبي يحيى زكرياء الجناونى معتبراً بما اراه مكتوبا فيه بالمداد مما يدل على تقلبات الدهر واحواله

(١) عن السير ص ٥٨١

وكانت كتابته في عصر الشيخ محمد الباروني صاحب الرسالة المذكورة . قال الكاتب ما نصه بحروفه :

في سنة احدى وثلاثين بعد تسعمائة ابتاعت الدجاجة بجرة زيت وابتاع رأس الثور باربع جرات زيت وابتاع الزبت في السنة المذكورة ويبة شعير بقفيز زيت والدينار بسبعة اقفزة زيت والحمد لله على الرخاء والشكر على نعمائه . اهـ

ثم قال المرحوم الباشا :

أقول : الجرة المذكورة عبارة عن وعاء يكال به الزيت معمول من الفخار معروف من منذ الف سنة تقريبا ، اعني من مدة عمران مدينة « جادو » الى هذا الوقت يساوي ٨ ليترات الا شيئا قليلا ، والقفيز يساوي جرتين اعنى ١٦ ليترة الا شيئا قليلا وكانوا فى زمن تموسة يصنعون للقفيز وعاء مثل الجرة ايضا

وقد عثر بعضهم فى زماننا هذا على واحد منه مدفون في انقاض بناء عتيق فى جهة فساطو وتلف في ايام هذه المحاربات التى أدهشت العالم وبدلت الارض غير الارض ، كما تلف مفتاح مدينة زواغة « صبره » عاصمة الجبل على البحر في اعصر مضت ، فانها كانت عند عائلة فى فساطو من قبيلة اولاد سلطان كان جدهم حارس باب المدينة وكان هو آخر من انتقل من زواغة الى الجبل على ما يقال ، وهي من حديد جميلة الشكل والصنع . والامر لله .

هذا ما امكن الوقوف عليه من تاريخ العائلة البارونية من اواسط المائة الرابعة الى اخر المائة العاشرة من الهجرة ، وقد نبغ منها بعد المائة العاشرة رجال لهم من الجاه والعلم والشهرة ما يستحق ان يدون ولعدم تدقيق تواريخهم بصورة موثوقة نكتفي بمن تقدم ذكرهم (١)

فان المطالع يرى سيرتهم كسيرة الصحابة والتابعين لا تعاظم ولا تكبر مع

---

(١) قلت لعلني اعثر على بعض ما بقي منهم فاستدركه بعد بحول الله .

الغنة التامة والعلم الغزير والاعتناء بالدين والعـدل ، كتـاب الله حجتهم وسنة رسوله دليلهم ، وءاثار السلف الصالح منهجهم ، ان جلسـوا للحكم عـدلوا وان تصدروا للتعليم اجادوا وأحيوا ، وان قاموا للدفاع عن وطنهم وملكهم ابلوا ونصروا ، وان بسطـوا ايديهم للاحسان اغنوا ، وان شمروا للعبادة صامـوا النهار وفي الليل تهجدوا ، فهم كما قال الشاعر العربى :

الخيل والليل والبيداء تعرفنى والسيف والرمح والقرطاس والقلم

او كما قال معاصرنا سلالة المجد صاحب جريـدة المرشد الشيـخ سليمان الجادوي الاديب في حقهم من قصيدة له ـ يعني رحمه الله نفسه وءاباءه :

اجدادك الغر في العصر القديم علوا فافخر باصل شهير المجد في الكتب
منهم امير ، ومنهم عالم ، وبهـم اسد وذو المال منهـم حاتم العرب
وكيف لا ونرى التاريخ مجـدهم فى كل عصر وهل للبدر من حجب

او كما قال الشيخ عربي النجيب وزملاؤه من علماء زوارة الادباء في حقهم من قصيدة خاطبونى بها قديما :

قد سدت جيلك مثلما سادت به اجيالها ءاباؤك النجبـاء
جمعوا من الدارين كل فضيلة فهم الاماجد منهـم الامراء
وهم الذين سمت معارفهـم عـلى نهر المجرة منهـم الكرماء
فافخر بسلسلة تواتر ذكرهـا بالمجد ولتفخر بها حـواء

هذا وهم ـ مع ذلك ـ في سائر احوالهم الخصوصية كآحاد الامة بدون فرق »

حرره في العشرين من شهر جمادى الاولى سنة ١٣٣٩ هج بقرية جناون من قرى جبل نفوسة . والي وقومندان طرابلس الغرب وملحقاتها مدة الحرب العمومية واحد اعضاء مجلس الاعيان العثمانى

سليمان البارونى

والد الباروني باشا

هو العلامة الجليل الشيخ عبدالله بن يحي بن احمد الباروني ، وقد وصفه قطب الائمة الشيخ طفيش فى بعض رسائله بقوله : والشيخ عبد الله بن يحي هو عالم ووارع نفوسة ، قال : « واظنه تربي »

اخذ العلوم الدينية عن العلامة الكبير الامام الشيخ ابي عثمان سعيد بن عيسى الباروني نزيل جربة الذي وافته بها منيته فى عام ١٢٨٢ ه

ثم انتقل الى مصر للاغتراف من مناهل الازهر الشريف ، ولاسيما العلوم العقلية منها . فكان مثالا للجد والكد والتحصيل والعفة والنزاهة والخلق الكريم ، فاكتسب بهذه الصفات مركزا ممتازاً بين علماء وادباء مصر في ذلك العصر عامة وبين رفقائه من النفوسيين خاصة ، من بينهم ذلك السري الماجد العلامة الشيخ سعيد بن قاسم الشماخي الشهير الذي كان وكيلا للدولة التونسية في مصر سابقا الى ان توفي فيها .

وكان من اصدقائه الكبار العلامة الجليل الفقيه الشيخ ابو زكريا يحي بن ايوب الباروني الذي هو من بلدة « كباو »

مـآثره

بعد ان أخذ حظه من العلوم العربية بمصر رجع الى وطنه جبل نفوسة فاستقر بفساطو وهو على جانب كبير من العلم والورع والاستقامة ، وكان له نثر رائق ، وشعر فائق ، واسلوب جذاب أمتلك بها مجامع القلوب من العلماء والادباء ورؤساء الدولة العثمانية وولاتها اذ ذاك بطرابلس الغرب. فكانله بهذه الصفات الحميدة حظ موفور من الوجاهة والقدر والاحترام ، ظهرت فيما بعد نتائجه الكبيرة من جلب نفع ودفع ضر للاسلام ولابناء وطنه طرابلس ولاسيما

ازاء محنة ابنه العزيز سليمان على ما يأتي بيانه . وقد تصدى لنشر العلم والوعظ والارشاد ومكافحة الجهل والامية بين ابناء وطنه .

تلامذته

من اجل ذلك الجد والنصح والدأب المتواصل تخرج عنه تلاميذ نبهاء من بينهم شبله العظيم الشيخ سليمان باشا الباروني ، ومنهم العالم الجليل شيخ الصحافة التونسية مدير جريدة مرشد الامة الشيخ سليمان الجادوي ، ومنهم الاديب اللامع الشيخ عمر بن عيسى التندميرتي صاحب الديوان الشهير « الفلائد الدرية » الذي سكب فيه دموعا سخينة على الاسلام واهله .

ومنهم النجيب الشيخ ابو زكرياء يحي بن اخيه الشيخ عيسى وهو - فيما بعد - ابو زكرياء مفتي لالوت وتوفى فى عام ١٣٢٤ هـ ، ومنهم ولداه الذكيان الشيخان يحي واحمد وغيرهم .

مؤلفاته

كما أخذ حظه من تاليف الرجال ، فانه أخذ حظه كذلك من تأليف الكتب ، وقد رأينا من تأليفه رسالة قيمة في التاريخ « سلم العامة والمبتدئين » وهي كاسمها - حقا - سلم للعامة والمبتدئين للعروج بهم الى شواهق الرجال الكبار.

ومنها ديوانه الشهير (بديوان الشيخ عبد الله الباروني) وهو لعمري مرءاة انعكست فيها أشعة علمه وأدبه وثقافته وخلقه الكريم فى سائر اطوار حياته .

وعظ فيه وارشد ، ونصح وذكر وأنعش به روح الدين والفضيلة ، سكب فيه دموعه السخينة وأجج فيه عواطفه الملتهبة نحو اخوانه في الدين .

أمتدح فيه الرسول الكريم ، ونوه بالعلماء والصلحاء وأشاد باولي العدالة والعفة والنزاهة من القضاة والامراء والرؤساء .

ورثا بدموعه الحارة اولئك الراحلين من اهل العلم والصلاح والاصلاح (١)

مختارات من نثره ونظمه

لأجل ان يقف الاخ القاري على كنه ما يتحلى به من الفضائل التى أشرنا اليها ، نورد فيما يلي بعض نماذج مما دبجه يراعه الرفيع من نثر ونظم في مختلف المواضيع .

اما نثره فاليكم مقتطفات منه فيما يأتى :

١ ـ (وصية الى الاخوان)

« واعلموا ايها الاخوان ـ ان متقي الله مرحوم مؤيد ، معصوم مسدد ، ترى فى مطالبه النجاح وفى غدوه ورواحه الصلاح ، واياكم والتحاسد والتدابر ، والتباغض والتشاجر ، وعليكم بالاجتماع على فعل الخيرات واكتساب الطاعات ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، كما قال تعالى وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الأثم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب . وقال صلى الله عليه وسلم (لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا او كما قال وايضا (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا) وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون لعلكم تفلحون . ثم قال :

فانه لا ينفع العبد الا ما قدمت يداه ، وليس كل من انتسب الى مذهب من المذاهب يطمع بمجرد ذلك الانتساب بالنجاة والفوز بالجنات ، هيهات ان يكون ذلك نافعا بدون فعل المأمورات واجتناب المنهيات فى جميع الاوقات . قال تعالى (ان أكرمكم عند الله اتقاكم) وقال فى بعض كتبه المنزلة على بعض انبيائه :

---

١) وقد كنت ارسلت اليه من ميزاب رسالة وقصيدة مطلعها :

ما بال بالي لم يبال بحالي   القاه في امر لصعب الحال

ولست ادرى هل اتصلت به ام لا ؟

(خلقت الجنة لمن اطاعني ولو كان عبداً حبشيا وخلقت النار لمن عصاني ولو كان ملكا هاشميا .

فالمدار كله والاعتماد على التقوى فانها شاملة لسائر اعمال البر ، وحصر الله تعالى قبول الاعمال فيها حيث قال (انما يتقبل الله من المتقين) جعلنا الله واياكم من الموفقين لطاعته السالكين سبيل مرضاته بجاه محمد وءاله .

٢ ـ لما أتم قطب الائمة الشيخ طفيش رحمه الله شرحه لشرح العدل والانصاف لبدر الدين الشماخي رحمه الله كتب في شأنه المرحوم الشيخ عبدالله تقريظا نثراً ونظما ابدع فيهما واجاد ، وفيما يلي قطعة النثر منهما ، قال :

« سبحان من فجر ينابيع محاسن الفضائل والحكم ، من غوامض عيون خواصه فسالوا بجوامع الكلم ، نحمدك اللهم حمداً يملأ حسبانه الكون ، وتمنحنا به جوائز الهداية والتوفيق والعون ، ونصلي ونسلم على من اكتسى بحلل النبوءة والرسالة ، الماحي بشوارق انواره ءاثار الغياهب والضلالة سيدنا محمد المتوج بمحاسن الارشاد والدلالة وعلى ءاله واصحابه ذوي الفصاحة والبلاغة والمقالة .

اما بعد — فقد وقف العبد الفقير على هذا الشرح ، المشيدة مبانيه كالصرح الذي كشف قناع الخفاء والسدل عن شرح مختصر العدل ، فسرحت النظر في بساتينه واجلت جواد الفكر في ميادينه ، فاذا به روض باكره الغمام ، او زهر ربيع مفتح الاكمام ، هب في ظلاله نسيم الصبا فترنحت به معاطف الربا فمال اليه قلب كل اديب وصبا ، كيف لا وهو جنة النعيم ، فيها نعيم مقيم ، بل جنة المأوى ، فيها ما تشتهي الانفس وتهوى ، فأبوابه كالخمائل وفصوله كالجداول ، شرح ءاوى مؤلفه بجياده الشوارد واروى بشيم زلاله الهائم الوارد ، ومنح المستوجبين له جوائز الفوائد ، وقلد جيودهم بنفيس الفرائد وغرئب العوائد ،

فهو كنز مليء اغنى رائده ، وبحر قلمس اروى وارده . فمبانيه زاهرة ومعانيه ظاهرة ، اعجب برقة سبكه افكار الافهام واراق بروض ازهاره ذوى الاحلام ، فهم من كئوس رحيقه يرتشفون ومن ثمار حدائقه يقتطفون . قد شفى فى وضعه وكفى ، فرق طبعه وصفا . شرح تكل الالسن عن وصف محاسنه الرائقة وتلذ الاعين بعرائس ابكاره الفائقة . ان قلت مزاجه زنجبيل عاملك الله بلطفه الجميل ، او قلت مزاجه كافور عاملك الله بمزيد الاجور .

قد اطنب فيه وهذب واوجز فاغرب . فهو فى الصفو كزلال الماء وفى السمو كالمجرة في عنان السماء .

فلعمرى ان من اراد الفوز والوصول والترقي الى قنن شناخب الاصول — فعليه بهذا الشرح الجميل المهذب الجليل العذب السلسبيل الشافي الغليل لكل جهبذ نبيل . فليتمهل فى رياضه ، وليرتشف من زلال حياضه وليمتط متون جياده ، يفز ببغيته ومراده . فلقد صدر عن ذهن ثاقب وفهم صائب ونفس صادقة وروية فائقة وبديهة ملأت بتئاليئها المشارق والمغارب ، وقريحة اذا شمت وميض برقها تذكرت مدين المئارب .

فكان مطلعه في فلك الاصول كالشمس وضحاها حيث لم يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها .

فالله تعالى يديم مؤلفه خالداً فى جنان الامان منوها بذكره فى كل مكان ملحوظا ومحفوظاً بعناية الملك الديان من كل خب وحاسد وشيطان . امين يا رب العالمين .

وقد تكلف هذا التقريظ من النثر والقريظ من سحبت عليه المعائب اذيالها وتحمل اعباء الذنوب اثقالها ، الراجي من لطف خالقه ومولاه زوالها المتخلق لهذا العلامة بالمودة والصفا والمتمسك معه باسباب الصداقة والوفاء فقير ربه

واسير ذنبه عبد الله بن يحي بن احمد الباروني النفوسي . كتب الله له ولهذا العلامة الجنة ، ولمن صلح من المسلمين اجمعين . وءاخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين . حرر في ثاني عشر شهر رمضان سنة ١٢٩٩ . اللهم اختم بخير ءامين

واما نظمه فاليكم زهرات منه فيما يأتي :

لما نفي قطب الائمة الشيخ طفيش بعض حساده من بلده يزقن في جملة من نفوا الى بنورة من المشائخ والعلماء كتب اليه الشيخ عبد الله وهو صديقه الحميم قصيدة بليغة يسليه فيها نقتطف منها الابيات الرائعة للعبرة والذكرى .

قال رحمه الله ورضي عنه :

أحيا لنا السيرة الغراء حين عفت ... رسومها واعترى ابوابها السدد
أعيت محاسنه من رام غايتها ... فكيف وهو امام الوقت والعمد
لو كان في قومنا كانوا له تبعا ... وامتثلوا أمره في الكل واعتمدوا
لكن برابرنا سود ضمائرهم ... ان منحوا فاضلا عابوه وانتقدوا
وهكذا دأبهم في كل ناحية ... فقد تحلوا بهذا الوصف وانفردوا
يا سيداً حاز فخراً لا نفاد له ... انت الهمام وانت الضيغم الاسد
قد جاءنا خبر انك منفرد ... من اجل قومك قد غاروا وماسمدوا
قد حسدوك وما ظنوا بانهم ... قد حسدوا فاضلا يا ليت ما حسدوا
لأنت يوسف والحساد اخوته ... والكل قد رغبوا في الفضل واجتهدوا
لكنه لم يؤاخذهم بما صنعوا ... حتى علا قدره ثم له سجدوا
فاعمل بسيرته كيما ترى علما ... فوق الاولى حسدوا واستكبروا وعدوا
فاغفر لهم واعف عنهم دائما ابداً ... وكن حليما اذا ما القوم قد حردوا
دام لك المجد والاقبال وانعقدت ... لك المعالي فانت السيد السند
فانت قدوتنا ونور مذهبنا ... وقطب نحلتنا لك اللوا عقدوا

لأنت بالغرب والاخبار سائرة ... تبدي الثناء عليك ما لها فند

الى ءاخر القصيدة

٢ — لما ارتحل ابنه الشيخ سليمان اوان شبابه الى تونس سنة ١٣٠٥ للاغتراف من مناهل جامع الزيتونة المعمور كتب اليه قصيدة رائعة كلها تحريض ونصائح وتوجيهات نقتطف منها الابيات الآتية :

بني تنبه واستمع لمقالتي ... وكن واعيا لها بقلب مباشر
تعلم بني العلم والزمه دائما ... قرينا مع التقوى وفعل الاوامر
تعلم بني العلم فالعلم زينة ... وذخر وفخر للفتى في المحاضر
تعلم فان العلم تاج وهيبة ... لحامله بين الرجال الاكابر
تعلم فان العلم لا شيء مثله ... اذا صين بالتقوى وترك الجرائر
وبالعلم يكسى المرء ثوب سعادة ... وبالعلم يعلو المرء فوق المنابر
فما العلم الا كالحياة لأهله ... فذكرهم يبقى ولو في المقابر
أرى حامليه كالمصابيح فى الدجا ... بهم يستنار في التباس الدياجر
فهم خلفاء الله بعد انبيائه ... على خلقه من كل ناه وءامر
عليك به ما دمت حيا فانه ... حياة ونور هادي للبصائر
هو الصارم الهندى اما شهرته ... تقد به جيد الابي المناظر
فواظب عليه واجتهد فى طلابه ... لعلك تعطاه بقسمة قادر
ودع عنك ما يلهيك عنه ولا تكن ... اخا غفلة عن فضله المتواتر
وزينه بالأعمال لله واجتنب ... مكائد ابليس اللعين المكابر
فعلم بلا تقوى ضلال وخيبة ... وتقوى بلا علم كمتجر خاسر
تزود بخير الزاد تقوى إلاهنا ... بها تبلغ المأمول يوم المغافر
فما خاب عبد عامل الله بالتقى ... وسارع للخيرات سرعان طائر

وجاهد هديت النفس واحذر خطوبها | فما هى الا كالعدو المحاصر

ثم يقول :

وكرر كتاب الله لا تنس ذكره | وحافظ عليه في المسا و الابا كر
فأن كتاب الله اسنى ذخيرة | لقارئه يوم اللقا والمصادر
الا فاغتنمها يا سليمان فرصة | فعمر الفتى كضيف ليل مسافر
فعمر فراغا قبل شغلك وابتدر | شبابك قبل الحادثات البواتر
ترانا نعد الوقت يوما وليلة | وننظر ما يأتى لنا من اخابر
اهل حزت علما واستفدت فوائدا | ام انت خلي الكف واهى البوادر
لعمري لئن ضيعت وقتك باطلا | لكنت على حد من العمر حائر
فما عذر من قد حل تونس طالبا | وفيها علوم طافحات المغادر

الى ءاخر القصيدة (١)

ءاثــاره

١ — كان من ءاثاره رحمه الله ان ألف الى جادة الاستقامة النفوس الجامحة وجمع بين القلوب المتنافرة وحاز بين كواهل الاسود العثمانيين مكانة عليا ، لما اوتي من الحكمة واللطف والادب وحسن الخلق والعلم الغزير .

٢ — كان العضد الايمن لابنه العزيز سليمان في تاسيس المدرسة البارونية فى بلد « يفرن » عام ١٣٢٢ هـ عكس ما عليه كثير من اضرابه فى معاكسة الوسائل الجديدة للتعليم، ولو لم تخرج عن دائرة الدين الحنيف .

أسرته

كان ذا حاشية واسعة وحشم كثير ، وله من الابناء المرحوم الشيخ سليمان

---

١) ديوان الشيخ عبد الله صفحة ٢٧-٣١

المترجم له والشيخ يحي والشيخ أحمد ، وسيأتي الكلام عن هذين الاخوين ضمن الكلام عن اخيهم العظيم .

وله من الاخوة الشيخ عيسى بن يحي الباروني والشيخ الحاج احمد الباروني

اما الشيخ عيسى فهو الذي عناه بقصيدته الرائعة التى ارسلها اليه من مصر يتشوق اليه ومطلعها : (١)

ايها الخل ان قلبي اهنوا	ك فطال اشتياقه لحلاكا

ثم يقول :

يا اخي عيسى قد بعثت كتابا	ظنت النفس انه انت ذاكا
قد ازلت صداء قلب عليل	كاد بالشوق ان يحل السماكا
وحذفت حروف علة جسمي	حين ارسلت جازما من هناكا
ونصبت سما لنا كان مخنو	ظا بشوق وزدت رفعا لذاكا
أنت خلي وانت منية قلبى	واعتمادي اذا ذكرت علاكا
وعليك السلام ما فاح روض	وسلام كالمسك يبدو ثناكا

ثم بكاه بعد موته بقصيدته الرائعة التى يقول فيها (٢)

وتندب شهما ضم اعظمه الثرى	وقد كان فيكم كالهزبر الحلاحل
خليلي عيسى كان لله طائعا	وللرشد داعيا عديم المماثل
فعاش زمانا ثم صار لربه	حميدا وقد قفا سبيل الاوائل

الى ءاخر القصيدة

واما الشيخ الحاج احمد فهو كذلك عالم اديب له شعر رقيق ، وقد شاهدناه لما زار قطب الائمة الشيخ طفيش فى وادي ميزاب عام ١٣٢٦ ﻫ اول ما زرناه نحن في التلمذة وشاهدنا فيه اللطف ودماثة الاخلاق .

---

١) ص ٤٢ من ديوانه ٢) ص ٤٣ من ديوانه

وهو والد الشاعر الاديب الشيخ الحاج سعيد الباروني صاحب الديوان الشهير قاضي بلد يفرن اولا ثم قاضي جادو ثانيا ، والاديب الالمعي الشيخ احمد الباروني

وفـاته

توفي رحمه الله في عام ١٣٣١ هـ ونجله العظيم مشتبك فى حروبه مع ايطاليا الغـاصبة

وقد رثيته اذ ذاك ، وانا فى شرخ الشباب بقصيدة مطلعها :

ايها الهـائم فى وادى الامـــل ويك قصره وكن ممن عقل (١)

علاقات آل بارون ببني ميزاب

قبل ان نختم هذا الفصل من اجداد وءاباء المرحوم الباشا البـاروني يجب ان نلم بما كان من علاقات وروابط بين نفوسة عموما وءال بارون خصوصا وبين بني ميزاب حتى يتسنى لنا فيما بعد ان ننزل المرحوم الباشا المنزلة اللائقة بمقـامه السامي بين شغاف قلوب اخوانه فى نفوسة وميزاب .

مما لا يخفى على من له إلمام بتاريخ الاباضية فى شمال افريقية تلك العـلاقات المتينة والروابط المستحكمة بين نفوسة ووادى ميزاب عموما منذ القديم من لحمة فى النسب واوشاج فى القرابة واخوة فى الدين وتعاون في العـلم ومبادلة في سائر وسائله وتمازج فى العواطف والشعور بما اقتضى بين هؤلاء وهـؤلاء من زيارات ومراسلات ومهادات ومشاركات في السراء والضراء .

ونحن اذا دققنا النظر قليلا في هذا الموضوع نجد ان نشؤ وادى ميزاب نفسه فى اوائل القرن الخامس الهجرى انما يرجع الفضل فيه الى الامام الكبير ابي عبد الله محمد بن أبي بكر النفوسي ، وان نظامه الاساسي الحكيم للمزابة انما

---

١) ص ١٤١ من ديوان ابى اليقظان

يرجع الى حكمة هذا الامام ، وان الكتب المعتمدة فيه انما هي من انتاج عقول النفوسيين غالبا : فكتاب ابي مسألة في فقه العبادات والمعاملات لهذا الامام نفسه وكتاب اصول الارضين وسيرة الدماء وكتاب تبيين افعال العباد فى علم النفس انما هى لابنه العلامة الشيخ ابي العباس احمد ، وكتاب النكاح انما هو للشيخ ابى زكرياء النفوسى ، وكتاب الوضع فى فقه العبادات انما هو للشيخ ابي زكرياء يحي بن الخير الجناوني النفوسى . وكتاب الديوان فى فقه العبادات والمعاملات في ٢٥ جزءا انما جل مؤلفيه فى « غار امجماج » بجربة هم من نفوسة وكتاب الايضاح في فقه العبادات والمعاملات انما هو للعلامة الجليل الشيخ ابي ساكن عامر بن علي الشماخي النفوسي . وكتاب القناطر في التوحيد والفقه وعلم النفس وكتاب القواعد في فقه العبادات وكتاب الفرائض في المواريث والحساب وقصاص الجروح انما هى لحكيم الاسلام الشيخ اسماعيل الجيطالي النفوسي . وكتاب الدعائم نظم التوحيد وفقه العبادات والمعاملات انما هو للشيخ ابى نصر فتح بن نوح الملوشاي النفوسي . وكتاب نوازل نفوسة انما هو من تدوين العلامة الشيخ (فلان) النفوسي . ولقط أبي عزيز فى الفقه انما كان من تأليف الشيخ أبي عبد الله محمد بن الشيخ البارونى النفوسى . ومتن مختصر العدل والانصاف وشرحه فى اصول الفقه وكتاب سير المشائخ انما هذه للبدر الشيخ احمد الشماخى النفوسي الى غير ذلك .

وهكذا كانت الكتب المعتمدة المتداولة بين اهل العلم فى وادي ميزاب دراسة وثقافة وفتوى واحكاما انما كان جلها لعلماء نفوسة الكبار ،

وكان من هذا القبيل في الصميم العلائق والروابط بين آل بارون ووادي ميزاب بالوجه الاخص .

وفيما يلي نورد بعض نماذج من ذلك :

١ ما كان بين الشيخ محمد بن زكرياء الباروني وبين العلامة الشيخ ابي مهدي عيسى بن اسماعيل المليكي في حوالي ٩٦٠ — ٩٧٠هـ كما علمت تفصيله مما ذكرناه سابقا .

٢ ـ ما كان بين والد المرحوم وبين بني ميزاب عموما ، وما كان بينه وبين قطب الائمة الشيخ طفيش خصوصا ، ومن الصنف الاول قصيدته العصماء التي دبجها فى عام ١٣٠٥ ، ومطلعها

راكب الوجناء يطوي كل شق ··· هاجه الشوق واضناه الارق

ثم يقول :

يا بني مصعب ما لي سلوة ··· عنكم حتى اراكم بالحدق
انا كالصب وايلى ذكركم ··· كيف يسلو من لها يوما عشق
انتم روحي وروحى انتم ··· كيف لا والروح فيكم قد علق
بدركم لاح بصدرى مشرقا ··· وسواكم فى فؤاي ما شرق
قد سكنتم بسويدا مهجتى ··· فلذا قلبى اذكراكم يرق
وتوجهت بكلى نحوكم ··· والى قبلتكم وجهى طلق
انا ان كنت بعيداً عنكم ··· ففؤادى نحو مغناكم خفق
كلما هب نسيم منكم ··· دائما حرك وجدى بالقلق
كل وصف في هواكم سائغ ··· كل صعب فى رضاكم مرتفق
فعذابي فيكم مستعذب ··· ووداد لكم لا ينمحق
قد سبا روحي هواكم ثم لم ··· احظ منكم اى لحظ ورمق
ءاه لو يسمح دهر باللقا ··· وارى نجمي بحضراكم برق
أقطف الازهار من روضكم ··· وأدير الكأس في تلك الحلق
وأداوي القلب من داء الضنا ··· واجاريكم بمضمار السبق

ثم يقول :

يا بنى مصعب أوصي جمعكم	بالتقى واستنقذوا من قد غرق
وانصروا الحق وكونوا عضدا	واحدا يخشا كم من هو عق
والزموا السيرة واحيوا ذكرها	واحتذوها طبقا بعد طبق
واحذروا شق عصا كم واهجروا	من سعى فيكم بخب ورهق
وتوقوا من عداكم وادفعوا	من رمى فيكم بسهم ورشق
واشكروا الله تعالى اذ غدا	صيتكم فى الناس يبدو كالفلق

الى ءاخر القصيدة (١)

٣ — ما كان من التزاور بين ءال بارون وبني ميزاب كما كان من زيارة قطب الائمة الشيخ طفيش لنفوسة ولاسيما لآ ل بارون ، وهم اذ ذاك في الذروة والسنام من نفوسة وزيارة الشيخ الحاج قاسم بن الشيخ بالحاج لهم ، وما كان من زيارة الشيخ الحاج احمد الباروني وغيره لوادي ميزاب .

٤ — ما قام به العالم العامل الجليل الشيخ محمد بن يوسف الباروني من طبع كتب الشيخ طفيش وغيره في مطبعته بمصر مثل شرح النيل ووفاء الضمانة وجامع الشمل فى الحديث و تحفة الحب في اصل الطب وغير ذلك .

٥ — ما كان بين المرحوم الباشا وبين قطب الائمة الشيخ طفيش رحمهما الله وما كان بينه وبين شخصيات بارزة في وادي ميزاب ، مما سنفرد له فصلا خاصا في محله ان شاء الله .

* * * *

---

١) ص ٤٨ الى ٥٨ من ديوانه

ولادة الباروني باشا ونشأته

الآن — بعد ان استعرضنا صحائف ذهبية من اجداد المرحوم الباشا وءابائه الافذاذ — يدرك الاخ الباحث اين ينزل المرحوم بين أولئك العظام وقد نشأ من دوحتهم العظيمة وبين احضانهم .

وها نحن اولاء نبين فيما يلي تلك المنزلة السامية بينهم فنقول :.

اما ولادته فاننا - رغم البحث عنها - لم نقف عليها بالضبط ، الا ان بعض المسنين الثقاة من حاشيته ذكروا لنا انه كانت ولادته عام ١٢٨٧ هـ في مدينة « جادو » من جبل نفوسة .

واما نشأته فكانت بين حجر والديه ، وبعد ان تعلم القراءة والكتابة واخذ مبادىء العلوم عن والده ايام كان مستقراً بجبل نفوسة لتدريس العلوم ونشر المعارف اثر مقدمه من مصر ، ارتحل المرحوم الى تونس اول سنة ١٣٠٥ لتلقي العلوم العربية من جامع الزيتونة ، وفي اثناء ذلك وجه اليه والده قصيدته الرائعة التى رأى الاخ الباحث مقتطفات منها فيما سلف . فكانت له كما اراده منه والده رحمه الله توجيهات ودستوراً لحياته العلمية والعملية لدنياه واخراه كما يراه الاخ الباحث فيما يأتي بحول الله . وعندئذ يمكنه كلما وقف على وصف من اوصافه او خلق من اخلاقه ان يستشهد له ببيت او ابيات من تلك القصيدة فيجده مطابقا لها تمام المطابقة ، كأنما هو نجم يدور حول قطبها ، وبينهما من الجاذبية ما بين القطب والنجم قربما كان مداره منه او بعيداً .

وكان من بين اساتذته العلامة الشهير الشيخ عثمان المكي شيخ مشائخ الجامع الزيتوني المعمور . ومن بينهم العلامة الحبر الشيخ محمد النخلي استاذنا في التفسير وقد رثاه المرحوم الباروني بقصيدة بليغة حين بلغته وفاته وهــــو في الشرق ، وذلك في رجب ١٣٤٢ . وهذا نصها :

سطا الموت وهو الصائل المتغطرس … فأودى باقطاب سموا وتنافسوا
كأستاذنا النخلي من نجمت به … مجالس قطر المغربين فعبسوا
رحلت ابا عبد الالاه مكرما … ولم تشهد القوم الذين تجنسوا
رحلت من الدنيا الدنية قاصداً … مقام خلود اهله لم يدنسوا
رحلت ولم ترحل بعدت ولم تزل … قريبا ولكن الغزاة تأنسوا
فسلم على الصحب الكرام وقل لهم … اذا سألوا ان القليل تمجسوا
واما الكثير التابعون لنهجهم … فقد مزقوا ثوب الشقا وتقلنسوا
ورض في رياض القيروان مواصلا … بروحك اعلاما هداة ترأسوا
وسوف توافيك البشائر انهم … على فكرك السامي مدارس اسسوا
لكل زمان قادة وضراغم … اذا اشتد اعوان البلاء تترسوا
فلا تيأسن من روح ربك انه … نصير الهدى ان وسوسوا وتجسسوا
برونية خذها رثاء ولا تسل … اذا خمس الاعداء عيني وسدسوا
فاني لها والدهر يعدل تارة … ويظلم مرات اذا القوم دلسوا

تدرجه في مدارج العرفان

ان من المحقق ان المرحوم الباشا كان منذ سنة ١٣٠٥ تلميذا في جامع الزيتونة بتونس ، يتلقى منه العلوم والمعارف كما اشرنا اليه .

وان من المحقق ايضا انه رجع من مصر لتونس للتداوي في حمام قربص في اوائل سنة ١٣١٣

وان من المحقق ايضا انه ـ كما عبر بنفسه عن نفسه ـ مكث في مصر مجاوراً للازهر الشريف نحو ثلاث سنين .

فنستنتج من هذا انه ذهب الى مصر للاغتراف من مناهل الازهر في

حوالي سنة ١٣١٠هـ ، غير اننا لا ندري بالضبط متى رجع من تونس الى وطنه في الرحلة الاولى .

ثم انه بعد التداوي بتربص ارتحل فى نفس السنة - ١٣١٣ الى وادي ميزاب لاستكمال علومه من البحر الزاخر قطب الائمة الشيخ طفيش في بني يزقن، فمكث عنده نحو ثلاث سنين وهو منه محل عناية واهتمام بشأنه . وكان من بين نفائس الكتب التي قرأها لدى استاذه كتاب النيل فى علم الشريعة .

ولسمو خلقه ولطف أدبه كان ايضا محل اجلال واحترام من اخوانه وعارفي فضله بوادي ميزاب .

وفى اثناء مقامه هذا زار القرارة بمعية استاذه الشيخ طفيش سنة ١٣١٤ ، وزار العطف سنة ١٣١٥ .

ومن هذه الرحلة المباركة توطدت علاقاته برجال العلم والادب والفضل والمال بوادي ميزاب ، فكان من اثرها فيما بعد ما ستراه بحول الله .

ولما اخذ حظه من قطب الائمة موفورا استأذنه فى رحلته لزيارة اطلال « تاهرت » عاصمة بني رستم ، وذلك فى سنة ١٣١٦ فكان له منها ما بسطه في الازهار والديوان .

فالخلاصة ان له في ميدان العلم ثلاثة اشواط :

الاول في تونس - بجامع الزيتونة يبتديء من سنة ١٣٠٥هـ

الثاني - في القاهرة بالازهر من سنة ١٣١٠ الى سنة ١٣١٣

الثالث - فى وادي ميزاب بمعهد الشيخ طفيش بيزقن من سنة ١٣١٣ الى سنة ١٣١٦ .

فانظر من تثقف فى هذه المعاهد الثلاثة ، وكان في ذكاء الباروني وفي خلقه الكريم وفي توجيهات والده العظيم ، اين يبلغ من الشأو البعيد والمنزلة الرفيعة فى العلم والعمل ، وذلك ما سنتبسط فيه بعد بحول الله .

اوصافه الخلقية والخلقية

اما الاولى ـ فانه كان ربع القامة يميل الى القصر كبير الهامة ، عريض الجبهة مستدير الوجه فى حمرة مشوبة ببياض ، واسع العينين : بياضهما شديد البياض ، سوادهما شديد السواد ، كث اللحية ، اسود الشعر ضيق الفم رخيم الصوت ، لابتسامته جاذبية ساحرة ، صغير الكفين رقيق البنان كأنما بريت اقلاما لسحر البيان او سهاما للطعن بالسنان . وهو دائم الصمت ، ولكنه اذا نطق نطق بعبرة تهز المجالس او بنكتة ترقص المشاعر وتحرك اوتار القلوب .

واما الثانية ـ فمن اخلاقه البارزة العفة والنزاهة والحلم والبر والصبر والقناعة وقوة الايمان والثقة بالله والاعتصام بحبله المتين والتحري لدينه فى سائر امـوره وسلوك سنن الحكمة فى جميع تصرفاته ، لا يطير زهواً وغروراً بقوة نفـوذ ، ولا يستكين ذلة وخضوعا لنكبة دهر كنود .

له نظر واسع لسعادة الانسانية عموما والى عزة الاسلام خصوصا والى اعلاء كلمة الله بوجه اخص ، له اعتزاز كبير بالقومية الاسلامية ورأي عمومي لمصالح المسلمين وشغف عظيم بالاتحاد الاسلامي الى حد الفناء فيه ، دون اى اعتبار لاي جنس ، وله رأي وسط في النهضة الاسلامية الحديثة يريدها ويتمناها ويحث عليها لكن فى دائرة الاسلام الحق ، لا جمود فيها ولاجحود لا افراط فيها ولا تفريط

كتوم لاسراره لا يطلع على غاياته ومراميه الا خواصه ، له ثبات الرواسي على مبدإ الحق المدعم بآية من كتاب الله او حديث من رسول الله او بأثر من ءاثار السلف الصالح او بقاعدة من قواعد العمران . لاتأخذه فيه لومة لائم ، الى اقدام الاسود لا يعرف احجاما كأنما هو طود شامخ الذرى بين جبال الاطلس تتوالى عليه العواصف والزوابع والامطار والثلوج ورياح السموم وهو هو شامخ الرأس لا يعرف الانحناء امامها .

من اجل ذلك نشأ مرهوب الجانب فى فتوته لدى الباب العالي ، فحاقت به محن من ١٣١٦ الى ١٣٢٥ . مرعوب الحمى فى كهولته فارتاعت منه ايطاليـا فاحاطت به النوائب منذ سنة ١٩١١ الى ١٩١٩ . منيع المنـال في شيخـوخته فتحالفت عليه دول الحلفاء وذيولها فأحدقت به المصائب والنكبات منذ سنة ١٩١٩ الى ١٩٣٩ ، بل الى ان مات شريداً في الهند سنة ١٣٥٩ — ١٩٤٠ وهو شهيد الحق والايمان الصحيح : لم يخن فى سائر هذه الاطوار قضية الاسلام والامة والبلاد ولا مد يده لمصالحة اعدائها اياكانوا . على ما ستراه مفصلا بعد بحول الله .

ولاجل ان نوضح جوانب من خلقه الكريم الذي ألممنا به موجزا نورد فيما يلي بعض طرف من اخباره الخاصة ، اما مشافهة واما مراسلة مما يلمس منها الاخ القارىء جانبا من جوانبه ويراه رأي العين .

ومن رسائله ما وجهه الينا راسا ومنها ما وجهه الى بعض الخواص من اخوانه واصدقائه بوادي ميزاب كما ستراه في لفائف هذا الكتاب . ونحن في ايراد ذلك لا نتقيد بالترتيب التاريخي وانما نراعي في تنضيدها ترتيب مواضيعها وجعل بعضها اخذاً برقاب بعض . فنقول ومنه العون والتوفيق :

١ ـ عفته وزهده عن حب الظهور :

من ذلك رسالة لطيفة كتبها الينا من باريس مؤرخة في ١ رجب ١٣٤٢ ٧ مارس ١٩٢٤ ونصها حرفيا :

حمداً وصلاة وسلاما : جناب الاخ الشيخ . . . سلاما واحتراما .

اتيت باريس مساء امس وذهبت اليوم الى السفارة المصرية فاستقبلني السفير وهيأته باحترام وا كرام فوق ما املته وقد وجدته ذا المام بالمسألة وبتـاريخ حياتي كلها

وكانني ان اقدم اليه كتابا في طلب الرخصة الى مصر ليكتب هو الى وزارة الخارجية المصرية بما يلزم وا كد الوعد بان الجواب سياتي بسرعة وحسب مرغوبنا وساقدم اليه غدا ما طلبه من الكتابة واعود الى مرسيليا لان بقاءي في باريس يستدعي اقامتي في محل لاأتي بقبول الزائرين واصحاب الجرائد . الامر الذي اتباعد عنه من مذ اتيت الى باريس فى السنة الماضية .

والتسهيل بيد الله . سلم على من تشاء من الاخوان ودم سالما

من اخيكم : سليمان الباروني

٢ ـ نزاهته وصبره الجميل

كان ارسل الينا من مرسيليا ـ ونحن بتونس ـ رسمه الرسمي الذي عليه شارة الملك فى اوائل سنة ١٩٢٤ فشكرناه في جواب على ذالك ، وقد صادف اذ ذاك ان فتاة مصرية نقشت رسم زغلول باشا في لفافة حرير فبيع فى النادى السعدي بالمزاد العلني لفائدة حزب زغلول باشا بمبلغ سبعين الف جنيه ، حسبما نشرته الجرائد اذ ذاك ، ولاجل هذه المناسبة قلنا له فى الجواب : لقد قارنا بين رسم زغلول باشا صاحب القلم فقط وبين رسم الباروني باشا صاحب السيف والقلم معا فوجدنا ان رسم الاول بلغ سبعين الف جنيه ، ورسم الثاني لو ينادى عليه في حزبه لا نظن انه يبلغ ١٠ افرانك ، فهزته هذه المقارنة فاجابنا برسالة طويلة في ١٧ جانفي ١٩٢٤ نأخذ منها محل الحاجة ، قال :

« الشيء بالشيء يذكر »

« ذكرني قولكم ان رسم زغلول قد اشتري بسبعين الفا ، ان اذكر لكم ما يقابل هذه القضية من الوقائع التاريخية ، نعم اشترى حزب زغلول رسمه بسبعين الفا ، ولكن صاحب الرسم المرسل اليكم اشترى حزبه بهذا المقدار تقريبا وذلك انه صرف من جيبه الخاص مثل هذا المقدار ليدفع عن حزبه نشر ما دبر

من الكيد لمحوه حتى عكست القضية (من حفر حفرة سوء لاخيه المسلم اوقعه الله فيها) فانظروا الفرق في صنع الله وتصرفه في خلقه مع ان ذلك الرسم الغني مالا ورجالا لم يحز من الاوصاف العالية والالقاب الرسمية ما حازه ذلك الرسم المحروم من كل قوة غير قوة الضمير والحزم والمخاطرة بالنفس والاعتماد على الله اذ كان ينسب الى اضعف عنصر في العالم واصغر مذهب من حيث العدد وأفقر بلاد في الارض

وهاكم بعض الاوصاف التى نشرتها صحف العالم مسلمة وغيرها :

العالم الجليل . الشاعر الكبير . صاحب جريدة « الاسد » . المندوب فى البرلمان العثماني (مرتين) قائد المجاهدين . رب السيف والقلم . امير طرابلس . صلاح الدين الافريقي . عضو مجلس الاعيان العثمانى . بطل طرابلس . بطل الدستور الطرابلسي . والي وقومندان طرابلس وشمال افريقيا . عضو الجمهورية الطرابلسية . بك . باشا . صاحب العطوفة الخ الذي قطع البحر الابيض في الشتاء مرتين ماراً فى جوفه على عمق خمسين ميتراً وقطع فيافى مصر في احرج الاوقات متنكراً (في سبيل دينه ووطنه) كل ذلك بعد ان رمي بالخيانة الى وراء وحوصر في محله وقيد في الحديد وحمل مكبلا والحبل فى يديه المربوطتين على جمل الى اعمق السجن وبقي فيه سنين ثم حكم عليه بالاعدام فى زمن عبد الحميد (ولكن ابى الله ان ينفذ ذلك الحكم ليكون مظهراً فيما بعد لتلك الاوصاف العالية الماحية للاوصاف المصطنعة البالية) على ان صاحب الرسم يهون عليه بل يتلذذ اذا عاش فقيراً ذليلا وحزبه غني عزيز ، ها هو الحزب قد عاد الى اقوى مما كان عليه مالا ورجالا (ولا اقصد بالحزب عنصراً او مذهباخاصا) وصاحب الرسم على ما تعلمونه وبناته اللي لبسن افخر الثياب وا كلن الذ الطعام وسكن اعظم قصر فى اجمل موقع فى الارض يأ كلن الشعير ويلبسن الصوف

(ويغزلنه بالاجرة لمن كان يتلقى احسانهن صباحا ومساء) وهو حال لا تـدوم باذن الله ، ويسكن دويرات بين كثبان رمل زوارة . ولو مد صاحب الرسم يده او ألان جانبه لكان اغنى من قارون ! ومع ذلك كله لم يتأثر حزنـا ولم يسهر (اسى وأسفـا) بل هو هو لن ييأس ولم يزل يقول :

يودون موتي ولكنني — على رغم انفهم لا اموت
اعمر دهرا ولي امـل — تخر اذا ما تجلى ليوت
ابدد تسعين عاما ولا — يخامرني اليأس حال السكوت
وان حقق الله لي مائة — هناك يحق الرضى والقنوت

ويقول :

هي النوائب لي فلا — ارضى بهـا للخاملين
العاكفين على اللذا — ئذ في رضاء المشركين
لهم الطنافس والتنـا — فس بالغواني والبنين
ولهم معاقرة الخمـو — ر ونقض غزل المسلمين
ولهم بلا حد من الا — عداء ما للخـائنين
ولي التغرب في البحـا — ر وفي البراري بالسنين
ولي الجيوب الخاويـا — ت مع الكفوف الطاهرين
ولي التباهي بـالوقا — ئع في كفاح الغاصبين
ولي السيوف المرهفـا — ت الماحيات لكل شين
ولي الجياد الصافنـا — ت الصائلات على الدفين
العاديـات الموريـا — ت الغائرات على الكمين
الجـاذبات الشاطحـا — ت لدى اقتفاء الهاربين
هذا الفخار ولا فخـا — ر بغيره في كل دين

فلينهض الاحرار ان راموا نجاة المؤمنين
فمحمد فخر العلا لم يستعين ولا معين

كتبت اليكم هذا عقب رجوعي من نيس ومونتكارلو تسلية وتحريكا للفكر والقلم .
من اخيكم : سليمان الباروني

ومن ذلك ما ورد في رسالته القيمة جوابا عن اسئلة مديري الصحف له ، ولا سيما ما خاطب به الهادي كعبار الغرياني ، وما كان بينه وبين الكونت سفورزه العظيم الايطالي الشهير وشهادته بنزاهته وعفته لما رءاه منه ايام كان اسيراً عنده واثر اطلاقه من الاسر (١)

٣ — ثقته بالله واعتصامه بربه

يبدو من المرحوم الباشا ان هذا الخلق الكريم : ثقته بالله واعتصامه بربه ، ازاء اعماله وتصرفاته واحواله واطواره وسائر تقلباته بمثابة القطب من كواكب السماء فهي كلها تدور عليه في حال الرخاء والشدة والنعيم والبؤس والاقبال والادبار والعز والذل والقوة والضعف والغنى والفقر والصحة والمرض ، تبعا لقوله تعالى « لكي لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما ءاتاكم » ولا حاجة بنا الى ايراد شواهد منه في هذا الباب — وما اكثرها — وانما نلفت نظر الاخ الباحث الى ما مضى والى ما ياتي من افلام احواله في عرض اخباره ورسائله بحول الله .

وغاية ما نقوله هنا انه مصداق الحديث الكريم القائل « اشد الناس بلاء الانبياء والرسل والاولياء ثم الامثل فالامثل » او كما قال ، فهو على قدر قوة ايمانه وثقته بالله واعتصامه بربه كان البلاء ينصب عليه ويحيط به منذ فتوته ، وامواج المحن تتلاطم عليه اين كان وانى سار كما عبر عنها بنفسه بقوله :

---

١) صفحة ٦٦ الى ٧١ من حياة سليمان باشا الباروني ، الطبعة الثانية

هى النوائب لي فلا ارضى بها للخاملين

وعلى قدرها خطراً وشدة يواجهها بصدر رحب وقلب منشرح ونفس مطمئنة وثغر باسم ، شأن المؤمن الصابر .

فهو لا يزال يتسامى بهذا الخلق الى آفاق بعيدة فوق مستوى النـاس فى دنياهم هذه الى ان يكاد يقرب من درجة ايوب ويحي وعيسى واضرابهم ، وعند عرض ذلك الخبر اليقين ان شاء الله .

٤ — تورعه وتحريه لدينه :

١) لما زار تونس فى حوالي سبطامبر ١٩٢٣ ، اختلسنا معه فرصة نعدها من انفس وامتع ساعات العمر ، وبينما نحن جلوس معه فى نزل « تونيزي بلاص» قبل صدور امر السلطة الفرنسية بالحيلولة بينه وبين اصحابه ، وبمغادرة تونس لأول باخرة تبحر الى مرسيليا ، كنا نتجاذب معه اطراف الحديث فجرتنا شجونه الى كيفية معيشته في فرانسا ، فقص علينا قصة طريفة منها يدرك الاخ الملاحظ مبلغ تورعه وتحريه لدينه في اي وسط كان ، قال ما حاصله :

تذاكرنا — ذات يوم — انا وسفير الافغان بباريس فى اقامة موائد للذوات العالية من كبار الدول فقلت له :

كيف تسلك سبيلك الى اللحم الحلال والذبح هنا غير ملائم لقواعد الشريعة المطهرة ؟

فاجاب السفير قائلا : انـا بصفتي سفيراً مسئولا مضطرا الى اقامة موائد لرؤساء الدول فلا أرى من سبيل الا اخذ اللحم الموجود لدى جزارة باريس كيفما اتفق . ثم سألني قائلا : وانت كيف تتخذ سبيلك لذلك ؟ فقلت له : اني كلما مست الضرورة الى اللحم أوعزت الى بعض شبابي الطرابلسيين الموجودين فى باريس ان يذهب الى المجزرة مع الجزار — وقد اتفقت معه من قبل على ذلك —

فيختار من بين شياهه شاة فيذبحها هو على مقتضى شريعة الاسلام ، وبعد سلخها يطبعها بطابعي الخاص ، فاذا اوردها الجزار الى دكانه أخذت منها ما يكفيني وهكذا .

فقال السفير الافغاني : انا والله لم تخطر لي هذه الحيلة ببال ابدا .

وهكذا حال من يؤمن بالله حقا ، يتقي الله حيثما كان عملا بقول رسوله عليه السلام « اتق الله حيثما كنت »

٢) في اواخر سنة ١٣٣٥ — ١٩٠٧ نزلنا نحن واياه ضيوفا عند قطب الائمة الشيخ طفيش ، هو للزيارة ونحن لطلب العلم ، فكنا معه في سائر الاجتماعات والضيافات ومجالس العلم والادب حيث كانت في قرى ميزاب مدة نحو شهر فكان لنا من الانس به شيء كبير . ولما كان وداعه طلبت منه ان ينشد لي بيتين او ثلاثا من نظمه الخاص ، ءانس بها حال غربتي و بعد فراقه فاعتذر بتشوش باله من ألم الفراق وقال : غير اني اسوق اليك هذه العبرة : حكي ان تلميذاً شكا الى شيخه سوء حفظه وقلة فهمه فنظر شيخه الى قوله تعالى « واتقوا الله ويعلمكم الله » فشرحها له شرحا وافيا ، فسبكها الشاعر بقوله :

شكوت الى وكيع سوء حفظي ... فألهمني الى ترك المعاصي

واعلمني بان العلم نور ... ونور الله لا يعطى لعاص

٣) كان الاخ المرحوم السيد الحاج عمر العنق اهدى اليه صندوق تمر وهو بمرسيليا فاجابه عنه بالرسالة القيمة الآتية ، ومن نحواها يدرك الاخ القارى مبلغ تحريه الصدق . وهذا نصها :

حمدا وصلاة وسلاما

الاخ المحترم الكامل حفظه الله . السلام عليك ورحمة وعلى من تشاء من الاخوان . وصلتني تذكرتك مع صندوق التمر (ولله توارد الخواطر)

لي اصدقاء في باريس - فرانساوى ومسلمان - خدمونى كثيراً ولا زالوا يواصلوننى بالمكاتبة ففكرت ان ارسل اليهم شيئا تذكاراً فلم ار غير التمر . وبما انه موجود للبيع في باريس لم اجد وسيلة الى ارساله الا انه جاءني هدية من صديق لي . وهذا فيه ما فيه من قولى غير الحقيقة ! فكانت جزائريا تاجرا في التمر ان يشتري لي نصيبا من احسنه فقال اني اقدم لك ما تطلبه هدية مني فلم اقبل ، اذ كان التعارف بيننا سطحيا ، ولا يدرى عن امرى شيئا الا انني مسلم من الشرق ولم اعرفه باسمى وعنواني رغما عن طلبه مرارا ثم رضي ان يشتري لي وعلى ذلك افترقنا .

وفى المساء وصل صندوقكم فحمدت الله الذى خلصنى من ذكر غير الحقيقة اذ قد عزمت على ان اخلط جانبا منه مع كل صندوق ارسله الى الاصدقاء الثلاثة فيكون قولي انه جاءني من صديق لي صحيحا ، وسأرسل لاحد الثلاثة في صندوقكم بعينه مع الكاغد الملفوف هو فيه على ما فيه من علامات البوستة حتى يصدق ذلك . فسبحان مدبر الكون جاعل الارواح متعارفة مرتبطة وان بعدت الديار .

سلامي الى من تشاء من الاخوان خصوصا رفيقكم المحترم . . .

ودم سالما لأخيك : سليمان الباروني

٤) ومن اراد ان يقف — حقا — على مقياس حرارته الدينية وعلى تقواه لربه فليتأمل في قصيدته الرائعة التى مطلعها (١)

قم يا محمد يا ختام المرسلين   وانظر بعينك كيف حال المؤمنين

٥ -- همته وشهامته

كان المرحوم الباشا على جانب عظيم من علو الهمة والشهامة والكرامة وعزة

---

١) ديوانه صفحة ٧٢

النفس ، ويلمس الاخ الباحث ذلك منه من غضون كتاباته ومخاطباته لقـواد الجيوش الايطالية وغـيرهم اثناء الحرب الطرابلسية وقبلها وبعدها ، ويلاحظ الملاحظ اثناء استعراضه لشيء من ذلك ان المرحوم الباشا كأنما يسبح احيانا فى بحر من الخيال ، واليك نماذج من ذلك فيما يلي :

١) منها قصيدته الرائعة التى قالها عندما اخذت شـرارات الطمع الايطـالي نحو طرابلس تتطاير في صحفه وهو يرد عليها . ومطلعها (١)

لها فى الجبال الشامخات معاقـل | أسـود الوغى تقـري السباع الجماجما
نفـوس ترى حمل السلاح فريضة | ترى الرمي حتما قبل ان يتناقما

٢) ومنها قصيدته الخالدة التالية للاولى فى هذا المعنى ومطلعها (٢)

نصول اذا حان الدفاع ولا نرى | جزاء من المولى سوى جنة الخلد
نحب الاتما لا نبغض الطعن ان يكن | نضالا عن الاوطان والدين والمجـد

٣) ومنهـا جوابه المسكت للجنرال الايطالي سالساتوماترو وكيـل الوالي الايطالي فى طرابلس .

ذلك ـ ان الجنرال كتب الى الباشا رسالة طويلة الذيل فى ١٧ جانفي ١٩١٢ يغريه فيها بالاتفاق معهم والتسليم بالامر الواقع فأجابه الباشا بهذا الجواب المسكت قائلا « . . . انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم ان لا تعلوا علي وآتوني مسلمين » خاضعين للعلم العثمانى المقدس . فى غرة ربيع الاول ١٣٣٠ (٣)

٤) ومنها جوابه لقائد جيش ووالي الدولة الايطالية بطرابلس (٤)

ونحن نقتطف منه الجمل الآتية :

« . . . انا لا اكره ان أرى الاروبي وعلى الاخص الايطالي جارنا الجديد

---

١) ديوانه ص ٥١ ٢) ديوانه ص ٥٢

٣) حياة سليمان باشا البارونى الطبعة الثانية ص ٥٢-٥٤ ٤) منه ص ٦٣-٦٤

يسير بجنب الطرابلسي متحابين متعاونين على الكسب والاستفادة مما اودعه الله من الخيرات في بطون اودية بلادنا ورءوس جبالها .

انا لا اكره ان ارى الجاهل منهما يتعلم من العالم منهما ما لم يعلمه ولا اكره كذلك ان ارى العالم منهما يفيض من نور معلوماته على الجاهل منهما .

ولكنني اكره ان ارى الوطني عبدا مملوكا لغيره ، بحيث لا يملك شيئا من دينه وعرضه ، فان الموت اسهل والذ طعما من ذلكم عندي

اذا لم تكن الا الاسنة مركبا فلا يسع المضطر الا ركوبها

ادركت بالتجربة والسياحة في بلاد الله قيمة الانسان الحر ! ولذة حياته الهنيئة ، وتحققت مرارة الاستعباد والرقية الخالصة من ذلك ايضا ، ومن تربية السودانيين في بلادنا بل في بيتنا كذلك !

تربيت فى الدلال بحجر والدي وعشت مرفها في حياتي فعرفت ما هي المدنية سكنت القصور وجلست على موائد الملوك ووقفت على اغلب الملاذ الحيوية ، ومع ذلك فانا استسهل فى جنب حرية النفس كل صعب .

قاسيت لأجل ذلك ألم النفي والسجن سابقا (في عهد السلطان عبد الحميد) وها انا اذا الآن آكل من الطعام اخشنه واشرب الماء الملح تارة والمر اخرى ، وانام على الارض متوسدا سرج جوادى واسير في الليل المظلم المطر وفى هاجرة النهار ولا يضرني ذلك ولا اراه الا الذ واشهى من الشهد في جانب الحرية والاستقلال ، ولا يزيد بدني الا قوة ولا جأشي الا ثباتا ، النفس ميالة بالطبع الى حب الشهوات والرياضة فاشتاق اليها ولكن على حفظ الكرامة وهكذا كل من هو على رأيي . الخ

٦ — حسن سياسته ولطف حيلته

أوتي المرحوم الباشا من الكياسة وحسن السياسة ولطف الحيلة ما هو

جدير به لرئاسة الجمهورية الطرابلسية لو اوتي حظا من الرجال والأموال مثل ما أوتي غيره من رؤساء الدول .

والبرهان على ذلك نورد بعض نماذج من ذلك فيما يأتي :

١) عندما نشبت الحرب بين الدولة العثمانية وايطاليا بطرابلس كان الكونت سفورزا ورفاقه في بعثة علمية بجهة فزان ، فلما قامت الحرب اخذوا اسارى في جملة من اخذوا ، وكانوا مسجونين فى قصر نفرن وعندما تسلم المرحوم الباشا قيادة الحرب اطلق سبيلهم وعاملهم معاملة حسنة وأوصى الكونت الى دولته بوصايا عالية فأرسلهم مخفورين بثلاثين فارسا من الجندرمة الى ان ابلغوهم مأمنهم وذلك لأنهم اسارى الحرب التركية ولأنهم ليسوا بمحاربين ، وليس ذلك لاي مقابل ولو لافرانك واحد ! فكانت لهـــذه المعاملة العالية ءاثارها في نفوس رؤساء الدولة الايطالية خصوصا الكونت سفورزا وزير خارجيتها ونائب دولته فى المفاوضة مع الباشا في تونس سنة ١٣١٣ (١)

فلولا حسن سياسته لما ربح صديقا مثل الكونت سفورزا اوان الشدة .

نعم — لئن كان الكونت ايطاليا قبل كل شيء وخادما لبلاده قبل كل اعتبار ، وحاول مساومة الباروني باشا بمبلغ خمسة ملايين ليرة ايطالية ظنا منه ان يجد من الباروني يداً مثل يد الصدر الأعظم ابراهيم حقي التى تقبلت مثلها منهم مقابل التخلي عن طرابلس .

لكن الكونت وجد نفسه أمام ذلك الضعيف النزيه الذي عرفه من قبل والذي أقام له الدليل مرة أخرى برفض تلك الملايين باباء وشمم قائلا وقد جذب ورقة ذات خمسين فرانك فرنسيا من جيبه ـ ان الباروني ـ الذي لا يملك من الدنيا الا هذه الورقة وحصانين حـذوه ليس ممن تشترى ذمته (٢) فرأى

---

١) سليمان باشا الباروني ص ٦٩ ـ ٧٠ ٢) منه ص ٣١

السكونت منه اوان محنته وشدته من العفة عين ما رءاه منه اوان رخائه وعزته .

٢) كانت بين سلطان مسقط وامام عمان علاقات فاترة وغير ودية منذ ان انفصلت عمان الداخلية عن عمان الساحلية من سنة ١٣٣١ فلما ذهب اليها المرحوم الباشا في سنة ١٣٤٢ أخذ يسعى جهده فى إلحام القلوب ولم الشتات وعقد الجموع بما أوتى من سياسة وحسن كياسة فقرب مسافات وذلل مصاعب وازاح عقبات كاداء ، ولولا ان القدر عاقه عن بلوغ مرامه بتوالي الاسقام والالآم عليه وعلى افراد عائلته — كما يأتي بيانه — لجعل من بلاد عمان الساحلية والداخلية دولة متحدة عظمى من اعظم دول الاسلام فى الشرق كما كانت في القرن الحادي عشر الهجري فى عهد امامة اليعاربة ناصر بن مرشد وسلطان بن سيف فى سنة ١٠٣٤ . ١٠٩٠

ولو ساعدت ايامه بحر عزمه　　لنال الثريا طالبا للاماجد

٣) فى اثناء مقامه كأسير فى مرسيليا استحصل جواز سفر الى تونس من بعض المراجع بمرسيليا فجاء خفية الى تونس فى سبطامبر ١٩٢٣ وحينما تسامع احبابه بوجوده بتونس هرعوا اليه للتسليم عليه والتشرف بالاجتماع به في نزل « تونيزى بالاص » ولم يكد يستقر به المقام حتى كلف بعض اصدقائه ان يخبر السيد الكوميسير الذي بقسمه بوجود « الباروني » بتونس فأبى صديقه ان يقوم بمأمورية كهذه فألح عليه فى ذلك ـ وذلك منه جسا للنبض عسى ان يجد فى تونس مستقراً له ولعائلته ، وتلك امنية طالما حن اليها ـ

فلما ذهب صديقه واخبر الكوميسير به تساءل مندهشا : أالباروني هنا ؟ فقال نعم ، جئت اطلب له الأذن لاقامته عندي كضيف كريم حيث انه كان صديقا لوالدي وضيفا له في القديم .

فاجابه الكوميسير بما مؤداه : ان كنت تريد ان تبقى حبيبا لنا كما كان

ابوك فانزع يدك من الباروني . الخ

وهناك كانت مخابرات تيليفونية بين الكوميسير والسفارة العامة فكانت الاوامر وكان اعوان الامن مطوقين للنزل فكانت الحيلولة بين الباشا واحبابه وكان امره بمبارحة تونس لأول باخرة تبحر الى مرسيليا وكان تفتيشه الدقيق ونحن في اثناء هذا كنا نعد عدتنا لاقامة حفلة تكريم له فقد هيأت قصيدة لالقائها فى الحفلة مطلعها :

هلالان هلا بالرحاب والقا . وقد نشرناها في الديوان صفحة ٢٦

رجع الباشا مخفوراً الى مرسيليا فقد جس نبض الاستعمار وسبر غوره فكفى

٤) لما وصل الباشا الى باب بني يزقن في زيارته لتعزية ءال طفيش سنة ١٩١٤ اقبل اليه اصدقاؤه القدماء للتسليم عليه وهم فى صفين ، فهنالك أبى من النزول اليهم الا اذا اتوه صفا واحدا والا رجع ادراجه فتفاهموا فيما بينهم بالعيون وتلاحموا فأتوه صفا واحداً ! وسيأتى له نظير في مصراطه

وهكذا سياسته دائما في الجمع لا في التفريق وفى التكتيل لا فى التبديد وفى التأليف لا فى التشريد وفى التبشير لا فى التنفير وفى التيسير لا فى التعسير ، مهما وجد لذلك سبيلا .

وسترى ذلك واضحا جليا من غضون رسائله الآتية بحول الله .

٧ — حلمه وسعة صدره

ان للمرحوم الباروني صدراً رحبا وحلما واسعا ، يتجلى ذلك منه ازاء معارضيه الذين يثيرون صدر الحليم ، ولايضاح ذلك نورد بعض الامثلة له فيما يلي :

١) امتحنت حركة المجاهدين بطرابلس بمطية من مطايا الاستعمار الايطالي دابه كشف اسرار مواطنيه والطعن فى المجاهدين ، الا وهو الهادي كعبار ،

ومن بين طعنه فى المجاهدين قوله فيهم انهم لصوص ويحاربون لأجل الـدقيق فرد عليه المرحوم الباشا وقتئذ رداً مشبعا بالحلم والحكمة مدعما بالحجة وقـــوة البرهان مما جاء فيه قوله :

«يا هادي ـ ان الذي لقبك بهذا اللقب لم يكن ليتصور انه سيأتي عليه زمان كهذا يدل فيه على نقيض معناه . ولو خطر بباله ذلك ولو بعد وضعه لجردك منه ، ما لقبت بالهادي لتهدي الاجانب الى عورات وطنك العزيز وتدلهم على طرق المكائد لابناء جنسك ودينك (لا والله ما كان القصد هذا) ولكن لتهدي قومك الى طرق النجاة من الاسر وتدلهم على المقاومة على شرف دينهـم وعرضهم ووطنيتهم الحتمة وتحضهم على الاستماتة في سبيل الدفاع عن مجد اجدادهم الـذي حفظه التاريخ لنا لنتعظ به ولنتعلم منه ، وما نالوا ذلك الا باحتقارهم الحياة ونبذ الرفاهية وبعلو الهمة وعزة النفس ، ثم يقول :

قرأت — مع الاسف — رسائلك بتوقيعك الى رؤساء المجاهدين تهددهم فيها وتتهمهم بمحاربي الدقيق واللصوص وغير ذلك

وما كنت اظن انك تبلغ هذه الدرجة من النسيان وقد كنت تتلقى الدقيق مثلهم وتخاصم عليه ! ترضى اذا كثر وتغضب اذا نقص عنك مرارا فى اليـــوم الواحد (فى مدة الحرب التركية)

أنسيت يا هادي ايام كنت معنا فى زوارة وفي سرانى ابن ءادم تاخذ الدقيق فكنت الآن على رأي من قال (لبسنا الكتان ونسينا ما كان)

ان الذين خاطبتهم انما وطنوا انفسهم على اكل الدقيق منذ عرفوا الخير والشر عملا بقول معلم الاستقلال ومفكك قيود الاسر والأغلال ناشر الحرية سيد البشر « اخشوشنوا فان الحضرية لا تدوم » وقول الحكيم :

خلقنا رجالا للتجلد والاسى وتلك الايامى للبكا والمآتم

كل ذلك استعدادا منهم لمثل هذه الايام التي سدت عليهم فيها ايطاليا ابواب البحر وفرانسا ابواب البر ، لكن مالك رقاب العالم من بيده مفاتيح الرزق فتح لهم ابواب السماء « وفي السماء رزقكم وما توعدون »

اما انت يا هادي فقد تنقلت من حاكمية الترك الشرعية للعلاقة الدينية الى عبودية قوم ليس بينك وبينهم سوى العلاقة البشرية ولا اظنهم يعترفون لك بها لانك في نظرهم بائع وهم مشترون ، بل مملوك وهم مالكون .

فتدبر فيما بين المنزلتين تدرك مقامك وتيقظ لمستقبلك ان شئت وما مضى فات .

ان المجاهدين الذين وصفتهم بما عن لك من الاوصاف الذميمة هم بدون شك في نظر ايطاليا نفسها والعالم اجمع اشرف مقاما من الذين رموا بأنفسهم في احضان الاجنبي عنهم بدون سبب سوى الطمع الممقوت . واسأل احرار ايطاليا يفهموك الحقيقة .

ان التاريخ سيحفظ لهؤلاء المجاهدين عنوان « حماة الدين ورجال الوطن وابطال الوغى » ولا يحفظ لاولئك الا انهم خدمة الاجنبي عنهم واعوان المعتدي عليهم وعلى شرفهم واعز شيء عندهم .

ان العلة التي جعلتها سببا للتسليم يوم اجتماع « العزيزية » هي عدم القدرة على الحرب وطلب راحة الاهالي والتحاشي من سفك الدماء . فما بالك الآن تهدد المجاهدين بالمحو والهلاك وتسليط اهالي « غريان » عليهم واهالي غريان مسلمون وطنيون يبرأون من رأيك هذا على ما حققناه .

فأين تلك العلة ؟ وحيث انك قادر على الحرب فاظهر قوتك وخلص بلادك من الأيطاليين . وان كنت عاجزاً كما قلت فالزم بيتك واعتذر للايطاليين بذلك تسلم من السنة الخلق في الدنيا ويتولى الله امرك في الاخرة فانه غفار لمن تاب

أليست محاربتك مواجها البحر جهة عدوك اولى لك من تلقي الرصاص مواجها اخوانك في الدين والنسب والوطن اعانة لمن جاء ليبيدك ويبيدهم ويمحو ذكر الجميع من خريطة الانسانية .

ان رجال ايطاليا عقلاء متنورون يعرفون قيم الرجال بأعمالهم ولا خيانة عندهم اعظم من تسليم الاوطان (بالمال) فهم يعاملون فاعل ذلك معاملة الخائن ولو بعد زمان وانهم لمصيبون في ذلك .

تفكر بالله مليا في نصيحتي هذه التي لم اقصد بها الا احياءك . واعتقد ان الموت مرة واحدة عند جميع الناس ولا بد منه طال العمر او قصر وهو محدود لا ينقصه اقدام ولا يزيده احجام وما بين الحالتين الا شرف خالد او اهانة لا منتهى لها . والسلام على من اتبع الهدى .

٧ ربيع الثاني ١٣٣١ سليمان الباروني (١)

٢ـ بعد اعلان الجمهورية الطرابلسية وامضاء قانونها الاساسي في سنة ١٩١٩ أثارت الدسائس الاستعمارية فتنا داخلية بطرابلس فنشر بعض المشاغبين بجريدة اللواء الطرابلسية مقالا لكاتبه علي القيزاني وصف فيه اليد البارونية باليد الاثيمة وان الباروني يدعو الناس الى هذه الفتنة الخ ، فرد عليه سعادة الباشا ردا حكيما محكما نشرته جريدة « الرقيب » الطرابلسية ، ومما جاء فيه قوله

« . . . اما وصف اليد البارونية بالاثيمة فلا اظن ان صاحب اللواء يجد من يصوب رأيه فيها من المنصفين ، فانها ذرت على طرابلس خيرات لا تحصى ، ودرأت عنها مصائب لا تستقصى ، فما اجدرها بان توصف بالكريمة الحليمة فان اليد البارونية هي التي ساحت فى الآفاق وسبحت على ظهور البحار وغاصت تحت الامواج وتوسدت الحجارة وكان التراب فراشها والسماء غطاءها وتغذت

---

١) سليمان باشا البارونى من ص ٦٢ الى ٦٨ الطبعة الثانية

بالاعشاب والماء المالح والمر شرابها وغسلت بالطين وسارت بالهاجرة وسرت فى الليالي المظلمة الزمهريرية وتفرقعت فوقها القنابل وصب عليها الرصاص كالمطر الوابل سنين عديدة ، وكل ذلك لأجل اعلاء شأن طرابلس وبنيها ، فى الوقت الذى كان فيه صاحب اللواء يركب العربة للنزهة في بساتين طرابلس ويشرب التمر الهندى والكازوز بالثلج ، ويأكل انواع الحلوى ويتوسد وسائد القطيفة ، ويتلذذ بنغمات الموسيقى في التياترات الايطالية ويغسل فى الحمام بالصابون المسك ويصبح في محل تجارته ويمسي فى بيته بين اولاده وهم يلعبون بين يديه والدار تتلألأ بانوار الكهرباء ولا يدري من الحرب والدفاع الوطني الا ما يسمعه او يقرؤه في جريدة « ايطاليا الجديدة » وامثالها .

اليد البارونية هى التي منطقت الطرابلسيين بفضل الدولة العثمانية بالسيوف المذهبة وزينت صدورهم بالنياشين اللامعة والساعات المرصعة وكستهم الخلع « الرتب » المزركشة وملأت ايديهم بالهدايا الملوكية الثمينة ونمقت لهم فرمانات الترفيع من رتبة شيخ الى افندي الى بك !

اليد البارونية هي التى أمنت بفضل الله وكرم دولة الاسلام الطرابلسيين من خوف في ايام شدتهم واطعمتهم من جوع فى سني القحط الخارقة والفت بينهم بعد ان كانوا شتى يطحن بعضهم بعضا !!

اليد البارونية هى التى كانت سببا في صب الاموال كالانهار في طرابلس حتى اصبحت صناديق رجالها طافحة بالمسكوكات على كثرة اشكالها والكوارت على اختلاف انواعها وصاروا يعدون فى صف الأغنياء .

ولو انصف الشيخ القيزاني وراجع دفاتر تجارته لعلم مقدار ما ربحه من الأموال بفضل اليد البارونية ولتحقق لديه ان ما اكتسبه من تبديل الأوراق البارونية العثمانية فقط هو مبلغ وافر ما كان يحلم بالحصول عليه حتى في المنام .

اليد البارونية هي التي اعتقت رقاب كثيرين من رجال طرابلس من الاعدام ولو غضت الطرف لذهبوا ضحية الأستبداد ، ولا قصد لليد البارونية من ذلك الا صون الشرف الطرابلسي من العبث به وتدنيسه .

اليد البارونية هي التى عبأت الكثير من ظهور الطرابلسيين بالسلاح وملأت عنابرهم بالجبخانه (الذخيرة) والمدافع والميترايوزات وهي التى يحارب بعضهم بها الباروني الآن تصديقا لقول الشاعر :

اعلمه الرماية كل يوم　　فلما اشتد ساعده رماني
وكم علمته علم القوافي　　فلما قال قافية هجاني

وليس هذا بغريب فان امثاله في التاريخ كثير فلا يكدر الباروني حصوله

اليد البارونية هي التي كانت من اكبر الاسباب فى الحصول على القانون الأساسي الذي لم يسبق مثله لغير طرابلس فى افريقيا الشمالية حتى مجدها العالم بأسره واصبح اسم الطرابلسى في الدنيا كنار على علم وأمسى صاحب اللواء حرا يتكلم ويكتب فى الباروني وغيره . فياليته لم يكن مدفوعا في ذلك بعوامل استعمارية محضة حيث تحركه يد المستعمر الغاصب !

ان المستعمر الايطالي نفسه يعلم جيداً ان اليد البارونية هي التى بقيت بيضاء نقية لم ترتش من اموال ايطاليا صانتيما واحداً ، وقد عملت لخير طرابلس بقطع النظر عن بعض بنيها الحاضرين وستعمل الى النهاية بقدر الامكان !

وما يقال من ان الباروني ما خرج من زوارة الى الجبل الا باتفاق مع الوالي « ماركاتللي » وبعدد منه لخدمة مخصوصة فكذب محض ، لأن الباروني لايزال عثمانيا ــ كما تعرف ايطاليا والوالى — وهو ما جاء الى طرابلس الجبل الا تخلصا من الخطر الذي كان محدقا به وبامثاله فى القسطنطينية . ولم يأخذ من ايطاليا شيئا لا باسم معاش ولا غيره ما دام غير تابع لها .

ان الباروني سيسعى بكل مافي وسعه لاسعاف المصابين من يفرن وغيرهم ولو لم يتمكن من خزائن الذهب التي نوه بها واشار اليها اللواء (وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها)

فاذا كانت مثل هذه اليد تعد أثيمة فالمرجو من الشيخ القيزاني ان يرينا كيف تكون اليد الكريمة وانا نلتمس له عذرا بانه لم يشاهد شيئا مما ذكرناه لانه لم ير قط خط الدفاع منذ تأسست الحرب الى ان انتهت . وها نحن أوضحنا بعض الحقائق ولنترك الحكم للعقلاء المبرءين من الاغراض والله الهادي .

١٣ ذي القعدة ١٣٣٩ سليمان الباروني (١)

٨ — بره بوالده واساتذته

من غضون كتاباته نثرا و نظما ومن سياحاته يدرك الاخ الباحث مبلغ بره وتعلقه بوالده واساتذته ، كما يدركه من حبهم له وعطفهم عليه وحنينهم اليه اينما كان وحيثما كان .

فان المرحوم الباشا رغم محنه واقتحامه غمرات الاخطار ومعامع الحروب لم ينس والده ولا اساتذته اينما كان بالملاطفة والمراسلة والزيارة رغم بعد الشقة ومتاعب الاسفار .

كما انهم — كذلك — لم ينسوه ابداً رغم ما كان بينهم وبينه من بعد الدار وشط المزار .

اما ما كان من بره بهم ففيما يلي امثلة لذلك :

١) فمما يحكى في لطف بره بوالده انه لما وقع انتخابه نائبا عن الجبل الغربي في طرابلس الغرب بمجلس المبعوثان العثماني اثر الانقلاف التركي ونيل الدستور سنة ١٩٠٨ ، بقي امر انتخابه معلقا لاذن والده حيث ابدى احترازه من ذلك

---

١) كتاب سليمان باشا الباروني صفحة ١٣٥ - ١٣٧

— فيما قيل — فتفتق رأي الباشا عن حيلة لطيفة هي : انه اطلع لكسرى انوشروان على قصة فيها وصاية لابنه خلاصتها « اننا عشنا فى زماننا بما يلائمه فعليكم انتم ان تعيشوا بما يلائم زمانكم » او ما بمعنى هذا ، فقدم الكتاب الى والده مشيراً فيه الى مكان القصة ، فلما بلغه وقرأ القصة فهم المغزى فأذن له عن رضى فانطلق نحو ارادة الامة ورغبة البلاد .

٢) ومن ذلك انه لما رغب في زيارة « تاهرت » فلم يرتحل اليها حتى استأذن استاذه قطب الائمة مراراً فماطله قصد استكمال معلوماته منه فكبت رغبته الملحة ، فلما اذن له زم حينئذ حقيبته نخف لزيارتها سنة ١٣١٦ ـ ١٨٩٨ كما بسطه فى الازهار .

٣) ومن ذلك زيارته لهذا الاستاذ الجليل في حياته سنة ١٩٠٧ وبعد مماته فى سنة ١٩١٤ رغم بعد المسافة ورغم شواغله الكبيرة قبل الحرب وبعدها .

٤) ومن ذلك قصائده الرائعة الثلاث التى تلاها على مسامعه ليلة وداعه عند باب يزقن ونحن حاضرون هناك في حوالي ذي القعدة ١٣٢٥ نفامبر ١٩٠٧

٥) ومن ذلك انه لما توفي قطب الائمة في ربيع الثاني ١٣٣٢ وفي مارس ١٩١٤ — ونحن معا بتونس — ذهبنا لتعزيته وهو في مكتب السري السيد الخبيطي الحاج علي بن عمر شيخ بني ميزاب اذ ذاك بتونس . وعندما عزيناه دمعت عيناه ثم قال ما خلاصته :« اصبت فى اعزاء حاشيتي واحباءي وقواد جيشي وخيرة جنودي في حرب طرابلس فقابلت كل ذلك بجلد ولم تدمع عيناي قط فى عمري الا مرتين عند موت والدي وعند موت استاذي الشيخ طفيش هذا رضوان الله عليهما .

ثم قال : عندما ودعني فى زيارتي السالفة سنة ١٩٠٧ اثر تلاوتي قصائدي الثلاث ربت على كتفي وقال : ستكون اميراً ، واذا زرتني مرة اخرى فانك



صورته وهو بين وجهاء واعيان وادي ميزاب عند قدومه لتعزية المرحوم قطب الائمة الشيخ طفيش سنة ١٩١٣

تزورني وانا تحت التراب ! قلت فكان الامر كذلك . ونحن فى هذا المشهد الرائع من الحاضرين .

٦) ومن ذلك قصيدته فى رثاء استاذنا الشيخ محمد النخلي بتونس فلم ينس حقه وهو على متون الاغتراب فى الشرق ومر نصها فى صفحة ٤٨

واما ما كان من عطفهم ورحمهم به فاليك فيما يلي نماذج من ذلك :

١) بالاطلاع والتأمل وامعان النظر في القصيدة العامرة التى ضمنها والده المرحوم وصاياه الغالية له لما كان تلميذاً بتونس سنة ١٣٠٥ تدرك مبلغ حبه الجم وعطفه الابوي نحو عزيزه سليمان ، كما رأيت مختارات منها اول هذا الكتاب

٢) ومن ذلك ما قصه علينا المرحوم الباشا نفسه من انه كلما ضاقت به السبل واشرف على ربوة الفرج الا رأى فى منامه والده او استاذه طفيش حاضراً بين يديه يحدثه ويبشره ، حتى انه اتخذ رؤياه لأحدهما بشارة لبزوغ الفرج له وقد جرب هذا فصحت تجربته وقد سرد لنا امثلة عديدة من ذلك محاها النسيان من صفحة القلب الآن .

٣) ومن ذلك ما تراءى لنا عيانا من حب الشيخ طفيش له وعطفه الشديد عليه حينما زاره سنة ١٣٢٥ — ١٩٠٧ ، فقد حضرنا هناك مجالسه معه ومباحثاته له في مواضيع شتى لاسيما في قضية كروية الارض وهو واياه كتلميذين متحابين يتباحثان في مسألة دقيقة فى مستوى واحد تواضعا وانصافا وصدقا واخلاصا .

وما رأيناه كذلك من احتفائه به واكرامه واحترامه له منه ومن جميع اصدقاء قطب الائمة وتلامذته ومريديه في قرى ميزاب مدة شهر كامل . كما اشرنا اليه سابقا .

٤) ومن حدب الشيخ طفيش وعطفه عليه وعلى اعماله الجليلة ، انه كان اثناء

حرب طرابلس سنة ١١ ـ ١٢ ـ ١٣ شغوفا بالدعاء له بالنصر والغلب .

وكثيرا ما نكون اثناء الدرس وقت الهجيرة وهو منهمك في البحث والتدقيق ، فاذا به يوقف الدرس ويتنفس الصعداء فيقول : ان الشيخ سليمان الباروني وابطاله الآن في حال الجهاد في هذا الحر الشديد والعطش والماء الكدر الحار والجوع والاكل الخشن بين كثبان الرمال ومقابلة الرصاص بصدورهم من بنادق ومدافع العدو ، ونحن في ظل ظليل فى الماء البارد والاكل الشهي الهنيء والراحة التامة بالقيلولة في الدهاليز الباردة ، أولا نعينهم ولو بالدعاء ؟

فهلموا بنا ندعو الله لهم بالحفظ والعز والنصر والعون والتأييد ، فيرفع أكفه ويبتهل الى الله مع الحاف شديد في الدعاء ونحن نؤمن لدعائه ، ثم يستأنف الدرس وهكذا .

فلولا ما كان له من الخلق الكريم والبر العظيم لما كانت له هذه المنزلة الرفيعة فى قلب والده واستاذه العظيمين ولما كانت له منذ صغره هذه الحظوة في قلوب العظماء والعلماء والاعيان . حتى اتخذ رجال نفوسة عادة الاحتفاء العظيم به عند كل مقدمه من سفر كما يكون للملوك والامراء بل حتى صار بعض رؤساء نفوسة يتنافسون في مصاهرته عند مقدمه تلميذاً من قطب الائمة ، فبينما كان يخطب فتاة واحدة اذ اصبحت في بيته اثنتان فأقر ذلك واغتبط به ، كما يأتي بيان ذلك في آخر الكتاب بحول الله ، ولا يؤتى مثل ذلك الا ذو حظ عظيم .

٩ — دعابته ولطف نكتته

لم يكن المرحوم الباشا عبوسا متزمتا كما يظنه باديء الرأي لأول وهلة عندما يراه .

ولكنه رغم اضطلاعه باعباء واثقال المسئوليات كان شديد الميل الى

النكتة اللطيفة والدعابة البريئة التى تشع المرح في النفوس ، شأن الشاعر المطبوع المرهف الحس الحي الشعور المتوقد الذكاء الملتهب القريحة .

وفيما يلي نورد نماذج من ذلك :

١) في مجلسنا معه في نزل « تونيزي بلاص » في تونس حوالي سبطامبر ١٩٢٣ — كما اشرنا اليه — كنا نجول في قضية تعلمنا نحن وشبابنا بتونس وما اثير من اجلها ضدنا من الحملات وما قمنا نحن بالدفاع عنها ورد الصاع بمثله الى ءاخره ، فقلنا يا استاذ ان كل ما انجر عنها من ذلك انما تتحملون مسئوليته انتم ! فقال ولماذا ؟

فقلنا : لانكم انتم السبب في ذلك بما الهبتم في نفوسنا في التقديم من جذوة الشوق الى تونس لما نشرتم في الاسد الاسلامي ، فقصصت له قصة ذلك من اولها الى ءاخرها ، فقال طيب ! أتحمل ذلك كله ولكن بشرط ان يكون لي منها ايضا كل ما ينجر عنها من الفخر والشرف !!

فقلنا له : نعم ولكم ذلك .

ومن بعد ذلك ارسل الينا من مرسيليا تحفته وقصيدته في شأن تعلمنا بتونس كما ستراه بعد بحول الله .

٢) بعدما رجع الى مرسيليا وكاتبنا ونحن غائبون عن تونس بميزاب فطال عليه امد رجوع الكتاب كتب الينا هذه الرسالة بعد وصول الكتاب ونصها

حمدا وصلاة   مرسيليا ٢١ رمضان ١٣٤٢

اخوان الصفا حماهم الله . سلاما واحتراما .

وصلني جوابكم المؤرخ في ٢ رمضان بعد طول انتظار ولكم العذر فانكم في زيارة بين اقارب واصدقاء واخوان ، وحيث تتناولون في الافطار تمر الدقلة وشربة الفريك والكسكس . . . (وانا ءاكله هنا ايضا) وتترنمون بالقصائد

وتسمعون دروس الوعظ وتحضرون مجالس القرءان طول الليل وتحيون تلك السيرة الحميدة التي لاوجود لها في غير ميزاب فهنيئا لكم . الخ

٣) في ذلك المجلس نفسه تناولنا مسألة التصوير التي ينعى علينا القوم من اجلها فقص علينا قصة له مع الشيخ طفيش في شأنها ايام كانت الحرب قائمة بين الدولة العثمانية واليونان عام ١٣١٥ ، وكان قائد الجيوش العثمانية اذ ذاك أدهم باشا ، قال : وكنت اوضح للشيخ طفيش الوقائع الحربية واشرح له من المجلة المصورة مناظر الجيوش العثمانية الهاجمة والجيوش اليونانية الهاربة المنهزمة وأريه ابطال ءال عثمان على خيولهم لاحقين وجنود اليونان صرعى هنا وهنالك ففرح بذلك فرحا شديدا وقال : (ان كان التصوير هكذا فحسن اذاً !)

ومن شدة تأثره من تلك المناظر قال هلموا بنا نرفع أكفنا الى الله فندعو للدولة الاسلامية العثمانية بالعز والنصر والغلب فرفع أكفه للدعاء بذلك فدعا ودعونا معه ما شاء الله .

ثم قال احد المتنطعين فى المجلس كيف ندعو يا شيخ بالعز والنصر لقومنا فما كاد يتم كلامه حتى زجره الشيخ وعنفه فطرده من مجلسه ولم يغش المجلس نحو اربعة اشهر !

٤) كان كتب قصيدة مطلعها : (١)

لامني بعض رجال العلم من ءال ميزاب

يعاتب فيها صاحبا له من اولئك المتنطعين على خلق شاذ ، ويرده بلطف الى جادة الصواب .

واشار فيها الى بعض مقاصد قال : انه لا يفهمها الا المخاطب بها ، وحينما اجتمعت به في مأدبة أقامها لنا في محل اقامته برادس من ضواحي تونس لما

---

١) ديوانه صفحة ١٠٨ - ١٠٩

رجع من حرب طرابلس اخر سنة ١٩٢٣ ، قلت له من تعنى يا استاذ بهذه القصيدة ؟ فقال : عمك . . . جاء يعاتبني : لماذا لم تزرنى الى داري ؟ فقلت له يا رسول الله ، انا قطعت المسافات الطويلة فى البر والبحر الى بلادك وانت لم تستطع ان تقطع حتى المسافة التي بينى وبين دارك !

٥) حينما عاد من ميزاب لتعزية آل طفيش في قطب الائمة رحمه الله فى ابريل ١٩١٤ وفى رفقته من الجزائر الاخوان الفاضلان المرحوم السيد العنق الحاج عمر والسيد الزواي الحاج ووجهته من الجزائر الى تونس رأسا لان سفره كان بالشكليات الرسمية .

ولكن كرم اخوانه بقالمة وحذقهم ولطف حيلتهم حملهم على ان يجعلوه هو ورفاقه امام أمر مقضي بأن ينزلوا ضيوفا عندهم فى قالمة .

وبماذا يتصيدون هذه الفرصة العزيزة المنال لهم وهى امنع من عقاب الجو ؟

نعم ـ دبروا لذلك تدبيرهم المحكم الذي يشهد ببراعتهم وعلى كرمهم وهمتهم فى آن واحد .

ذلك انهم اعدوا عدة نزولهم ثم ذهب وفد منهم في سيارة خاصة الى حمام « المسخوطين » وعند اوان القطار تواطئوا مع مدير المحطة ان يأذن للقطار بالسفر بدون صفير . وحينما وقف القطار بالمحطة اشاروا الى الباشا بالنزول ليسلموا عليه فنزل يسلم عليهم ويسلمون عليه ، وبينما هم يتبادلون التحية بتؤدة اذا بالقطار يأخذ طريقه الى قالمة فى صمت نحدق الاستاذ الباشا بعينيه فى وجوه الحاضرين ففهم من ابتسامات ثغورهم ولمحات عيونهم ان الامر دبر من قبل ، فقال لهم على الفور :

يا رسول الله : الناس يسرقون الاموال وانتم تسرقون الرجال ! فذهبوا به الى قالمة واصطحب بعض رفاقه امتعتهم الى قالمة ، فكان ما كان .

ولما اراد اخوانه ان يعيدوها في محطة سوق أهراس وحاولوا ان ينزل اليهم فيها للسلام أبى من النزول وقال لهم ان المؤمن لا يلدغ من جحر افعى مرتين ! ومد اليهم كفه من داخل العربة وقال لهم السلام « بس » هكـذا .

٦) في اثناء زيارته لميزاب سنة ١٩٠٧ بينما كنا معه في مأدبة في محل بعض اصدقائه اذ قرأ بعض الطلبة على مسامع الحضور قصيدة للشيخ عمــر التندميرتي وقد نعى فيها على الاتاي وقال في شأنه

حشيشة يسمونها بالاتـــا   قد عمت البدو واهل القرار

فقال صاحب المأدبة مخاطبا الاستاذ الباروني ، والاتاى حاضر بين ايدينا : حللوا لنا ما بين ايدينا والا فامتثلوا لـكلام الشيخ ، فقال الاستاذ الباروني مرتجلا على بحره ورويه :

اكن حلال شربها طيب   وفى بني يسجن فاشرب جهار
واظب عليها فى الليالي وكن   للعلم جماعا تكن ذا اقتدار
فالعلم نور والا تا زيته   فاشرب وطالع كي تكون منار

٧) في نفس هذه الزيارة سنة ١٩٠٧ وهو قد اخذ يقتحم لجج المعامع فى الشرق وجد رفيقيه فى التعلم الشيخ حمو بن باحمد والشيخ الحاج اسماعيل زرقون كما تركهما سنة ١٣١٦هـ ـ ١٨٩٨م فقال لهما مؤنبا « الى متى تعتكـفون تحت الرف وانتم ـ إبارك فيك ـ إبارك فيك ؟ فمتى تخـرجون من تحت الـرف فتخوضوا المعامع وتستقلوا بحركاتـكم ؟ » الخ

٨) قيل ـ انه لما انتخب نائبا عن الجبل الغربي في مجلس المبعوثان العثمانى ـ كان احيانا يلبس فيه زيه الطرابلسي المعروف فـكان زملاؤه يتضـاحكون من ذلك ذات يوم . فاجابهم بما معناه ا بما اني امثل بلادي بينكم فمن الواجب ان امثلها بزيها المعتاد .

٩) لما ولدت لابننا ابي اليقظان عيسى بنته الاولى وكانت المراسلات اذ ذاك بيننا وبين المرحوم متصلة قلت له في غضون رسالة « الآن اصبحت جدا »

فأجابني عن هذا « اذا افعل ما فعلته الاجداد » فاستفسرته عن هذا الاجمال فاجابني قائلا : « ان من شأن الجدود ان يقتحموا غمرات الموت في سبيل دينهم ووطنهم بكل سهولة ، لأنه لم يبق لهم من العمر ومن الفوت الا قليل فلا يصعب عليهم تضحيته كما يصعب على الشباب !

وسترى هذا بنص كلامه في محله ان شاء الله .

١٠) كان الشيخ حمو بن باحمد زارنا لادارة « وادي ميزاب » في الجزائر فالححنا عليه ان يكتب لنا مقالا ننشره فيه وبعد ممانعة منه وإلحاف منا كتب مقالا باسلوبه المعروف ، فعملنا فيه ما يعمل الفلاح في تشذيب الشجر وكتبنا له عنوانا ضخما في صدر الجريدة ما نصه : « عـلامة وادي ميزاب في ادارة وادي ميزاب »

فلما نشر وبلغ المرحوم الباشا ، انفعل فكتب الينا رسالة بليغة في شأنه ستراها بعد بحول الله بنصها .

ومما قاله فيها : ان بلغ سلامى للشيخ حمو وقل له « ليس ما يكتب في الصحف مثل ما يقال في المسجد ، فللصحف قراء وللمسجد عباد ، ولكل ذوقه واسلوبه » الخ

١١) كنا ذات يوم مدعوين الى محله لمأدبة فلما فرغنا اخذنا نتطارح الدعاء كل منا يطرحه لآخر فانتهى به وقال « اللهم جاز من أكل طعامنا وشرب ماءنا وفكه مجلسنا وشرف محلنا والحمد لله رب العالمين »

محنته الكبرى

الآن — وقد أتينا على موجز من اوصافه الخلقية والخلقية ـ كتمهيد للدخول فى ادوار حياته العملية ـ نأخذ فى استعراض الاطوار البـــارزة منه الطافحة بالعبر فى ميدان العمل .

ان ممـــا يقضي بالدهشة والاستغراب في نفس الاخ الباحث ، ان المرحوم الباشا ما كاد يتخطى ءاخر مراحله العلمية حتى فاجأته محنة جلى ، كما فاجأت يوسف عليه السلام قبل ان يكون عزيز مصر .

ولم تكد تنتهى الحلقة الاخيرة من هـذه المحنة حتى اسلمته الى الاخرى أكبر منها وهكـذا الى نهايته . ولم يبسم له الزمان الا لماما ، شأن الا بطـــال المغامرين ، وهذا ما سنعالجه فيما يأتي من الكتاب ان شاء الله .

١ — بوادر المحنة :

لا يخفى على كل من له إلمام بالسياسة العثمانية ما شهر به اخيراً عهـــد السلطان عبد الحميد العثماني من استفحال الجوسسة والتحام شبكة الوشـاية فى سائر ولايات الدولة العثمانية ، من بينها طرابلس الغرب ، ذلك ممـــا أفضى الى الانقلاب التركي سنة ١٩٠٨ ولا شك ان عيون العيون لا ترمق حركات الدهماء ، ولا تلاحظ مواقع اقدام العامة من الناس ، ولكنها تدقق ملاحظاتها وترهف ءاذانها لأحاسيس البيوتات الكبيرة ، وتحصي انفاس رءوس العـــائلات الماجدة التي لا تدب عقارب الحسد الا حولها ولا تسعى أفاعى الوشاية والنميمة الا بينهـــا .

وقد عرفت من قبل ما للعائلة البارونية من السمو والمجد فى ذروة الجبـل فلا غرابة اذاً ان يتسابق اصحاب الحسد والضغينة والحقد فى السعاية والوشاية بهذه العائلة الماجدة لدى الباب العالي .

ذلك ما وقع لها منها في شخص ابنها الفذ المرحوم الباشا .

٢ — الخاتمة الاولى

لما رجع المرحوم الباشا مملوء الوطاب علما من وادي ميزاب سنة ١٣١٦ — ١٨٩٨ ، بعد تونس فالقاهرة فتونس ، وعاد الى وطنه طرابلس وهو يطير بجناحي الشوق والامل يتواثب عزما ونشاطا للدخول في ميدان العمل وقد ارسل امامه أمتعته . فبينما هو في طريقه اليه اذ سبقته وشاية الى الباب العالي اتهمته فيها بسوء النية وبأنه يعمل ضد امن الدولة ولفائدة دولة اجنبية ، فأمرت بحجز أمتعته وتفتيشها ، ثم بايقافه رهن التحقيق .

ثم ماذا ؟ حجزوا أمتعته ففتشوها فوجدوا فيها بعض اوراق وجوابات فسروا بعض عباراتها بما شاءوا واولوا المبهم منها بما ارادوا .

قيل لنا : ان مما وجدوا بين اوراقه وكان من الاسباب الكبرى في التضييق عليه « طغراء » على شكل طغراء الدولة العثمانية مكتوبا فيها « السلطان سليمان الباروني » ولئن صحت هذه الرواية فلربما كانت مدسوسة عليه من بعض الوشاة بين اوراقه بحيلة حتى يتوسلوا بها للتنكيل به ، حسبما تراه بعد .

لمجرد وصوله اوقفوه في دائرة البوليس ممنوع الاختلاط بالناس وتشكلت لجنة خاصة للبحث واخذ التحقيقات منه ، ولما تسامع الناس خبره هاج الرأي العام وماج واستاء العقلاء منه لما علموا من صدقه واخلاصه وبراءته ، وكادت المسألة من الهيجان تئول الى ما لا تحمد عقباه ، فقررت محكمة الاستئناف براءته مؤقتا اطفاء للهيب الهيجان وتسكينا للخواطر المتأججة لكن على شرطين

١) ان يقدم كفالة معتبرة يضمنها والده

٢) وان يحلف اليمين اللازمة على المصحف . فوقع كل ذلك في مجلس رسمي فخرج بريئا .

ثم استدعاه الوالي هاشم باشا اليه ليفهمه بكيفية الحكم ببراءته وليزوده ببعض نصائح ووصايا غالية ، لأنه يراه كابن عزيز لديه ، يعز عليه ان يمسه سوء ، وباشارته حكمت محكمة الاستئناف بالاغلبية ببراءته (١)

مظهر شعبي عظيم

ما كاد خبر الحكم ببراءته ينتشر حتى تباشر الناس به وهرع خمسون فارسا لمرافقته من طرابلس الى فساطو واقاموا الولائم الفاخرة وذبحوا الخرفان قرابين لله شكراً له تعالى على براءته .

ومما نسجله هنا بمداد الفخر والاعجاب نقلا عن المرحوم الباشا نفسه « ان اعيان طرابلس اكرموا اولئك الفرسان الخمسين الذين جاءوا لمرافقة الباشا ومن معهم سبعة ايام اكراما لم يسبق له نظير ، ونخص بالذكر يوم القلعة الذي ذبح فيه لغذائهم ما يزيد عن ٦٠ خروفا .

وكان ليوم دخولهم حوز فساطو صدى بعيد اهتز له ما جاوره من البلاد ، واستقبلهم الناس على مسافة بعيدة ، وقد قيل في هذه الايام الغر من الخطب والقصائد ما سجلت لها صفحات ذهبية خالدة (٢)

٣ — المحاكمة الثانية

ثم انه بعد عامين من صدور الحكم ببراءته في ١٣١٨ — ١٩٠٠ صدر الامر من المرجع العالي بنقض البراءة وعزل اعضاء مجلس الاستئناف العشرة واعادة القضية من جديد الى المحكمة فاحضر المرحوم الباروني بين صفوف العساكر المسلحة تحت رئاسة قايمقام فساطو محمد بك الاشقر الشامي ، وهناك ابلغوا اليه الحكم بالابعاد خمس سنين .

---

١) ديوانه ص ١٧-١٨ ٢) ديوانه ص ٦ من الملحق

ولكن بمساعي الوالي « حافظ باشا » في تخفيف ذلك الحكم القاسي اكتفوا من المرحوم الباشا بضمانة من اعيان الجبل وطرابلس معا . غير انه بقي تحت المراقبة داخل القلعة السلطانية (سجن طرابلس) (١) مدة ستة اشهر وهي الفترة التي بين صدور الحكم وبين تقديم الضمان ، ومن اعظم مظاهر الجلد والصبر من المرحوم الباشا موقفه الباسم ازاء هذه المحنة التي كان من بين ما تداولوا في بعض جلساتها : اما الحكم عليه بالاعدام . واما الحكم عليه بالاشغال الشاقة مدى الحياة !

وهو يغني ويقول : (٢)

الروض باكرها الغمام وهزها	روح النسيم فغنت الاطيار
وتعانقت اغصانها وتبسمت	منها الزهور وفاحت الانوار
وبدا لألحان الحمام ترنم	باسم الجليل المجتبي المختار
والي الولاية « حافظ باشا » الذى	من حسن سيرته المجالس حاروا
بالحق والعدل المنير علا له	صيت له فوق السماك منار

وهكذا سار يضرب على هذه النغمة في قصيدة طويلة الى ان ختمها بقوله:

صلى عليه الله ما قد سبحت	خضراء او ما اورقت اشجار (٣)
او ما سليمان الباروني اعتنى	بالشعر في سجن له اسوار

٤ — الحلقة الثالثة

ثم انهم شددوا عليه المراقبة بمنعه من الاختلاط باصدقائه ، وبالاطلاع على ما يرد اليه وما يصدر منه من الرسائل ، وهو اذ ذاك في محل خاص تحت مراقبة البوليس مدة ستة اشهر اخرى .

وبعد مساعي عديدة اطلقوه من ادارة البوليس ولكنه بقي خارجا تحت

---

١) ديوانه ص ١٩ ٢) ديوانه ص ٢٠ ٣) اي على النبي.

المراقبة ستة اشهر اخرى (١)

وبجهود جبارة من اعيان طرابلس لدى الباب العالي صدر امر العفو عنه نهائيا من الباب العالي .

فكانت لخبر العفو عنه رجة كبرى في طرابلس والجبل ووادى ميزاب كسابقتها (٢)

٥ — الحلقة الرابعة :

ثم ان الاشاعات تجددت وراجت ضده سنة ١٣٢٥ ـ ١٩٠٧ بان الباب العالي اصدر في حقه امراً يقتضى منعه من الرجوع الى وطنه ، وذلك بناء على ما حصل ـ فعلا ـ من منع « الاسد » من دخول الممالك العثمانية ، ومن رفض البوسطة قبول جواباته المسجلة .

ولعل هذه الاشاعات كانت هى السبب المباشر فى صده عن زيارة وطنه في جمادى الثانية سنة ١٣٢٥ وصرف عنانه الى الجزائر فميزاب من نفس السنة (٣)

منشـــآته

في الفترة التي قضاها بين صدور براءته الثانية فى حوالي سنة ١٣٢٠ـ١٩٠٢ وبين قيام حرب طرابلس سنة ١٩١١ تقريبا قام المرحوم الباشا بمؤسسات جزيلة النفع وانشأ مشروعات عظيمة الفائدة على البلاد والعباد ، وهى فيما يلي :

١ — تأسيس المدرسة البارونية :

ففي ١٢ ربيع الانور عام ١٣٢٢ — ١٩٠٤ عقد حفلا رائعا لمناسبة فتح هذه المدرسة التى شيدها بيفرن على انقاض مدرسة المصلح الكبير الحاج سالم ابي الهول اليفرني التي انشاها هو بيفرن في صدر المائة الثالثة عشر ، واوقف لها

---

١) ديوانه ص ٣٠ ٢) ديوانه ص ٢٩ ٣) ديوانه ص ١٠ من الملحق

اوقافا كثيرة فى تونس وغيرها ، ثم تداعت بعد وفاته الى الخراب وتلاشت اوقافها بالبيع وغيره سيما بعد دخول فرانسا لتونس (١)

وكانت هذه المدرسة الجديدة تحت اشراف والده المحترم الشيخ عبدالله الباروني وتدرس فيها ، كما لمح اليه المرحوم فى قصيدته (٢) الفنون الآتية : القرءان الكريم - الحديث - اصول الفقه - علم الكلام - الفقه - علوم البلاغة - الصرف المنطق الانشاء - اللغة .

٢ — المكتبة البارونية

فى جنب المدرسة المذكورة انشأ مكتبة باسم المكتبة البارونية مشتملة على نفائس الكتب . وقد نوه بها فى قصيدة له صفحة ١٢٠ من ديوانه .

٣ — المطبعة البارونية :

اثر ذلك انشأ فى سنة ١٣٢٤ - ١٩٠٦ مطبعة سماها بمطبعة الازهار البارونية في القاهرة ، وقد نشر بها في مدة وجيزة نفائس عدة من الكتب فى الحديث والتاريخ والادب : مثل الجزئين الثاني والثالث من وفاء الضمانة ومثل حاشية الشيخ السالمى على مسند الامام الربيع بن حبيب في الحديث . ومثل الجزء الثاني من الازهار الرياضية في التاريخ ، ومثل ديوان الباروني وديوان السيف النقاد للشيخ الحضرمى ، وديوان القلائد الدرية للشيخ عمر التندميرتي فى الادب .

٤ — الاسد الاسلامي

هي جريدة اسلامية عالية الروح وطنية المبدإ ، انشأها بمصر باسم « الاسد الاسلامي فى سنه ١٣٢٤ - ١٩٠٦ ، وكان يطبعها بمطبعته البارونية ، فنالها ما ينال الجرائد الوطنية الحرة من الارهاق والتضييق والتعطيل ولم يصدر منها الا ثلاثة اعداد فقط (٣)

---

١) ديوانه ص ٥ ٢) ديوانه ص ١٢٠ ٣) ديوانه ص ١٣ من الملحق

٥ — جريدة « الباروني »

بعد ابرام الهدنة سنة ١٩١٨ بين الدولة العثمانية وبين الحلفاء وبعد رجوعه من كفاح طرابلس الى استامبول انشأ جريدة باسم « البـــاروني » في دار الخلافة ، وقد رأى رحمه الله ، انه وان اضطر لاغماد السيف ، فقد اصبح من واجبه اشهار القلم ، فأخذ ينشر فى جريدته هو وكافة اصدقائه مبادئه القـومية الوطنية ، ليـكون جهاد القلم في تلك الفترة عوضا عن جهاد السيف .

٦ ـ المدرسة البارونية بسمائل :

عندما اخذ رحمه الله فى تنظيم مملـكة عمان سنة ١٣٤٨ بتفويض من الامام الخليلي رحمه الله على ما سيأتي بيانه ، انشأ مدرسة كـبرى في سمائل من بـلاد عمان باسم المدرسة البارونية ، ولـكن الامراض لم تتركه يتم برامجه الواسعة فيها

مـؤلفاتـه

يضاف الى قسم منشئاته مؤلفاته العلمية الادبية من ذلك ما يأتى :

١ ـ كتاب الازهار الرياضية فى أئمة وملوك الاباضية .

وهو كـتاب نفيس في بابه في تاريـخ الاسلام ، يشتمل على ٣ اجـزاء طبع الجزء الثاني منه فى مطبعته ، وموضوعه الخاص كما يدل عليه عنوانه « فى أئمة وملوك الاباضية »

ناهيك به فخراً شهادة الاستاذ الثعالبي فى شأنه : اذ قال لنا لما اطلـع عليه « انه اوسع علما فوق ما كـنا نظن عليه الشيخ سليمان الباروني »

ويشتمل هذا الجزء على ٣٠٧ صفحات .

٢ ـ ديوان الباروني :

وهو كتاب لطيف يحمل بين دفتيه شطراً من شعره الرقيق الذي انشـده منذ نشأته الى ان طبع الـكـتاب فى سنة ١٣٢٦ ـ ١٩٠٨ ، وذلك في مواضيع

شتى من مدح وحماسة ووصف وانهاض همم ورثاء وغير ذلك .

وهو لعمري مرءاة انعكست فيها اشعة فطرته الصافية وذوقه السليم وذكائه اللامع ومطامحه العالية ، وقد طبع في مطبعته سنة ١٣٢٦ــ١٩٠٨ ويشتمل على ١٢٧ صفحة في الاصل وعلى ٣٢ في الملحق .

٣ ـ تاريخ الحرب فى طرابلس الغرب

هو كتاب نفيس يعرب عن نفسه بنفسه من عنوانه ، وهو لو فسح الله له فى الاجل لبرز امام ما كتبه الكاتبون فى الموضوع كما تبرز الشمس على كواكب السماء .

ولكن عاجله المنون فبقي ببرنامجه الواسع ووثائقه التاريخية الرسمية الحربية ملىء نحو ٤ صناديق مادة خام كنثرات التبر فى معدن الذهب .

ولعل الله يقيض من اولاده واحفاده من يحقق للاسلام هذه الأمنية الغالية ويبرزه للوجود فى عالم الطباعة تحفة للناظرين .

٤ ـ عدا ما ذكر ، له تعليقات على بعض الكتب ورسائل قيمة وقصائد غراء في مواضيع مختلفة نشرت في جرائد ومجلات الشرق والغرب متناثرة هنا وهناك لو جمعت لتألف منها نحو مجلدين ضخمين مجلد لنثره ومجلد لنظمه، ونحن نسجل منهما ضمن كتابنا هذا مختارات ونفائس من الصنفين ان شاء الله .

وبعد ـ فان هذا المجهود العظيم من المنشئات والمؤلفات فى فترة قصيرة بين محنتين كبيرتين ، محنة السجن ومحنة الحرب من فرد لم يأو الى ركن شديد من الجمعيات والاحزاب الا الى الله وحده ، لدليل قاطع على عظمته وقوة ايمانه بالله .

* * * *

نيابته في البرلمان العثمـانى

كان ما تقدم منذ امتحانه بمحنته الـكبرى وما عرضناه من منشئاته ولاسيما ما كان بين سنة ١٣٢٤ ـ ١٣٢٦ كرأس جسر لقاعدة جوية له للطـيرانـ الى شواهق الـكمالات لاسيما والانقلاب التركي في دور التمخض ، حتى اسفر فيمـا بعد عن ولادة غلام مبارك سموه الدستور العثماني فى ١٧ جمادي الاخرة ١٣٢٦ ٢٤ جويلية ١٩٠٨

ففي هذه الايام الطافحة بأمواج الحوادث برز المرحوم الباشا في ميدانـ القاهرة كالفرس المجلى ، وحركة الحزب الوطنى المصري وعلى رأسهـا مصطفى كامل باشا على أشدها .

فى هذا الميدان الفسيح ظهر الباروني باشا ، وقد صهرته نيران السجونـ شاعراً وخطيبا يهز اعواد المنابر ويضرب على اوتار القلوب والمشاعر ، وبيده اليمنى « الاسد الاسلامي » خفاقا يرفرف به على ارواح المسلمين فى المشارق والمغارب ويلوح به الى قلوب المؤمنين ان فجر الحرية والاستقلال على وشك البزوغ وان ليل الاستبداد والاستعباد قد ولى الادبار الى حيث لا رجعة .

نعم كانت حوادث هـذه الظروف كسلم صعد المرحوم درجاته واحـدة فواحدة الى اعلاها .

او كريح مواتية لربان سفينة خريت عرف كيف يستفيد من هبوبها الى ان بلغ ـ فى فرصها السانحة بسفينته ـ الى شاطيء الحرية وقة الدستور .

* * * *

البارونى فى مجلس المبعوثان

فى التاريخ المومى اليه نودي بالدستور العثماني وكانت من بين ولايات الدولة العثمانية طرابلس الغرب ، وكان من بين مقاطعات طرابلس الجبل الغربى وكان من بين الشخصيات البارزة للترشيح الى نيابة الامة في مجلس المبعوثان سعادة المرحوم الباشا عن الجبل الغربي .

وبرغبة ملحة من الامة رشح نفسه للانتخاب ففاز باغلبية ساحقة فتعين ـ رسميا ـ عضوا في مجلس الامة العثمانى . فمثل امته بين ابطال ءال عثمان احسن تمثيل .

وقد هنئيته إذ ذاك ـ وانا تلميذ ذو ٢٠ ربيعا ـ لدى الشيخ طفيش بقصيدة أخجل الآن ان اعرضها على الاخ القاريء . وحسبي هنا ان اقتطف بعض ابيات منها ليستدل بها اخي الباحث على الروح السائدة على نفسي يومئذ ، منها ما قلت :

يا حائزا قصب السباق بفرصة	يا نجل عبد الله ذي الانعام
يا تحفة القلب الشجي ويا سليـ	ـمان السليم من شرور لئام
يا بهجة الاسلام يا نور الهدى	أذهبت ما قد كان من ءالام
فاذا تذكرت فعلك المحمود في	طيف المنام هاج بي غرامي

وقد اجابني عنها برسالة لطيفة كنت اعدها من اعلاق الغالية ، ولكن سطا عليها بعض الفضوليين من التلاميذ فقطعها والصقها في جملة ما الصق من الاوراق ليتخذ منها معا ملفا لكراريسه !

ومن نوادر هذه الرسالة انها ارسلها الي المرحوم الباشا من الاستانة ضمن رسالة الى استاذنا الشيخ طفيش . فلما وصلته قال لي : أتاذن لي ان اقرأ رسالتك؟ فقلت نعم ! ثم قال لي «ولماذا أرسلت للشيخ سليمان قصيدة ولم تعرضها علي من

قبل ؟ فقلت له إنما كتبتها له من القرارة » وانا حقيقة حررتها في القرارة !

ثم ان المرحوم الباشا مكث كـذلك فى المجلس الى اوائل ١٩١١ ، اذ فجع بوفاة والدته فتأثر والده بمصابها على كبر سنه تأثراً عميقا .

فجاء المرحوم من الاستانة الى طرابلس لتعزية والده وتسليته . وبينما هـو في هذه الرحلة الخاطفة اذ فاجأته ايطاليا بحرب طرابلس الى ان كان ما كان مما ستراه ان شاء الله .

البارونى فى مجلس الاعيان العثمانى

بعد ان وضعت الحرب اوزارها في طرابلس وانتهت باحتلال ايطاليا والتجاء المرحوم الباشا الى تونس لبث فيها بقية سنة ١٩١٣ واوائل سنة ١٩١٤ ثـم عاد بعائلته الى استانبول ، ومكـافأة له على بطولته وجهاده في طرابلس عين — على الاثر — عضوا في مجلس الاعيان العثماني فلبث فيه كـذلك الى الانقلاب التركي الاخير في عهد مصطفى كمال سنة ١٩١٩ .

وقد ارسلت اليه ـ اذ ذاك وانا بتونس ـ رسالة تهنئة عـلى ذلك نـثراً ، فاجابني عنها برسالة لطيفة لكن مع الاسف لم يكن حظها باحسن من سابقتها اذ تلاشت فيما تلف لي من الاوراق .

ولا يفوتني ان اسجل هنا رسالتى المومى اليها فيما يلي :

وهذا نصها بعد الديباجة : « . . . ازف لمقامكم السامي عبارات التهـاني تغتبطها الخرائد الغواني ، لائقة بعلو ارتقائكم على تلك المنصة المنيفة وانخراطكم فى سلك تلك الدائرة الشريفة ، لما حصل لكم من جانب الدولة العظمى الجالسة على ذرى المجد القائمة عل هامات الاسد ، من الاجلال وعظيم الاعتناء المفضي بكم الى ان كنتم معدودين من فحول الرجال الذين يعتز وينتظم بهم سلك مجلس الاعيان ، ليس ذلك بالخيال وانما هو بالحس والعيان .



صورة له فريدة ترمز الى بعض أوسمته :

١) وسام الاستقلال الحجازى في ذي الحجة ١٣٤٢

٢) وسام لشرف السعيدي بمسقط فى رمضان ١٣٤٣



صورة المرحوم الباروني باشا وهـــو بملابس الزي الرسمى لمجلس المبعوثان التركي ، وذلك بعد انتخابه فى ذلك المجلس سنة ١٩٠٨ م

ولا غرو في ذلك ! فان ما نلتموه من الارتقاء الحسي والمعنوي انما هـو قد استحقكم واشتاق الى ان يحلى بكم ، وناداكم بلسان التأهل لما ابديتموه من الفضائل والفواضل التى اخذت بمجامع قـلوب ادباء الامم على اختـلاف طبقاتها وخروا لآياتها خاضعين ، منها لطف خلق . وحسن عواطف وصدق حرية وشدة غيرة دينية ووطنية وخالص عفاف .

ففي الحقيقة ـ ان الاحق بالتهنئة انما هي تلك المنصة المكرمة باستـواء حضرتك العليا عليها ، استـواء نبي الله سليمان على كرسيه الذي تليت عليه ءايات المهابة والارهاب . ويجدر بك ـ اذاً ـ ان تقول « رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي انك انت الوهاب »

وان الاحق به ايضا ذلك العقد النفيس الذى نال حضور جلالتك لديه ايها الجليس الانيس .

فهنيئا لذلك الكرسي العظيم وذلك المحفل البهيج الفخيم الذي هو تـاج الدولة الظافرة !

فياله من منال اشغل الفكر عظم وقعه ، حتى فاته ان يعرب عن مقــدار كنهه ، من كونه ملأ ارجاء قلوبنا فرحا وسرورا وابتهاجا ، وزاد لنـــا من الاعتزاز والافتخار ما نستظل بجناحه مدى توالي الدهور ، ويجعلنا من قبيـل الاحياء ، فياله من منصب مطابق مطابقة الوزارة لبطل الحرية « انور باشـا » ويا له من سلم لبلوغ اقصى الامال . تمكنتم به تمـكن الشجاع بسلاحه ، فالمد انجز الاقبال وعده ووافق الطالع سعده ، وان الشأن لفيما بعده ، فحبذا السماء اطلعت فرقدا ، وغابة ابرزت اسدا .

تونس : جمادى الاخر ١٣٣٢ — ماي ١٩١٤

ابراهيم بن الحاج عيسى

هذا — ومن دواعي الغبطة والسرور ان وقفنا على رسالة له في هذا الصدد اجاب بها رفيق فى البعثة العلمية الميزابية بتونس المرحوم السيد الحاج عمر العنق الذي كان رفيقه لميزاب في تعزية ءال طفيش كما اشرنا اليه من قبل وهذا نصها :

مجلس اعيان حمداً وصلاة وسلاما

الى السيد الحاج عمر بن الحاج ابراهيم

حضرة الاخ المحترم الرفيق الاكرم حفظه الله

السلام عليكم وعلى الاخوان الكرام الادباء والانجال النجباء . اننا نحمد الله ، وصلنا ولله الحمد ، ولكثرة الاشغال كما لا يخفاكم (ان لكل قادم دهشة) قصرنا في مكاتبتكم فارجو قبول عذرنا ، ومن الآن فصاعدا نوالي المكاتبة ان شاء الله .

سلامنا الى الاخوان فى الجزائر وميزاب والمدن التى مررنا بهـا كافة اذا كاتبتموهم . الشيخ يحيى ، اخوه ، ابراهيم - يهدونكم السلام .

شرفنا جوابكم ضمن جواب اخينا الفقيه سعيد بن عمر النفوسى ، سلامنا اليه والى الطلبة والجماعة . اخيكم سليمان الباروني

٨ رجب سنة ١٣٣٢ - جوان ١٩١٤

جهاد البارونى باشا

يبدو للاخ الباحث ان انتهاء البارونى باشا فى صعوده الى قمة النيابة بالبرلمان العثمانى — كأنه — وهو فى قمة طود شامخ ، مقبل على صعود طود شامخ اخر صعب المرتقى يبتدىء سفحه من نهاية قمة الاول على شكل تضاريس جبال الاطلس !

وما هو هذا الطود الثانى الذي يستقبله للصعود يا ترى ؟

ألا وهو الجهاد !

نعم ! نحن لانعني بالجهاد هنا كناية او مجازا او خيالا ، انما نعني به معناه الحقيقى الذي يعنيه المجاهدون بالسيف دفاعا عن دينهم وقومهم ووطنهم .

ذلك هو جهاد البارونى باشا فى طرابلس الغرب ضد دولة غاصبة ظالمة هى ايطاليا .

ان الافاضة فى جهاد البارونى باشا تستدعي وفرة من الوثائق والمراسيم والمناشير والبلاغات والخرائط وغيرها من المعلومات ، كما تستدعي لشرح ذلك وتفاصيله مجلدات ضخمة ، ولا قبل لنا نحن بهذا .

وانما نكل امر ذلك كله الى كتابه الذي وضع هو برنامجه « تاريخ الحرب فى طرابلس الغرب » الذي كنا اشرنا اليه فى جملة تآليفه .

وحسبنا هنا ان نجلي بقدر الامكان مبلغ بطولته في مواطن الكفاح كبطل من ابطال الحرب وكقائد من قواد الاسلام العظام ، وان نشخص قدر المستطاع ـ كنه مغامراته ومقدار مخاطراته كأعظم المغامرين المخاطرين لو اوتي مثل ما اوتوا من حظوظ . كما قال هو عن نفسه :

نلت الصدارة في كل المواطن لـ ... كن لا رجال ولا مال يؤيدني

لو كان ما للورى لي لنلت به للمهج الحق اعلى مركز مدني

نحن لا نستغرب كثيراً مما يبدو من فنون البطولة في ميادين الوغى من القواد العسكريين الذين تسندهم دولهم العظام بملايين من خيرة الجنود وبملايير من خزائن الاموال وبأسراب من الاساطيل الجوية والبحرية وبالاطنان المطننة من الذخائر الحربية وبسائر وسائل الفتك والتدمير .

انما الغرابة كل الغرابة أن يقف فرد أعزل من أي سلاح أمام دولة عظمى مجهزة بكل سلاح مدة نحو ثمان سنين .

ذلك ما فعله الباروني باشا البطل الاعزل الا من الايمان بالله مع ابطال طرابلس الابرار ازاء ايطاليا المسلحة إلا من الايمان بالله .

حقا ! لقد صدق بفعله بجهاده هذا ما كان قاله بشعره عندما اخذت ايطاليا تتحرش بالدولة العثمانية في شأن طرابلس . وذلك حين يقول (١)

نصول اذا حان الدفاع ولا نرى جزاء من المولى سوى جنة الخلد

نحب اللقا لا نبغض الطعن ان يكن نضالا عن الاوطان والدين والمجد

هنيئا لمن امسى صريعا مجاهداً له حلة من ارجوان على الجرد

فيا مغرما بنا تقدم لفتية ترى الموت فوزا في مصادمة الضد

خفاف ثقال في الجلاد جوادهم مكر مفر مصدر القرب والبعد

ابا بطلا رام النزال بضعفه ألم تشف غلا نكبة الحبش الجعد

اراك زمانا طالما حمت حولهم ولم يك الا ان صرعت على الخد

ألم تدع الاسرى هناك تسوقها عصا الذل من ذاك النجاشي في الصفد

ألم تك ممن ادرك الناس انه أخف انهزاما من رباط الى السند

ألم يكفك النصر المقهقر خسة فلا حول ما هذا التملق كالقرد

---

١) ديوانه ص ٥٢ قالها ردا على كاتب ايطالي يحرض دولته على طرابلس

فدعك « بنابلي » لعل جبالهـــا تخر فتغنى او تقيك من البرد
فان بها افــواه بيت تفتحت لتمنح دفئا عاري الجـوف والجلد
واما سليمى (١) لا سبيـل لوصلها ولو تجعـــل الجوزاء منطقة الغمد
باذن الذي بالامس عزز نصرنـــا فكانت سواقوز لنا موقـع الجند
وكانت وكانت في « قطانيا » وقعة فسادت « بمسينا » رجال على المرد
ألم تعلم ان المسلمين اذا سطوا فواحدهم كالعشر فى الجزر والمد
قديما حديثا لا افتراء وان تشـــا فسل من « اثيني »قريب من العهد(٢)
فكف ودع هذا التظاهر وارتدع فمالك ابطال تسرك او تفـــدي
دع الطمع المذموم لا تغترر بما تراه كأحلام على فرش المهـــد
محال محال ان تدنس روضة عليها لواء حف بالنصر والحمـــد
خذ النصح او فاحضر لكل مدرع له لبد حوراء بارزة النهـــد
محبرة رجراجـة الكفل غضـــة نحيلة خصر ذات خال على الخد
يزيح سنا الاسلام ظلمة شركها فيصبح منها الفرع اسود كالند (٣)

الى اخر القصيدة

بهذه الروح العالية والعزيمة الفولاذية والهمة الوثابة والحمية الملتهبة يدخل الباشا البارونى معمعة الجهاد بمن معه لما نادى داعي الدفاع والجلاد فيستعذب من اجله العذاب ويراه ألذ من كل مالذ وطاب . كما مرت تصريحاته سابقا في هذا الشأن .

اما جهاده — فهو يشتمل على ثلاثة أطوار :

---

١) يعنى طرابلس ٢) نسبة الى اثينا عاصمة اليونان وذلك اشارة الى الحرب العثمانية اليونانية الواقعة اخيرا وما حصل فيها من الانتصار للاسلام على يد القائد الشهير ادهم باشا
٣) اى شعرها — لانها اذا زالت عنها ظلمة الشرك تلالا وجهها نورا فظهر سواد شعرها جليا ، فتأمل . اهـ . ديوانه ص ٥٤

الطور الاول — يبتديء من يوم اعلان ايطاليا للحرب على الدولة العثمانية في طرابلس الغرب فى ٢٩ سبطامبر سنة ١٩١١ وينتهي عند انتهاء اخر معركة له في جندوبة فى ١٣ مارس سنة ١٩١٣ (١)

الطور الثاني ـ يبتديء من اواسط ١٩١٤ وينتهى الى اوائل سنة ١٩١٦ .

الطور الثالث ـ يبتديء من حوالي اكتوبر ١٩١٦ وينتهي الى يوم اعتراف ايطاليا بحكومة طرابلس الجمهورية الوطنية وامضاء قانونها الاساسي في ٢١ ابريل ١٩١٩ .

اولا — اما الطور الاول فاليك موجزا منه فيما يلي :

مما حفظ لنا التاريخ ـ انه لمجرد ما بلغ الخبر بظهور الاسطول الايطالي في البحر امام مدينة طرابلس مسامع المسلمين في الجبل اجتمع عند البارونى باشا فى مركز القضاء بيفرن كثير من رؤساء القبائل العربية والبربرية فتفاوضوا في وضع ميثاق يديرون بمقتضاه دفة الدفاع ويبنون على اساسه قواعد الجهاد فاتفقوا على ما يأتي :

١) على عدم اعتبار كل ما يؤدي الى الانقسام من عادات وخلافات مذهبية أيا كانت .

٢) على ان يكون الجامع في الجهاد هو الجيش الاسلامي الطرابلسي ، وان المجاهدين كلهم اخوان في الاسلام فلا ذكر لمذهب ولا لعنصر .

ثم حرروا تلغرافا بامضاءاتهم فوجهوه الى وكيل الوالي بطرابلس والى نادي الاتحاد والترقي عن لسان اعيان المالكية والاباضية من العرب والبربر من لواء الجبل وهذا نصه :

« الولاية الجليلة » الناس في هيجان عظيم بسبب الاخبار الواردة عن

---

١) جندوبة هى قرية فى ناحية غريان كانت الواقعة فيها على المجاهدين .

الاسطول الايطالي ، فان كان لهذه الاشاعة أساس فان أهلينا مستعدون لبذل النفس والمال ومتهيئون للتسابق الى نيل المنازل العليا التى وعد الله بها الشهداء في سبيله .

نسترحم افادتنا بحقيقة هذه الاشاعات (الامضاءات)

ثم ورد اليهم جوابا عن هذا التلغراف ، تلغراف من نادي الاتحاد والترقى بطرابلس ، وهذا نصه :

الى مبعوث الجبل المحترم سليمان الباروني : ان حمية اهالي الجبل وحماستهم العظيمة جديرة بالشكر والتقدير .

اليوم وصل البابور المسمى «درنة» محملا سلاحا وذخيرة فلم يبق محل للهيجان ومن موجبات المصلحة الآن السكوت والمتانة يا أخي »

رئيس المركز : شادي

وفي اثناء هذه الظروف وجه الباروني باشا نداء عاما الى عموم المسلمين في حيز طرابلس يستنهض فيه الهمم الى الانخراط فى سلك الجهاد دفاعا عن دينهم ووطنهم وهذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وءاله وسلم

« ايها الناس اعلموا انه من قضاء الله وقدره ان سلط على وطننا امتحانا لنا دولة خسيسة نصرانية طليانية تعبد الاصنام وتنكر الملك العلام وتستهين بالاسلام فسولت لها نفسها الخبيثة الاستيلاء على بلادنا وغصب اراضينا ونساءنا واستخدام ابنائنا كالعبيد لا بلغها الله ذلك فكأنها لم تحسب لشجعان فرساننا ولا لعساكر دولتنا المظفرة حسابا ، وها هي أرسلت مراكبها الحربية وهى الآن واقفة في البحر امام المدينة تنتظر الاوامر من دولتها بالهجوم على ولايتنا .

وقد استعد اخواننا اهالي الشطوط والمدينة لصد غارتها وتشتيت جموعها .

وفتحوا دفاتر لتقييد المجاهدين فى سبيل الله .

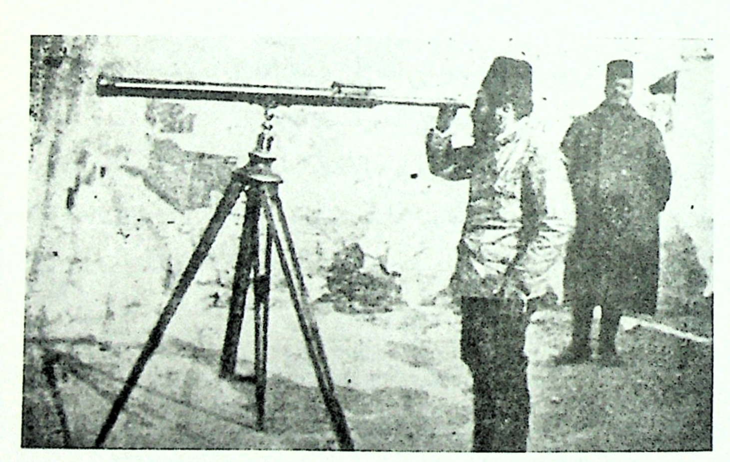
وها انا ايضا من قبل ان نسمع بهم جعلت تنظيما جديداً وفتحت دفاتر في مركز القضاء لتقييد المجاهدين في سبيل الله . قيدت اسمي اولا فيه مجاهـــداً « سليمان البارونى » وكافة نفوسة على اثري . وعرفت عموم اللواء والمحتمات ايضا بفتح دفاتر لتقييد المجاهدين فى سبيل الله ، دخل فيهـــا كل من له حمية وطنيه وغيرة اسلامية .

وها نحن ندعوكم ياكافة اخواننا رجبان وزنتان وارحيبات واحرابه وحوامد واولاد ابن سيف ومنايضه ومحاميد وغيرهم من القبائل وخصوصا اهالي قرى الجبل الكرام اهل الشجاعة الغزيرة والحمية الدينية والشهامة الاسدية ، بالقدوم سرعة لاجل الذود عن الوطن حمية للدين وذودا عن الاسلام وحفظاً لشرف الاهل والاولاد .

فان الحجة قد قامت عليكم وفرض الجهاد قد تعين على كل فرد منكم الا العاجز الذي لا طاقة له . وهـــا هو وطنكم العزيز يناديكم ودينكم القويم يستنجدكم ونبيئكم محمد صلى الله عليه وسلم يخاطبكم من قبره بقوله (الجنة تحت ظلال السيوف) وبقوله تعالى (جاهدوا باموالكم وانفسكم فى سبيل الله) وبقوله (ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم) وبقوله (وما النصر الا من عند الله) وبقوله تعالى (ومن يقاتل فى سبيل فيقتل او يغلب فســـوف نؤتيه اجرا عظيما) وبقوله تعالى (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرءان) الى ءاخر الاية . وغير ذلك كثير ، وما لكم الا تقاتلوا فى سبيل الله . — الجهاد الجهاد — البدار البدار — النفير النفير — لا يقبل عذر ولا تاخير .



صورة المرحوم الباروني باشا
عند انتهاء الحرب الطرابلسية
الاولى سنة ١٩١٣ ، ويلاحظ
أثر التعب والاجهاد المضني باديا
عليه رغم صبره وتجلده



وقفة له من وقفات الاستطلاع في قصر (غريان) ووراءه رئيس الجاندارمة الطرابلسية

اللهم يا من بيده ملكوت كل شيء امنح لنا رقابهم واقذف الرعب فى قلوبهم وكثر عددنا فى اعينهم وشتت شملهم ومزق جموعهم واردد كيدهم فى نحورهم يا ارحم الراحمين . وءاخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

« مركز الجبل »　　　　　　　　(سليمان الباروني)

قلت — أفلا يأخذ الاخ الباحث العجب العجاب من روح العزم والجرأة والاقدام من المرحوم الباشا الباروني ومن معه وهم عزل امام دولة أسطولها الحربي جاثم ازاء طرابلس وهو مجهز بسلاح التدمير ؟

نعم نشبت الحرب بين ايطاليا والمجاهدين الطرابلسيين الابطال ، ووقعت وقائع هائلة في عين زارة وقصر الهاني بضواحي طرابلس لم يحسب الطليان حسابها وقد قاد المعارك فيها المرحوم الباشا الباروني ورجاله الابطال بما اوتوا من مهارة واقدام ، ثم انتقل ميدان الحرب الى سوانى بني ءادم .

وهناك اتخذ المجاهدون معسكرهم العام ودونوا له نظاما اساسيا يديرون حركة الحرب على مقتضاه وهذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وءاله وصحبه وسلم

« نصر من الله وفتح قريب »

بعونه تعالى -- فى هذا اليوم يوم الاثنين المبارك الموافق ١١ جمادى الاولى و١٦ نيسان - ابريل - صار تنظيم هذا الدفتر لمعسكر مجاهدي الجبل في سانية بني ءادم بمعرفة هيأة الالآي المركبة من الذوات الكرام الآتية اسماؤهم على النسق الآتي :

العضو والكاتب العربي : علي الدربالي	مالكي
الوكيل الثانى : علي ءاعراب	«
وكيل الرئيس : ساسي اخزام	اباضي

العضو المؤقت للجيش : علي عبازة اباضي
العضو والكاتب التركي : علي الشريف مالكى

وبمعرفة هذه الهيأة يكون تسليم السلاح والذخيرة والارزاق للمجاهدين وتنظيم مضبطة في نهاية كل اسبوع على مقتضاها يكون جلب الارزاق من العزيزية ، وتنظيم مضبطة اخرى في نهاية كل شهر بموجبها توخذ المعاشات وتوزع ، بمعرفتها يكون ترتيب — القراقولات — قوات المراكز الامامية الليلية ومامورياها وتوجيهها الى مواقعها المخصصة لها امام العدو في الاوقات المعينة وتنظيم دفاتر بدل المجاهدين المقرر جلبهم من الجهات وغير ذلك مما يتعلق باصلاح المعسكر على شرط الاستقامة والعفة والاجتهاد التام . وكل ذلك يجب ان يكون مذيلا بتوقيعنا ليجري به العمل بلا اهمال والله الموفق .

تاريخ ١١ جمادى الاولى سنة ١٣٣٠ — و١٦ نيسان ١٩١٢

مبعوث الجبل وقائد المجاهدين : سليمان الباروني

الشيء بالشيء يذكر

الصلح بين الدولة العثمانية وبين ايطاليا

قبل ان نواصل كلامنا الموجز في جهاد الباروني باشا ورجاله الابطال في طرابلس الغرب ندلي بكلمة مختصرة عن اضطرار الدولة العثمانية الى هذا الصلح وعن اسبابه فيما نعلم ، ليعلم الاخ الباحث مدى خطورة الحالة على مجاهدي طرابلس حينئذ ومبلغ مغامرة قائدهم المرحوم الباروني باشا اذ ذاك .

اسبابه :

١) اهمال الدولة العثمانية لولاية طرابلس وعدم الاهتمام بشئونها كقطعة من املاكها ، ولكن تعدها كأنها خارجة عن مقاطعاتها ، رغم تعلق ابنائها الشديد بدولة الخلافة .

٢) خيانة بعض رؤساء الدولة العثمانية ايام اعداد ايطاليا عدتها لغزو طرابلس ذلك انه لما صح عزمها على الغزو استمالت اليها بعضا من موظفي الدولة العثمانية الكبار ولاسيما حقي باشا سفير الدولة العثمانية في روما فاجتذبته لمودتها فأحبها وأحبته . ومن سوء طالع الاسلام ان صار ابراهيم حقي باشا رئيسا للوزارة العثمانية « صدرا اعظم » فاشترت ايطاليا ذمته بمبلغ خمسة ملايين ليرة ايطالية مقابل التخلي عن ولاية طرابلس الغرب ، فمهد الطريق الشائك للاحتلال الايطالي بسحب القوات التركية من طرابلس الى اليمن بدعوى ان اليمن ثائرة فيجب قمعها ولم يترك منها في طرابلس الا القليل .

بينما الباروني باشا يرفض بكل اباء نظيرها لما ساومه الكونت سفورزة بها مقابل انهاء الجهاد في اواخر ايامه (١)

٣) تواطؤ الدول المسيحية على الاسلام بالاجهاز عليه فى شخص دولة الخلافة وذلك بتحريك دول البلقان على الدولة العثمانية لايقاد نار الحرب عليها هناك حتى يصرفوا قواها عن طرابلس الى البلقان فيخلوا الطريق فى وجه ايطاليا ، ويضطروا الدولة العثمانية لابرام الصلح مع ايطاليا وللتخلي عن ولاية طرابلس نهائيا . وذلك ما وقع .

٤) ازاء هذا الارتباك انقسمت كلمة البرلمان العثمانى اثناء الحرب ما بين مواصلة الحرب وما بين ايقافها فكانت الاعتمادات والامدادات ضئيلة لا تفي بحاجة المجاهدين .

ومن اجل ذلك كان الحاج البارونى باشا وزملائه النواب الطرابلسيين على البرلمان العثمانى شديدا لحمله على مواصلة الدفاع عن ولاية طرابلس العثمانية وعلى عدم التخلي عنها .

---

١) حياة سليمان باشا البارونى ص ١٣ وص ٤٢

٥) صعوبة المواصلات بين عاصمة الخلافة وبين طرابلس اوان الحرب فان ما ترسله تركيا من الامداد الى طرابلس بعد الاعتبارات المتقدمة فى السفن الشراعية او التجارية كثيراً ما يكون عرضة للتلف أمام الاسطول الايطالي فى عرض البحر فهو لها دائما بالمرصاد وما اكثر خسارة تركيا في الذخائر الحربية والاموال من هذا السبب ؟ وما كان من النفائس الثمينة للجيش فانما يرسل اليه من طريق اوروبا ومرسيليا فتونس خفية ، ولكن لا يصل الا في ظرف نحو ٤٠ يوما ، وسيأتى لهذا مزيد بيان .

هذه بعض الاسباب التي اضطرت الدولة العثمانية لعقد الصلح مع ايطاليا فى ١٨ اكتوبر ١٩١٢ ويعرف بمعاهدة « اوشي » وماذا كان بعد ذلك ؟

نعم ! تم الصلح بين الدولتين ولكن الى جانب ذلك منحت الدولة العثمانية ولاية طرابلس استقلالها الذاتى .

ماذا كان بعد الصلح ؟

١) عقد مجاهدو طرابلس الغرب اجتماعا عاما تحت رئاسة البارونى باشا وتداولوا فيما بينهم : هل تجب مواصلة الحرب واعلان الاستقلال بعد الصلح العثماني سنة ١٩١٢ ؟ فاتفقوا بالاجماع على ذلك ، وهم رؤساء لواء الجبل ولواء فزان وقضاء ورفله .

مواصلة الجهاد وانشاء الحكومة الوطنية

٢) لتنظيم خطة الحرب وانشاء الحكومة الوطنية قرروا المضبطة الآتية وهذا نصها : (١)

بسم الله الرحمن الرحيم

«بناء على الفرمان المؤرخ فى شهر ذى القعدة الحرام سنة ١٣٣٠ القاضي بمنح بلادنا الاستقلال ، قد اتفقنا على الرضاء به وقبوله مع السرور الكامل وكلفنا حضرة مبعوث الجبل سليمان بك البارونى باعلان استقلالنا وتبليغه الى ما يلزم التبليغ اليه وتشكيل حكومة تقوم بما يلزم اتخاذه من تعميم الامن والراحة والمحافظة على شرف الدين والوطن بموجب قواعد الشرع الشريف والمنظمات العمرانية مع القيام بكل ما يجب اتخاذه من وسائل المدافعة والتوفيق من الله والنصر بيده . في ٨ ذي القعدة سنة ١٣٣٠ هـ

مديرية الحرابة (اختام) قضاء نالوت : خليفة بغني ، قايمقام ورفلة عبد النبيء ، مديرية ككله (اختام) مديرية الحوض (اختام) قضاء نجاد (اختام) مديرية الرجبان (اختام) فساطو (اختام) مديرية الزنتان (اختام) مديرية كاباو (اختام)

ومن هذه الامضاءات المختلفة ما بين اباضية ومالكية يدرك الاخ الباحث انه لم يكن في اوان تأسيس الحرب الطرابلسية اولاً ، ولا فى تأسيس حكومتها المستقلة الوطنية ثانيا ، ما يشتم منه رائحة التعصب لمذهب ولا لعنصر قط وانما الاعمال كلها جارية باسم الاسلام والوطن لاغير .

٣) بعد هذا الاساس شرع قائد المجاهدين ورئيس حكومة طرابلس الجديدة

---

١) حياة سليمان باشا ص ٤٦

سليمان باشا البارونى فى انشاء هذه الحكومة وابلاغ ذلك الى الدول العظمى والى الصحف الكبرى . كما ارسل الى اوروبا وفدا للسعى عند حكوماتها الكبرى لنيل الاعتراف منها ونشر الدعاية لها ، قال المرحوم عن نفسه في هذا الصدد :

« . . . واسست حكومة على نسق الحكومات النظامية وعينت متصرفين وقايمقامين ومديرين وقضاة ومفتين وكتابا وشكلت الايا من الجندرمة - البيادة - والسواري والهجين بلباس اروباوي جديد ونظمت البوسطة في جميع الجهات الى ورفلة وغدامس وغات وفزان ، ومراكز للتلغراف والتيليفون الى حدود تونس واسست خط حرب مواجها للقوة الايطالية يبتديء من ورفلة مارا امام غريان والزعترية ومنطروس وبير الخشب جهة العزيزية ويمر امام صرمان والعجيلات والعلالقة وزوارة من بلاد الساحل التى التحق بنا اهاليها كافة . الخ »

على هذا المنوال سارت الحرب بين المجاهدين وبين ايطاليا فوقعت وقائع كبيرة ألحقت ايطاليا خسارة عظيمة مالا ورجالا مما شاع وذاع اذ ذاك فى عالم الصحافة .

وعلى هذا المنوال سارت الحكومة الوطنية الطرابلسية برئاسة المرحوم الباشا البارونى برهة من الزمن بتاييد من الله القوي وتحت ظل الفرمان السلطاني ، لولا ما صادمتها من المفاجئات من المكائد والدسائس والعدوان من التعصب المسيحي والتحالف الاستعماري والطغيان الايطالي .

كيف كانت نهاية هذه الحرب ؟

لما انسدت في وجوه المجاهدين ابواب المئون من سائر الجهات : من جهة مصر بسعي من الانكليز ، ومن جهة تونس بسعي من فرنسا ، ومن جهة البحر من تركيا بعد الصلح العثماني ، ضاق بهم الخناق وفقدوا كل امل في النجاح ، وهنالك اخذ الباروني باشا يخابر ايطاليا في قبول الادارة المختارة تحت اشرافها ، ولعلمها بما هنالك اخذت تماطل فى الجواب .

واثناء هذا شنت على المجاهدين هجوما عاما عنيفا فكانت وقائع هائلة كان النصر فيها للمجاهدين في الجناح الايسر والايطاليين في الجناح الايمن مات فيها من هؤلاء خلق كثير . وقد نفد ما لدى المجاهدين من ذخيرة ومئونة الا ما يكفي لحرب ساعة من ذخيرة ، ولقوت الجيش ٤ ايام من مئـــونة . ولولا ان فصل بينهما الليل لوقعوا في الاسر ، وتسمى هذه المعركة معركة جندوبة .

ثم اعادت الجيوش الايطالية فى اليوم التالي هجوما عنيفا ءاخر فدافع المجاهدون الابطال بما بقي لديهم ، ثم تفرق قسم من جيش المجاهدين .

وفي اثناء هذا وصل وفد الباروني من اوروبا يحمل جواب ايطاليا بانهـــا رضيت ان تعطي طرابلس ما طلبت من الادارة المختارة تحت اشرافها .

وهنالك جمع البارونى باشا اعيان البلاد ليستشيرهم فى الموقف الراهن ، فرأوا ان المقاومة بدون موادها لانتيجة لها سوى سفك دماء الاهالي وتخريب الديار وربما تحصل بسبب التسليم فائدة مما فى جواب ايطاليا للوفد . وحينئذ قرروا الانسحاب والالتجاء الى الحدود التونسية الى ان كان مـــا كان (١) وذلك فى ربيـع سنة ١٩١٣ .

---

١) حياة سليمان باشا ص ٦١

وجوه العبرة من هذا الطور

١) قوة الايمان بالله تقوم أمام القوة المسلحة ، والتجرد من الايمان بالله لا تجدي معه القوة المسلحة .

٢) تهدم خيانة الخائن في يوم ما تشيده بطولة الابطال فى عام .

٣) كيف توحد اوربا المسيحية صفوفها مع اختلاف مذاهبها ازاء الاسلام .

٤) تكتل الامة الطرابلسية والتفافها - اول الامر - حول الزعيم المجاهد البارونى باشا ازاء الخطر الداهم .

٥) كيف يكون النصر عند الاتحاد .

٦) مغامرات البارونى باشا ورجاله ومدى بطولتهم اوان الخطر .

٧) مبلغ عفته وعزوفه عن اعراض واغراض الدنيا .

٨) حسن تخلصه عند اللزوم من مئازق الخطر .

٩) ظهوره بمظهر الهمة والشهامة - حفظا للكرامة - وهو في اشد الازمات .

١٠) تفننه في اتخاذ وسائل الكفاح الى ان يبلغ الغاية .

١١) مبلغ صبره وتحمله لصنوف المشاق والاهوال .

١٢) مطامحه العالية وعدم ركونه الى اليأس مهما اشتد الخطر .

ثانيا — واما الطور الثانى فاليك موجزاً منه فيما يلي :

بعد ان التجأ المرحوم البارونى باشا الى تونس فى ربيع ١٩١٣ لبث هناك بعائلته وحشمه في رادس (من احواز تونس) ولم تسفر المذاكرات بينه وبين مندوب ايطاليا الكونت سفورزة فى اثناء هذه الفترة عن نتيجة حاسمة .

ثم أقلته باخرة عثمانية بعائلته من تونس الى الاستانة فى ربيع ١٩١٤ ،

لكنه صرف عنان سفره اولا الى لندره ، ثم الى الاستانة (١) واثر وصوله استانبول عينته الدولة العثمانية عضوا فى مجلس الاعيان العثماني مكافـأة له على بطولته وجهاده في طرابلس ، كما اشرنا اليه سابقا .

وعندما اعلنت الحرب العالمية الـكبرى في اوت ١٩١٤ انتهزهـا فرصة واستغل نفوذه لدى الدولة العثمانية لفائدة وطنه فبذل جهودا كبيرة لاقناع رجال الدولة على استئناف الجهاد فى طرابلس حتى أقنعهم بذلك فأجابوه الى طلبه وارسلته الحكومة التركية الى طرابلس في غواصة لمواصلة الجهاد ، فقـام في هذه الظروف العصيبة بمهمته الوطنية خير قيام ، والتهبت بمساعيه ثـورة ضد ايطاليا شملت جهات البـلاد الطرابلسية من قرات ورفلة ومراكز الجبـال ومصراطه وترهونه ومراكز السواحل الى ضواحي المدينة .

وقد حاول بعد ذلك تجهيز حملة على مراكز الحلفاء يومئـذ بمنطقة مصر تاييداً لتركيا على قنال السويس فأخذ في بذل الجهود القوية لهذه الغـاية فرأى

---

١) وقـد نشرت عنه مجلة التيمس الافريقية بلندرة اذ ذاك التصريحات الآتية دفعا لاشاعات روجتها ضده بعض الجرائد الماجورة ؛ وهذا نص التصريحات :

« ان حكومة ايطاليا تحققت نزاهتى وعفتى من زمن الحرب التركية فلم تتجاسر على مخاطبتى فى شان الرشوة ، لانها لما اشارت الى ذلك فى بعض مكاتباتها الاولى أجبتها باننى انا ورجالي لانرضى الا بالموافقة على الاستقلال الذي تفضل به علينا السلطان . ثم قال :

انى ما التجأت الى تونس الا بعد نفاد كل ما بيدي من لوازم الحرب ، ثم سلمت سلاحى الى مامورى فرانسا ليقبلوا دخولى للاراضى التونسية ، ففى مقابلة اي شيء تعطينى ايطاليا اموالها وبأى وسيلة اطلب انا منها المال ؟ حيث انى لم اترك للصلح مجالا ، ودافعتها الى ان اخذت منى البلاد بقوة المدافع وكثرة الجنود ، ولو سأل مخابرو تلك الجرائد بعض رؤساء الحكومة الايطالية لاخبروهم باسماء الذين قبلوا الرشوة ومدوا ايديهم الحقيرة مطاطىء رءوسهم لتناول الرشوة ثمنا لشرفهم . اما انا فلا يجدون اسمى الا فى صدور دفاتر الوقائع المشهورة والهجوم الشديد في الليل والنهار على الحصون والاستحكامات من يوم الهجوم على الهانىء الى يوم دخولى تونس اهـ . عن جهاد الابطال ص ١٢٨

ان منطقة حدود مصر بيد السنوسيين لحاول مفاوضة السيد السنوسي في الامر الا انه قبض عليه ومنع حريته هو ومن معه من كبار الضباط الاتراك وشدد على سعادة الباروني اكثر لانه هو رئيس الكتلة . ولو نجح هذا المقصد يومئذ لكانت عاقبة الحرب بعدئذ للدولة العثمانية . والامر لله (١)

قلت — ومصداق ذلك ما جاء في بعض رسائل الباشا الباروني نفسه لبعض أحبابه في تاريخ ١٧ يناير ١٩٢٤ ، وهذا نصه :

« وما ذكرت لكم سابقا عن الزهرة ، هو عبارة عن نقلها تلغرافا عن جرائد اوروبا مثاله : ان الباروني وصل بلاد النمسا عائدا من السلوم ، ووصوله يدل على احد امرين :

اما ان السنوسي لا عهد ولا وفاء له اذ قد عاهد الحلفاء على ان لايترك الباروني يبرح السلوم الى نهاية الحرب !

واما ان نفوذه قد تقلص فلم يقدر على منع الباروني من السفر اه قال : هكذا اخبرني من طالع ذلك ولعله في غير الزهرة وانا لا ادرى كيف صرح السنوسي بما صرح به وهو يعلم بما خطب به ابناء عمه في روما بحضور ملكها المحبوب في الوقت الذي كنا نحن نشدد الحصار فيه على الطليان .

وقد صرحوا في خطبهم بان الزاوية السنوسية قد وفت بما عاهدت به الحلفاء من الاعانة ، وذلك بسجنها ونفيها للمفسدين الذين ارسلهم الترك لاخلال الراحة في برقة .

وقد صدقوا فانهم سلموا ضباط الترك لايطاليا ونفوا وسلبوا وعذبوا اكثرهم ، كما صرحوا ايضا بأن من اهم تعاليم الطريقة السنوسية طرد الترك من افريقيا ، وقد طردوا الخ .

---

١) حياة سليمان باشا ص ٤٤

وقد نشرت تلك الخطب في وقتها حتى فى جرائد طرابلس .

وليت شعري ! ما السر يا ترى في احباط تلك المقاصد الاسلامية العظيمة ؟ وهي احدي الاتجاهات التي تدعيم حمل الباروني للواء الأسلام واحياء مجد الاسلام الغابر ؟؟

لقد حمل الباروني باشا لواء الاسلام نيابة عن دولة الاسلام العظمى ، ولا بغية له الا شد أزر الحركة الجادة في اعادة العظمة الاسلامية عن طريق الدولة العثمانية وهى ملجأ المسلمين يومئذ وسنادهم .

وكان يذكر عن نفسه في شأن هذه الظروف اشياء عجيبة منها انه كان سجينا وانه كان مضطهداً تارة ومعذبا اخرى . وانه كان يتحين فرصة الفرار فلما لاحت له فرصة للفرار من معتقله انتهزها وقفل راجعا في غواصة الى دار الخلافة من طريق النمسا بعد ان توجس خيفة ان تضع عليه بريطانيا يدها وقد حاولت ذلك من طرف السنوسي على ما يظهر ، بل اشيع ان الشيخ السنوسي كان يضمر الفتك به .

وهو ما لا تقوى النفس المؤمنة على التصديق به (١)

وجوه العبرة من هذا الطور ؟

١) من قوة عزم المرحوم الباشا الباروني انه لا تؤثر فيه الصدمات والخيبات فيستكين الى الفشل واليأس ، كما تؤثر فى كثير من الزعماء ، فانه ما كان يمر عليه عام ونيف من التجائه الى تونس وتسليم سلاحه حتى اخذ يقتحم غمرات الجهاد من جديد في اشد اخطارها .

٢) لمزيد تعلقه بالدولة العثمانية فانه لم تزده خيباته المريرة فيها بالتخلي عن

---

١) حياة سليمان باشا ص ١٤ - ١٥

طرابلس الا تشبثا بها واستمساكا بالخلافة العثمانية ، حتى انه اتخذها قاعدة لحركته في سائر اطوار جهاده . ولم يتخل عنها الا بعد ان تخلت تركيا عن الاسلام في عهد الكماليين . كما ستراه بعد بحول الله .

٢) لأجل ان يعرف الاخ الباحث مبلغ بطولة الباشا الباروني فليستعرض أمامه صنوف الاخطار التي تعرض لها في هذا الطور الخطير .

١ ـ فمن تركه حبات قلبه : اهله واولاده في استانبول غرباء لا عائل لهم بعده الا الله وهو غائب عنهم سنين عديدة .

٢ ـ ومن اقتحامه اغوار البحار في غواصة المانية حربية واساطيل الاعداء تمخر فوقها عباب البحر المتوسط وهي مجهزة بأدوات التدمير الحديثة .

٣ ـ ومن التعمق في صحاري وبراري برقة بين اناس تعد حياته بينهم معلقة في سلك القضاء وعيون الحلفاء بالمرصاد .

٤ ـ ومن تخلصه من بين شبكة هذه الاخطار ، بعد ان اضطهد وعذب وسجن وحكم عليه ـ فيما قيل ـ بالاعدام ، ونجاته في الغواصة راجعا سالما الى دار الخلافة موئل أهله واولاده من غير ان يمسسه سوء .

كل هذا لاجل ماذا ؟ لاجل تحرير وطنه من الرق والعبودية ، فيا لله من نفوس خلقت لتشقى ليسعد الناس ، ولتموت ليحيى الناس . وما اجل قول الله جل جلاله في بعض كتبه المنزلة « طوبى لمن خلقته للخير واجريت الخير على يديه »

مقارنات بين مشاهد الكاظمية

وبين وقائع الحرب في طرابلس الغرب (١)

عندما كان الباروني باشا فى بغداد زار فى محرم ١٣٥٢ مشهد رواية استشهاد الامام الحسين فى الكربلاء وقارن بين بعض فصول هذه الرواية وبين بعض وقائع الحرب فى طرابلس الغرب فى مقال في غاية الدقة والروعة. ولمزيد ارتباطه بموضوعنا ننقله فيما يلي وفاء لحق التاريخ . وهذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم

وقعة فى الكاظمية يوم ١٠ محرم سنة ١٣٥٢

لم اشاهد تمثيل رواية استشهاد الامام الحسين سبط رسول الله عليه السلام الا مرة واحدة فى مصر كنت واقفا فيها عند مرور الموكب بشارع الموسكي قبل نحو ثلاثين عاما . واذ بلغني ان التمثيل يكون تاما ومؤثراً في الكاظمية اكثر منه في مصر قصدت جامع الكاظمية العظيم صباح يوم ١٠ محرم ، وكانت المواكب تتجمع من الجهات فاندمجت في موكب الاعظمية الى ان دخلت ساحة جامع الكاظمية الواسعة الارجاء وبقيت ادور مع الموكب في دورانه حول الجامع ، وهنالك شاهدت مناظر غريبة واشكالا مؤثرة وانواعا من التمثيل تفتت الاكباد كأنها حقيقية . ثم يقول :

ظلت ابواب ساحة الجامع تتدفق بالناس حتى غدت السطوح مرصعة بئالاف النساء واكتظت الساحة بالرجال حتى قدر بعض المخمنين عدد الحاضرين بأكثر من خمس وعشرين الف نسمة وعادت الساحة على سعة ارجاءها كرمانة اوصندوق كبريت تلاصقت اعواده ينتظرون ساعة تمثيل المجزرة الشنيعة ، وقد صوبت

---

١) الكاظمية قرية في ضواحى بغداد فيها الجامع الكبير الذي تمثل فيه رواية استشهاد الامام الحسين .

الشمس اشعتها على الرءوس كالسهام والجميع واقفون كأنهم في جبـــل عرفات لاني لم اشاهد مثل هذا الاجتماع حول الكعبة المشرفة في ايام الحج لان الحجاج غير مقيدين بساعة معلومة للطواف ، وقد اشتدت حماسة المـواكب الدائرة بانواعها وامتلأ الجو بالاعلام الكبيرة البيضاء والسوداء والحمــراء والخضراء والصفراء ، وفي ذلك الاثناء دارت فوق الجامع (وساحته كما وصفنا تمـوج كالبحر المضطرب) طائرة كبيرة ولاشك فى انها التقطت صورة ذلـك المجتمع العظيم بـآلة التصوير ليطلع عليها من لم يشاهده !

وكـنت قد دعيت الى الغرفة من طرف سعادة السيـد باقر تشريناتي جـلالة الملك اذ رءاني واقفا

ولما دقت الساعة المنتظرة ظهرت من وراء الجامع طلائع الجيوش على خيـل عربية بلباس عربي احمر وعمائم فوق خود حديدية وعليهم الـــدروع الحديدية العتيقة ، متقلدين السيوف وبايدي بعضهم دبابيس الحديد او التروس ووراءهم جند المشاة ببزة حمراء بقسيهم ونبالهم وسيوفهم تتقدمهم الابواق الطويلة والطبول ذات الصدى القوي فشقوا لانفسهم طريقا بين تلك الجماهير المتراصة الى انـ وصلوا المنبر فارتج المكانـ باهله وصعد ممثل القائد السفاك المنبر واستل سيفه وصاح مهددا قائلا ما خلاصته :

« انه انما جاء ليسقي سيفه هذا من دم الحسين وانه واتباعه الذين جاءوا ليعيثوا بالملك وانه وان كان يعلم انه سيقتل ابن بنت رسول الله فانه يستسهل ذلك فى جنب رضاء اميره وتنفيذ رغبة سيده ومولاه . »

فعلا عند ذلك الضجيج والبكاء من كل الاطراف خصوصا طرف النساء . ولما نزل وصل ممثل الحسين فى طائفة من ءاله لابسين خـودا حديديـة ودروعا كذلك متعممين بعمائم خضراء فوق خيل عربية متقلدين سيوفهم وعــلى

وجوههم الوقار والكآبة معا فتضاعف الضجيج ، وما كادوا يقفون فوق المنبر حتى انهالت عليهم النبال من طرف العدو فأذن المؤذن وتقدم ممثل الحسين فصلى بجماعته وواحد من اتباعه واقف امامه يتلقى النبال بصدره وبجبته التي نشرها يمينا وشمالا بيديه ، ثم قاموا يودع بعضهم بعضا الوداع الاخير وكان المنظر مؤثرا يذيب الجماد فامتطوا خيولهم وجردوا سيوفهم وتقدموا واحدا واحدا الى ميدان المعمعة واشتبك الجمعان وجالت الخيل ووقع التصادم والسيوف تلمع والسهام تتناثر في الجو كالجراد المنتشر (لكنها لا تضر كأنها من ورق) واصوات الابواق والطبول وصراخ الباكين بكاء حقيقيا تصم الآذان وظل الفريقان بين كر وفر برهة من الزمن الى ان تردى ممثل الحسين واعوانه وقضي عليهم اجمعين .

فعاد القائد السفاك ووراءه الفرسان والرجال والطبول والابواق فصعد المنبر واعلن انتصاره وقتله الحسين وءاله وسبيه للذراري والنساء وانه راض بأن يكون من اهل الجحيم بهذا العمل فى مقابلة رضاء أميره وسيده عليه .

لا يسأل القاريء عما جرى اذ ذاك من البكاء والنحيب من كل الجهات فلا يسمع الا وإماه واحزناه الخ .

(عند مشاهدتي هذا المنظر الرهيب خطر ببالي ما كنت قرأته من وصف الواقعة المشئومة في التاريخ المطابق لما جرى من التمثيل تقريبا وتذكرت وقائع المجاهدين في وطننا طرابلس الغرب مع الايطاليين ، كان النصر في بعضها للمجاهدين وفي البعض للايطاليين ، وتجسمت امام عيني على الخصوص واقعة « غوط السلوقي » التى كانت حول مدينة طرابلس بين قرقارش وزنزور سنة ١٩١١ ، وواقعة « العجيلات » وواقعة « صرمان » سنة ١٩١٦ . فان تلك الوقائع كانت في ميادين فسيحة يشاهد من يقف فى أي مكان مرتفع ميدان

النضال كله فيرى جنود الايطاليين يتدفقون كالاودية من استحكاماتهم ومعسكراتهم يرى صفوف المشاة على حدة والفرسان على حدة وفرق المدافع والرشاشات على حدة .

كما يرى سيول المجاهدين المنهمرة عند اندفاعهم من مكامنهم ومرابضهم لملاقاة عدوهم مكبرين رجالا وفرسانا ومدفعيين ويرى الخيل تجول والقنابل تنفجر والرجال زاحفة والفرسان يحمون الميمنة والميسرة ويشاهد بالمرءاة (الدوربين) جثث الشهداء والمجروحين والخيل المقتولة والمجروحة مبعثرة هنا وهناك بين المتطاحنين لا سؤال عنها ولا التفات اليها ،

ثم بلغ خبر الفاجعة الى ءال الحسين الباقين فى مخيمهم الذي تمثله خيمة نصبت فى الساحة وحولها الجمال والهوادج فقامت المناحة الكبرى وكان مئات من جنود عراة الصدور حول الخيمة فصبوا عليها وعلى من فيها وما حولها نفطا واوقدوا فيها النار فالتهبت وصعد دخانها الاسود الى عنان السماء كأن بركانا انفجر وعلت السنة النار فانهالت جموع النادبين عليها وظلوا يطوفون بها وهم يدقون صدورهم ويلطمون وجوههم ويحثون التراب والرماد على رءوسهم ويدوسون النار بأرجلهم كأنهم لا يشعرون وعم الهرج والمرج المكان فكأن القيامة قد قامت او نفخ فى الصور وبعث من فى القبور !!

اما النساء فكدن يسقطن من فوق السطوح لاضطرابهن من هول المنظر المخيف وقد ارتفعت اصواتهن بالبكاء .

فعند مشاهدتي ذلك خطرت ببالي وقائع كثيرة كبيرة كانت للمجاهدين مع الايطاليين فى عين زارة وسوق الجمعة حول مدينة طرابلس وفي صرمان وقصر بو كماش عند حدود تونس فى حرب ١٩١١ ـ ١٩١٢ ، وفى المشاشطة والزاوية وسواني ابن ءادم والعجيلات وغيرها في حرب ١٩١٦ وما بعدها .

فان الايطاليين كانوا فى بعض هـذه الوقائـع اذا زحزحونا عـن مراكزنا يوقدون النار فيما نتركه من الخيم ومساكن الخشب والحطب لارهابنا وادخال الرعب في المنهزمين حتى لا يعكروا فى الكرة عليهم ، لكنهم طالما انهزموا ثم اعادوا الكرة عليهم باذن الله .

خطر لي ذلك كله وتمثلت امامي الواقعة الكبرى التي كانت ختام الجهاد الوطني سنة ١٣٣١هـ ـ ١٩١٣م ، وهى واقعة جندوبة والرابطة التي كانت في جهة جبل غريان وان الايطاليين زحفوا بقواتهم العظيمة التى اشتغلوا بجمعهـا وتنظيمها شهوراً على قوات المجاهدين المرابطة على حدود غريان فـوق الجبل وفى سفحه وكانت صـكة عظيمة سقط فيها مـن الرجال خصوصا الايطاليين ما جعل الميدان مغطى بجثث القتـلى والمجروحين ، وتقدموا الى ان احاطـوا بمراكزنا من ثلاث جهات قبل الغروب ونظموا حركتهم لتطويقنا فى الصبح وأسرنا كلنا ، وبقيت الجهة الرابعة وهى الغربية مفتوحة لنا ولما ظهر لنا من اهلها امارات الميل الى التسليم خفنا الغدر بنا فبعد ان جمعنا المجروحين ودفنا بعض الشهداء ارتحلنا في الليل تاركين المكان واذ لم يكن عندنا من الابل ما يكفي لحمل ما بقي لنا من شكائر الدقيق والخيم لفرار اصحاب الجمال بجمالهم تقرر اعطاء الاذن لمجاهدي القبائل المجاورة للمكان في نقل ما يمكنهم نقله واخفاؤه فى المكامن لأنفسهم وعند مبارحتنا المكان اوقدوا النار فى الخيم وما فيها وما حولها من حطب كثير فعلا لهيبها حتى شوهد ضوءها ودخانها من مكان بعيد فعلم العدو اننا انتقلنا ونجونا من الوقوع فى شبكتهم الـتى نسجوها لأسرنا وقاسينا اعظم المشاق فى تلك الليلة كلها في نقل المجروحين على الاكتاف وصعود الجبل مع غير طرقه السهلة حتى اصبحنا في المكان الذي كنا نعتقد انه امين سنثبت فيه للمقاومة ولما وجدنا الخيانة قد سبقتنا اليه والعدو زاحف علينا

لامحالة اضطررنا الى التشتت فقصد البعض حدود تونس والبعض قصد فزان فلحقته القوة الايطالية قبل ان يضم شتاته فقضت عليه وخمدت الانفاس الى ان تجددت الثورة سنة ١٩١٤ لما اعلنت الحرب العامة وكان ما كان .

وبعد ان احترقت خيمة ممثل الحسين أوتي بالاولاد الصغار مصفدين بالحبال الى القائد السفاك وهو على المنبر فبطش بهم وكان يقبض الواحد منهم من ذراعه ويرفعه في الهواء كالريشة ويضرب به الارض فيخيل للناظر ان رقبة الطفل قد اندقت وان ظهره قد قصم ، ثم مثل ذبحهم بالخنجر وتركهم يتخبطون فى دمائهم وكانت نار الخيمة اذ ذاك قد خمدت فامر ان تعرض عليه الاسارى والسبايا فسيقت الهوادج على الجمال مارة امام المنبر وتبعتها جثث القتلى محمولة على الاكتاف تمثل الحسين والشهداء ، ولا يشك الناظر فى انها جثث موتى حقيقية لاحكام الممثلين عملهم فيها اذ يشاهد رجلي الجثة مكشوفتين مخضبتين بالدماء (صبغ احمر) وباقي الجثة مغطى بثوب ابيض مخضب ايضا بالدم ، وعند الرأس عنق شاة او شيء عمل على شكلها ظاهر من تحت الثوب كأن الراس قد قطع بدون شك .

مر هذا الموكب المرعب بمنظره البشع الذي يجعل الفؤاد يتفطر دما بين نحيب وعويل وشق جيوب ولطم وجوه وجرح خدود وصياح بـوا إماماه واحسيناه واحزناه واويلاه ، حتى من بعض الذين كانوا معنا فى الغرفة ومن لابسي السدارة والبنطلون ، ومن محلوقي الاذقان الا السيد باقر بك تشريفاتي جلالة الملك والسيد احمد المتعمم احد اعضاء مجلس النواب فاني لم اسمع لهما حسا وكانا على يميني وشمالي كأنهما ألفا هذه المناظر فلم يبق لها تاثير عليهما .

اما انا — والحق يقال — فقد امتلأت عيناي دموعا رغما عن كوني لا اعلم اني بكيت عند وفاة اقاربي من والدي الى اولادي ولا نزلت مني دمعة واحدة في اشد المحن التي لاقيتها فى الانهزامات الشنيعة والدقائق الحرجة وذلك

لبشاعة المنظر (ولجولان فكري اذ ذاك في كثير من الوقائع الطرابلسية الايطالية فتصورت عند مرور تلك الجثث والهوادج والصبيان ما كنت اشاهده من مثلها عند نقل مجروحى ابطال المجاهدين فى الوقائع الكبيرة اذ كان اعوان هيأة الصليب الاحمر الانقليزية وهيأة الصليب الاحمر الالمانية ينقلون المجروحين بالرصاص وبقنابل المدافع والطيارات من ميادين الحرب على هذه الصورة قوافل بالعشرات الى مستشفياتهم التى كانت فى الحرب الاولى ١٩١١-١٩١٣ فى مركز العزيزية وجبل غريان ومركز الجبل !

وتصورت ما كنت اشاهده من النساء والهوادج والصبيان والشيوخ والعجائز عند فرارهم من بلدانهم فى اشد الاوقات حراً او برداً فى بعض الوقائع التى تقع الهزيمة فيها علينا لكنني ما كنت كثير التأثر اذ ذاك الى هذه الدرجة .

على هذه الصورة ختمت رواية استشهاد حفيد المصطفى عليه السلام . وعلى تلك الصورة المشابهة لها ختمت الحرب الطرابلسية الاولى سنة ١٩١٣ .

لكنها تجددت فى سنة ١٩١٤ واخذ الطرابلسيون ثارهم تاما ، وان انتقم الطليان لأنفسهم ايضا بعد ذلك والحرب سجال . وما طل دم ورواءه رجال .

اما سبط الرسول فقد هدر دمه ولم يبق بعده الا لطم الخدود وشق الجيوب على غير جدوى . ولله الامر من قبل ومن بعد .

١٢ محرم ١٣٥٢ سليمان الباروني

ثم كتب الينا اثر الرسالة الآنفة الاسطر الآتية :

ارسلت الى الجهاد فان نشرتها فانقلوها عنها والا فانشروها باسم « النور » فهمت من جواب الاخ . . . تعطيل النور فتكدرت . واذ وصل اليوم وتاريخه بعد تاريخ الجواب سررت والحمد لله . من اخيكم سليمان الباروني

القصص القومى

الكرامـــة الحقـة

حول الجهاد المقدس الذي رفع الباروني باشـا ورجاله الابطـــال لواءه في طرابلس الغرب تكرمت ابوة ذلك الاسد « زعيمة » البارونى فكتبت فصلا بأسلوبها القصصي تحت العنوان اعلاه ، وقدمته الينا تحفة نطرز بها الكتاب فرأينا ان ننضده هنا لمزيد اتصاله به . قالت اكثر الله من امثالها فى المحصنات الغافلات المؤمنات ، ما نصه :

« . . . عاد المجاهدون بتهاليلهم واهازيجهم الشجية تتقدمهم الموسيقى العربية الوطنية وصيحات السرور و « زغاريد » التشجيع تشق عنان السماء وتجعل لتلك المعسكرات الزاخرة بالايمان والاخلاص معنى غير المعنى الذي يراه اعداؤهم المغيرون فانتشرت جحافل المساء المعتدل النسيم على تلك الرمال الناعمة .

وبعد الاستعراض المعتاد عند رجوعهم من المواقع الحربية تفرقـوا الى معسكراتهم المتقاربة يجددون نوبة الحراسة ويؤدون فريضة العشاء جماعات سعيدة وكلهم يفيض بهجة وافتخاراً ، ثم انصرفوا يردون الزيارات لبعضهم ويسمـرون الى هزيع من الليل في مجالس لا تخلو من شاعر مجيد يسرد اخبار الجهاد المقدس ويصف عظمة النفس العربية المسلمة على انغام الطبول ويحتسون كئوس الشـاي الساخن فكأنهم يحتسون كئوس النصر الحقيقي المنشود من غير شك .

في خيمة الاجتماعات

تلك هي معسكرات « عـين زارة » الـكبرى حيث غصت بالمجاهدين من كل ناحية من نواحى البلاد وزخرت صفوفها بالشباب والفتوة والاقدام اقـدام

الفداءي الواصب على واجبه المقدس ، فكانت خيمة كبيرة تتوسط المحل اضيئت بفنارات مما يستعمله الجيش التركي اذ ذاك من فنارات الغاز الكبيرة وفرشت بالبسط الوطنية الجميلة ووضعت فيها الوسائد الكثيرة من صنع غدامس سيدة المصنوعات الجلدية الملونة من « ليبيا » من قديم . كما وقف حولها حراس من المجاهدين بسلاحهم مرفوعي الرءوس وكانت مكتظة بشخصيات وطنية يتجلى فيها العزم والوقار ويجمعها ايمان واخلاص عميق وهم من كل بلد ومن كل صوب كما كانوا من مختلف الاعمار ، تلك هي « خيمة الاجتماعات » فى تلك القيادة .

وصول الضيوف

جلس الكل ينتظرون دخول ضيوفهم بل اخوانهم الراحلين للساحة جديداً فقال احدهم انصتوا ، فأذا بصوت حماس يعلو منشدا :

استحسنت ابن ءادم ورملت « زاره » ومدفع ضرب بالكور والغباره
استحسنت حرب الكافر والسبيب عقد زي السبل جاء بظافر

الى ساحة الخلود

كبروا معجبين وهم يقولون « إيوه ونحن فيها » وما انتهى المنشد البعيد حتى قال احدهم وهو ينظر الى احد الزعماء اراك مفكراً كأنك تأثرت لموت ذلك الشاب المريض ! (١)

لم يمهله بل اجاب : كلا لم أتأثر عليه زيادة عن غيره ولكنه أعجبني خلوصه في نية الجهاد وقوله وهو يسلم الروح ممسكا بيدي « بالله عليك أتصح شهادتى ويقبل استشهادي وانا على فراش المرض ؟ »

---

١) تعنى الكاتبة الفاضلة بالزعيم هنا وفيما بعد والدها المرحوم البارونى باشا

بشرني — وربك ! انى عند مغادرتى لبلدتي رغما عن أبوي ـ وقد اغلقوا باب المنزل بعد ان اعطوا البدل ذهبا ـ علوت السطح فقلت لأمي « اريد الجنة يا اماه !! » فقالت : بني كن مجاهداً بمالك وطاعتك لأبويك اذ لم يبق لنــا غيرك ! قلت لها اني عقدت النية فلا تحولي بيني وبين ساحة « الخلود » فكيف الآن ؟ اتراني عصيتهم وحرمني الله مما انتويت ؟ ام ضعفت ولم اوف بعهدي تاما ؟

قلت له : هون عليك ! أليس الاعمال بالنيات ؟

قال وقد بدأته حشرجة الموت : نويت الشهادة في سبيل الله والوطن. قلت : ذلك ان شاء الله ، فهنيئا .

فكم راعني ما انجلى على محياه من نور جلل ذبوله وقد افتر ثغره على ابتسامة الرضى والسرور وهو يقول ويضغط على يدي : « ابشرك بالنصر النهاءي ونجاة شرفنا القومي من هوان العبودية » ثم نطق بالشهادة حسب إشارتي مشجعا واسلم الروح .

بعد سكوت قصير استأنف الزعيم كلامه بصوت جهوري ينم عن طيبة نفس وشجاعة قلب ومحبة للوطن لا تحد وقال :

صفحة الجهاد

« ان صفحات جهادنا مجيدة ونادرة والحمد لله . أنسيتم الشاب الذي استشهد عند وصوله الى سواني ابن ءادم واسرعنا اليه بين دوي المدافع ورصاص البنادق فوجدناه منطرحا ودماؤه الغزيرة تسيل من جرحه المميت وهو يقــول لاهنا : « بالله عليكم هنوني هنوني ، اثبتوا والله معكم ما ثبتم ايها الاسود »

فقد مات ويده المرتعشة في يدي فليتني سعدت بمعرفته قبل استشهاده اذ يظهر عليه انه اسد مغوار .!

فقال الجميع نعم — رحمه الله — فزاد الزعيم : ان الرسائل الواردة من

الخارج تشهد بمقدار تمجيد الناس لهذا الصمود ولـكن . . .

فقال احدهم ولـكن ماذا ؟ ألم ترتح نفسك لشجاعتنا واقدامنا في صبر ؟

انتفض الزعيم فى تؤدة لانه كان واثقا من اخلاص مواطنيه ، ثم اجاب كلا اني جد مسرور وفخور بل متفائل بما نكتبه من صفحات البطولة الصادقة . انما ادعو الله سبحانه وتعالى ان يمدنا بعونه .

زعماء الجنوب

ولم يتم جملته اذ دخل الحاجب الاسود فأخبر بقدوم الضيوف قائلا :

« سيدي » جماعة مشائخ القبلة .

هب الجميع يتقدمهم الزعماء الى خارج الخيمة يرحبون باخوانهم : اهلا وسهلا ـ مرحبا مرحبا ، تفضلوا ، شرفتمونا الخ

فتقدمت الجماعة المؤلفة من اشخاص يمثلون في الحقيقة زعامة الجنوب البدوية المملوءة بطبائع الورع والتقشف يضيء تلك الوجوه السمراء نور الايمان الصحيح واكثرهم فى ثياب بيضاء تعلو رءوسهم العمائم الناصعة الصغيرة كهالات موقرة او تيجان للكرامة الحقة .

محاورة بين المجاهدين

اجلسوهم في صدر المكان فدار الحديث المعتاد في مثل تلك المجالس المهيبة الى ان رجع القول الى موضوع « الامل فى الانتصار على العدو » فقال احدهم « ان الله لن يفرط فينا ان شجاعتنا ـ ببركة الصالحين ـ ستقهر اعداءنا وتخلصنا من شرهم »

قال اخر — والشجاعة تتوقد فى نظراته الثاقبة :

« ان جهادنا فى سبيل الدين والوطن انه لا مثيل له في هـذا العصر وقـد

ظن العالم اننا سنسلم قيادنا الى العدو من اول يـــوم وعنـد القنبلة الاولى فاذا والحمد لله جيوشنا تنساب في بسالة لا تقدر وتتجمع من اقاصي القزان الى السواحل عامة فتؤلف المعسكرات المنظمة الهائلة فتحير العدو وتتركه يجادل بعضه بعضا فى نتيجة هذا العجب .

امة كبيرة بعددها وعددها يصمد امامها قوم عراة الاقـــدام يتقاضون فى بعض الاحيان فريضة « الجندية » دقيقا !

فقال غيره « ببركة الصالحين ! فرد كبراء المجلس الذين كانوا من العلماء : « كل ذلك كان من فضل الله سبحانه وتعالى . »

قال ءاخر : ان التكبيرة الهائلة التى يطلقها المجاهدون عند الهجوم لعظيمة الاثر فيهم .

قد رأيت هذا بعيني عندما امرت بالتقدم قبل المعركة يـوم (المنشية) فبقيت قريبا الى ان وصل المجاهدون مكبرين فرأيت قائدهم كيف يجري هنا وهناك برهة ولم يسترد قواه الا بعد ان قربوا له جواده فقصد مأمننا للقيادة .

قال ءاخر من اهل الجنوب : لن تغيب البركات ان شاء الله فما ذلك الا لكرامة اوليائنا الصالحين وسرهم المقبول !

ألا تذكرون ان كل الجيوش لا تغادر مراكزها حتى تزور المساجد وتقبل الفاتحة وتشجيعات المشيعين .

من منكم شاهد دخول المجاهدين من المنطقة الشرقية لساحة الولي الكبير (سيدي عبد السلام الاسمر ...!)

فاجاب البعض راينا وحضرنا . قال أترون تلك الصيحات المنبعثة من الاعماق تذهب سدى ؟

انها توسلات تهز المكان هزاً ، فكلما صاح الجميع (يا سيدي عبد السلام

يا اسمر ! فارت دماء الحماسة فى القـلوب وتمنى الانسـان ان يكون معهم ويستشهد سعيداً او يبلي بلاء يتبعه النصر الاخير !)

قال غيره : نعم ان انتصاراتنا من الكرامات الخفية .

هنا دخل الخيمة رجل اسمر بعض الشيء وملثما فجلس بعد السـلام الخافت فظن اهل الخيمة انه من جماعة اخوانهم . وقال كبير من الجنوب « اننا نحـترم مشائخنا واولياءنا ولا نهزأ بطرقنـا ، أليس كـذلك ياحضرة الشيخ ؟ والتفت نحو الزعيم !

الزعيم يفض المحاورة بلطف سياسته

قال الزعيم : نعم لـكل امة تقاليدها ولـكل بلد عاداته ، والامـة العربية الاسلامية كلها بعض من بعض وكيف يا اهل هذا البلد العزيز ! فمـا الداعي للاستخفاف او التعجب خصوصا بعد ان جمعنا واجب الجهاد المقدس ومن فضائل هذا الاحتشاد تعارف اهل الوطن واطمئنانهم لعادات بعضهم بعضا .

الحقيقة النـاصعة

هنا قال زعيم اهل الجنوب اذاً ما جوابنا لمن يقول : ما هي الـكرامة الخفية لهذا الصمود المجيد والآمال الشاسعة في النصر الموعود ؟

فلم يمهلهم الضيف الاخير فرفع رأسه المطرق وازال لثامه عن وجهه قليلا ثم قال بصوت هاديء استجلب انظار الجالسين المؤقرة .

ان سؤالك عزيز يا سيدي الشيخ « احمد »

ويسرني ان يكون جوابي بما اراه ، نعم انا وحدي اذ الواجب حتم علينا التعاون ولو روحيا وسؤال مثلك من المواطنين الاجلاء لا يترك بـدون جواب روحي .

وقد تجاوبت اصداء الوطنية الكامنة في الارجاء فأقول :

ايها السادة — لنقل لاولئك اننا صمدنا وانتصرنا مرارا باذن الله وسننتصر للنهاية ان شاء الله كما قال عز وجل في كتابه العزيز وايد ذلك باحاديث نبيه الكريم (صلعم) ولا يضرنا نداء الصالحين قط . اما الكرامة الخفية فى هذه المواقف المخلدة بارك الله فيكم فهي من اخلاصنا فى الجهاد وصدقنا فى النيات ويقيننا في الاخاء وترفعنا عن حب الذات وايثارنا الوطن عن كل شيء وائتلافنا للخير وتضامننا للسعادة في الدارين كما اوصانا نبيئنا العظيم فى ايماننا الصحيح واعمالنا ونياتنا الشريفة ، ان كرامة جهادنا الخفية في كل هذا

فلنثبت ايها الاخوان الى آخر لحظة ، لنتحمل الجوع والعطش في سبيل الله والمبدإ القويم . لنفدي الاوطان بالارواح فاذا انتصرنا النصر المنشود فذاك جزاء المخلصين فان عجزنا «أتم عنه احد المشائخ : الملك لله » فقال في حزم وايمان يؤتيه من يشاء .

مكث دقيقة ثم قال وهو يرد لثامه كما كان ويطرق : « تلك هى الكرامة الخفية »

فقبل ان يجيبوا دخل الخادم بصينية فاخرة بها انواع من الحلويات فوضعها بين يدي الجميع فهتف الزعيم في حرارة وتبجيل (تفضلوا) وقربها لكبير الجماعة ثم اعاد كلمات الاكرام وقدم له قطعة فاخرة من الحلواء قائلا انها من هدايا اخواننا اهل (تونس) الخضراء وكلها مصنوعات اسلامية لاشك فيها فتناولها الشيخ باسما مطمئنا وهو يشير على رفقائه ايضا ويقول :

(بارك الله فى الجميع كل هذا من الكرامات الخفية)

الزعيم يمازح الضيوف

التفت صاحب الخيمة ليدعو الضيف الجديد فلم يجده فظن انه خرج لأمر وبعد انصراف الجماعة الى معسكرهم الخاص مشيعين باحسن مما قوبلوا من صفاء واجلال سأل الزعيم الخادم مستغربا .

لماذا خرج الرجل الاخير ؟ أكان من جماعة القبلة ؟

ولكن الخادم والحراس لم يفهموا شيئا عن ذلك اي رجل يقصد ؟ وبعد أخذ ورد اعترف الذين في خارج الخيمة بأنه لم يدخل اي غريب عن الجماعة واهل المعسكرات ولا علموا بوجود اي رجل على تلك الصفة التي وصفها لانهم يعرفون الجماعة باسمائهم والقابهم .

واخيراً ابتسم الزعيم وهو يتوجه الى خيمته الخاصة المتواضعة دون ان يدخل الموضوع في تفكيره مطمئنا لهم بقوله :

اني لم اشك في يقظتكم واخلاصكم انما تأسفت على عدم اكرامه مما وضعناه وقد يظن اني احتقرته مع اننا لا نعرف لاحتقار الضيف معنى . ثم ضحك ضحكة امل ومتمن من الله وحده وقال مازحا : لا تتوجسوا انه لن يكون جاسوسا قط انه من اصحاب الكرامات الخفية ، فليته يزورنا في كل حين ويشجع او يثبت لنا الكرامة الكبرى بخروج العدو الى البحر مدحورا .

الخادم يلاحظ في اخلاص

قال الخادم — وكان ممن تدربوا على خدمة الكبراء وحراسة عظماء البلاد منذ طفولته ولكنه امي ومن المقدمين مصالح اسرهم فى الواقع عن كل شيء . تحير مفكراً في عاقبة ذلك النضال من الوجهة الاقتصادية العامة . وان كان يهمه جانب البطولة والتضحية والصمود الى كل مكروه لملازمته لسيده قبل

الحرب و بعدها — قال : « بل ما يملأ المخازن بالخيرات يا سيدى ! لنرضي من فى البيوت والخزائن لنتسلح باكثر مما تسلح لنا عدونا اللعين » قال هذا وحمل سراجا يتقدم به سيده .

فقال الزعيم : انظروا الى العملاق المدعى الشجاعة .

انك اصبت يا محمد ونطقت بامنية الا كثرية فأنت من اخلصهم فسوف تنتقل قدسية الجهاد التى فى اعماقك من وظيفة مقابل مقررات ضئيلة الى عقيدة راسخة فيهون عليك الفقر وفراغ المخازن .

فقال الخادم وقد افتر فمه عن ابتسامة صادقة أنارت سواده المقبول: سيدى ارجو ان لا اكون تعديت ! وانت تعلم صراحتى وقد عودتني الاخاء الحقيقي الذى لم اره من رجالنا كلهم ، فانا كما تعلم ويعلم الله قد عاهدت النفس بأن لا اتركك الى ان تترك ميدان الكفاح بنفسك ولو بقيت معك وحدي .

فربت الزعيم على اكتافه العريضة وقال في جد (لا شك يا محمد لا شك)

روعة الايمان عند مواطن البلاء

او خاتمة الجهاد المقدس

بعد مدة سنتين وقف الزعيم يناول خادمه بعض ما تبقى لديه من الاشياء الخصوصية وهم يتركون (جندوبة) الى ءاخر .

والخادم يكفكف دموعه السخينة ويهمس :

سيدي ! اصبحت لا اطيق فراقك ان فشل القضية كلها وفشلي في اللحاق بك الى حيث يسلمك الله لمصيبة واحدة في نفسي ، لأترك بناتى واهلي الى اخوتي ، ولأذهب معك خادما امينا لك في ميادين جهادك في سبيل الله والوطن علمتنى معنى التضحية حتى تذوقتها في ركابك !

انك ثابت مخلص فدعني اثبت معك وأخلص في خدمتك لله .

هز الزعيم رأسه باسما رغم الكآبة الجاثمة على قلبه ورفع اليه بصره المهيب وأنامله تمر على وجهه الاغبر كأنها تزيل بعض همومه وقال :

« لا يا محمد ! لا يا محمد ! انك وفيت بما وعدت الى هذه الساعة ، وها انا ذا في الميدان المظلم وحدي فلا اريد منك اكثر ، يكفيك ما تحملت يكفي الجميع ما قاسيتم من شقاء جزاكم الله عن الوطن والدين خير الجزاء ، اما انا فكما علمت على عهدي باذن الله ..! »

فقال الخادم وهو يرفع بصره للسماء :

إلاهي اين رحمتك ؟ اين الكرامات الخفية !؟

فقال الزعيم :

الكرامة الباقية الآن هي ان لا يشمت العدو بشرفكم وان تعرفوا كيف تستسلمون للمقادير .

فقال محمد واصوات المدافع الجائرة تقترب :

ارجو ان يكون ذلك وان نستطيع النجاة مع هؤلاء النفر الخمسة عشر الى الحدود الغربية .

ثم ركبوا وليس معهم سوى ايمانهم بالله وتقديسهم للواجب .

بنت الوطن

زعيمة الباروني باشا

ثالثا — واما الطور الثالث فاليك موجزاً منه فيما يأتي :

ما كاد الباروني باشا يرجع من كفاحه المرير في اوائل سنة ١٩١٦ الى استامبول ويجتمع باهله واولاده واحبابه حتى اخذ يحرك دواليب الحكومة التركية لامداده بما يجب لاستئناف الجهاد من جديد ، حيث جد من الامور ما استوجب ذلك .

فكانت الدولة عند رغبته وزودته بما يجب ان يزود به قائد مثله . وتمهيدا للعمل ارسل اولا اخاه الشيخ يحي الباروني الى سواحل طرابلس في غواصة حربية ليتنطس له الاخبار ويفيده بكل ما هنالك حتى يعد لكل شيء عدته .

فجاء ونزل مصراطه فجال هنالك وقام بمهمته خير قيام فرجع وقص على اخيه الباشا جميع ما هنالك .

وعلى ضوء معلوماته استقل غواصة فى خريف ١٩١٦ ومعه اخوه الشيخ يحي . وهو يحمل معه هذه المرة اموراً هامة ثلاثة :

اولا — فرمانا في اعادة الدولة العثمانية لطرابلس الى حظيرتها والحاقها الى جملة ولاياتها .

ثانيا — فرمانا في تعيينه واليا وقومانداناً على طرابلس الغرب

ثالثا — تفويضه بالعمل لجمع اشتات الامة واسترجاع البلاد من ايدي الغاصبين الايطاليين ، على ان تمده بكل ما يلزم من اعتاد الحرب بواسطة الغواصات المتواصلة .

وصل مصراطة فتلقاه اهلها بما يقابل به القائد العظيم من الحفاوة والتكريم وعلى رأسهم البطل المغوار رمضان بك السويحلي او الشتيوي .

ولكن كيف كان الوضع الراهن فى طرابلس يومئذ ؟

اولا — فتن داخلية

ثانيا — حكومة استعمارية غاشمة جاثمة على صدر البلاد .

ثالثا — حكومة وطنية — سابقا — تلاشت اشلاؤها مبعثرة .

واجهت هذه المشاكل الثلاث سعادة الباشا عند وصوله مصراطه ، وقد اخذ على عاتقه ان يعالجها بما اوتي من قوة وايمان واحدة تلو الاخرى .

وعلى هذا نرى ان هذا الطور الثالث من جهاده يشتمل على ثلاثة اصناف :

اولا — الفتن الداخلية واطفاؤها ـ واليك بيانه قدر الامكان :

عندما وصل مصراطه وجد الطرابلسيين منقسمين الى زعامات محلية متنافسة فكان رمضان السويحلي يتزعم منطقة مصراطة ، واحمد المريض عل رأس ترهونة وعبد النبيء ابو الخير على ورفلة ، وخليفة بن عسكر على القسم الغربي من الجبل وقسم من الساحل ، والمهدى الزنتاني ومن معه على الجهة الشرقية من الجبل وقسم من الساحل الى فزان هذا من جهة ، ومن جهة اخرى كانت منافسات بين رمضان السويحلي بك وبين السادة السنوسيين حول سرت .

ماذا فعل الباروني باشا ازاء الحالة المضطربة ؟

١) كان اول ما فعل اثر نزوله مصراطه واقتباله الفخيم من اهاليها وعلمه بما بين مصراطه وترهونة من عداء ، انه اقسم ان لا يأكل من طعامهم حتى يصطلحا معا .

فاضطر اهل مصراطه — وهم في نشوة اللقاء — ان يعاهدوه على قبول اي صلح يعقده بينهم وبين ترهونة حتى يأكل من طعامهم ، وساروا في موكبه الى ترهونة ، فلما علموا ان الباروني سوف لا يأكل من طعامهم حتى يصالحوا اهل مصراطه نزلوا عند رأيه وصالحوهم فتم بذلك حقن دماء المسلمين .

٢) لما استقرت قدمه بمصراطه اخذ في مكاتبة الجهات برسائل اعدادا لنفوس الرؤساء والزعماء وابطال الجهاد الى تلقي رسالته التي جاء من اجلها اليهم

بحسن القبول . وهذا نص المنشور الـذى وجهه اذ ذاك الى ابنــاء البلاد في طرابلس : (١)

انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

عدنا — ولله الحمد — والعود احمد الى وطننا العزيز من دار الخـــلافة العظمى تحملنا عفاريت البحر السابحة فوق جبال الامـواج تارة وتحت عمق ٥٠ ذراعا في لجج اليم احيانا ، ترتعد هوام البحر من هديرها وتطيش ألباب الطيور فى الجو من صدى صواعقها ، تبطش بالاعداء بطش الملائـكة بالشياطين ولسان حالها يقول « الويل كل الويل لمن خالف ارادة (محمد رشاد) امير المؤمنين »

وتذكرنا بعهد نبيء الله سليمان بن داود الاواب الوارد في مدحه قوله تعالى (وسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث اصاب ، والشياطين كل بناء وغواص واخرين مقرنين فى الاصفاد هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب)

عدنا — ولله الحمد — ومعنا كل ما يلـزم ، واستقبلنا ابطال مصـراطه الكرام بكل سرور وابتهاج .

هذا ـ وقد تفضل أمير المومنين أيده الله فـأمر حكومته بالحاق طرابلس الغرب ـ بلادنا العزيزة ـ بالبلاد العثمانية ، واقتضت ارادته السنية إرسالي لأجل اجراء الترتيبات اللازمة ملكية وعسكرية . وتعهد بان يوالي المدد الى النهاية كما تطلعون على ذلك في منشوره العالي الشأن .

ونعرفكم من مركز مسلاتة بعد المذاكرة مع البطل الغيور رمضان بك ومن معه من الابطال عن المكان واليوم الذي يصير فيه الاجتماع العمومى إن شاء الله ، فانتظروا جوابنا .

---

١) حياة سليمان باشا ص ٧٣

والسلام على العلماء والافاضل والمشائخ ورجالكم الكرام .

١٩ ذي الحجة سنة ١٣٣٤ من اخيكم : سليمان الباروني

٣) عندما وصل الباروني باشا مصراطه كان الخلاف على أشده بين السنوسيين وبين رمضان بك السويحلي الذي لا يزال على ولاء للدولة العثمانية ، وكان السنوسيون قد ارسلوا جيشا فاحتل قصر « سرت » وشاع انهم ارسلوا جيشا اخر لمحاربة مصراطة وورفلة ، فدارك الباروني باشا الامر فأرسل على الفور الى السيد ادريس السنوسى كتابا يرجوه فيه الكف عن القتال حقنا لدماء المسلمين وهذا نصه (١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الى فرع الشجرة الطاهرة المجاهد في الله الهمام الكامل السيد ادريس السنوسي ابن السيد المهدي زيد قدره .

السلام على حضرتكم — اني على ما تعهدون مني من المودة لا أنسى مكارمكم وان بعدت الديار .

هذا -- وقد وصلت مصراطه مرسلا من لدن حكومتنا السنية بطلب من الاهالي بعنوان : « والي وقومندان طرابلس » ولدى وصولي المركز وصل الخبر بأن قوة قدمت من جهة برقة تحت القايمقام موسى بك واحتلت قصر « سرت » بعد ان بارحتها قوة الزاندرمة والدرك التى هنالك من طرف رمضان بك السويحلي باسم « الدولة العثمانية » فبادرت بارسال جواب الى موسى بك والشيخ صالح الاطيوش لانه بلغني انه مع القوة المذكورة فجاء الجواب من الشيخ صالح مبينا فيه انه ما قدم الا بامر من سيادتكم ومن انور باشا بعنوان « متصرف سرت »

---

١) حياة سليمان باشا الباروني ص ٧٨

فتأسفت لانه كان أول امر اصدرته متعلقا بتجهيز قوة لمقابلة تلك القـوة المنسوبة اليكم ، الا انني امرت قومندان القوة ان يتحاشى ما امكن الدخـول فيما يكـدر الخـواطر بين بني وطن واحد ودين واحد . رجاء ان تتخلى القوة مختارة عن القصر بعد ان يبلغها المنشور السلطاني الذي ارسلناه اليكم .

وبناء عليه ـ ارجوكم المبادرة الى تسوية هذه المسألة ، ان كانت حركتها صادرة منكـم ، حتى لا تخيب فيكم ءامال الحـكومة التى زادتكم شرفا باعطائها اياكم منصب « باشا وياور الحضرة الشاهانية » .

وها اناذا انتظر جوابـكم المحترم ودمتم .

٢٧ ـ ٢٨ ذي الحجة ١٣٣٤ سليمان الباروني

جواب السيد ادريس السنوسي

على أثر وصول جواب الباشا الباروني اليه اجابه بالرد الآتي : وهذا نصه (١)

جناب والي طرابلس الغرب وقومندان (الشيخ سليمان بك الباروني) حفظه الله .

بعد اهداء السلام وتحيات كرام ـ قد وصلنا كتابكم وسرنا قـدومكم اذ بسببه نأمل الخير العام . وذكرتم نزول عساكرنا بسرت فصحيح ذلك قبـل قدومكم اذ كانت الفتن مشتعلة بين السويحلي وترهونة ، فأجبرنا الحـال ان نطفئها بأي سبب كان كما قال الله تعالى (وان طائفتان من المؤمنين اقتتـلوا فأصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التى تبغي حـتى تـفيء الى امر الله فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل)

فارسلنا الجيش ونزل بسرت من دون اذن احد فحين سمع به انفار الزانـدرمة الذين به فروا من دون موجب .

---

(١) حياة سليمان باشا ص ٧٩

وها نحن أمرناهم - يعني عساكرنا - بان يقفوا بالقصر واتم امنعوا كل سفيه من اي عمل يشين سمعة الاسلام امام العدو . نحن لا غرض لنا الا الاتحاد الاسلامي وتخليص رقاب المسلمين فقط ، كما اننا نأمل من جنابكم معاونتنا على اطفاء الفتن بين المسلمين وشدة الضغط على الاعداء ، كما انكم جديرون بذلك ونحن وانتم لا فرق بيننا كلنا مقصدنا شريف ومحاربون اعداءنا تحت الراية الاسلامية العثمانية ، ونرجو الله ان يكون عون الجميع بجاه النبيء الشفيع صلى الله عليه وسلم .

واقبلوا تحياتي . ٨ محرم سنة ١٣٣٥ محمد ادريس بن السيد المهدي

٤ - مواكب البارونى باشا

فى اتجاهها الى حيث العزة والسيادة

بعد ان اطفأ سعادة الباروني باشا الفتن الداخلية بين السنوسيين ومصراطه على الوجه المرضي وزال خطر الحرب الاهلية بفضل حسن نية الفريقين ورغبتها فى الوئام ، غادر الباروني مصراطة ومعه اعيانها وكبارها الى يزليتن فاستقبله السكان بكل ترحاب وتلوا على مسامعه خطبا وقصائد ، واعلنوا انضمامهم الى الحكومة الجديدة التى جاء لتأسيسها .

ثم غادر يزليتن ومعه وفودها ووفود مصراطة الى مسلاتة حيث يقيم رمضان السويحلي فوافته وفود من جميع انحاء الولاية ، ما عدا ترهونة وكانت في حالة حرب مع مصراطة ، وبتلك الوفود كلها تقدم الى ترهونة لمقابلة احمد المريض بك لعرض الصلح عليه ، وذلك بعد الاتفاق مع رمضان بك فاستقبلهم بالحفاوة وقبل الوساطة والصلح ، وبعد ساعة قرر سحب القوات الحربية والمحاربين فصار الجميع الى مسلاتة مخترقين ميدان الحرب فعلا الهتاف من الجانبين وجهروا بالتكبير والدعاء .

وسارت الوفود الى العزيزية ، مارة بترهونة فكان الجميع فى استقبال تلك الوفـــود (١)

٥ - دعوة عامة من البارونى باشا

ثم انه لما وصل مركزه الاصلي العزيزية هو والوفود الذين معه ارسل الى كافة المسئولين في الولاية دعوة عمومية لحضور تلاوة الفرمان السلطانى فى العزيزية بتاريخ ٤ صفر ١٣٣٥ ، وهذا نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم - وصلنا العزيزية يوم الخميس الموافق ٤ صفر بعد ان اتممنا الصلح بين ترهونة وجهة الشرق والحمد لله ، ويوم الجمعة الموافق ١٢ صفر ستكون قراءة الفرمان الشاهانى بقصر العزيزية فيكون حضوركم قبله بيوم او يومين ان شاء الله .

والي وقومندان : سليمان البارونى

نعم — هناك وفي نفس الموعد قرئ الفرمان السلطاني الصادر بضم طرابلس الى بلاد الدولة العثمانية وبتعيين البارونى باشا واليا عليها ، وبتفويضه تفويضا مطلقا من الدولة العثمانية لتحقيق تلك الاهداف العالية .

ثم رفع العلم العثماني فوق خشبة العلم الايطالي بين دوي المدافع وانشاد القصائد وهتاف الهاتفين .

ثم بذل جهده ونفوذه وما زال يروض جماح الجامحين ويصلح بين الزعماء المتنافسين حتى تسنى له جمع الكلمة وتوحيد القلوب على قاعدة تولية كل واحد من الزعماء المنطقة التى تخضع له على ان يتبع هو حكومة المركز وينفذ تعليماتها وأوامرها (٢)

---

١) حياة سليمان باشا ص ٨٥ ٢) منه ص ٧٤ وص ٨٦

ثانيا — التنظيم الداخلي ، واليك موجزه :

لما فرغ سعادة الباشا من اطفاء الفتن الداخلية كما اشرنا اليه ، تفرغ للتنظيم الداخلي وارجاعه الى نصابه فأعاد تشيكلات الولاية الى ما كانت عليه سابقا في العهد العثماني وعين كل رئيس حسب سعة منطقته متصرفا او قايمقاما واختار بقية الموظفين ملكيين وشرعيين ، وسارت الامور على هذا المنوال ، لو ساعدت المقادير لكان لطرابلس خاصة ولشمال افريقية عامة منذ ذلك العهد شأن عظيم من الامن والرخاء والازدهار .

ثالثا — تنظيم واجهة الحرب ضد ايطاليا

لما اتم الباشا الباروني الامرين السابقين العظيمين : اطفاء الفتن الداخلية ، واعادة النظام الداخلي فى البلاد تفرغ الى توجيه قوات الامة الطرابلسية كلها وتنظيمها في جبهة تمتد من حدود مصراطة الى مركز زوارة على حدود تونس لقتال الايطاليين الذين كانوا يرابطون بالساحل وخصوصا فى مدينة طرابلس فاغار عليهم اغارات منظمة شديدة ، حتى اضطرت هذه الحروب المتواصلة ايطاليا الى حشد كثير من القوى العسكرية المسلحة بالدبابات والطائرات والسفن الحربية وما كانوا يحجمون عن رمي المجاهدين بالغازات السامة وقنابل التدمير وحرق المزروعات .

وقد جن جنون الايطاليين لحشدوا ازاء ٢٠ الف مجاهد من المسلمين عدد ١٢٠ الف مقاتل من الجنود الايطاليين المسلحين كما صح ذلك عند الباشا نفسه يقوم سعادة الباشا بادارة الحرب على المنوال السابق ويقوم معه بازاحة ما بقي من الشغب حتى تتكتل الامة كلها تحت الراية العثمانية لمواجهة عدو الاسلام والبلاد ـ ايطاليا ـ

ومن ذلك ما كتبه الى السيد عابد السنوسي لما بلغه من مناواة بعض

أقاربه لماموري الدولة العثمانية ، ونصه (١)

« . . . فرع الشجرة المباركة المجاهد المحـــترم السيد محمد عابد السنـوسي حفظه الله وسلمه . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

انا نحمد الله ، واحوالنا فى غاية ما يرام ، وقد عمرت كافة المناطق الحربية بالعساكر النظامية ، وكثرت الخيرات : جبخانه ـ خرطوش ـ وسلاح ودراهم وكسوة وما كينات لخدمة الجبخانة والبارود . وكل ذلك بـواسطة الغواصات التي لا زالت ترد تـلو بعضهـا البعض ولا تزال تحاصر مـدينة طرابلس والخمس وزوارة ومدن تونس والجزائر حتى قطعت الطرق على الاعداء واصبحوا فى قحط وحصر براً وبحراً والحمد لله .

كدرني جداً ما هو جار بين قريبكم الشيخ علي الاشهب وماموري الدولة وما كـنت اظنـكم ترضون ذلك او تساعدون عليه مع ما انتم عليه من المرتبة عند الدولة وما انعمت به عليكم من الرتب والنياشين .

وقد كتبت الى الباب العالي في دفع التهم عنكم وكل ما قيـل في حقـكم للدولة ، وكل ذلك اعتمادا مني على جـواباتـكم وحسن ظني بكم ولـكن مع الاسف خاب الظن والامر لله .

فان لم تتداركوا الحالة بكـشف أيدي المعتدين عن الاماكن المرفوع عليها العلم العثمانى المقدس ولواء فزان وتبرءوا انفسكم من ذلك بجـواب الينـا نرسله الى الباب العالي ، فان الخرق يتسع وتسلك الـدولة معكم مسلـكا لا يليق بشرف عائلتكم ، والله الهادى الى سبيل الرشاد .

١٨ شوال سنة ١٣٣٥ هـ   فى الزاوية   سليمان البارونى

---

١) حياة سليمان باشا ص ٨١

رسالة تاريخية خطيرة (١)

من السيد احمد الشريف السنوسي
الى سعادة الباروني باشا

لمناسبة هذه الظروف الطافحة بالاعمال الخطيرة نسجل هنا رسالة تاريخية خطيرة من السيد احمد الشريف السنوسي الى سعادة الباروني باشا ، يظهر من فحواها انها جواب لرسالة كتبها الباروني باشا الى السيد احمد الشريف في مهمات خطيرة من بينها قضية السيد محمد عابد السنوسي التي عالجها في الرسالة السابقة ، ونحن نأسف اذ لم نقف على نص رسالة الباروني باشا للسيد احمد الشريف ، وهذا نص الرسالة :

« . . . انه من عبد ربه مملوك استاذه ، ونائب امير المؤمنين في افريقية ووزيرها احمد الشريف السنوسي .

حضرة صاحب العطوفة المحترم والي وقومندان طرابلس الغرب سليمان بك الباروني ادام الله علاه وابقاه .

السلام عليكم ورحمة وبركاته ومرضاته .

اما بعد — فقد وصل كتابكم الكريم يحمل تهانيكم بما تفضل به على شخصي الضعيف مولانا الخليفة الاعظم أيد الله سلطانه .

واني أشكركم من كل قلبي على حسن ودادكم وكريم سجاياكم واني انتهز هذه الفرصة فأزف لكم عبارة التهاني والتبريك بما ولاكم اياه جلالة السلطان الاعظم من ولاية طرابلس ، فنعم الرأي الذي أحلكم هذا المقام ولا زلتم حائزين لثقة مولانا امير المؤمنين ووفقكم الله لخدمة الدولة والملة على الوجه الاكمل ، وان يتم الاصلاح المرغوب فيه على ايديكم .

---

١) حياة سليمان باشا ص ٧٩

وسرنا ما ذكرتموه من حصر العدو في استحكاماته والتضييق عليه ، زاده الله ضيقا واعانكم على التخلص منه .

اما ما ذكرتموه من امر العدو فى الجهة الشرقية فلا اخالك لا تعرف من ذلك ما لا يعرفه غيرك من انى لو استطعت لقضيت عليهم وطهرت الارض منهم اليوم قبل باكر ـ الغد ـ وتعرف ايضا انه ما تمكن بما تمكن منه الا بعد حركتنا نحو مصر ، ولولاها كنا قذفنا به اليوم في البحر ، ومـــا كان له أثر ولا خبر . ولكن تلك الحركة ولو انها افادت الدولة والملة من وجوه كثيرة وشغلنا بها اكبر عدو لمقام الخلافة ناواها العديـــد من السنين الا انها كانت سببا لنفوذ الطليان الذي لا يتألم منه احد اكثر مما أتألم منه . ولو ان لي به قوة ما تأخرت يوما عن مناواته ، ولكن ماذا افعل وانا صفر اليدين من كل شيء بعد هذا الجهاد والحمد لله ؟

اما أنتم مع الاستعداد التام بتتابع الغواصات عليكم امام عدو واحد أسال الله ان ينصركم عليه ونحن مع عدم كل شيء حتى ستر عورات العساكر امام ثلاث قوات مستعدة لأقل حركة تبدو منا فلو لم نقابلها بقوة مثلها واستعداد كاستعدادها ربما وصل اذاها حتى جبهتكم .

اما ما ذكرتموه من خصوص السيد محمد عابد فمهدي به أنه أبعد الناس عن التعرض لمناهضة الدولة ، وعسى ان تظهر الحقيقة ببراءته من كل ما نسب اليه .

وفي الختام تقبلوا احتراماتي وتسليماتي وبلغوها لكافة اللائذين بالمقـــام واخوتكم المجاهدين الابطال . ودمتم والسلام

٥ ذي القعدة سنة ١٣٣٥ احمد الشريف

وهكذا يستمر سعادة الباشا الباروني في هذا الطور الثالث من جهـــاده يدير دفة الحرب مع ابطاله ضد ايطاليا من جهة ويوطد العلائق ويربط الصلات

بين رؤساء وزعماء طرابلس - برقة - من جهة اخرى ، حتى تلتحم قوات المواطنين وتتوحد الجهود ضد عدو واحد ـ ايطاليا ـ الامر الذي غبطه عليه وشكره وسأل الله له به النصرة على العدو ، وهنأه به الشيخ الاكبر السيد احمد الشريف السنوسي في رسالته العظيمة .

سؤال

يتساءل الاخ الباحث ما هو وجه الجمع بين رسائل السادة السنوسيين الى سعادة الباروني باشا الطافحة ودا واخلاصا وتقديراً واحتراماً ، وبين ما مر ذكره من معاملاتهم السيئة له في جملة الضباط الاتراك وغيرهم ؟

نقول : اننا علمنا شيئا وغابت عنا اشياء وان ما علمناه عن هذه الظروف وملابساتها يستدعي طولا قد يخرجنا عن خطتنا المرسومة لهذا الكتاب . .

وحسبنا ـ هنا ـ ان نحيل الاخ الباحث فى كشف اللثام عن تلك الغوامض وفي تمحيص الحقائق من بين اكوام الحوادث الى كتاب المرحوم الباروني نفسه « تاريخ الحرب في طرابلس الغرب » كما مرت الاشارة اليه سابقا .

وجوه العبرة من هذا الطور !

١) مبلغ القوة المادية والمعنوية التي جاء يحملهـا الباروني باشا من الدولة العثمانية الى بلاده فى هذا الطور .

٢) الادوار العظيمة التي قام بهـا بموجب تلك القوة وذلك النفوذ : من اطفاء الفتن الداخلية ، واعادة نظام البلاد من جديد ، وتنظيم خطة الحرب ضد ايطاليا ومواجهة ٢٠ الف مسلم لـ ١٢٠ الف ايطالي

٣) الاوج العظيم الذي بلغه الباروني باشا فى هذا الطور ممـا ترتعد منه الفرائص ويرجع الرشد والصواب الى رءوس العتاة ، كما يستشف ذلك من اعماله

ورسائله .

٤) مبلغ اخلاصه وخدمته لدولة الخلافة واعادة هيبتها ونفوذها الى نفوس الذين زاغت قلوبهم عنها او كادت ما دام يرى فيها نفعا للعربية والاسلام .

٥) تساميه عن العنصريات والطائفية وعن سائر الحزازات ، وجعله مصلحة الاسلام ومنفعة المسلمين العامة فوق كل مصلحة وفوق كل منفعة .

٦) بطولته في ادارة الحرب ، ولطف سياسته في توطيد العلائق وتمتين الصلات فى ءان واحد بين رؤساء طرابلس - برقة .

٧) ايام كان الباشا البارونى يحلق فى هذا الجو العالي يعتذر له صاحب المقام الرفيع الشيخ احمد الشريف السنوسي عن مواصلة الحرب فى الشرق للاسباب التى ذكرها في رسالته السابقة ، وينتبذ جانبا الى واحة الكفرة تاركا خلفه ابن عمه المحترم السيد ادريس يعقد اتفاقا مع ايطاليا وانقلتيرا على شروط لا محل لها هنا (١)

---

١) حاضر العالم الاسلامى ج ١ ص ١١٨ طبع المطبعة السلفية ، تعليق امير البيان شكيب ارسلان .

تأسيس دولة جمهورية فى طرابلس

لو كان الطوران الاخيران من جهاد الباروني باشا وابطاله بطرابلس سنابل لمزرعة الكفاح لكان تاسيسهم لدولة جمهورية فيها لبابها ، ولو كانا ثماراً لحقل النضال لكان انشاؤهم لها عسلها . فهو الغاية الاسمى والمثل الاعلى .

نعم — ان حروب ١٩١١ - ١٩١٢ - ١٩١٣ تعد ازاء ما بعدها مجرد حوادث ازاء الخوارق المدهشة ، كما عبر عنها المرحوم الباشا نفسه بقوله :

واما جهادهم العظيم مدة الحرب العامة من سنة ١٩١٤ الى سنة ١٩١٩ وما كان فيه من خوارق العادة . . الى قبول الصلح على القانون الاساسي المشهور المعطل الآن فسنفصل اخباره ووقائعه المدهشة مع حوادث ١٩١١ - ١٢ - ١٣ فى « تاريخ الحرب في طرابلس الغرب » (١)

كيف كان انشاؤها ؟

فى اواخر الحرب العالمية الاولى ، وقد كانت الاستانة على وشك السقوط تلقى القائد العام العثمانى الامير عثمان فؤاد - وهو فى مصراطه - اشارة لاسلكية بأن الدولة ستسلم وان غواصة ستصل اليه فى تلك الليلة فيسافر فيها فبادر الى طلب الباشا البارونى ، وهو اذ ذاك فى غريان فجاء على جناح السرعة ، فلما اجتمعا اطلعه على ما حدث واخبره بانه مصمم على السفر ، فقال له الباروني باشا : اما انا فلا افارق اخواني الى ان نحصل على نتيجة ان شاء الله .

وبعد ان ودع الباروني الامير عثمان فؤاد ، ولكن الامير عثمان عدل عن السفر بعد لخطورة الحالة ، عاد الى مصراطه فاجتمع برمضان بك السويحلي وكان مضطربا فبادره بقوله « انك يا باشا - لم تخيب فيك ظننا اذ لم تسافر فلا عذر

---

١) حياة سليمان باشا ص ٦٨ الطبعة الاولى

لك في تركنا ونحن على ما ترى . فاجابه الباروني قائلا : اني معكم الى النهاية الا انه لابد من انشاء حكومة وطنية بلا تردد ولا امهال بشرط ان تكون رئيسها . فقال رمضان بك : دع الرئاسة جانبا فاني ارى ان تكون لنا حكومة جمهورية تتألف من اربعة اعضاء فقط : انت واحمد بك المريض وعبد النبيء بك بالخير وا كون رابعكم على ان تكون انت الوالي كما كنت في السابق .

فأجابه الباروني باشا بقوله : لا - انما اكون كالسابق في منطقة الحرب قريبا من الذي نعينه قائدا للجيش الجمهورية .

فقال هذا انا موافق عليه من الآن الا أني اخاف ان لا يوافق المريض على مواصلة الحرب فأجابه الباشا قائلا : انه احرص مني ومنك على استمرارها الى ان نصل الى نتيجة ، فقال رمضان بك : اذاً لقد تم الامر . ثم ذهب الباروني باشا مسرعا الى مقره - الزاوية - لتقوية عزائم المجاهدين ودعوة الاعيان الى عقد اجتماع عام فى مسلاتة لعرض مشروع الجمهورية عليهم (١)

الاجتماع العام في مسلاتة

زار الباروني باشا ترهونة فقابل رئيسها السيد احمد بك المريض فذكر له جميع ما جرى فى مصراطه مع رمضان بك فوافق عليه فدعوا الاعيان الى الاجتماع في مسلاتة فجاءوا من جميع اطراف البلاد ، فعقد الاجتماع العام فى جامع مسلاتة ، وبعد اخذ ورد حصل الاتفاق على انشاء الجمهورية وعلى اختيار الاربعة المذكورين من قبل لمجلس ادارتها .

وعلى انشاء مجلس شوري للجمهورية يتألف من ٢٣ عضواً يمثل سائر مقاطعات طرابلس .

ثم زادوا فاختاروا مختار بك كعبار ليكون رئيسا لمالية الجمهورية

---

(١) حياة سليمان باشا ص ٩٠

الشروع في العمل

بعد ما انفض الاجتماع العام الاول اجتمع على الاثر اعضاء مجلس الجمهورية الاربعة فاتفقوا على تحرير نصوص البلاغات الى من يأتي ذكرهم :

١) الى انحاء الولاية اعلانا بقيام الجمهورية

٢) الى الضباط الوطنيين

٣) الى رئيس الحكومة الايطالية

٤) الى رئيس الوزارة الانقليزية

٥) الى رئيس الحكومة الفرنسوية

٦) الى الرئيس ولسون - اميريكا -

اما البلاغ الاول الى انحاء الولاية فهذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم

في الساعة الرابعة ونصف من يوم السبت المبارك الثالث من شهر صفر الخير عام ١٣٣٧ ﻫ قررت الامة الطرابلسية تتويج استقلالها باعلان حكومتها الجمهورية باتفاق آراء علمائها الاجلاء واشرافها واعيانها ورؤساء المجاهدين المحترمين الذين اجتمعوا من كل انحاء البلاد ، وقد تم انتخاب اعضاء مجلس الشورى الطرابلسي وانتخب اعضاء مجلس الجمهورية ، وافتتح اعماله بتبليغ اعلان الجمهورية الى الدول الكبرى عامة والى الدولة الايطالية خاصة

صورة اليمين

وهذه صورة اليمين الذى أداه الحاضرون مع اعضاء الجمهورية والمجلس الشوري في الاجتماع العام في جامع مسلاتة :

« اقسم بالله العظيم قابضا بيدي هذا القرءان الكريم ان أجعل نفسي

ومالي فداء لوطني وحكومتي الجمهورية الطرابلسية وان اكون لعدوها عدوا ولصديقها صديقا ولقانونها الشرعي مطيعا .

وان الامة الطرابلسية تعتبر نفسها حائزة لاستقلالها الذي اكتسبته بدماء ابنائها وقوتها منذ سبع سنين وسعيدة بالوصول الى هذه الغاية التى هي اشرف ما تصل اليه الامم وتهنىء ابنائها بتمام نجاحهم واتحادهم على الثبات التام فى الدفاع عن وطنهم وحكومتهم الجمهورية الجديدة . والتوفيق بيد الله تعالى وحده .

١٣ صفر سنة ١٣٣٧ — ١٦ نفامبر ١٩١٨

سليمان البارونى — احمد المريض

رمضان الشتيوي — عبد النبيء بلخير

واما البلاغ الموجه الى الحكومة الايطالية فهذا نصه :

١) تفتخر الامة الطرابلسية بتتويج استقلالها باعلان الحكم الجمهوري وانتخاب نواب عنها من كافة انحائها لمجلس الحكومة والشورى ، ولا هدف لها الا ضمان وحدتها وحريتها داخل حدودها السياسية المعروفة ، ولا تقصد الا ان نعيش عيشة هنيئة مسالمة لجميع الامم التى لا تحاول غصب حقوقها .

٢) لذلك ندعو الحكومة الايطالية الى الاعتراف بها وسد كل باب يضطر الحكومة الطرابلسية الى مداومة الحرب الى ان تحقق أملها المشروع .

١٣ صفر ١٣٣٧ (١)

ملحق لهذا البلاغ

اذا قبلت المواد الآتية ووضعت فى موضع الاجراء فالحكومة الجمهورية الطرابلسية مستعدة للبحث مع الحكومة الايطالية فى عقد صلح تبعا للقواعد الآتيـــة :

---

١) حياة سليمان باشا ص ٩٣-٩٤

١) في حال دوام المذاكرة يجب على كل من الطرفين المحافظة على مواقعه بصورة هدنة .

٢) لا تقرب السفن الحربية من السواحل الغير محتلة بالعساكر الايطالية .

٣) لا تتجاوز الطيارات حدود الاستحكامات

٤) لا تقع مخابرة خصوصيه مع أي احد كان لا من جهة المنـــاطق الحربية ولا من غيرها .

٥) تقطع كل ما فيه وسيلة للاختلاط بالاهالي من طرف الحكومة الايطالية كأخذ وعطاء البضاعة وتوزيع الاعلانات على أي صورة وبأي طريقة كانت .

٦) المخابرات الرسمية والدخول والخروج لا يكون الا من الموقع الذي يصير تعيينه فى منطقة الخمس من طرف الحكومة الطرابلسية .

٧) الحكومة الجمهورية الطرابلسية مستقلة فى شئونها وحركاتها تمام الاستقلال وغير مسئولة بأي قيد او شرط تضعه حكومة اخرى او تتعهد به الحكومة الايطالية في طرابلس .

٨) ضباط الترك والالمان والنمسا الموجودون فى داخل طرابلس هم بمنزلة ضيوف عند الحكومة الطرابلسية ، ولا نسمح بسفرهم الا بصورة تكفل منفعة وشرف الامة الطرابلسية وحكومتها الجمهورية .

٩) بما ان الامة الطرابلسية لها الحق في اظهار صوتها للعـــالم الانساني وبالخصوص الحكومات الموجودة قناصلها فى مدينة طرابلس مثل انكلتيرا وفرنسا واميريكا فعلى الحكومة الايطالية قبول وايصال ما يرسل من الحكومة الطرابلسية اليها بدون اطلاع عليه واخذ سندات من القناصل المذكورين وارسالها الى الحكومة الطرابلسية ، حتى لا تضطر الى اتخاذ طريقة اخرى لمـــواصلة مخابراتها المذكورة .

ماذا كان رد فعل هذه البلاغات ؟

اما من تركيا فقد أرسلت من طرفها اكرم بك بن رجب باشا الوالي والقائد السابق في طرابلس يحمل منها توصية لتنفيذ قـــرار الهدنة فاجتمع بالزعمـاء فى العزيزية وهو معزز بالوكالة الايطالية من طرابلس ولـكنه اخفـق في محـاولاته ورجع الى الاستانة بخفي حنين .

واما من ايطاليا فقد رمت طياراتها ـ اولا ـ اثر نشر البلاغ منشـوراً طويلا كله تهديد ووعيد . كما ارسل الجنرال تارديتي مع اكرم توكيلا لان يصرح عن اذن ايطاليا لسعادة الباروني باشا بما يلي : « . . . نظـراً الى كون حضرة سليمان البارونى قد عين قبل نشوب الحرب الاروبية عضـــوا فى مجلس الاعيان للدولة العثمانية لا تصير له صعوبة في ان حضرته المومى اليه سيركب على سفينة للتوجه الى الاستانة العلية والاقامة بتركيا مع كونه من ابنـاء القطر الطرابلسي . عن طرابلس الغرب في ٨ فبراير ١٩١٩

رئيس دائرة السياسة العسكرية

الجنرال تارديتى

كما حمل منه في هذا المعنى منشوراً عاما لزعماء طرابلس لمن شاء منهم ان يترك طرابلس ويتوجه الى حيث شاء فله الحرية التامة في ذلك الخ اي فليرحلوا بحرية من وطنهم .

ولكن تبخرت هذه التوصيات وهذه الوكالات كما أشرنا اليه امام الارادة الـــوطنية .

ما هي اعمال الجمهورية ؟

بعد الجلسة الاولى لأعضاء مجلس الجمهورية ونشر تلك البلاغات واصل الاعضاء اجتماعاتهم في مسلاتة فأنجزوا الاعمال الآتية، لانهم جادون غيرها زلين :

١) ألغوا المجلس الشرعى الاعلى واختاروا اعضاءه .

٢) اقروا بعض المؤظفين في وظائفهم ونقلوا بعضهم .

٣) عينوا للمتصرفيات والقائمقاميات المنحلة مؤظفيها .

٤) وضعوا الميزانيات الجديدة للدولة .

٥) عينوا للقيادة العامة لجيوش الجمهورية أمير اللواء الفخرى عبد القادر الغناي البنغازي ، وتوجه معه البارونى باشا الى مركز الولاية (الزاوية) ليبلغ الضباط والمجاهدين تعيينه وقد تم كل ذلك بسهولة .

٦) قرروا إقامة الضباط العثمانيين مع الامير عثمان فؤاد في غريان على أنهم ضيوف لا شأن لهم في شيء ، واما البارون الالماني مدير اللاسلكي فقد اختار الاقامة فى يفرن مع رجاله .

الدخول فى المفاوضات

الآن اذ رأت ايطاليا انها اصبحت امام الامر المقضي وأن أمر الجمهورية الطرابلسية لابد الى استقرار ، وان حل القضية ان لم يكن بالسلم فلا يكون بالعنف . هنا جنحت الى الدخول مع الجمهورية فى مفاوضات ، فاستدعت فرحات بك مبعوث طرابلس السابق ، وأملت عليه كتابا الى بعض الرؤساء يدعوهم فيه الى الدخول فى مذاكرات الصلح مرفقا بكتاب من القائد الايطالي الجنرال « بانكانو » مؤرخ فى ٢٦ فيفرى سنة ١٩١٩ ، وهذا نصه : (١)

---

(١) حياة سليمان باشا ص ١٠٠

« . . . الى المحترمين الافاضل رمضان بك الشتيوي واحمد بك المريض وسليمان بك الباروني ومختار بك كعبار وعبد النبي بك بلخير والهادي بك كعبار والحاج محمد بك فكيني وعلي بك بن تنتوش دام مجدهم - امين .

من بعد اهداء السلام عليكم ، اعلمكم ان حضرة الجنرال تارديتي رئيس دائرة السياسة العسكرية كان ارسل اليكم مكتوبا وذكر فيه تقريبا ما هو مذكور ادناه ، وهو ان الحكومة الايطالية بيدها سلاحها وجيشها حاضر ، وتعلم كذلك انكم حاضرون ، ولكن قبل انصباب الطرفين فى المعارك رأت واجبا عليها وعليكم حسم كل شيء سلما لكي لا تسفك الدماء .

ثانيا — وانا اظن ان في الامكان فهم المشاكل بحضور الطرفين والمكالمة تفصيليا وبكمال الحرية .

ولأجل هذا فأنا اسأ لكم الاجتماع وأظن أن رجالا مثلكم عقلاء ومدربون لا يمتنعون من هذا ولا أظن انكم تحملون وجدانكم سفك الدماء المأفون . واننا ننتظر اشعاركم اين ؟ وكيف ؟ ومتى تكون الملاقاة ؟ هذا قد كتبه لكم الجنرال تارديتى وانا أعيده لكم على لسان الجنرال تارديتى بارساله لكل واحد منكم مكتوبا لان مكتوبا واحدا محتمل ضياعه وايضا يضيع وقت كبير في قراءته من طرف كل واحد منكم

واعرض على الجميع سلامي واحترامي

الجواب يكون الى الجنرال تارديتي بطرابلس .

زنزور — في ٢٦ فيفرى سنة ١٩١٩ الجنرال « بانكانو »

جواب الجمهورية

لما وردت الرسالة السابقة الى اعضاء الجمهورية اجتمعوا وارسلوا الى الجنرال « تارديتي » الجواب التالي :

بعد السلام وصلنا جوابكم الموجه الى بعض رؤساء طرابلس المحترمين في طلب الاجتماع للمذاكرة فيما يحصل به الاتفاق ويزول سوء التفاهم وتحقن الدماء ويكون أساسا لسيادة البلاد في المستقبل ، وطلبتم فيه تعيين المكان بسرعة فوق العادة .

وبما ان مساعي رجال البلاد والهيئة الحاكمة الوطنية مصروفة الى نيل هذه المقاصد فلا شك انهم سيقبلون هذا الطلب بنية خالصة خصوصا حيث كان صدوره من جنابكم املا في حصول النتيجة . ولذلك صار طلب حضور بقية الرؤساء الى العزيزية بسرعة مع رسل مخصوصة وبعد ستة ايام يأتيكم الجواب في بيان الزمان والمكان ، والله الموفق .

وحيث انه تقرر عدم قبول أي رسول أو مخابرة على طريق « الزاوية » فيما بعد فالمرجو توجيه الجواب « المانوف على هذا » الى فرحات بك وارسال متبوض منه على طريق جنزور . ودمتم محترمين

عضو الجمهورية : سليمان الباروني

رئيس مجلس الشورى : محمد سوف

متصرف المركز : الهادي كعبار

قائد جنزور وقايمقام النواحي : الصويعي

جواب الجنرال تارديتى

اثر ذلك كان جواب الجنرال تارديتي لهم باسم السيد الهادي كعبار ، حسب طلبهم ، واثر وصولهم كما اخبروه بذلك وهذا نصه : (١)

السيد المحترم الوجيه هادي كعبار دام بقاوه :

اخذت كتابكم المؤرخ ٣ رجب ١٣٣٧ واشكركم عليه .

وبناء على تعريفكم لنا سنقدم مع سائر مندوبي الحكومة الافرنجية بعد الظهر لأجل المذاكرة معكم ومع سائر رؤساء البلاد . لا يخفاكم ان القطر الطرابلسي منتظر من اعمالنا جميعا سعادته وحسن مستقبله ، واني لا أشك في ان المولى سبحانه وتعالى سيرشدنا في جلساتنا الآتية الى ما فيه الحصول على النتائج الحميدة ، هذا ولكم مني ازكى السلام ، وبلغوا سلامنا الى كافة رؤساء البلاد ودمتم .   ٣ مارس ١٩١٩   رئيس دائرة السياسة العسكرية

الجنرال تارديتى

مفاوضات أخرى مرة ثانية

بعد ان اجتمع الفريقان في الاجل المضروب في المكان المحدود وتباحثوا في الحالة ثم افترقوا من دون ان يصلوا الى نتيجة مرضية ، استؤنفت الحرب . وكان الايطاليون يؤملون ايقاع الشقاق في صفوف الطرابلسيين فلم يوفقوا وهنا طلبوا الدخول في مفاوضات الصلح مرة اخرى . فأرسلوا رسالة في هذا الشأن أجابهم عليها الهادي كعبار فردوا اليه رسالة اخرى وهذا نصها : (٢)

الى السيد المحترم الهادي كعبار

زيادة على مكتوبنا المرسل اليكم صباح اليوم والذى اعلناكم فيه بوصول

---

١) حياة سليمان باشا ص ١٠١ ٢) منه ص ١٠٢

جوابكم الينا ولكوننا منتظرين تعيينكم المكان والزمان بكمال السرعة نقول لكم ان الحكومة لا تزال في اعتمادها القوي على ما انتم وسائر الرؤساء الكرام تبذلونه من الجهد لأجل الاستحصال على المقصود بصورة جميلة محمودة .

وبناء عليه قد انتظرت الحكومة الى حد الآن مع احضارها برنامجا كاملا محتويا على تدابير حرة مثل ما شرحت لكم في اجتماعنا السابق لأجل تامين الاحسانات التي يمكن اصدارها من حكومة متمدنة عادلة بالديار الطرابلسية .

وقد مضى على اجتماعاتنا الاخيرة ١٥ يوما . وبما ان الحكومة لا تعرف متى سيكون الاجتماع الثانى فقد رأت من اللازم الاستعجال لأجل الحصول على النتائج المقصودة حتى تتخذ وتصدر بكل التدابير اللازمة لخير هذه البلاد بصورة مشروعة ، فان الاسباب التي تؤخر اجتماعنا القابل هى مؤخرة لتلك التدابير ايضا . وفي تأخيرها ضرر للاهالي الذين نريد جميعا اعادتهم الى الرفاهية والراحة والهناء بكل سرعة .

فبناء على ذلك لا بد ان اجتماعنا القابل الذي وعدتمونا بتعيينه في اقرب وقت سيكون قبل انتهاء شهر مارس الجارى ، ولذلك ارجوكم ان تخبرونا بالمكان والزمان قبل ذلك الوقت بيومين حتى نقدم اليكم لاتمام المصالح العمومية واثبات الراحة والسعادة فى هذه البلاد . وان التأخير فيه مسئولية كبيرة على من كان سببا له .

وهذا ما لزم عرفناكم به . ودمتم

واقبلوا سلامنا القلبي وبلغوا سلامنا الى سائر الرؤساء الكرام .

٢٤ مارس سنة ١٩١٩   رئيس دائرة السياسة العسكرية

الجنرال : تارديتى

القانون الاساسي
للقطر الطرابلسي
في سنة ١٩١٩

اجتمع مندوبو الفريقين في الموعد المحدود واستأنفوا المفاوضات والمباحثات وبعد مناقشات انتهوا فى يوم ٢١ ابريل سنة ١٩١٩ الى وضع القانون الاساسي ووقعوا ميثاقا بقبوله ، لولا غدر الاستعمار الايطالي لـكانت دولة طرابلس منذ ذلك التاريخ في مقدمة الدول المحررة من اغلال الاستعمار

وقع مندوبو الطرفين ذلك القانون الاساسى قبل نصف الليل من التاريخ المذكور فى خيمة الباروني باشا التي نصبها خصيصا لهذا الغرض بين المعسكرين وهذا نصه : (١)

١) تسمى الحكومة : حكومة القطر الطرابلسى

٢) يدير امور قطر طرابلس مجلس حكومة مؤلف من ثمانية اعضاء وطنيين، ينتخبهم مجلس النواب الطرابلسي من بين اعضائه ومن عضوين ايطاليين ينتخبهما النائب العام

٣) يرأس هذا المجلس حاكم عام بيده السلطتان الملكية والعسكرية معينا من طرف ملك ايطاليا (لم يحدد القانون جنسية الحاكم فقد يكون عربيا وقد يكون ايطاليا)

٤) يسن قوانين البلاد مجلس نواب ينتخبه الاهالي، يتمتع بما لمجالس الدول الاخرى المتمدنة من سلطات وحقوق وتكون مدته اربع سنوات وكلما جدد انتخابه جدد انتخاب مجلس الحكومة من بين اعضائه

---

١) حياة سليمان باشا ص ١٠٣

٥) لا تنفق ضرائب البلاد الا فيها حسبما يقرره مجلس نوابها فى وضعها وتوزيعها وجبايتها .

٦) لا يطبق من قـــوانين ايطاليا فى طرابلس الا ما يقبله مجلس النواب الطرابلسى ويوافق عليه لمصلحة البلاد .

٧) ينظم من ابناء البلاد جند وطني بالتطوع حسبما تقتضيه الحاجة وقائده هو الحاكم العام .

٨) للوطنيين حق التوظف في الوظائف العالية ملكية وعسكرية وقضائية وصحية وغيرها بالامتحان

٩) التعليم الاهلي حر تحت اشراف الحكومة

١٠) اللغة العربية رسمية كالايطالية

١١) ينتخب الاهالي رؤساء البلديات في العاصمة والملحقات

١٢) يؤلف مجلس شرعي تستأنف اليه الاحكام الشرعية وهو يعين القضاة

١٣) للطرابلسيين الحائزين على الشهادات العالية الحق في مزاولة المهن الحرة كالطب والمحاماة وغيرها في ايطاليا كما فى طرابلس

١٤) الطرابلسى والايطالي متساويان في الحقوق

١٥) الاوقاف تدار بمعرفة هيأة اسلامية

١٦) تراعى حرمة الدين والتقاليد الوطنية الحسنة كما في السابق »

الى ءاخر ما جاء فى القانون الاساسي ، وهو يشتمل على نيف واربعين مادة

وقد صادق عليه مندوبو الطرفين من اعضاء الجمهورية الطرابلسية ومندوبي الدولة الايطالية ، فمن الاولين الباشا الباروني - رمضان بك الشتيوي - احمد بك المريض - الهادي كعبار ومحمد الصويعي من اعضاء مجلس الشورى نيابة عن عبد النبى بلخير العضو الرابع لمجلس الجمهورية الغائب .

ومن الاخرين الجنرال تارديتي ورئيس اركان الحرب الايطالية وغيرهما من بقية الهيأة الايطالية

وبعد تمام التوقيع على القانون الاساسى أقيم في عاصمة طرابلس احتفال عظيم بهذا اليوم التاريخي الفخيم اشترك فيه اعضاء الجمهورية وغيرهم ، وقد جاءوا الى طرابلس ودخلوها فى موكب فخم مشى فيه نحو ٥٠٠ من فرسان المجاهدين كما اشترك فيه سكان طرابلس قاطبة وأقاموا له معالم الزينة والافراح ، وذلك اعتقاداً منهم ان الحرب قد انتهت وأن رأية السلام سترفرف على البلاد والعباد

ثم صادق عليه مجلس الوزراء الايطالي ثم مجلس النواب ومجلس الشيوخ ، واخيراً صادق عليه الملك الايطالي عمانويل في يوم الاحد ١ جوان ١٩١٩ .

وبذلك رأى المرحوم الباشا البارونى ان مهمته في الجهاد الراهن قد انتهت بعقد الصلح وحلول عصر الوفاق والسلام .

اعتزال الباشا للعمل فى طرابلس

بعد ان اتم هو وابطال طرابلس عقد الصلح مع ايطاليا على اساس القانون الاساسى -- كما اشرنا اليه — ارتأى رحمه الله ان مهمته في داخل طرابلس قد انتهت ، وان النتيجة التى كان يصبو اليها قد تمت ، عول على الرجوع الى الاستانة للالتحاق بمنصبه في مجلس الاعيان العثماني عن طريق ايطاليا (١)

ولكن ايطاليا بعد الصلح هى ايطاليا قبله ، فقد بيتت شراً مستطيراً لطرابلس وراء ذلك الصلح حيث أسفر امرها عن حادثين خطيرين :

الاول — اغراء ما بين رجال طرابلس وتغذية ما كان بينهم من المنافسات وتسليط بعض منهم على بعض حتى يخلو لها الجو هنالك ، كما يدل على هذه النية

---

١) حياة سليمان باشا البارونى ص ١٠٥

الخبيثة مراوغتها فى المفاوضات ومماطلتها فى عقد الصلح كما اشرنا اليه ، وقد حدثت من هذه الدسائس أهوال وجدت منها احداث لا نعرف منها الا القليل وما نعرف منها مما يسود وجه الانسانية والاسلام .

الثانى — ما كان من انتصاب الحكم الفاشيستي الدكتاتوري بروما وعلى رأسه الدكتاتور الطاغية موسوليني فقد رجع ينقض ما بناه سلفه فى طرابلس وبقلبه راسا على عقب .

ثم واجه سعادة الباشا فى الاستانة امر ثالث لا يقل خطورة عن الاولين بالنسبة له خاصة ولابناء الاسلام عامة ، وهو الانقلاب الكمالي بما فيه من تقويض دولة الخلافة وحل البرلمان العثماني وتشتيت رجاله وسعادة الباشا من بينهم .

ثم ما ينتظر الباشا بعد ذلك من اطوار وتقلبات مما سنتعرض له فى كتابنا هذا قدر الامكان ان شاء الله .

وصل الاستانة ولم يكد يستريح بين أهله واولاده اكثر من ثلاثة اشهر حتى كلفه الباب العالي بالسفر الى طرابلس لمهمات واسرار ، والاستانة اذ ذاك تتمخض عن اهوال وأحداث . فرجع فوراً باهله واستقر بهم في زوارة .

وصل بأهله طرابلس والفتن الداخلية تتأجج فى سائر البلاد فبذل جهوداً جبارة هنالك لاطفاء الفتن واصلاح الحالة ، ولكن لتغلغل الدسائس الاستعمارية الايطالية تغلبت عليه الاضطرابات ـ هذه المرة ـ بل لحقته اذايات متنوعة بما اضطره للدفاع عن نفسه عندما تهجم عليه الشيخ القيزاني في جريدته « اللواء الطرابلسية » فتنازل رحمه الله وكتب بقلمه فصلا محكما نشره في جريدة «الرقيب الطرابلسية » في ذي القعدة سنة ١٣٣٩ ـ ١٩٢٠ ، كما كتبنا نحن اذ ذاك فصلا دفاعا عن سعادته نشرناه فى جريدة « المنير » التونسية .

ومن فصله الموى اليه يستشف الاخ الباحث مدى تلك الاضطرابات الواقعة فى ذلك الوقت في سنة ١٩٢٠ ـ ١٩٢١ (١)

صفحة من جهاد طرابلس الغرب

إثر ما تقدم وقبل ما يأتى نسجل هنا — بكل غبطة وسرور — صفحة من جهاد طرابلس الغرب .

وهي تتضمن حديثا للبارونى باشا مع الاستاذ عمر الطيبي الشامي مراسل صحف سوريا . وقد نشره في صحف سوريا والعراق مثل العقاب والف باء وفتى العرب .

ويكشف هذا الحديث النفيس عن كثير من غوامض واسرار حول شخصية البارونى باشا واطوار جهاده هو وابطال طرابلس الغرب ومواقف الدولة العثمانية ازاءهم وغير ذلك مما عالجنا بعضه فيما مر او يأتي .

قال الاستاذ الطيبي بعد تمهيد ما نصه :

« . . . قبل البدء بالحديث نعرف الاستاذ البارونى للقراء ، ثم ندون صفحة الجهاد في طرابلس الغرب .

« الشيخ سليمان باشا البارونى نال المشيخة وراثة عن اسلافه كبار علماء وزعماء الاباضية فى الجبل الغربى المعروف فى التاريخ بجبل نفوسة من اعمال طرابلس الغرب وتلقى مبادىء العلوم على والده المرحوم ، ثم درس في الجامع الاعظم بتونس عام ١٣٠٥ هـ ثم بالجامع الازهر فبميزاب بالجزائر ، بسهم وافر من الادب واخذ اثناء الدراسة يهتم بشئون بلاده ويتألم من مطامع الاجانب فيها كما يدل عليه نظمه في ديوانه سيما لما وقع الخلاف بين الحكومة العثمانية والحكومة الفرنسية على الحدود بين تونس وطرابلس ، وكانت فرنسا تحتل

(١) حياة سليمان باشا ص ١٣٣ وقد نقلنا شطرا منه فيما قبل صفحة ٦٦ ـ ٦٩

الاراضى الطرابلسية باسم القبائل التونسية والحكومة ساكتة والاهالي يتظلمون

فكان الأستاذ يتلقى كتبا من اصدقاء له فيها هذه الحوادث ، حتى قال بعضهم فى رسالة له ما نصه :

« واما الدولة العثمانية فكسراب بقيعة يحسبه الظمئان ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا »

ولما عاد الباروني الى طرابلس فتشت الحكومة ثيابه وصناديقه تفتيشا دقيقا وعثرت على هذا الكتاب وعلى اوراق كان يتعلم فيها الخط وترتيب الكلمات وفيها اسماء بعض سلاطين ءال عثمان ومنها اسم السلطان « سليمان خان القانونى » فاتهمته الحكومة من اجل ذلك ومن اجل رسالة كان بصدد تأليفها في بيان المذهب الاباضى ، مع كثرة تنقله بين مصر وتونس والجزائر وحصول بعض احتفالات لاستقباله بأنه يعمل لفصل طرابلس عن الدولة العثمانية وتاسيس إمامة جديدة اباضية لان الاباضيين على زعم الجواسيس الذين انشئوا هذه التهمة لا يعترفون بالخلافة العثمانية ويوجبون الخروج عليها .

حكم على الاستاذ الباروني بالحبس المؤبد ومنع من الاختلاط ، فوقع هرج ومرج فى لواء الجبل ومركز الولاية لمكانة والده الشهير واعتقاد العقلاء ببراءته من هذه التهمة فحاذرت الحكومة مغبة الامر فاطلقت سراحه بكفالة جماعة من وجوه المدينة وزوارة والجبل وبكفالة والده وحلف على المصحف في مجلس ادارة الجبل على الاخلاص للدولة والسلطان .

ودارت بعد ذلك المخابرة بين الحكومة المحلية والباب العالي فصدر الامر بعدم براءته وبعزل اعضاء محكمة طرابلس التي اطلقت سبيله بكفالة مع حرمانهم طول حياتهم من الاستخدام وطلبت اعادته الى طرابلس للمحاكمة . وكان اذ ذاك فى مركز فساطو بالجبل . والقائمقام محمد بك الاسير البيروتى فصحبه بنفسه

حسب أمر الوالي مع قوة من العسكر والدرك والمشائخ وكادت تكون فتنة اذ استعدت بوجه القبائل لاعلان العصيان ومنع وصوله الى المدينة .

ولكنه نصح القبائل فسكنت . ولما وصل المدينة على تلك الصورة اضطربت ، وفي الحال ابلغ اليه الحكم بالحبس خمس سنين (قلعة بند) على ان يقضيها فى جزيرة (رودس) او في وازن فاضطرب الجبل وامتد الاضطراب الى بعض النواحي فطلب النائب العام ابقاءه فى طرابلس ريثما يسكن الاضطراب .

فبقي فى السجن المخصص بالمنفيين من الترك وفى مركز الشرطة سنة ، ثم أخرج بكفالة على ان يبقى تحت نظارة الشرطة ولا يتجاوز سور المدينة سنة اخرى .

انتباه عبد الحميد لاغراض ايطاليا

ثم طلب عبد الحميد وفدا من اعيان ولاية طرابلس الغرب لمفاوضتهم فيما يتعلق بالاصلاحات والجندية وغيرها استعدادا للطواري وكان الوفد مؤلفا من عشرة اعضاء مختارين من المدينة ومراكز الولاية يرأسهم حسن باشا القرمانلي رئيس بلدية الولاية فطلب الوفد العفو عن الزعيم الباروني فصدرت ارادة السلطان بالعفو عنه فعاد الى الجبل الى ان عين المشير رجب باشا واليا وقائداً لطرابلس ، وكان محباً للباروني مدافعا عنه في قضيته فكلف بارساله الى الاستانة فعرفه سراً بوجوب مغادرته طرابلس الى تونس او مصر قبل ان يتكرر طلبه فخرج الى مصر وأسس مطبعة وجريدة اسماها : « الاسد الاسلامي » اصدرها اعداداً ثم عطلها لما منع دخولها الى الولايات العثمانية والى تونس والجزائر واشتغل بطبع الكتب النافعة فطبع ديوانه والجزء الثانى من تأليفه في تاريخ « أئمة الاباضية » وغيرها . وبعد اعلان الدستور العثمانى انتخب نائبا عن الجبل ودعي برقيا فذهب الى الاستانة .

التدابير اللازمة لحماية طرابلس

وقبل هجوم ايطاليا على طرابلس بمدة رفع تقريراً بصورة سرية الى الحكومة عن مطامع ايطاليا فى طرابلس قال فيه :

« لابد من حمايتها بتسليح الاهلين وجعلهم حراسا عليها وتمرينهم على استعمال السلاح ونقل المهمات الى مواقع بعيدة عن الساحل .

الطليان يحتلون طرابلس دون حرب

الاستانة تامر بعدم اطلاق النار عليهم

جهاد الطرابلسيين ــ اضطرابهم من الطليان

سافر البارونى الى طرابلس الغرب فوجد الوالي فى اضطراب وكذلك الاهالي ، وذلك من مضايقة الطليان لهم وتعنت قنصلهم وعدم اهتمام حكومة الاستانة بتقارير الوالي المتضمنة بيان مقاصد ايطاليا . وقد سر الوالي من مقترحات الباروني ، وقال هذه رغبتى وزاد انه راض بأن يتخلى عن منصب الولاية ويبقى قائداً للجيش ليشتغلا معا فى تنفيذ هــذه المقترحات على ان تعهد الحكومة لغيره بمنصب الولاية ليساير الطليان بسياسته فرجع البارونى الى الاستانة فرأى رأي الحكومة قد تغير لأسباب ربما يكون بعضها اتهامه بالسعي انفصال طرابلس عن الدولة كما مر . وفى طلبه نقل الذخائر من مركز الولاية الى العزيزية وغريان والجبل شبهة .

ولما ألح فى تنفيذ خطته نصح له طلعت باشا ان يعود الى طرابلس ويضع بالاتفاق مع الوالي تقريراً مشتركا . فعاد ومعه فى الباخرة عائلة صديقه الوالي . لكن الباخرة لم تكد ترسو في طرابلس حتى علم انه لم يغادر الاستانة

حتى طيرت برقية بعزل الوالي وامره بالسفر على تلك الباخرة ! فسافر الوالي من يومه مع عائلته بعد ان نصح الباروني بأن يقيم في الجبل ، لان الوالي متشائم من مستقبل البلاد .

الطليان يهجمون على طرابلس ويحتلونها

ولم تمض مدة قليلة حتى هجم الطليان على البلاد واحتلوا مدينة طرابلس الغرب دون حرب فالتجأ وكيل القائد اميرالاي نشأت بك مع قليل من الجند النظامى بما امكنه نقله فى الليل من المدافع والذخيرة والمئونة الى قصر العزيزية الذي يبعد عن المدينة نحو ثماني ساعات الى جبل غريان، وأسرع اليه الباروني في نحو سبعين فارسا كلهم رؤساء واعيان لواء الجبل فوجده في يأس وحزن .

الاستانة تامر بعدم اطلاق النار

وقد تلقى نشأت بك امراً من الاستانة بعدم اطلاق رصاصة واحدة في وجه الطليان وان ينتظر قرار مجلس الامة !

الاهلون يطلبون الحرب ثم يعلنون !

فألح الباروني ومن معه من الاعيان بطلب اعلان الحرب من تركيا محافظة على شرف الدولة والبلاد وعلى شرف القائد العسكري : وبعد محاورات ومعارضة من بعض الضباط تقرر ان يعلن الاهالي الحرب حتى اذا صدقوا وثبتوا واتحدوا سعى نشأت بك في الحصول على موافقة الدولة على اعلان الحرب .

مجلس النواب العثمانى يقرر الحرب

حكومة السلطان تسلم طرابلس للطليان

الحكومة الوطنية الطرابلسية

بعد وقعة « الهاني » رغب نشأت بك الى الاستاذ البـاروني ان يبرق الى مجلس النواب العثمانى عن طريق تونس ، منشطا الحزب المطالب باعــلان الحرب فأبرق بصفته عضوا في المجلس وقائـداً لمجاهدي الجبل فى موقعة الهـاني ، وكان الجدال بالغا اشده فى المجلس والوزارة العثمانية . وا كثرية مجلس النواب يرون التسليم لايطاليا دون حرب بدعوى ان الطرابلسيين لا يحاربون وانهم يحبـون الطليان ، وان الدولة العثمانية في حالة عجز الى ءاخر ما هنالك من اقاويل .

ولما تليت برقية الباروني اشتد الهياج وتغلب الحزب المطالب بالحرب فتقرر إعلانها وبوشر بارسال المدد والضباط عن طريق مرسيليا وتونس .

العثمانيون يحاربون سنتين

امتدت الحرب الطرابلسية نحو سنتين (١٩١١ و١٩١٢) وهى تجري باسم الحـكومة العثمانية تحت قيادة نشأت باشا الذي عـين واليا وقائـداً لطرابلس . وكان رئيس اركان حرب علي فتحي بك المشهور بين رجال تركيا الجمهورية .

الحكومة تسلم

والاهلون يجاهدون ويستقلون

ولما نشبت الثورة في البلقان اضطرت الحـكومة التسليم ، فاتفق القسم الاكبر من اهالى ولاية طرابلس على المثابرة على الجهاد ، وكلف رؤساء المجاهدين الباروني ان يعلن استقلال طرابلس ففعل .

الحكومة الوطنية

وقد شكل فى طرابلس حكومة وطنية استمرت فى حربها وجهادها الى ان غلبتها القوة والتجأ رجالها الى اراضي تونس في اول عام ١٩١٣ ، فالتحق البارونى بالاستانة فعين عضوا في مجلس الاعيان تقديراً لخدمته اذ لا سبيل الى انتخابه مبعوثا بعد انفصال بلاده نهائيا عن الدولة ، ومنح رتبة باشا فى الحرب العامة .

الراية الوطنية الطرابلسية

واطلعني البارونى باشا على وثائق وصور عديدة للوقائع ، ومنها صورة الراية التى اتخذتها الحكومة الوطنية فى طرابلس شعارا لها . وهي قطعة خضراء وفي اعلاها « وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها » وفي اسفلها « قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم » والى جانبها من جهة السارية قطعة حمراء اكبر منها وفي منتصفها دائرة زرقاء وفي هذه الدائرة قطعة برتقالية اللون رسمت عليها خريطة شمالي افريقيا الى جانبها اسم « طرابلس »

تركيا تستأنف الحرب

ولما أعلنت الحكومة العثمانية النفير العام فى اول الحرب العظمى دعا انور باشا الزعيم البارونى وكان على صلة معه سراً فطلب منه ان لا ينسى بقية المجاهدين فى صحراء طرابلس وبني غازي ، وأن يمدهم بالاعانات وطلب اليه السفر الى طرابلس على ماخر باخرة تغادر الدردانيل فسافر الى الاسكندرية ونزل فيها ومعه ضباطه والغاية من سفره اعادة الحرب سيرتها الاولى على ان يمر بالسيد احمد السنوسى فى جهة بني غازي ويتذاكر معه في اعادة الحرب فى بنى غازي وطرابلس واعلان الجهاد العام في آن واحد وتوحيد خطة العمل .
وقد كانت حكومات مصر وفرانسا وانكلترا وايطاليا عامت بسفره من

الاستانة الى جهة مجهولة فتعقبته ، ولكنه وصل الى السلوم رأسا ولم يتمكن من الاتفاق مع السيد السنوسى على الخطة المطلوبة فبقي فى مركز السلوم العثمانى مع السيد احمد حسب أمر الحكومة الى ان هوجم مركز السلوم المصري وفى ليلة الهجوم وصلت غواصة المانية موضوعة تحت امر الحكومة العثمانية فعادت به الى الاستانة ، بعد ان كتب الى بعض اصدقائه من رؤساء طرابلس يخبرهم بعدم تمكنه من الوصول اليهم وانه عاد الى الاستانة وسيعود اليهم بعد شهرين ، ولما وصل الاستانة قررت الحكومة ان يسافر الى طرابلس رأسا .

وبما ان الحالة فى طرابلس مجهولة وأخبارها منقطعة مكتومة اقترح ان يذهب أخوه الشيخ يحيي على غواصة يسبر غور الموقف ، فقبل اقتراحه وتوجه أخوه على متن غواصة الى ساحل مصراطة وتوغل فى البر ماشيا الى ان لاقى من أخبره بحقيقة وضع البلاد .

مصراطة وفزان والجبل بيد الوطنيين

الحرب والصلح بين القبائل – حصار طرابلس – الغواصات تأتى بالذخائر

« . . . وكانت مصراطة بيد الوطنيين وقد استخلصها من الطليان المجاهد رمضان بك السويحلي ، والجبل ثار فيه خليفة بك ابن عسكر ، ولواء فزان ثار فيه الشيخ المهدي السني واجليا الطليان عن الموقعين المذكورين .

الحرب بين القبائل

غير انه بالنظر لتزاحم بعض الرؤساء على السيادة اشتعلت الحرب بين بعض القبائل فأوقف ذلك تقدم المجاهدين وكلهم ينتظرون مجيء الزعيم الباروني كما وعد حين مغادرته السلوم ، فقابل الشيخ يحيي الباروني زعماء المجاهدين وعرفهم بنفسه ، وما انتشر خبر وصوله حتى جاءته الوفود من جميع اطراف الولاية وهم

بين مصدق ومكذب فدفع اليهم كتب اخيه فكتبوا اليه اجوبتها وسلموه مضابط يطلبون فيها سرعة التحاقه بهم وعادت الوفود ناشرة البشائر وعاد الشيخ يحيي على الغواصة الى الاستانة .

اللواء الكبير وأسارى الطليان

وحمل معه فى عودته اللواء الكبير الذي غنمه رمضان بك السويحلي مع جيش عظيم من اسارى الطليان لما ثار فى مصراطه واستخلصها فقدم أنور باشا اللواء في محفل يوم الجمعة الى السلطان « محمد رشاد »

وصدر الامر للبارونى بالالتحاق بطرابلس فلبى الطلب مسروراً ولم يمض يومان حتى كان كل ما طلبه من مهات وضباط وغير ذلك حاضراً .

الباروني والي وقائد

وعند ذهابه للوداع سلم الفرمان السلطاني بولاية وقيادة طرابلس الغرب وملحقاتها مع صلاحية واسعة ووعد بمواصلة المدد فاستصحب معه اخاه الشيخ يحيي وعادت بهما الغواصة الى مصراطة فكان يوم وصوله يوما مشهوداً القيت فيه الخطب والقصائد وأقيمت الحفلات والمهرجانات . وقد نشرت ذلك جريدة « العدل » التى تصدر فى الاستانة .

الصلح بين القبائل

وفى الحال دعا رؤساء القبائل المتحاربة واكبرها قبيلتا مصراطة وترهونة الى الصلح فاجابتا وتوقف الحرب بين القبائل وسكتت مدافعها التى غنمتها من الطليان والتي استعملتها ضد بعضها .

استئناف الجهاد

ووصل نحو ٢٥٠ فارسا من اعيان الجهات غير المتحاربة فتقدم بهم الى ميدان المتحاربين فعلت الاصوات من كل راية ومكمن بـ « الله اكبر »
والقت القبائل التي تحارب بعضها سلاحها ، وتم الصلح بنسيان من قتل من الرجال ، وما تلف من الاموال والتسامح بكل ما مضى واصبح الجميع اخوانا .
فنظم امور الحكومة ورتب بمعرفة الضباط مناطق الحرب وخصص مرتبات المجاهدين وتوجه بنفسه مع قسم من المجاهدين في الليل الى جهة زوارة ورمى المدينة بخمس قنابل كانت ايذانا باستئناف الحرب وكان يدير المدفع بنفسه واشتعلت الحرب من حدود بني غازي الى حدود تونس .

حصار الطليان

فانحصر الطليان في ثلاثة مراكز فقط على ساحل البحر في مدينة طرابلس ومدينة الخمس ـ لبدة ـ ومدينة زوارة .
وقد اطلعني الاستاذ على مناشير كانت ترميها الطيارات الايطالية على المجاهدين والقرويين تهددهم فيها اذا قبلوا الباروني بالدمار وتقول :
« انه كما غركم في الحرب الاولى سنة ١٩١١ ـ ١٩١٣ ، وفر يغركم الآن ويهرب ... » الخ

الغواصات تواصل طرابلس بالذخائر

وبقيت الغواصات تتردد على سواحل طرابلس وتنزل ما يلزمها من المهمات الحربية والنقود في مركز مصراطه وانتظمت الامور والتحق بطرابلس نوري باشا الذي عينته الحكومة وهو في جهة بنغازي قائدا عاما لقوات افريقيا بعد عقد الصلح بين الطليان والسيد ادريس السنوسي .

اخر أيام العثمانيين فى طرابلس

حكومة طرابلس الجمهورية واعتراف الايطاليين بها

الطليان ينقضون العهد

أتى نورى باشا بتنظيمات عسكرية ، وأسس فى مصراطة على انقاض معامل الطليان معملا للحديد وتصليح السلاح .

ثم نقل نوري باشا الى الاستانة وجاء طرابلس الامير عثمان فؤاد من العائلة السلطانية ونجل السلطان مراد معينا نائبا للملك ، وبقي في الولاية الى ان سقطت الاستانة بيد الحلفاء فتلقى امراً من السلطان وحيد الدين بتسليم نفسه للقوة الايطالية ففعل هو وبقية الضباط الاتراك !

حكومة طرابلس الجمهورية الوطنية

اما الباروني فقرر البقاء في طرابلس لمواصلة الجهاد مع مواطنيه كالمرة الاولى سنة ١٩١٣ ، فاتفق مع الرؤساء على تشكيل حكومة جمهورية يديرها مجلس قوامه ٣ اعضاء وهم : البارونى - احمد بك المريض - رمضان بك السويحلي ، وهذان في مصر الآن - وعبد النبي بالخير (وقد توفاه الله اخيراً فى صحراء الجزائر) وابلغوا ذلك الطليان واستمرت الحرب دون أدنى تبدل مع اتفاق القبائل كلها .

وأدار الحرب الباروني والضباط وكان المجلس يجتمع عند الحاجة واستمرت الحرب عدة اشهر والطليان محصورون ، ولم تنقصهم من حصارهم شيئا الامدادات التي ارسلتها حكومة روما الى طرابلس .

حكومة الطليان

تفاوض الجمهورية الطرابلسية

ولما ألحت حكومة اميريكا في حل قضايا الشرق وفق بنـود ولسون الاربعة عشر اضطر الطليان لمفاوضة الجمهورية في الصلح ودامت المفاوضة مدة وانقطعت مرات وجرب الطليان فى اثنائها ان يتقدموا بقواتهم فلم يفلحوا .

استقلال البلاد الداخلي

واخيراً تم الاتفاق على منح البلاد استقـــلالا داخليا بموجب دستـور تم الاتفاق عليه بين الحكومة الجمهورية الوطنية وبين السلطة الايطالية اسمـــوه : « القانون الاساسي لحكومة طرابلس الغرب » وهو يشتمل على نحو ٤٠ مادة ، منها : ان يكون للحكومة مجلس مؤلف من ثمانية اعضاء وطنيين يرأسهم حاكم عام بيده القوة الملكية والعسكرية يعينه ملك ايطاليا ، ولم يعين القانون جنسية الحاكم ، وان يكون الحكم نيابيا فينتخب الاهالي نوابا كالعادة لمجلس النـواب الطرابلسيين ليسنوا القوانين .

والمجلس هو الذي ينتخب اعضاء الحكومة الثمانية عند انقضاء مدة الاعضاء الاولين ، ويكون للوطني حق تولي المناصب العدلية كلهـــا بشرط الـكفاءة . وغير ذلك ، وقد صدق هذا القانون مجلسا النواب والاعيان الايطاليـان وملك ايطاليا وطبع .

واطلعني الاستاذ على رسم مخيم الاجتماع الذي دارت فيه المفاوضة وعـــلى مسودة القانون الاولى التي عليها توقيعه وتوقيع الجنرال « تارديتي » رئيس الهيأة الايطالية فى مقابله ، ثم توقيع احمد بك المريض ورمضـان بك السـويحلي والصويعي بك والهادي بك ، وامامها تواقيع رفقاء الجنرال .

مجلس الثمانية يجتمع

وعلى هذا أعلن ختام الحرب وانتخب مجلس الثمانية الاول . وكان قوامه السادة : احمد الفساطوى ومحمد بك بن الفقيه حسن من طرابلس ومختار بك كعبار من غريان والشيخ علي الشنطه ومحمد فكيني بك من الجبل واحمد السويحلي بك وعمر بك بودبوس من مصراطه وباشروا تنظيم قانون الانتخاب وخصص للمجلس النيابي قصر كان (قرأت خانه للعساكر الشاهانية)

وكتب على واجهته « مجلس المبعوثان » لحكومة طرابلس ، فتخلى حينئذ الباروني باشا عن العمل متمسكا بتابعيته التركية رغما عن رغبة مواطنيه ورجال ايطاليا في بقائه واشتراكه فى خدمة البلاد بتطبيق هذا القانون ، وسافر الى استانبول على طريق ايطاليا .

وقد اطلعني على رسوم تمثله وهو في غرفة وزير المستعمرات وفي عدة مواقع وعلى جملة مقالات في صحف ايطاليا تصفه بالنزاهة والاقتدار على ادارة الحرب والثبات والاخلاص لوطنه وغير ذلك . كما اطلعني على كتاب من حكومة ايطاليا تطلب منه بقاءه في طرابلس !

وكان الصلح والقانون الاساسى لطرابلس وحدها ، ولكن ايطاليا انتخبت بعض المواد ونفذتها فى بني غازى .

وافتتحت مجلس نوابها ولم تطل مدته فاغلقته والغت القانون الاساسى فى طرابلس وقتلته في مهده .

واعتبرت ذلك الصلح ماسا بكرامة جندها الظافر في الحرب العامة، وسنت للبلاد قانونا استعماريا بحتا وعليه العمل الآن .

وقد احتج البارونى وهو فى مملكة عمان على ذلك وكتب الى السنيور موسوليني كتابا مطولا نشرته في حينه بعض الصحف .

ولما وصل الاستانة والحركة الوطنية قائمة فى الاناضول قدم عدة احتجاجات لممثلي دول الحلفاء على احتلال دار الخلافة الاسلامية احدثت ضجة في الاستانة اذ تسابقت الصحف الى نشرها والتعليق عليها وكانت مراقبة الحلفاء على المطبوعات شديدة ، وحاولوا منع نشرها ولكنها نشرت مختصرة .

ولما رأى ما حصل من تغير الافكار على العرب ادرك انه لا تطيب له الاقامة فى الاستانة فوصل الى انقرة وتوسل بالحكومة ان تسهل له السفر الى احد الاقطار العربية كمصر او سوريا او تونس فلم تفعل اذ كانت مشغولة بامورها فاضطر الى الذهاب الى باريس على طريق رومانيا وبقي هناك لا يؤذن له فى الخروج منها .

وقد طرق ابواب جميع قناصل الدول للحصول على الاذن في دخول مصر او تونس او العراق فمنع .

واخيراً كتب الى جلالة الملك حسين في تسهيل الطريق له الى مكة لأجل الحج ، وارسل اليه مع الكتاب جريدة فيها مقالته التى نشرها ضد المعاهدة الانكليزية الحسينية ليكون على علم فقرأها وقال :

« ان الباروني ما كتب الا عن حسن نية ونصيحة »

وفي الحال امر باجراء اللازم ، فوصل الباروني مكة المكرمة بعد ان مر بالموانىء المصرية ومنع من النزول فيها .

ورحب به جلالة الملك اجل ترحيب وقلده نيشان الاستقلال العربي ، وبعد اداء فريضة الحج وحضور المؤتمر الاسلامي سافر على باخرة تقصد مسقط رأسا بحجاج عمان والخليج فتلقته حكومة عظمة السلطان سعيد تيمور سلطان مسقط بالاجلال وأنزلته ضيفا مبجلا على عظمته حسب امره التلغرافى الذي أرسله وهو في الهند لتبديل الهواء .

ولما رجع بالغ في اكرام ضيفه الباروني صديقه الحميم وصديق والده . وقلده نيشان الشرف السعيدي في احتفال .

ثم اصيب بحمى الملاريا واعتنى عظمة السلطان بمداواته بواسطة طبيبه .

ثم لما اراد السفر لتبديل الهواء في كراتشي او بمبأي أبلغه القنصل البريطاني بمسقط بأن لا يؤشر له على جواز سفره اذا اراد السفر الى احدى البلاد المشمولة بالحكم البريطاني مطلقا . فكتب الى جلالة الملك فيصل فأمر بالسماح له في دخول العراق ، فهو لا يستطيع التنقل الآن الا بين العراق ومسقط . . .

عمر الطيبي



صورة له نادرة وهو في حالة تأمل وتفكر مع أحد ضباطه الاتراك

للحقيقة والتـاريخ

أجوبة صادقة عن اسئلة مهمة

ارتأينا ان شبها عديدة قد تختلج في صدر الاخ الباحث حـول الموضوع الذى عالجناه في هذا الطور الثالث من اطوار جهاد البارونى باشا ، فحررنا فيها قائمة من الاسئلة الى « زعيمة » البارعة بنت الزعيم الباشا عساها ان تزيل عن قلب الباحث تلك الشبهات بمالها من واسع الاطلاع والصدق والنزاهة ، فجاءت أجوبتها تحت العنوان اعلاه كما يأتي ، وهذا نصها :

السؤال الاول — هـل صحيح أن مهمة الباروني باشا رحمه الله قـد انتهت بانتهاء الصلح مع ايطاليا وبامضائها للقانون الاساسي ؟

الجواب -- كل من يدعي هذا يعد جاهلا او متجاهلا لحقيقة البـــاروني السامية ـ ولله الحمد ـ غير دارس لجواهر البطولة والفداء فى ميادين الجهـاد فى سبيل الدين والوطن والكرامة ، او مستكـثر على الباروني ذلك الخلق العالي والعزيمة التى لا تفل .

ويكفي شاهداً على ذلك ـ العهد الذي قطعه على مسمع الجميـع وبصرهم بأن لا يحلق شعر رأسه ما لم يطهر الوطن العزيز من « بني الايطاليات » فبر بعهده على اوفى وجه ولم تمسه يد حلاق من يوم اعلن احتلال ايطاليا لطرابلس .

فكم تأذى من ذلك الشعر ؟ وضفيرته المخفية تحت قميصه ، وكم اوقف بتهمة التجسس وفتش حتى في استامبول على انه راهب متعصب يدير دسيسة ما .

ولـكـنه لم يتراجع ولا خطر في باله ان يندم او يترك اى فرصة او سانحة او ما اشبه السانحة تمر به بدون ان يعمل في سبيـــل الغاية المقدسة ، الا وهى تخليص الوطن العزيز من المعتدين !

لو كان الباروني مؤظفا اجنبيا بعقد او مدة محدودة لصدقنا مثل هـذه الظنون او حـتى كان تركياً من العثمانيين يجب انسحابه بانسحاب دولته وحكومته لقلنا بانتهاء مهمته بمجرد انتهاء الصلح وامضاء القانون الاساسي .

ولـكن الباروني قبـل كل شيء ليبي من صميم الـوطن ومن اسـرة علمية سكـنت ليبيا منذ الف عام ، وفوق ذلك من اوائل المجـاهدين البـاذلين النفس والنفيس فى سبيل حرية هذا الوطن وشرف الشعب الليبي .

انه رحمه الله اول ليبي صنف :

((الله أكبر الجهاد فى سبيل الله))

وعاهد النفس بعد الله سبحانه وتعالى ومواطنيه على ان يذود عن هذا الحق والشرف في كل ميدان تفسحه الاقدار امامه .

فحياته منذ الاحتلال الايطالي ليوم توديعه هذا العالم الفانى بعيدا عن وطنه والاهل والاحباب أكبر شاهد على صدق هجرته في سبيل الحـق وصفـاء نواياه واخلاصه حسب مبداه وتفانيه وراء تلك الغاية المقـدسة الا وهى : « نجـــاة الوطن من شر الاستعباد ، ونهوضه حراً مستقلا موفور الـكرامة »

هذا رغم ما صادفه من عراقيل وما أصابته من مصـائب وصلت به وبأهله من فواجع مادية وصحية لا يعلمها الا الله ، فمضى فى طريقه مجاهدا بهمة مشرفة لـكل بطل فداءي الى النهاية دون توقف غير واسف على شيء مما خسر فكـتب الله له الوفاة وهو على نية الالتحاق بمن فـكروا في انقاذ الوطن معلنـا عزمه على المعالجة مما كان انتابه من شدة الآلام ، لما يسمعه من الجور والاستبـداد المحلل لمعنوية مواطنيه الاعزاء .

اذا فمهمة الباروني الفداءي كانت مدى الحيـاة ولـكنها كانت منتهية بل مطلوب انتهاؤها من شتى الجهات .

فعملت الاغراض الشخصية دعاياتها السرية داخل البـــلاد وخارجها دون ان يكون في ذلك لغير العدو المعتدي والمستعمر الغشوم فائدة او ربح ، حتى طمست مواقف الباروني المجيدة ، ولا اظنهم قدروا حقيقة النتائج لتلك الدعايات التى جرفت حقائق الجهاد الليبى في سبيل الحرية والكرامة حينا من الدهر .

الثانى — ما هو السبب الداعي لعدول الباروني باشا عن المشاركة فى العضوية بالجمهورية الطرابلسية الجديدة بعد الحاح الرؤساء الوطنيين عليه ، وقد كان الساعي لتحقيقها بكل ما يملك من قوة ومال ؟

الجواب — كل من يصدق بنزاهة الباروني وتعاليه عن مراكز الحكم والفائدة الشخصية يصدق من اعماقه زهد الباروني في الاهتمام بمـــا يقربه لكراسي الرئاسة او السلطة المطلقة ، فكل من سمعه يتكلم او قرأ له كتابة يلاحظ انه ينسي نفسه واولاده و يقطع خطوط الرجعة على نفسه فى كل ميدان ما دام ذلك يفسح له المجال للعمل ولو قولا في سبيل واجبه المقدس ، فكان يفكر فى كل شيء ويقدر العواقب لكل واحد الا لنفسه واولاده الى النهاية

ومن الدلائل على هذا عندما أعلنت الهدنة بين تركيـــا والدول الاوروبية المتحالفة عليها ورفعت تركيا يدها عن طرابلس الغرب امام الامر الواقع كانت الحكومة التركية الأمير العثمانى « عثمان فؤاد » قائدها العام فى افريقيـا ان يعمل على تشكيل حكومة وطنية تستطيع المحافظة على شرف البلاد وتعمل لتحقيق ما امكن من الشروط والمطالب الحتمة فعرض الامر على الباروني قبل كل واحد — او هكذا قيل له — لعدم انحيازه فى الحقيقة لجانب ما من جوانب الوطن . فاعتذر البارونى دون ان يشك في صدق الامير ، وكان هـذا الاعتذار صادراً عن اشرف المقاصد واخلص التمنيات ، وأهم هذه المقاصد :

١) علمه بمواقف حكومة استامبول واضطرارهـا للتسليم بصورة اشبه

بالانسلاخ من لقب الامبراطورية وتراجعها لما تبقى لديها من اسباب حكومة ستعمل طبعا على حماية استقلالها دون ان يعلم ما يدبر للخلافة الاسلامية التى يعد الباروني من انصارها لا لتكون موقوفة للعثمانيين ولكن لتستمر معقلا للاسلام وسنداً له مدى العصور !!

٢) وهنا ايضا نراه في مفترق الطرق : رئاسة جمهورية وطنية لم يسع لها لنفسه قط . الوفاء للحكومة التى غلبت على امرها في آخر الامر وهي تركيا أمر البيعة الشرعية للخليفة والثبات على قوانينها .

والمقصد الاخير كان أخطر المقصدين على ما يظهر نظراً لوفاء الباروني للرابطة الاسلامية واخلاصه لمركز الخلافة مهما كان جنسه او محله من ارض الله ، وفوق هذا كله كان يفهم مجاري الامور اكثر من غيره ويقدر نتائجها وقد سبر غور الجميع واطلعته التجارب على ما تضمره الصدور في تلك الظروف القاسية بالنسبة لكل مغلوب من الشرقيين خصوصا .

اذا كان الباروني الامين بين تيارات جارفة لا يعلم عقباها بالضبط الا الله ، فكيف يرضي ربه ويريح ضميره وينفع مواطنيه ؟

انه في موقف لم يكتب لأي زعيم من زعماء ليبيا الكرام انه بشجاعته وصدقه في الفداء اختار الشقاء الدنيوى وجفاء الكل بل اختار ان يضحي بأهله ومستقبل اولاده ويسير متوكلا على الله فرفض الرئاسة العليا ليسعى لاسنادها لأليق الزعماء بها عن طريق الانتخابات الحرة النزيهة . ولكن الامير أفهمه جديا بأنه لايوافق على حكومة لا يكون هو فيها فرضي ان يكون واحدا من الاربعة الذين وقع الاختيار عليهم في شبه اجماع فتشكلت الجمهورية المنشودة لتحمل العبء العظيم والمسئولية الجسيمة نظراً للظروف العالمية اذ ذاك .

وهنا يجب على كل منصف دارس لسياسة الغالب مع المغلوب والمعتدي على

صاحب الحق ان يتذكر عـــزم الدول المتحالفة على اضعاف الشرق والامة الاسلامية ومن بينها الشعوب العربية وان لا ينسى مراجعة ادوار الجهاد الليبي حتى يفهم كيف نشأت التفرقة بين تلك الصفوف المؤمنة بالواجب ؟ وكيف منيت جميع مقاصدها النبيلة بالفشل ؟ كيف خارت قواها ودخلت البغضاء صفوفهـا ؟ كيف ولأي مدى أصابت الدسائس مواطن الضعف وأصبح كل جهد ومحصول فى خبر كان .

ذهب خط الجهاد ، ذهبت الجمهورية ، ذهب القانون الاساسي الذي بذل الباروني وجميع المخلصين لحقهم المشروع غاية جهدهم فانعكست الآية لان العدو كان بالمرصاد فصدر امر ملكي يفسخ كل ما منح للطرابلسيين من حقوق ويضع الزعماء فى موقف العداء لبعضهم دون ان يعلم أي واحد منهم ـ اذ ذاك ـ السبب الحقيقي ولا النهاية المحزنة للجميع !

الثالث — وهل يعد استمساكه بعثمانيته وبعضوية مجلس الاعيان العثماني مبررا لذلك ؟

الجواب — كان له المبرر الصادق لو كان هذا السبب واضحا ، ولكن تعلقه بالوفاء والثبات على بيعة خليفة المسلمين اقربهم الى الواقع ، ولا اظـن انه اهتم بالوظيفة قليلا او كثيراً او حسب للجانب المادي لنفسه ومستقبل اولاده حسابا يذكر لان طـريقة دفاعه الشامل لكل ما ينتمي الى مبدإه بالأساليب الصريحة بل النارية التي لا يخطها يراع اي كاتب لم يعد نفسه من المحكوم عليهم عند الكل ـ يعد ذلك ـ أكبر شاهد على آلامه العميقة وثباته على نصرة الحق المبين والحقيقة كما قيل : « دراسة التاريخ أسهل بكثير من صنع التاريخ نفسه »

وعلى كثرة اهتمام الباروني بما يحفظ تاريخ جهاد طرابلس الغرب وحرصه على جمع كل ما يشهد بحقيقته مهما تفهت قيمته عند غيره فانه اهمل نفسه فتساهل

للزمن في حقوقها حتى عجز في حياته وعجزنا نحن اليوم عن ابراز ذلك التار يخ المجيد ، فبينما كان الناس يكسبون من وراء تلك الذكريات كان الباروني يعطى من دمه في سبيل تصحيح ذا وذاك واثبات تلك الصفحات الخالدة .

ففي ذمة الله ما قاسى في هذا الباب وما تجرع من غصص أذابت صحته وأسلمته للفناء العاجل .

الرابع — لو كان في ضمن الجمهورية الطرابلسية فهل يجرؤ السيد الحاج محمد فكيني من بعد فيستخدم نفوذه فيها لتجزية ما بين اقسام الجبل مما جر عواقب وخيمة على الوطن ؟

الجواب — أقول : فهل كانت الدولة المعتدية نائمة فتترك قيمة لوجوده او وجود الحاج محمد فكيني في ساحة الاخاء الوطني ؟ لانها ان تركت ذلك معناه فشلت من جديد وذهبت مساعيها ادراج الرياح !

فكل تلك الحركات والانقسامات المنسوبة ظلما للمذاهب والاسماء انما هي من دسائس المعتدين ، انها تمثيليات مؤلمة قصد منها تفريق الشمل واضعاف القوة الوطنية مع اغتنام الوقت فاخذت تصطاد عصفورين بحجر بل عشرات من العصافير الى ان قضت على الجميع بالموت والتشرد وصفا لها الجو لتنظيم نظامها الجديد في بلادها ولتقول للملا ان طرابلس الغرب بل ليبيا جميعا اصبحت مستعمرة ايطالية مخلصة للملك والدوتشي !

والواقع انها كانت تسلح الطرفين وتشجع الفريقين وتمني الجميع في الخفاء بأحقية البقاء وجدارة الانتصار فانتشر منطق الزور والبهتان حتى ادعى الجانب النفوسي ميل الباروني لتقدير الجانب « العربي » كما يقولون منذ اوائل ولاية ابناء العرب ، والنفوسيون اذ ذاك في المناطق المحتلة .

كما ادعى الجانب العربي تعصب الباروني للجانب النفوسي وهو الذي لم

يعرف للتحيز او التعصب معنى .

وقد نزهه المولى من تلك التهم فكان جهاده لخير الجميع وحبه صادقا للجميع

الخامس — لو ان الباروني باشا كان بين اعضاء الجمهورية فهل يمكن ان ينفصل رجال نفوسة عن بقية اخوانهم رجال طرابلس مما جر بعد الى حروب ١٩٢٠ و ١٩٢١ ؟

الجواب — فهل كان يعجز العدو في ايجاد اسباب لذلك الانقسام ؟ وقد سلح الجميع بسلاح حب الذات والطموح الى كراسي الحكم الزائف تحت اقدامه المشؤومة ؟ والا فماذا يضايق الحاج محمد فكيني المتعلم الكريم العنصر من مواطنه الصادق الامين الباروني ؟

فماذا كان يسر الباروني المفتخر برجال وطنه غير كثرة الزعماء المحترمين والابطال المخلصين ؟ وهو الذي لم يكن بينه وبين اي واحد منهم اي عداء او خصومة شخصية .

ان الدسائس عملت باستمرار وفصلت بين الباروني والنفوسيين قبل ذلك التاريخ واوجدت بينهم زعماء مفروضا عليهم ان يكونوا ضد الباروني حتى في المجاملات القومية !

اذا لا شيء كان يؤخر ذلك الانقسام ولا يمنع تلك الثورات الدامية الجارفة للحقوق المقدسة ما دامت الاقدار افسحت المجال للعدو ونصرته في سياسة التفريق اكثر مما نصرته في سياسة الحرب ! فاستأصلت الرءوس واحداً بعد ءاخر قبل ان يفيقوا او يتمالكوا من التيار المباغت او يجدوا مجالا للتفكير فيما كان او سيكون بالقياس الصحيح حتى سقط في تلك الميادين المختلفة الاسماء الداعي الى جنب المدعي فذهبوا الى ربهم الذي هو اعلم بهم وارواحهم في حسرة مما اصاب الوطن العزيز واهله .

وفي هذا الاثناء انتصرت الحركة الفاشيستية في ايطاليا فتقدم زعماؤها فانهوا كل شيء في طرابلس وليبيا على العموم وقضت على كل ومضة تنم عن الحياة اذ لم يبق في الوطن الا المقبوض عليه غصبا ، او المفروض عليه التهليل والتكبير للطاغية موسوليني واشياعه .

السادس — ماذا منع الباروني باشا اذ ذاك ان يقف برجاله الابطال ازاء الدسائس الايطالية لافساد الصلح موقف رمضان بك السويحلي فيقف بصفوف رجاله المجاهدين في سواني بني ءادم مثلا كما وقف السويحلي برجاله الصناديد في سواني المشاشطة لمراقبة ايطاليا ازاء تنفيذ مقررات الصلح ؟

الجواب — لو لم يكن قصد العدو من تلك التمثيليات المعروفة من كل طامع معتد كما نراها اليوم في شتى الاقطار المغلوبة ، التفرقة وبث جراثيم سرطان الفتنة في الكيان الطرابلسي بل الليبي عموما لكان لكل موقف من تلك المواقف فائدة ونتيجة تسعد الجميع . وكان لأولئك الابطال الصناديد شأنهم المشرف في هناءة المنتصر المجيد . نعم لقام كل من جانبه بما يسد الفراغ ولوقفوا صفا مرصوصا لا تدخلهم الوساوس ولا يجد الشك الى نفوسهم الابية سبيلا .

ولكن هيهات ! كم دامت وقفة السيد السويحلي ووقفات غيره وغيره ؟ وبماذا انتهت ؟ وماذا خلقت ؟

ذهب السويحلي وامثاله ، وايطاليا في موقف المتفرج الساخر وانصارهـــا يشيدون بقدرة رجالها على نشر الطمانينة والسلام في بلد مشوش لن يقوى على نفسه بنفسه ولن يستقيم له امر بدون دولة قوية مثل ايطاليا الغنية برجالها كفاء معمرين ملئت قلوبهم محبة لاطرابلس واخلاصا .

وبهذه الدعايات أتى شرها الاخ بدم اخيه والاب بحرية ابنه حتى كادت الارض تميد بهم اسى وذلا .

هذا والشيء بالشيء يذكر في سنة ما والدوتشي في أوج عظمته وصلفــا ونحن في العراق عدد من مجلة «ليبيا» المصورة ، ومن ضمن ما جاء في فصولها تمجيد للدوتشي وتهليل لفضل ايطاليا المطوفة على ليبيا واشادة بمساعداتهـا للمخلصين العاملين لخير البلاد وانتشالها من وهدة التأخر والعبودية . . . الخ

ثم جاءت بقائمة من اسماء الذين نالوا المساعدة المنظمة مع تاريخ ابتداء تلك المساعدة المنظمة ومقدارها . الخ

فبهت والدي رحمه الله ، وأخذه التأثر حتى عجز عن الاستمرار في القـراءة فناولني المجلة وهو يقول : « بالله عليك أسمعيني واحداً واحداً، فعلها موسوليني؟ وكنت أتمنى ان لا يجد لها فرصة ...!

فلما كنت أسرد الاسماء كان هو يقول : أهـذا ايضاً ؟ أهـذا ايضاً ؟ ثم جلس واهن القوى وتنهد من اعماقه وهو يشير الي ويقول : لاتتركيهـا في المكتب لئلا يراها احد ! انها ءالتمني وقد صدقت الآن من أخبرني بأن ايطاليا عرضت مساعدة على احدهم فاعتذر فهددته اما قبولها واما السجن بتهمة لا يبرره منها محام ! فقبل المساعدة صاغراً وهو في غنى عنها ماديا . »

ثم أردف متسائلا : وعلى فرض انهم بالغوا في حشر الاسماء فهل هنـاك من يصحح الخطأ ؟ او ينفي شيئا عد من اركان الشرف والعظمة ؟

السابع — ترى ايطاليا — فيما قيل — انه لا نجاح لهــا في ايقاد الفتنة بين الوطنيين الا باستمـالة خليفة بك بن عسكر اليها بأي ثمن ؟ فهل صحيح ما قيل عن الباروني باشا انه كان الــواسطة لدى خليفة بن عسكر في ذلك في جوان - جويلية ١٩٢٠ فـكانت عاقبته ان قبض عليه في ماي ١٩٢٢ وقتل شنقا ، ثم ندم الباروني باشا اذ فطن للخديعة ؟

الجواب — لم يكن البـاروني ممن يعملون اعمـالا تـكون من ورائهـا

الندامة مهما وصفه خصومه بجهل اساليب السياسة الناجحة ولا كان من المغفلين حتى يظن الخير في عدو هو اول من وقف يحذر بني وطنه من ظلمه وعدوانه ولا يفطن لمقاصد المعتدين على وطنه الا بعد نزول المصائب بشنق ابن عسكر او غيره من ابناء وطنه الاعزاء . ولكن الظروف المتلاحقة بعضها ببعض حرمت اولئك الاسود على اختلاف اعمارهم وطبقاتهم من ان يكونوا حلقة مفرغة في ساحة الشرف الوطني للذود عن حياضهم وانقلبت الحسنات الى سيئات جرحت القلوب وفتتت الاكباد ، لحيل المستعمر فى ايقاد الفتن امر مفروغ منه .

ولم يكن الامر رهينا باستمالة ابن عسكر وان كانت العيون المجردة لا ترى غير ذلك ، حتى نعد الباروني واسطة مغفلة وهو الذى كان يسعى لازالة اسباب الثورة ، اذ يعز على مثله من المجاهدين ان يرى صرح الوطنية ينهار ويحل لفظ « الثورة » محل « الجهاد المقدس » فهو يعرفهم ويريد منهم دائما مجاهدين في سبيل الحق لا يريد منهم شراذم ثائرة ورؤساء عصابات كما يسميهم عدوهم الشامت ، فتوسط الباروني لازاله سوء التفاهم حسب مبدإه القويم النزيه من الشوائب فى وطنيته واخلاصه غاية ما يستطيع اثباته اذ ذاك من خدمة بالنسبة الى دخائل الموقف .

فقد قتلت ايطاليا كل من وصلت اليه اياديها المجرمة قبل ابن عسكر وبعده فهل كان الباروني الواسطة ؟

بل لما عزمت ايطاليا على تلك الجرائم والمذابح بادرت وأبعدت البارونى عن الوطن بعد ان أطلعته على مضابط موقعة من ابناء وطنه ومنهم احبابه وحتى اقاربه زاعمين ان اولئك جميعا تقدموا يرجون من ايطاليا الرءوفة ابعاده حتى تهدأ الحالة وترجع المياه الى مجاريها ، فخرج لآخر مرة دون ان يودع اهله

واولاده وهم يقولون له « مدة خمسة عشر يوما فقط . . . »

ان الباروني لم يعمل عملا تعقبه الندامة او توبيخ الضمير ، انما كان رحمه الله أعظمهم ألما وحسرة على كل من ذهب من مواطنيه . وقد رأيناه يحزن عليهم بل يبكيهم سواء بسواء شأن الفداءي الذي لم يطلب من المولى سبحانه وتعالى سوى نصرة قومه واعزازهم .

انما مني ببطائفة عكرت عليه صفو العمل وأحبطت جميع أعماله ومساعيه والامر لله .!!

الثامن — وهل صحيح ما قيل عن الباروني باشا انه أخرج من السجن عبيدة المحجوبي الخائن الذي كان السبب في احتلال ايطاليا للزاوية في ابريل سنة ١٩٢٢ ؟

الجواب — أقول : انى لا استكثر على الباروني ولو لم يكن أبي الافراج على اي واحد من مواطنيه فما الفرق بين السيد عبيدة المحجوبي وغيره الذين غرتهم دسائس الاعداء وافرج عليهم وسامحهم واشركهم فى شرف الدفاع ما استطاع الى ذلك سبيلا واكثرهم فى شبه تهمة عبيدة المحجوبي مهما خفي الامر فما ذنب الباروني في عفو سبق تلك الخيانة التي ذاق مرارتها عبيدة على يدي الاعداء عندما نصبت المجازر وشكلت المحاكم الجائرة للقضاء على كل رأس له بعض الاهمية سواء سبقت خيانته للوطن ام لحقت ! فالباروني كما قلت كان يعرف سبب تلك الخيانات ويضن برجال الوطن ورءوسه ويعز عليه فقدهم في تلك الظروف العقيمة من الرجال .

فمهما اتهم في هذا الصدد بقصر النظر او غير ذلك من صفات الضعف البريء فهو قد عمل ذلك كله ارضاء لربه وضميره ، الامر الذي جعل فيما بعد ذكرياته بلسما لجراح غربته وءالام هجرته لشتى الاقطار ونوراً ساطعا على سجل اخلاصه

العميق وصدق جهاده لوجه الله . فيكفيه رضاء انه لم يعذب مخلوقا او شمت في عدو ولا انتقم من مواطن مهما كان ذنبه كبيراً وخطره شديداً على الحركة بل على حياته هو نفسه !

التاسع — ماذا منع الباروني باشا من الحضور في المؤتمر التحضيري المنعقد في اكتوبر ١٩٢٠ في العزيزية وقد دعي اليه ؟ او ان يغيب عن الحضور في مؤتمر غريان المنعقد في نفامبر ١٩٢٠ وقد دعي اليه بالحاح ، سيما وقد عقد لاصلاح ذات البين بين نفوسة والزنتان والرجبان ، وهو امر يهم الباشا قبل كل احد ؟

الجواب — اننا لم نعلم اذ ذاك الأسباب الحقيقية غير ما لمسناه اذ كنا في بلدة زوارة من المراقبة الشديدة عليه وكثرة الجواسيس حوله ومنهم اصدق اصدقائه واقرب الناس في الصحبة القديمة اليه ولكن بعد لقائنا في المهجر عرفنا منه انه اطلع بعد ذلك على تجسسات خطيرة كانت حوله وان بعضهم اخذ على عاتقه قلب الحقائق او تعطيل الاخبار عليه حتى لا يتحقق له عمل مجدي . هذا فوق ما انتهت اليه تجاريبه ووصلت اليه محاولاته في اصلاح الحال وتكشف له من الطوايا ما ادخل اليأس من كل جهة الى قلبه الكبير فأحس انه مسجون ومقيد بارادة الجميع . فرأى ان يترك لاولئك الذين يقولون ما لا يفعلون مسئوليتهم التامة ، وكانوا اشياعا متفرقة بل كانوا يحملون في اعماقهم اسباب الخيبة فامس تطاول العدو على وسائطه وحاملي بريده واستخدامهم عيونا عليه فتأخرت الاخبار عليه ، او أخذت تصله ملفقة غير صحيحة بل مشوبة مما يبعث اليأس ويقعد بمثله في حيرة وألم .

واخيراً ادبر عنه الاصحاب وفرغ جيبه وبقي شبه محصور الى ان رأت الحكومة ابعاده كليا فكان ما قلت في وسط هذه الاجوبة .

فقال فى هذا الصدد ، ونحن فى العراق :

« وقفت فى اعلى الباخرة عند اقلاعها من الميناء وقد خالجنى شعور عميق فى اني مسوق لا اراها مرة اخرى – يعنى طرابلس – فكادت جفوني تمتنع عن الحركة حتى اشبع من منظرها الحبيب . ولم انتبه الى نفسي الا بعد حين عندما توارت وراء الافق وغابت عن الانظار ، ثم رفع بصره الى أعلى كأنه يستثير السماء العادلة وقال وهو يذرع الحجرة بخطوات رتيبة :

« هل يا ترى يقدر لي رؤيتها ! فاردت تخفيف التأثر الذي به ، فقلت : لو لم تجعل شروطا صعبة . . . ؟

وقف بجد وقال بصوته الحنون : أتريتها صعبة ؟ أترين ذلك كثيراً على الله ؟ فى طرفة عين ينجلي كل غم وينحدر كل طاغ ويتحرر كل محكوم !!

لا تقولي صعبة ! بل قولي ان شاء الله ، وما ذلك على الله بكثير ، ثم جلس يستريح وهو يمر بيده على شعر رأسه في هدوء حالم وتكلم كمن يناجي نفسه : « ان الله لن يضيع اجر المخلصين ستحرر ليبيا ، سيندحر العدو وستصبح في ليال زاهرات ، واذا طال العمر سأكون هناك . . .

ولم ازد أي سؤال ولا أتم حديثه . . .

فليتني كنت أكثر سؤالا وكان اكثر اجابة ، واصرح حديثا . رحمه الله ورحم كل شهيد وفداءي في سبيل الحق المبين .

هذا — بعض ما امكن كتابته في مخلوق أحله أهل بلاده من نفوسهم أعز مكان ، وسعى الاعداء لاحباط مساعيه المحمودة ، فحركوا من ذكره ومن هجاه بألم الألفاظ واغرب الابيات ، الابيات التى كنت أرويها بين يديه للتفكه فيضحك ونجعل منها حواراً مفيداً لأرواحنا وعقولنا بما يفيض رحمه الله علينا من حقائق مشرفة ووقائع خالدة ما بقيت لأخبار البطولة والتضحية والتفدية من

مجالي التقدير والاكرام .

اما من باب المدح فاليك بعض نماذج منه فيما يلي :

١ — حشـد او دير امحال يا باروني
راهـو دراري طالية ذالـــونى

٢ — عواضي على الله كان ما تيبوني
نلاحق محله « سوف والبارونى
نأكل ونشرب من دموع عيوني

٣ — نجيك او عليك يا باروني
نديرك حجاب نعلقك لعيونى

٤ — الله اعون الشيخ سليمـــــان
بابا الاوطان إجاهد فى قوم الطليان
الله اعونه ديمه هو واللي معه اخديمه
والكافر يعطيـــــه اسليمـه
دائر للوحة جنجان
يرحم من جابه يرحم من قرا فى كتابه
كان هو ضنوة عزابا
خللوها للناس ازمان
يرحم والدته يرحم من جاب او حطه
علله سيدته منا اليا بر السودان
الله اعونه قائم الاوطان إجاهد فى قوم الطليان

٥ — نشد على بابور بري وينه
نواقيس عرضوني بلا مشينه

يا بورنا ما جانا

إهز التريس او درنا وانسانا

سافر اقدا استانبول عن سبانا

عامين ما اهواتش موسى احسانا

٦ — حلمت في خيار منامي . باشا بنشيانه واقف قدامي

حلمت والتفسير حسب النية ـ ناس ليبيا يحصلو الحرية

يا ليبيا بشراك جوك اشبالك ـ وطنك ضوا بعد الظلام الحالك

واما من باب الذم الذي يشهد على اسباب فشل تلك التضحيات الخالدة فاليك نموذجا منه فيما يلى :

البربري بريك من تخديمه ـ خليه تحت التحت ديمه ديمه

عمركش ريت جبالي ـ مكتوب فى الجرنال صاير والي

عمركش ريت التين سوق ـ غالي

عمركش ريت من السعف شريمه

البربري بريك من تخديمه

وكما ترون من المدح والهجاء انه كغيره من الناس والعاملين للصالح العام كان محبوبا حاضراً وغائبا .

الامر الذي اطلق شاعرية بنى وطنه الاوفياء المحق نساء ورجالا في تشجيعه والاشادة بجهاده والتغني بثباته . . . الخ

فياليت يسمح الزمن بجمع شيء من ذلك بعد ان ذهب ما لدي سابقـــا ادراج الرياح .

اما الهجاء فنصيبه منه ـ والحمد لله ـ أقل من غيره وقد حدث لأمرين :

الاول ـ الفقر الذي منيت به البلاد لاستمرار الجفاف في اوائل الحرب ،

وعدم وجود مدد كاف لسد حاجات المحاربين لصد العدو الغني الذى كلما تقهقر من محل ترك ما لا يوصف من الغنائم والذخائر . . .

وقد سمى بعض الحائدين عن جادة الصواب جموع المجاهدين المتطوعين « عسكر الدقيق !! » لأنهم اضطروا في بعض المرات الى اعطاء فرائض المجاهدين من الدقيق المرسل لهم من بعض الجهات المتحمسة لوطنيتهم وذلك لانعدام الدراهم طبعا فى الجهاد الاول بعد تسليم تركيا .

الثانى — نتيجة الدسائس ـ كما قلنا ـ عندما عز على العدو تماسك اهـــل طرابلس متطوعين لقبول الحق ونسيان كل تعصب ، او ثارء له كل حساب قبل ذلك ، فسموا « البارونى » بربريا ووصفوه بالضعف ، لا لهدم الباروني ولـكن لهدم الحركة الوطنية من أساسها ، وهذا هو سبب الانقسام بعد ذلـك في كل موقف يجب فيه الاتحاد والاخلاص .

فهل كان الباروني بربريا ؟ أو لم يكن عربيا مسلما صميما من جهة الاب وبربريا مسلما صميما من جهة الام ؟

وهنا تعرف اسباب كل مكـيدة حرمت الجميع النصر في ذلك الحين .

بنت الوطن : « ز ـ البارونى »

مغادرته لطرابلس

على أثر حدوث تلك الاضطرابات وتفاقم أمرها غادر طرابلس سائحـــا فى بلاد الله فقصد استامبول وانقره ، ولكن وجد الحالة قد تغيرت اثر الانقلاب الكمالي ، ومجلس الاعيان العثماني قد انحل ، فحاول العودة الى الشام او مصر او تونس ، فوقفت بريطانيا وفرانسا فى وجهه ومنعتاه منعا باتا من دخول هذه البلاد ، ثم ساح في اوروبا من طريق رومانيا كما مر ، وشهد مؤتمر لوزان ـ لا لدعوة بل كمتفرج ـ ورأى وسمع ما قرر هنالك فى ابرام المعاهدة مع الكماليين فعلم نهائيا انه لا مطمع فى رجوع تركيا العثمانية فلوى عنـان سفره الى باريس ـ مهد الحرية ـ وكان يحمل « باسبورتا » في سياحته هذه باسم : سليمان بن عبد الله العثماني او ما بمعنى هذا .

وهنالك وجدت فرانسا فريستهـا ، فوجـد نفسه فى قفص الاسر ، ولبث نحو عامين بين مرسيليا وباريس لا يؤذن له بالخروج من البـلاد الى المستعمرات لمجرد ما شعرت به انه هو الباروني .

في اثناء مقامه هنالك جرت له امور هامة ونوادر عجيبة نخص بالذكر منها ما يلى :

١ ـ زيارة الباشا لتونس

من أغرب الاتفاقات انه في حـوالي اوت ١٩٢٣ زار تونس برخصة من مديرية بوليس باريس بالاسم المؤمى اليه آنفا فلم تقنع بها حكومة الحماية بتونس ولمجرد ما اتصلت بخبر وصوله بتونس ضربت عليه نطاقا من الحصار فى اوتيل « تونيزى بالاص » وهو يتألف من البوليس والاعـوان السريين وحجرت عليه أن يتصل باحد اصلا لا مشافهة ولا مراسلة ، وامرته بمبارحة تونس حالا .

اتصالنا بالباشا في النزل

اقتضى وجوده بتونس حراً واسيراً بضعة ايام ، اتصلنا به ايام كان حراً ، وتحادثنا معه انا وطائفة من رفاقي في البعثة العلمية الميزابية بتونس في مواضيع شتى كنا ألممنا ببعضها فيما مر ، وكلها مفيد وكلها هام .

وكنا ازمعنا ان نعقد له نحن افراد البعثة حفلة تكريم تليق بمقامه السامى ، نستدعي اليها اصدقاءنا الاوفياء من المشائخ والاساتذة والمعلمين والادباء والتلاميذ من ابناء تونس ، وقد حررت قصيدة لهذا الغرض في يوم ٢٤ محرم سنة ١٣٤٢ نشرتها فى الديوان صفحة ٢٦

ولكن تصرفات السياسة وتحكمات الاستعمار حالت دون هذه الامنية الغالية بضرب نطاق الحصار عليه كما قلنا ، ولما حان موعد رحيله اصطحبوه مخفوراً تحت الحراسة من الاوتيل الى الباخرة كأنه مجرم . كما سيفصله هو فيما بعد . فلم نتصل به الا من بعيد . ومنذ اتصلنا به هناك تواصلت بيننا وبينه المراسلات واستمرت المكاتبات فى سائر اطواره مع عامة اطوارنا من بعد ، كما شملت هذه المراسلات منه طائفة من الفضلاء ، اخوانه من بني ميزاب في شتى الشئون حيثما كان وكانوا . وسيرى الاخ الباحث نماذج من ذلك مما لا يخلو من فوائد وعبر على حسب مواضيع الكتاب بحول الله .

واما القصيدة المؤمى اليها فمطلعها :

هلالان هلا بالرحاب وألقا ... وبدران من أفق السماء ين اشرقا

ومنها :

ألا ايها الضيف الكريم تشرفت ... بكم تونس الخضرا ومادت تأنقا

تمنت لكم عيشا رغيداً بجنبها ... فكان وكان ما ألم وفرقا

وقد حظيت منكم بما حظيت به ... المليحة من طيف الحبيب تشوقا

نزلتم بهذا القطر عـزلا فزلزلت — عروش حماها السيف والجند طوقا
فقام بادوار الضيافة ابنـاء التمـ — ـدن تضييقـا وحجـراً مقلقا
علمنا يقينا كيف يقري ضيوفهم — بنو الغرب ان الغرب مازال احمقا
عملتم بقول الله «سيروا» فسرتم — فأرعد هـذا الغرب منكم وأبرقا
تحالف اهل الخلف عنكم فأوصدوا — أمامكم الابـواب غربا ومشرقا
راوا فيكم نفسية لا بغيركم — فظنوا بها هولا خطيراً قد احدقا
وان لـكم مرمى بعيـداً وغاية — فهالهم ابن الشرق ان يتفوقا
ولو انصفوكم ساعة لتنـافسوا — بكم وتغالوا في عـلاكم تعلقـا
لئن اغلقوا ابوابهم في وجوهكم — فما كان باب الله عنكم ليغلقا (١)

٢ - زيارة اخوين للباشا في مرسيليا

فى اثناء اقامته بمرسيليا - وهو في حالة لا تبعث على الارتيـاح - زاره فى جانفي ١٩٢٤ اخوان فاضلان كريمان من الجزائر مـن بني ميزاب ، ألا وهما المرحومان السيد الحاج عمر العنق والسيد تيرشين سليمان بن الحاج عمر ، فكانت زيارتهما له بمرسيليا كزيارة سحاب ممطر لأرض جدباء زمن الربيع ، تبدلت بها وحشته انسا ، وأساه بهجة ، وضيقه فرجا، وبؤسه سعادة . ورءاها الباشا مـع جميل صبره نفحة الاهية نزلت من السماء رأى في شأنها من قبل بعض مبشرات كعادته فى امثال هذه النفحات بعد امثال تلك المضائق ، وذلك أقل ما رجوناه له برسالتنا للاخ الفاضل في هذا الشأن ، اذ الواقع اننا لما التقينا بالباشا في تونس طرق لنا باب مراجعة الحكومة الفرنسية من بعض اعيان التجار الميزابيين للاذن له بالمقام اما بالجزائر واما بتونس بعائلته على شروط ، فكتبنا رســالة

(١) وقد حقق الله له هذا الظن منى في نفس العام والحمد لله كما ستراه قريبا ان شاء الله

للمرحوم الحاج عمر العنق فى هذا الشأن فذهب بها الى اخواننا بالجزائر فأطلعهم على تلك الرغبة عسى ان يبذلوا من اجلها جاههم لدى الولاية العامة ، ولكن لأمور لا نعلمها لم ينتج من ذلك شيء غير زيارة الاخوين للباشا في مرسيليا حسبما ذكرناه ءانفا .

لبثا معه هنالك بعض ايام جرى لهما معه اثناءها احاديث روائع وقصص مليئة بعبر ، ومقتطفات حكيمة بليغة ودعابات مرحة وفكاهات لطيفة .

ثم رجعا الى الجزائر وقد سريا عنه ما كان يلم به من أسى وكئابة وضيق ووحشة .

وهى اول نفحة نفحه الله بها فى هذا الاسر ستتبعها نفحات (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب)

ومن كرمه وحسن لطفه ان اهدى لكل من الاخوين المذكورين أثر هذه الزيارة هدية لطيفة هي مرءاة مكبرة وقلم استيلو ، فلفهما وأرسلهما في صندوق صغير اليهما وكتب اليهما هذه الرسالة اللطيفة ونصها :

الحمد لله — الى الاخوين الفاضلين حرسهما الله .

اليوم ارسلت اليكما الصندوق الصغير الذي نسيتموه عندنا يوم سفركم ، ولكن اضطررنا الى فتحه للعلم بما فيه قبل تقديمه الى البوسطة فوجدنا فيه قلما عدد ٢ ومرءاة مكبرة عدد ٢ لاغير . وقد فهمنا انكم اشتريتم ذلك تذكاراً لسفركم هذا ، وقد اصبتم في هذ الفكر ، لان الذي يسافر مثلكم دائما فى الشمندفير والبحر تلزمه مرءاة ينظر بها الى الاماكن البعيدة والجبال والبلدان التى يمر عليها من بعيد فيتسلى بذلك ويستفيد ، فالمرجو ان تخبرونا بوصول ذلك .

والسلام من اخيكم :

سليمان الباروني

٣ ـ تحفة غالية ادبية منه لنا

بما انه جرى على السنتنا ـ عندما كنا معه في النزل ـ حديث عن النهضة العلمية الجديدة ولاسيما بعثتنا العلمية بتونس . كما اشرنا اليه سابقا . وحيث انه التمس منا ـ اذ حرم من رؤية ابنائنا ـ صورهم وكتاباتهم فأرسلناها اليه ، فانه لما رجع من تونس مكرها الى مرسيليا كتب الينا فى اواسط رجب ١٣٤٢ ـ ٢٢ فيفري ١٩٢٤ رسالة بليغة ضمنها ابياتا عالية في الموضوع كجواب لذلك ونصها

حمداً وصلاة وسلاما

الاخ الجليل الحر المحترم . . . حفظه الله

سلاما واحتراما . ورد الي امس كتاب ومجموعة صور للتلامذة النجباء فدلتني كتاباتهم على ما لديهم من الذكاء والاستعداد للنزول فى معترك الحيـاة الجديدة للبقاء مع الاحياء .

كما حرك مني منظر صورهم الجميل قريحة طالما حاول الدهر اخمادها ، وفكرة كثيرا ما نوت النوائب قتلها ولكنها لم تمت ولن تموت باذن الله . فقلت الابيات الآتية جوابا وتنشيطا لتلك الشبيبة المعتصمة بالله .

حياة تجلت فاستنار بها الشعب	وشمس تبدت فاستضاء بها الغرب
وروح سرت من مبدع الكون فانثنى	فتى مركز الصحراء نحو العلى يصبو
هو العلم ان حل الرفات تلألأت	وان حل طودا شامخا راسخا يحبو
فلا عجب ان قيل تونس اصبحت	محط رجال العلم منهلها عذب
لقد أمها من مصعب الغرب ثلة	شباب صغار لا يعد لهم ذنب
راوا للعلا رايا فتاقت نفوسهم	الى نهجه فاستسهلوا ماهو الصعب
أتتني رسالات تشف عن الذكا	وعن همم عليا وروح لها صوب

بني الغرب اكباد الشباب تعطشت فلا تحزموهم ما اليه الورى هبوا
أروهم من الدين الحنيفي أسه ومن أمر دنياهم علوما لها لب
فهم عدة بل للطواري أسنة وهم اعين الاجيال بل هم هم القلب
ومن لم يسلح بالمعارف قومه غدا علقما مستعبداً ما له صحب
يرى الحبل ثعبانا ويحسب حبة من القمح منطادا فينهكه الرعب
وهل بعد هـذا للحياة فضيلة بربك لا لا . فالعلوم هي القطب

مرسيليا اواسط رجب ١٢٤٢ ـ ٢٢ فيفري ١٩٢٤ سليمان الباروني

٤ ـ تحفة ادبية منه ايضا لابناء البعثة

لما التمس ايضا من ابنائنا التلاميذ افراد البعثة لمزيد حنينه اليهم ان يكتبوا اليه ما يعن لهم من رسائل وان يرسلوا اليه معها صورهم ايضا زيادة عما مر سابقا ليرى تطورهم في العلم ونموهم في الحياة ، اجابوه لذلك بما سره وأبهجه وتبين له من ذلك تفننهم وتفاءل منه خيراً للامة والوطن فاجابهم بالقصيدة الرائعة التالية التي تضرب على الاوتار الحساسة وتهز العروق النابضة . وهذا نصها :

الى الطلبة النجباء

حماهم الله ووفقهم

نسمات الشوق هبت بانتظام حاملات للتهاني والسلام
وتغنى بلبل الانس وهام اذ هلال القطر قد زان السما

بدت الاقلام تشدو وتجول تنظم الشعر عقودا وتصول
وتجيد النثر طورا وتقول ان رعدنا انقلب الارض سما

يا شباب العصر يا روح البلاد يا رجال الغد يا نور الفؤاد

يا دعاة الارتقا والاتحاد   يا جمال القطر لكن بعد ما

انتم للشعب حصن وسلاح   عندما تنشر أعلام الكفاح
انتم عند اللقا كبش نطاح   يدفع الاضرار عن ذاك الحمى

قد اتاني منكم النظم الجليل   وسقاني كأس راح سلسبيل
كيف لا ؟ وهو شفاء للعليل   كاد يدعى بحكيم الحكما

اعلموا هذا وجدوا في العلوم   واطلبوها في الثرى او في النجوم
ودعوا الجاهل كالعير يحوم   ان جهل المرء موت وعمى

قد علا قوم متون الصافنات   واستعدوا للحروب الطاحنات
واستخفوا بملذات الحياة   فرأوا النصر وأعلوا الهمما

هكذا العلم به يحيي الموات   وبه ينقاد للمرء الطغاة
وبه يلبس من حسن الصفات   ما به يدعى عظيم العظماء

مرسيليا   ٥ ذي القعدة ١٣٤٢   سليمان الباروني

٥ ـ مساعيه الملحة للدخول للمستعمرات

في هذه الظروف الحالكة ابدى الباشا الباروني نشاطا كبيراً في طرق ابواب سفارات الدول الغربية مباشرة وبوسائط مختلفة للترخيص له للدخول اما الى تونس او الجزائر او سوريا او مصر لأجل الاستقرار بها نهائيا بعائلته الغريبة في رمال زوارة ، وتوسل بعدة وسائل واعطى تعهدات لهم ان لا يتداخل في شئون السياسة ابداً وكان هذا الامل يداعب عاطفته الى اخر ايام حياته كما ستراه بعد هذا . فاما فرانسا فقد اجابته بالرفض التام ، ولن يدخل الباروني الجزائر اوتونس ولو في المنام .

واما انقلتيرا فقد مانعت ممانعة كلية ان يدخل الشرق كله ولاسيما مصر فى عهد حمايتها . واما ايطاليا فمن باب أولى الف مرة ، ومتى نزلت نفحات سماوية من ناحية اروبا الغربية العاتية ؟

أجل لقد كان للباشا رجاء كبير فى مصر في عهدها الجديد ـ الاستقلال ـ أن تفتح فى وجهه ابوابها على مصاريعها . واليك ما كتبه الينا فى هذا الشأن :

حمداً وصلاة وسلاما

باريس ٥ شعبان ١٣٤٢

السلام ـ كنت عرفتكم بان سفارة مصر قابلتني باحترام فائق (١) وكتبت ما يلزم الى الوزارة في مصر ، والآن وصلني جواب الشيخ اطفيش : ذكر انه راجع الوزارة وقال الوزير انه مستعد لاجابة الطلب اذا كتبت اليه السفارة حسب الاصول .

وعليه فالمسألة ان شاء الله ستختم قريبا وتصح الرؤيا والحمد لله .

سلامى الى الاخوان . من اخيكم : سليمان الباروني

ولكن بعد هذا خاب ظنه في مصر ايضا الى ان كاد ييأس منها فكتب الينا فى هذا الشأن وغيره . وفي ضمن الجواب ما يلي ونصه :

حمداً وصلاة وسلاما — ٢١ رمضان ١٣٤٢ — مرسيليا

اخوان الصفا ـ حماكم الله . سلاما واحتراما

الظاهر ان الحكومة المصرية الجديدة اقتفت أثر اسلافها فى استشارة الانكليز او الطليان في مسألتنا ولذلك مضى نحو شهر ونصف ولم يجب عما كتبه اليها سفيرها فى باريس . والا فان سعد باشا قال قبل ان يتولى الامر : « لو كان الامر بيدي لما تأخرت عن اجابة الطلب » وقال وزير خارجيته الجديد

---

١) اى فى رسالة منه الينا مؤرخة في ١ رجب ١٣٤٢ ومر نصها في صفحة ٥١ ـ ٥٢

بعد مباشرة العمل : « انى لا اتأخر عن القيام بالواجب لمجرد ورود كتابة من سنمارة باريس » هكذا ذكر الشيخ اطفيش في اجوبته من قبل .

وقد رأيتم ما كتبته في حق جماعة انقرة ونشر في كل الصحف العربية . وبذلك سددت باب تركيا ايضا ، وان كنت لا افكر في الرجوع اليها من يوم خروجي منها .

بقي باب الله الذي سيفتحه بعد سد هذه الابواب كلها ، اذ حكمته تعالى لا تقضي بسد جميع ابواب الدنيا امامي خاصة . وها انا ذا منتظر ذلك منه فانه مفتح الابواب الفعال لما يريد . اما الانسان فقد علمنا انه ءالة تديره يد القدرة التي لا يد فوقها ولا حول ولا قوة الا بالله . سلامي واحترامي الى من معكم من افاضل الاخوان . ودمتم في عز لاخيكم : سليمان البارونى

قلت : انظر قوة هذا الايمان الكامل بربه وقت هذه الشدة الهائلة . ولا يفوقه الا ايمان الانبياء والرسل ، ولابد لأمثال هذه القلوب العامرة بالله من فرج ومخرج .

٦ ـ نفثة مصدور

تحت تاثير الصدمة وخيبة رجائه فى مصر الجديدة كما تلمسه من رسالته السالفة يبث أهاته فى قصيدته الرائعة ويرسل صواعق غضبه على دول التحالف الغربي وذيولها ، ولاسيما مصر في نفس تاريخ الرسالة الموحى اليها ، وان كانت القصيدة بعنوان « وداع رمضان » لعام ١٣٤٢ ، وهذا نصها :

شهر الصيام قد ارتحلت مودعا	فعليك يا شهر الرضاء سلام
شهر الالاه الى الالاه تقدمت	اعمال من بالصوم فيك يلام
صمناك يا رمضان لا عن رغبة	فى معشر قال الصيام حرام

صمنـــا نهارك قائمين بليله   حيث الصلاة تعاب والاسلام
صمناك طوعا والقلوب كئيبة   حيث استبيح حمى الخنا ومدام
صمناك حيث يقال: لا رب ولا   كتب ولا دين ولا احكام
صمناك في باريس عاصمة البغا   مهد المعارف زهرها بســام
صمناك في مرسيليا اذ قررت   دول التحالف أسرنا وتعاموا
فاشنع اذا ما للشناعة موقع   كيما تظلل ربعنا الاعلام
سنة مضت والله لم يفتح لنـا   بابا ويوم في المـــذلة عام
أترى يقدر لي صيـام ثالث ؟   حيث العبادة للمسيح تقـام
لا تسمع الآذان تكبيرا ولا   يلـفى خطيب مرشد وامام
الا نـــواقيسا تدق اذا اتى   وقت تقدس عنده الاصنام

* * * *

اواه فما هذا التحكم فى الورى   حل الشقاء فهل يسل حسام ؟
ويل لمن عرف الحقائق وارتدى   ثوب السكينة والعباد تسام
دول على قهر الانام تحـالفت   فتحكمت والعالمون نيام
وغدت تقسم من بلاد الله ما   شاءت وما للمؤمنين سهام
قبضت مفاتيح البـلاد وفرقت   فاشتد بـين المسلمين خصـــام
فتنافسوا وتقاطعوا فاستضعفوا   وبدا الموحد حيث حل يضام
لم يبق للاسلام قطر قائم   ما للعدو به يـد ونظـــام
ما للنبيء محمـد ولدينـــه   وكتابه صوت ولا حكام
الا ببعض بقاع ارض مالها   باب لقاصدها ولا اعـلام
هى كالاسيرة بالعدو محـاطة   لم يغنهـــا جيش ولا اقدام
رفقا بدينك ربنـا اذ عاد في   خطر تصاغ لنسفه الالغام !

مرسيليا   فى اواخر رمضان ١٣٤٢   سليمان البارونى

انطلاق الباشا من اسر الحلفاء

او نفحة سماوية تهب من الحجاز !

في اوان اشتداد كربة الاسر على الباشا كما رأيت هبت عليه نفحة سماوية من ناحية الحجاز ، كما هبت منها على العالم الانساني ، وهو في اشد كربته قبل ١٣٤٢ عاما على يدي محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد منحت حكومة جلالة الملك الحسين الهاشمي لسعادة الباروني باشا رخصة السفر الى الحجاز برسم الحج ، عندما بلغه مضايقة الحلفاء لسعادة الباشا .

ورغم مضايقة ومعارضة دول الحلفاء لجلالة الملك الحسين في ذلك فقد أصر على منح الرخصة له وأجاب الحلفاء بأنه لا مساغ له شرعا ان يمنع مسلما من حج بيت الله الحرام .

الباروني باشا ينفجر !

إثر هذه النفحة الالاهية ينفجر الباروني باشا على دول الحلفاء وذيولها كالبركان فيقول هذه القصيدة الرائعة التي تتطاير منها شظايا قنابله الذرية على اهدافها فيقول :

نزلوا وها أنا ذا صعدت فهل لهم ... أن يهدموا ما شاده الاقدار
حكموا وظنوا ان حكمهم مضى ... وطغوا فغار إلاهنا فانهاروا
ما لي ارى « بونكاريا » زلت به ... قدماه أم قد دكه الجبار (١)
عاما قضيت بحكمه متفرنسا ... فكأنني لص اليه يشار
الله اكبر حارت الالباب في ... احكامه سبحانه المختار

---

١) بوانكارى رئيس الوزارة والخارجية الذي اعترض بشدة على اعطاى جواز السفر الى بلاد الحماية مطلقا .

هذا البروني قد نجا من كيد « بو ... ن مارشي » فهلا انتج الاصرار (١)
فليعتدل ان شاء او فليعتزل ... وليبك « كورزون » الفتى المكار (٢)
و « لموسوليني » ان يحمر خده ! ! ... وكفوفه فالاهنا قهار (٣)
وليستنف ابطال مصر جهادهم ... ما سعد منقذهم ولا نوبار (٤)
ما سعد الا مثل سابقه بلا ... شك ألا فليغهم الأخرار
ان الكنانة لا تحوز خلافة ... ما دام جورج حاميا امار (٥)
ان الخليفة لا يكون حماية ... بل هو حامى المسلمين منار (٦)
ليس الخليفة من يعد عبارة ... عن هيكل مثل القبور يزار (٧)
ليس الخليفة من يعد منافقا ... او ملحدا او خائنا غدار (٨)
ليس الشريف ابن النبيء خليفة ... ان لم يحطه الجند والدينار (٩)
ان الخليفة ناظم الدنيا وحا ... مي الدين وهو المؤمن المختار

* * * *

---

١) رئيس السياسة في الوزارة الخارجية المعترض ايضا بشدة استنادا على ما حفظ في دائرته من تاريخ حياتي السياسية .

٢) كورزون وزير خارجية الانكليز المعترض على دخولي الى بلاد الشرق مطلقا .

٣) موسوليني رئيس وزارة ايطاليا المعترض على دخولي الى طرابلس وتونس ومصر ، تخضيب الخد كناية عن الندب والحزن ، وتخضيب الكفوف كناية عن الافلاس كما هو معروف

٤) هم اضداد الحكومة السعدية لان سعدا قبل ان يتولى الامر صرح بانه لو كان الامر في يده لما منعم ، ولما تولى الامر لم يقدر على اعطاء الرخصة كمن سبقه من الوزراء ارضاء للانكليز او الطليان . ونوبار المندوب السامي الانقلبزى سابقا .

٥) جورج . ملك الانكليز وهو جورج الخامس .

٦) المراد بهم بعض الامراء الذين رشحوا انفسهم للخلافة او رشحوهم وهم تحت السلطة الاجنبية .

٧) بعض الاشخاص الذين رشحهم المتوهون للخلافة

٧) جماعة انقرة ورئيسها .

٩) الامام يحيى وملك الحجاز اذا لم يمض معاهدة الحماية الانقليزية وغيرهما .

هذي الحقيقة قد كشفت غطاءها فليعملوا حتى يثار غبار (١)
ويعود كالمرجان احمر قانيا ايام فيض نيلها الجرار
ويجول بين شمالها وجنوبها مثل الغضنفر شبلها الكرار
ويلوح فى جو السياسة لامعا نبراسها فيؤمه الاخيار
اذ ذاك يعلم خصمهم ورجاله ان الكنانة جنة ام نار ؟
فيبارح القطر المجيد مزوداً باليأس تعلو وجهه اكدار
اذ ذاك تنشر للخلافة راية بجلالها تستأسد الانصار
اذ ذاك ينصب للخلافة منبر وبذكره تترنم الاذكار
اذ ذاك تصبح مصر قطب الارض من شرق الى غرب عليه تدار
هذا طريق الحق يا من رمته فاعمل والا فالنهاية عار

مرسيليا ١٥ شوال ١٣٤٢ سليمان الباروني

الباروني باشا فى طريقه الى الحج

فى يوم الاربعاء ١١ ذى القعدة عام ١٣٤٢ - في اوت ١٩٢٤ يتخلص الباروني باشا نهائيامن اسر اوروبا فيخرج من مرسيليا الى البقاع المقدسة ويعد هذا اليوم عيد التحرير له لا يوازيه الا عيد تحريره من السجن في عهد الخليفة عبد الحميد سابقا .

وقد كتب الى جمع من اخوانه فى ذلك باسم الاخ الجليل المرحوم الحاج عمر العنق رسالة بليغة . وهذا نصها :

حمداً وصلاة وسلاما

السلام عليكم كما ا. . . . التصاق بنا : فليوم الاربعاء التصاق باعمالي منذ

---

١) اي المصريون اذا ارادوا الخلافة .

عرفت ، ولكن نتيجتها حسنة حتى فى الحروب .

اليوم ولله الفضل خلصت من اسر اوروبا وركبت البحر قاصداً البقاع المقدسة . وسأدعو لكم ولنفسى فيها بما أرجو من الله قبوله . وعنواني هكذا « سليمان الباروني في مكة المكرمة » اني سأخبر مدير البريد هناك بمحل اقامتي لمجرد وصولي .

بقي شيء واحد وهو الخاتمة ان شاء الله لاشغالكم بما قمتم به من الهمة العالية . . . . (١)

نسأل الله اطالة العمر حتى نجتمع على احسن مأمول فى القريب العاجل .

والسلام من اخيكم : سليمان الباروني

ثم تتابعت الينا رسائله فى طريقه الى الحج ، وفيما يلي نماذج منها :

١ — تذكرة بريدية من الاسكندرية مؤرخة في ١٦ ذى القعدة ١٣٤٢ وفي خاتم بريدها هكذا ١٨ اوت ١٩٢٤ وهذا نصها :

السلام عليكم . وصلت اليوم الاسكندرية والحمد لله بغاية الراحة والبحر فى غاية السكون ، وبعد غد اسافر الى الحجاز باذن الله وسأكتب لكم جوابا بعد هذا . وقد ارسلت اليكم يوم سفرى من مرسيليا جوابا . ودمتم لاخيكم :

سليمان الباروني

٢ — تذكرة بريد من بيروت مؤرخة في ١٨ ذي القعدة ١٣٤٢ وفى خاتم بريدها هكذا ٢٠ اوت ١٩٢٤ وهذا نصها :

السلام — اليوم وصلت بيروت ولم يمكنني النزول فى الاسكندرية وبورت سعيد (٢) وربما اسافر بعد غد الى جدة رأساً ان شاء الله . وسأكتب لكم

---

١) هنا ذكر امرا خاصا لقضائه له لا حاجة للبوح به هنا

٢) ترى قريبا اسباب ذلك مفصلة بقلمه في رسالة طويلة

الحماية الفرنسية والاحتلال الانقليزي

والاثر المترتب على وجودهما في كل من تونس واختها مصر (١)

فى غضون عام ١٩٢٣ خلال اقامتى بباريس توجهت منها الى تونس ، وما كادت تستقر قدمى فى المنزل الذى نزلته حتى احاط بابوابه البوليس اشكالا وانواعا ودخل علي الكوميسير قائلا : انه باسم المقيم العام الفرنسوي يبلغني بان لا اقبل مقابلة احد من الاهالي ولا اخابر احداً قط الى ان اخرج من ارض تونس بعد اربعة ايام مع الباخرة المتوجهة الى مرسيليا .

وقد قيل لي فى باريس ان من جملة اسباب هذه المعاملة كون صاحب المملكة باي تونس لم يقبل دخولي الى مملكته ، وهذه العبارة بعينها سمعتها قبل ١٣ سنة من احد كبار مأموري فرانسا لما التجأنا الى تونس عقب الحرب الطرابلسية الاولى ، وقد حاولت اقناع الكوميسير بجواز السفر الذي بيدي والمصدق عليه من مديرية بوليس باريس فلم يقتنع . وبعد ان ودعني معتذراً ابقى نفرا من البوليس التونسي على ابواب المنزل ليمنعوا الناس من الدخول الي . ولما حضرت الباخرة ورافقوني الى الحجرة التى نزلت فيها ، وقد سبقني اليها جاسوس يهودي لم يفارقني الى ان وصلت مرسيليا . واستقبلني جمهور من بوليسها وعاملوني معاملة قاسية ، لكنها تعدلت بعده بواسطة بعض المنصفين من رؤسائهم . وها اناذا بعد مضي سنة من رجوعي من تونس ماراً على ابواب مصر (اسكندرية وبورت سعيد) قاصداً البلاد المقدسة برخصة من حكومتها .

وذلك بعد ان امتنعت الحكومة السابقة والحاضرة من اعطاءي رخصة الدخول الى مصر رغم وجود اشغال تجارية لي فيها معطلة من يوم نشوب الحرب الطرابلسية الى الآن .

---

١) حياة سليمان باشا ص ١١٢ ورسالة الينا خاصة

لكن ما كادت الباخرة ترسو فى الاسكندرية حتى جاء زورق مملوء بافراد من البوليس المالطيين والمصريين وصعدوا الى الباخرة ، واطلع رئيسهم المالطي على دفتر اسماء الركاب ، وفى الحين قال : ايتوني بالراكب المسمى « سليمان » فاجبت نداءه فطلب الباسبورت فقدمته اليه ، فخاطبني بما يلزم مع ادب كثير ثم ذهب وأبقى قسما من البوليس امام سلم الباخرة وقسما داخلها لازموني فى كل زمان ومكان ، بحيث كانوا يفتحون باب الحجرة التى انا فيها ليتحققوا من وجودي فيها بناء على أمر رئيسهم المالطي حتى انكر عملهم هذا بعض خدام الباخرة ، فاخرجوهم منها بعد منازعة قائلين لهم هذه باخرة فرنسية لا مصرية ولا انقليزية فانزلوا الى البر وانتظروا هذا الرجل هناك اذا نزل فخرجوا مكرهين لكنهم عادوا بعد شطر من الليل بنحو ساعة دون ان يعترضهم احد وفتحوا باب الحجرة حتى رأوني ولم يفارقوني من تلك الساعة الى ان سافرت الباخرة بعد ثلاثة ايام الى بورت سعيد !!

وقبل سفر الباخرة بقليل قال لي البوليس ان رئيسهم الاكبر امر بقدومي اليه فى الطبقة الاولى من الباخرة فذهبت اليه ، ولما رءاني تظاهر بأنه يطالع ورقة بيده وهو واقف وعلى وجهه أثر الغضب وبدون ان يحقق النظر قال :

« هل عندك باسبورت فناولته اياه فرأى الصورة التى فيه واعاده الي واشتغل بالكلام مع البوليس فذهبت وكان بالقرب منهما رجل واقف اخبرني ان الرئيس الانقليزي هدد البوليس بالسجن او الطرد لانه لم يجده واقفا بجانبي فاجابه البوليس بقوله : ان الذي يفهم من حال الرجل انه شريف النفس لا يحسن بي ان اضايقه اكثر من هذا ، فقال له : سترى جزاءك .

وعلى هذا فاني ألفت نظر نواب الامة المصرية فى مجلسيها المحترمين ، مجلس الشيوخ ومجلس النواب المكلفين بالمحافظة على حقوق ضعفائهم وصغار مأموريهم

الى الاستفهام عن حال هذا البوليس الوطنى نمرة ٩٤٨٩ . من بوليس دائـــرة الباسبورات ليعلموا ان كان طرد ام لا ؟

وليس ذنبه الا انه وقف عند سلم الطبقة العليا من الباخرة بحيث يراني .

ولما وصلت الباخرة بورت سعيد صعد اليها شاب انجليزي ومعه كاتب عربي وبعد اطلاعه على الباسبورت قال انه مكلف من طرف رئيسه بملازمتي حتى لا لا انزل الي البر ، فسألته عن السبب فقال لا ادري ، ثم أتاني رئيسه الانجليزي وصدره مزين بعلامات النياشين الكثيرة ومعه انجليزي ثالث وقال لي : ان وزارة الداخلية امرتني بمنعك من النزول الى البر !

فقلت هذه اخت كلمة الفرنسي الذي قال : ان صاحب المملكة باى تونس هو الذى أمر بمنعك من الدخول الى مملكته .

ثم قلت له لعل الحكومة تريد غيري وانتم غلطتم لان الاسم واحد . فقال ان الحكومة لا تغلط فى مثل هذه الامور . الخ ما كان .

والحق يقال اني رأيت من رجال البوليس الانجليزي ببورت سعيد من حسن المعاملة والادب في كلامهم وحركاتهم ما لم أكن أتوقع حصوله منهم ، وان لم يفارقونى قط . الى ان سافرت الباخرة الى بيروت .

وكذلك لم اتمكن من ارسال هذه الرسالة من بورت سعيد .

فليتأمل القاريء الواقعتين ليدرك كيفية المعاملة في تونس « المستقلة » المحمية ذات الامير المسلم والمجلس الوطني الكبير ، وفي مصر المستقلة المحتلة ذات الملك المسلم ودار الندوة الكبرى « البرلمان » وبذلك يتضح جليا معنى الحماية الفرنسية والاحتلال الانجليزي .

والذي يستلفت النظر فى القضيتين ان الذي استقبلني في تونس فرنسي يتكلم بلسانه بواسطة ترجمانه لاغير ، وقبضه في يده على انه مأمور من طرف رئيسه الفرنسي .

والذي استقبلني في الاسكندرية اولا مالطي يلبس كبوة مصرية ويتكلم بالعربية على انه مأمور من طرف رئيسه الانجليزي .

ثم قابلني الرؤساء الانجليز أنفسهم هناك وفي بورت سعيد . وهم يتكلمون العربية وعلى رءوسهم الطرابيش المصرية .

ولو كنت جاهلا حقيقة تونس ومصر لما شعرت بأني على ابواب مملكة تحكمها حكومة مسلمة .

وقد شاهدت علامات الاستياء من هذه المعاملة ظاهرة على وجوه كل من البوليس التونسي والمصري .

والذى سمعته من الفاظ الاستياء من البوليس التونسي هو عين ما سمعته من البوليس المصري . فكأنهما ينطقان بلسان واحد ويعبران عن ضمير واحد مع بعد ما بين البلدين ، فليعتبر المعتبرون وليفهم « المستغلون » المحميون والمحتلون ولله في خلقه شئون .

هذا وقد جادت القريحة بالقصيدة الآتية بمناسبة ما جرى ولنقدمها للقراء الافاضل . وهذا نصها :

هويتك يا مصر وهل فى الهوى صبر	وأنت التى يشفى بادوائك الصدر
هويتك اذ فيك المعارف اشرقت	لك الشكر والشرق العظيم له الشكر
هويت رياض العلم فيك بازهر	يعز به دين الهدى ولك الفخر
هويت خصالا في رجالك أعجزت	من الغرب اقطابا لها علنا خروا
هويت ومن اهوى سواك وكنت لي	اذا السعد ولى ملجأ هابه النسر

(١٣٢٥ ﻫ)

هويتك قدما والهوى كلما صفا	تحكم واستولى كما يحكم الخمر !
هويتك حبا والفؤاد متيم	فهل تسمحين اليوم بالوصل يا مصر ؟

هويتك لكن لا سبيل الى اللقا ... وكيف وباب الشرق اغلقه الحمر
مررت على ابوابك اليوم نازحا ... وفى النفس آمال يطول بها الشعر
مررت على ابواب فسطاط عزنا ... ولم اقترب منها وقد شادها عمرو
لقد فتح الاسلام مصر وساسها ... وها الآن جورج قال يكفيكم الزمر
هممت بوصل اذ تجلت فلم يكن ... وكان على الابواب من عندهم امر
يقول ألا لا تدخلوها ففي يدي ... مفاتحها والذل والطرد والقهر
وما هي لابن الباروني بمنزل ... ولو يشفع القطبان او يسجد البدر
واصدر البوليس امراً مشدداً ... فلاذوا بنا حتى ارتحلنا وهم بشر
فناديت لكن لا حياة ولا صدى ... فقلت ومني كاد ينتثر الجمر
أ أحياء قومي فى جفاء وغفلة ... ام انتم بسجن ارضه سندس خضر
يحيط بكم سور من الضغط محكم ... يهددكم زيد ويرعبكم بكر
اجيبوا فاني ازهري ووالدي ... له من عباب الازهر التبر والدر
اود بأن تنسل منكم عصابة ... تحدثنا : هل صح ذلكم الصدر ؟
وهل زدتم عزما وحزما ووحدة ... يؤيدكم فى حفظها الفكر والفقر
فتلقي عصا الترحال فيكم امامة ... مقدسة علياء قد عضها الدهر
ام انتم بسلم هائمون وزخرف ... يحل بكم جيش ويحميكم طير
تشيدون لابن العاص ذكراً مخلداً ... نعم هو قول لا يرى بعده ضر
وتعلون للاجداد شأنا بكتبكم ... ولكن لأعمال لهم خضع البحر
وتحيون بالتمجيد قولا مزوراً ... مئاثر فرعون الذي ضمه القبر
فان يك هذا فالوداع ولا ارى ... نجاحا و«كرزون» له النهى والامر

بيروت ٢١ ذي القعدة ١٣٤٢ ـ ٢٣ اوط ١٩٢٤

سليمان الباروني

الباروني باشا في الحجاز

في ٢٨ ذي القعدة ١٣٤٢ ـ ٣٠ اوت ١٩٢٤ وصل سعادة الباشا الباروني جدة . فوقع له من الحفاوة وحسن الاستقبال من حكومة جلالة الملك حسين ما يفوق الوصف .

ونحن ندعه هنا يصف ذلك بقلمه في رسالة خاصة لخاصة من اخوانه باسم السيد الحاج عمر العنق ايضا وهذا نصها :

حمداً وصلاة — الاخوان الاجلاء حماكم الله . . . سلاما واحتراما

وصلت يوم ٢٨ ذي القعدة ١٣٤٢ الى جدة وما وضعت رجلي في البر حتى رأيت جماعة على كراسي عند ممر الحجاج من الباخرة الى البر يسألون هل فيكم « سليمان باشا الباروني ؟ » فاشار بعضهم الي فقاموا وسلموا قائلا رئيسهم : انا الشريف طه معتمد صاحب الجلالة سيدنا أيده الله ، وقد أمرني باستقبالك والقيام بما فيه راحتك وراحة من في معيتك ، وهو يهنئك بالسلامة فشكرته .

وفي الحال أمر اعوانه باخراج اشياءي واشياء من معي من اشراف الشام من الجمرك بدون تفتيش وذهبنا الى بيته الذي خصصه لنزولي ، وهو مفروش منظم فوق ما يتصور .

وفي الحال كلمني رئيس ديوان الملك بالتيليفون من مكة يهنئني بالسلامة ويبلغني سلام الملك فعرضت له تشكري ، ثم جاء بعض اعيان للسلام علي ، وحضر المطوفون فسألتهم عن محمد صالح مطوف بني ميزاب فقالوا انه مات من منذ ٢٠ سنة .

اما رفقاءي الشاميون فسافروا في المساء — امس — مع عائلاتهم على الجمال اما انا وواحد منهم مسكته للانس في الطريق فسافر اليوم مساء على بغال او اوتوموبيل للحكومة حسبما يتيسر لمعتمد الملك .

وقد صدرت ارادة صاحب الجلالة بتوجيهي الى مكة فى اوتوموبيل خصوصي ايده الله .

فهذه وضعيتي الآن بعد ان تخلصت من اسر اوروبا والحمد لله على فضله .

وسأخبركم من مكة ان شاء الله فاستريحوا من جهتى والاعتماد على الله ، فاني في اعزاز واكرام من طرف صاحب الجلالة حماه الله .

ولا ادرى من اين علم الملك بوجودى فى البابور مع ان اسمى مقيد في البابور بدون ذكر (البارونى) توقيا من اعتراض الانقليز .

وكنت فى البابور انتسب تونسيا .

وقد أنس اعيان الشام بما رأوه من الاكرام بسبب وجودهم معى وزاد احترامهم لي بعد ان فهموا الحقيقة .

ان رفقاءى الشاميين كانوا يعتقدون اني تونسى كما قلت لهم الا الذى مسكته معي فقد فهم بالقوة بدون ان أقول له . وهو الذى اشار الي لما سأل اعوان معتمد الملك عن اسمى .

والسلام من اخيكم : سليمان الباروني

الباروني باشا يتم حجه

وينال حظوة كبرى لدى جلالة الملك

ابلغ الله لسعادة الباروني باشا امنية من اعز امانيه في الحياة وهى اداء فريضة الحج فى عام ١٣٤٢ هـ

ثم حظي لدى جلالة الملك حسين بحظوة كريمة : اذ احتفى به كما يليق بمقامه السامى ، واهدى اليه نيشانا من اكبر نياشينه وهو نيشان : (الاستقلال الهاشمي) كبرهان على تكريمه ، وهكذا عاقبة الصابرين ، وبقدر الابتلاء يكون الجزاء .

والى الاخ الباحث رسالة يعبر فيها عن ذلك بنفسه خصص بها السيد الحاج عمر العنق . وهذا نصها :

حمداً وصلاة وسلاما   جدة — ٢٠ ذى الحجة ١٣٤٢

السيد المحترم . . . السلام ، قد تم الحج ، نسأل الله قبوله . اليوم رجعت الى جدة في سيارة اوتومبيل خصوصي من طرف جلالة الملك وقد قلدني نيشان (الاستقلال الهاشمى) وهو اكبر نيشان عنده ، ايده الله وحماه ، وبتوسط حكومته رخص لي الانكليز في الذهاب الى مسقط . ولم أقدم بيعة الخلافة كما بايع غيرى .   والسلام من اخيكم : سليمان الباروني

خواطر قد تختلج فى الصدر

١ — يتساءل الاخ الباحث لماذا لم يبايع سعادة الباشا جلالة الملك بالخلافة كغيره ، وقد أحسن اليه وأنقذه من اسر اوروبا ؟ ويسر له اسباب الحج واكرم وفادته ، وقلده اكبر نيشان له الى غير ذلك من المزايا ؟

قلت : رغم ذلك كله ورغم ما كان بينهما من صداقة قديمة فى دار الخلافة فان الباروني هو البارونى الثابت على مبدإه العالم بشريعته وبما تضمره الدول الاستعمارية للاسلام من وراء ثورة الملك حسين على الخلافة العثمانية ، فهو لا ينسى له هذه الخطيئة بل يحمل في نفسه للملك حسين ما يحمل لثورته على الخلافة وهدمه للدولة الاسلامية العظمى .

ولكن للسياسة اساليب ومجاملات تقدر بمقادير الظروف وتوزن بموازين الضرورات .

واما العقائد والمبادي فهي هى لا مطمع لزحزحتها من القلوب المعمورة بالايمان بها . وقد رأيت من قبل ، في تعليقات الباشا على قصيدته اشارة الى ذلك ، ورخصة الملك حسين بيده ، كما رأيت ايضا انه لما كتب له في شأن هذه

الرخصة رسالة ارفق معها نص مقاله ضد معـــاهدة الحجاز الحسينية الانقليزية المنشورة فى جريدة الصواب التونسية حتى يعرفه جلالة الملك من هو واذا اعطاه الرخصة اعطاه عن بينة ، فاجابه الملك بجواب الملوك واعطاه الرخصة !

ومن يدري ان صنيع الملك مع البارونى باشا كان من باب اصطناع الرجال استمالة له لان يتصيد ثقته ومبايعته وهو من هو فى موازين الرجال ! فيعد عمل البارونى اذ ذاك كرد ضمني لفحول الكـتاب الناقدين لعمـل الملك ازاء خليفته مثل الصحافى القدير صاحب « مرشد الامة » التونسى الذي يعبر عن الملك حسين -- لاجل ما ذكرنا — بأبى جهل القرن العشرين !

٢ — هنا يتساءل الاخ الباحث ما هو نظر سعادة الباشا الباروني نحو الدولة العثمانية التى يعد الساعي في هدمها خائنا في حق الاسلام ؟

قلت : ان للبارونى باشا في شأن الدولة العثمانية عقيدة راسخة ونظراً واسعا يتجاوز دائرة الوطنية العربية الضيقة الى اقصى ءافاق الوطنية الاسلامية الفسيحة وقد عبر عن رأيه فيها في سائر اطوار الشدة والرخاء منه منذ ابتلائه بمحنة السجن الى اوان حروبه المتتابعة رغم تخليها عنه مراراً اوان الشدة في حروبه .

ومن اروع تصريحاته في هذا الشأن قطعة من خطـاب له وجهه سنة ١٩٢٠ الى الصحف العثمانية نقلتها عنها مدام بيرت جـورج جوليس (١) فى كـتابهـا « الوطنية العثمانية » ونحن ننقلها هنا من تعريب احمـــد رفعت صفحة ١٨٩ . قالت تحت العنوان الآتى :

البلاد العثمانية المركز الادبى للاسلام

« . . . وهكـذا اصبحت الوطنية العثمانية ، كما قال عنها الزعيم الطرابلسي سليمان البارونى :

---

١) هي الـكاتبة الفرنسية المشهورة بولائها للعثمانيين .

« ان السلطنة العثمانية المستقلة كانت عامل الطمأنينة والسلام في العالم الاسلامى »
وبمحاولة السياسة الانكليزية أن تستأصل شأفة هذا العامل صارت سبباً
لأن تصبح الوطنية العثمانية ممثلة قوة ارادة العالم الاسلامي المنتشرة في جميع
البقاع الحافلة بالشعوب الاسلامية . وقالت : ان هذه الكلمات التي صار التفكير
فيها وتحريرها من قبل اعظم المفكرين تبصراً وبعد نظر ، والتى تعتبر في اول
مكانة من الملاحظة والاختبار تلخص حقيقة الحالة الراهنة . الخ

٣ — ويمكن ان يتساءل الاخ الباحث ايضا : لماذا رخصت انقلتيرا للباشا
الباروني الذهاب الى مسقط ـ عمان ـ ولم ترخص له الدخول الى مصر رغم المساعي
المبذولة في هذا الشأن ؟

قلت — ان من يعرف مكر الانقليز لا يستغرب من ذلك ، فالفرق كبير
بين جو مصر وجو عمان ، والمثل العامى يقول :

« اذا غلبك بالمال دل عليه شري الجمال . ويذا غلبك بالرجال دل اعليه ابلاد
اتهم ، ويذا غلبك بالرأي دل عليه كثرة النساء (١)

وهل تشتهي انقلتيرا الماكرة لسعادة البارونى باشا نهاية اشد مرارة وخطورة
من نهايته بعمان ؟

نعم نحن لا ننكر ان هناك اسبابا اخرى جعلت انقلتيرا تمانع دخول الباشا
لمصر دون عمان كمصانعة إيطاليا وعلى رأسها « موسوليني » الجبار ، ولكن
لابد للسبب الاول حظ من النظر فى نفس الماكرين الانقليز !

والا فان للبارونى باشا من العصبية القوية فى عمان ما ليس له فى مصر .

---

١) ذلك لان فى موت جمل واحد من الخسارة اكبر ما في موت رءوس من الغنم ، ولان
بلاد التهم ـ اوباء تحصد الرجال حصدا ، ولان كثرة النساء تفسد عن الحصيف رايه وتشوش
عنه خططه وذلك كل ما يبغيه العدو لعدوه .

الباروني باشا في عمان

طبقا لترخيص الانقليز لذهاب الباروني باشا الى عمان بسعي من حكومة جلالة الملك حسين ، فقد سافر في اواخر ذي الحجة ١٣٤٢ الى مسقط ، وفى نفسه من الآلام والآمال ما فيها .

اما عمان — فقد اهتز حكومة وشعبا بقدمه السعيد ، وعبر عن عميق سروره به بما ستراه :

١ — حينما وقفت الباخرة به فى ميناء مسقط طلع اليها وزراء حكومتها لملاقاة سعادة الباروني باشا هناك ترحيبا بمقدمه الميمون ، فكانت ساعة ابهة وجلال وجمال .

٢ — بما ان جلالة السلطان السيد تيمور غائب اذ ذاك في الهند فقد ارسل اليه برقية تهنيئة وترحيب ، وهذا نصها :

« قدوم مبارك لبلادنا ، ارجو ان شعبي قد استقبلكم بكل احترام »

٧ محرم ١٣٤٣ تيمور

٣ — ثم ارسل اليه كذلك عظمة الامام الخليلي رسالة كريمة ترحيبا به واستدعاء لضيافته وهذا نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

من امام المسلمين محمد بن عبد الله بن سعيد الخليلي الى اخيه ذي الشرف الباذخ والمجد الشامخ المجاهد في الله ، الحامي لدينه « سليمان بن عبد الله الباروني »

اما بعد — فانا نحمد الله اليك لا زلت اخانا محافظا شرف حريتك ساعيا في عز استقلال بلادك . الا وإن اعلام مجدك منشورة وسيوف عدلك مشهورة فلله درك حيث انت ، هكذا هكذا والا فلا لا .

الداعي لتحرير الكتاب اليك بعد اهداء السلام والتحية والاكرام اعلامك بان اخوانك اهل عمان مسرورون بسلامتك وصحتك مستبشرون بقدومك وطلعتك وقد وجهنا اليك هذا الرسول طالبين منك الوصول على بركة الله زائرا اخوانك مشرفا اوطانك ، فاضرب لنا موعداً لنوجه اليك رجالا من الخاصة رفقاء الطريق واخبر رسولنا بكل ما يلزم لنحيط بذلك علما ، والله الميسر . والسلام

حرر في ١٣ محرم سنة ١٣٤٣

وعقب ذلك كتب الينا الباروني باشا ما يلي :

الاخوان الافاضل ـ السلام

ارسلت اليكم تفصيل ما حصل من استقبالي من طرف حكومة مسقط الجليلة مع بعض ما تلي من القصائد عقب الضيافة الملوكية (١)

وها هي صورة الكتاب الوارد من حضرة امام عمان وصورة تلغراف جلالة السلطان .

فليقرأ الذين ظنوا انهم سدوا ابواب الارض والسماء في وجهي .

ارجو الفاتحة على ضريح الامام الاستاذ القطب برد الله ضريحه .

سليمان الباروني

الباروني باشا في مهرجان الاستقبال

ان مهرجان الاستقبال الذي اقامته بلاد مسقط وعمان حكومة وشعبا لسعادة الباروني باشا لا يدخل تحت وصف ، ابهة وجلالا وجمالا ، لما اشتمل عليه من مواكب فخمة ومئادب فاخرة ، ولما قيل فيه من بليغ النثر وبديع الشعر وغير ذلك

وحسبنا من ذلك نشر ما دبجه البلغاء من الخطباء والشعراء تسجيلا وتصويرا للواقع .

---

١) سترى ذلك قريبا بحول الله .

وفيما يلي نعرض على انظار غواة الاطلاع شريطا من ذلك متتابعا على الترتيب التاريخى قدر الامكان ، فان في شريط الشعراء كفاية عن شريط السينما !

١ — فى ٧ محرم ١٣٤٣ — اقام الامير نادر اخو السلطان السيد تيمور ووكيله بمسقط مأدبة ملوكية فاخرة للباشا الباروني حضرها الوزراء والعلماء والولاة كافة فى قصره العامر . وتليت فيها خطب وقصائد بليغة ، نخص بالذكر من بينها القصيدتين الآتيتين :

الاولى انشدها الشاعر البليغ العلامة الشيخ ابو سلام سليمان بن سعيد بن ناصر الكندي رفيق الباشا فى تنقلاته وهذا نصها : (١)

نسمة البشر هيجت لي فؤادي ... تركتني اهيم فى كل واد
لست ادري ماذا اقول لما قد ... نلته من عظيم كل المراد
فكأني شربت كاس مدام ... أو كأني علوت ظهر جواد
ليس هذا الهيام ذكراي ليلى ... حاشا ربى ولا لذكر سعاد
بل هيامي لما انتشقت نسيما ... من « سليمان » هام مني فؤادي
هذه هذه البشائر جاءت ... تتهادى وبالسرور تنادي
ذا الفتى « الباروني » جاء هاموا ... يا لقومي للثم تلك الايادي
صحت فى الحي يا لقومي هبوا ... ذا « سليمان » مصدر الوراد
اصبحت مسقط بوصلك تسمو ... بفخار على جميع البلاد
بوركت ارضها ونارت سماها ... يا كريم الاباء والاجداد
انت قطب الحروب انت رحاها ! ... وحسام يقد هام الاعادي
انت شمس العلوم انت سماها ... بك قامت دعائم الارشاد
لست ترضى غير المعالي محلا ... تترقى بها عن الاوتاد

---

١) حررها في بوشر فى ٢ محرم ١٣٤٣ — ٤ اغسطس اوت ١٩٢٤

كم بحار مخرتها بعزوم وصحار قطعتها باجتهاد
هكذا تدرك المعالي بجد لا بعجز ولا بكثر الرقاد
جئت تسعى الى المليك اشتياقا بك اهلا من قادم بالوداد
ذا مليك الزمان شمس علاها سيد العرب ملجأ للعباد
ذاك « تيمور » نجل فيصل شهم باسط الكف فاضح للغوادي
عرف الناس قدره فتراه لذوى العلم جامع ومناد
فهنيئا لاهل مسقط طرا وعمان وكل قطر وناد !
بقدوم « البروني » خير كريم من بنى العرب صفوة الامجاد
ان يوم القدوم يوم عظيم فارسموه من جملة الاعياد

* * * *

الثانية — انشدها تهنئة وترحيبا ومدحا لحضرة العلامة الباسل الشيخ سليمان باشا الباروني بقدومه الى صاحب الجلالة السلطان السيد تيمور بن فيصل بالعاصمة « مسقط » الشاعر المجيد الشيخ عيسى بن صالح بن عامر الطيواني . وهذا نصها

بشراي قد وصل الحبيب الهاجر من بعد ما حنت اليه ضمائر
وافى وقد وافى السرور تزفه نحو البلاد طلائع وبشائر
تاهت عمان به فخاراً مثلما اشتاقت اليه محافل ومنابر
طارت به لعمان وشكا غيرة وحمية منه وحب ظاهر
اهلا به فالناس ترقب وصله شوقا فقد شخصت اليه نواظر
وعلت به شرفا واشرق نورها وانجاب عنها جنح ليل عاكر
اعني « سليمان » بن عبد الله من بهر الورى فهو الضياء الباهر
ذاك « البروني » الذي شاد العلى فله باقصى الارض صيت طاير
غواص دا ماء العلوم مهذب حدبت عليه قبائل وعشائر

خدم الديانة والعدالة خدمة ... فكأنه عمر الرضي وعامر (١)
شهم نما من دوحة الشرف التى ... هو غصنها الزاكي المنيف الناضر
كم من جيوش جرها وصواهل ... وطأت لها هام العداة حوافر
وكتيبة قد لفها بكتيبة ... في الله لا فى الناس فهو الظافر
شهدت له الطليان موقف باسه ... لله ذيالك المقام الشاهر
نصر الحقيقة جاهداً بلسانه ... وسنانه فهو الحسام الباتر
ولقد قفا اثرا لاسلاف له ... درجوا وقد بقي الثناء العاطر
بلج وابرهة الهجان وافلح ... وسليل عوف في الهياج قساور
فهم بنوا للدين مجداً شامخا ... وهم بدور فى الظلام سوافر
فالله يشكر فعله ويمده ... بالعون فهو له المعين الناصر
قد عاش لا هم له الا لكي ... تعلو لدين المسلمين شعائر
دم يا سليمان بن عبد الله منـ ... ـصوراً يسددك الالاه القاهر
فلقد حللت جوار من ساد الورى ... تيمور من هو ليث غاب خادر
نجل المملك فيصل من كنفه ... للمعتفين سحاب فضل ماطر
من ءال سلطان الالى سادوا الورى ... فلهم مناقب كالنجوم زواهر
مني السلام عليك وهو تحية ... من ذا النظام بها تحلى الآخر(٢)

٢ - في مطرح

فى يوم الجمعة الاخيرة من شهر المحرم سنة ١٣٤٣ ، أقام السيد محمد بن احمد وزير المالية لحكومة مسقط مأدبة فاخرة لسعادة الباروني باشا في مدينة مطرح جمعت من صنوف الجلال والجمال ما يبقى غرة في جبين التاريخ لتلك الايام الزاهرة

١) عامر ابو عبيدة بن الجراح أمين الامة رضى الله عنه .
٢) حررها في ٦ محرم ١٣٤٣ - ٨ اغسطس ١٩٢٤ م

مما سجله بمداد الفخر والاعجاب سعادة الباروني نفسه وشاعره البليغ ، وفيما يلي نص ذلك : قال الباشا فى رسالة منه الينا :

حمداً وصلاة وسلاما

مسقط — ٣٠ المحرم ١٣٤٣

كان يوم الجمعة الاخيرة من شهر المحرم ١٣٤٣ من الايام المشهودة فى مدينة مطرح التى تبعد عن مسقط بنحو نصف ساعة على طريق البحر ، وذلك ان السيد محمد بن احمد وزير مالية حكومة مسقط أقام مأدبة فاخرة في مطرح اكراما لنا دعا اليها سمو الامير نادر وكيل جلالة السلطان واصحاب السمو امراء العائلة السلطانية والوزراء والعلماء واعيان مسقط ومطرح على اختلاط عناصرهم ومذاهبهم فكان مجموع المدعوين مائة وخمسين شخصا .

وما وصلت الساعة السادسة حتى بدأ المدعون يفدون في زوارقهم على مرسى مطرح والاهالي من كبير الى صغير واقفون صفوفا يحيونهم وفى الساعة السابعة وصلنا نحن والامير نادر والسيد علي بن سالم اكبر امراء العائلة سنا في زورق خاص بالامير نادر وراية المملكة الحمراء ترفرف فوق رؤوسنا وبعد ان استقبلنا الحاضرون على الرصيف قصدنا محل الضيافة وهو قصر جميل ، وبعد ختام الطعام اجتمع الحاضرون في مجلس واحد فسيح مشرف على البحر واديرت الحلواء والقهوة حسب العادة ، ثم وقف الشاب الاديب الشيخ احمد بن الشيخ سعيد الكندى وتلا باسم الوزير خطبة جليلة ثم انشد القصيدة الآتية (١) التى نالت استحسانا من الحاضرين ، وعلى اثر ذلك وقفت وارتجلت خطبة مختصرة مناسبة للمقام قابلها الحاضرون باحترام ثم عاد كل احد الى محله وهم مسرورون . ثم قال

اليوم وردت كتب وقصائد غراء من نواحي عمان التابعة للامام ، ارسلها

---

١) وهى من نظم الشيخ سليمان بن سعيد الكندي

اليكم فيما بعد ان شاء الله اعيدوا ما كنت اكتبه اليكم من باريس ومرسيليا واعتبروا فى صنع الله .

اخوكم : سليمان الباروني

واما القصيدة فهذا نصها :

أرى اليوم اعلاما بمطرح تنشر ترفرف بالبشرى وصحفا تحبر
سرور وافراح تقام وكاسة تدار وانوار الرياحين تنثر
اسائل ما هذا السرور الذي أرى بمطرح والاقوام فيها تبختر
فقيل الفتى «البارونى» حل ركابه لدى السيد المفضال ليث غضنفر
فقلت وقد هام الفؤاد بذكره على الرحب يا مقدام حياك معشر
نزلت على الشهم الوزير بمطرح دعاك وقد لبيت فالله اكبر
فكم من يد لما رأتك مشيرة وكم من عيون بالمحبة تنظر
تسائل اجلالا وترقب هيبة وتضمر اعظاما وعن ذاك تخبر
أهذا سليمان البروني الذي علت محامده هذا الهمام المدبر
كفى العرب فخرا انت منهم وكيف لا وانت ابو الهيجاء للحرب مسعر
رأت دول الاحلاف أسرك راحة فأبقتك في باريس كالليث تزأر
ولكن فخر العرب من ءال هاشم حسين المليك العضب صال فبعثروا
ففزت بحج رغم انف اعتراضهم وشرفت اقطاراً بذكرك تسكر
فشكراً لحامي القبلتين الذي غدت له في قلوب المسلمين منابر
واهلا وسهلا يا سليمان مرحبا حللت محلا دونه النجم يقصر
تلقاك من نال العلا منبع الحيا اذا ضن ماء السحب يمناه تمطر
محمد المحمود من شهدت له نزار بما لاقت وتفخر حمير
حباه مليك العصر تيمور عزنا فولاه فليفخر بذلك مفخر
واختم قولي بالتهاني لجمعنا الا فاجعلوه كل عام يقرر

٣ ـ سمائل ترحب بفخامة الباشا

لما بلغ مسامع العلامة الشيخ احمد بن عبيد السليمي قاضى امام المسلمين بسمائل من بلاد عمان خبر قدوم سعادة الباشا الباروني لمسقط أرسل اليه القصيدة الآتية مهنيئا ومرحبا تحت العنوان اعلاه ، قال ما نصه :

ابشر فهذا الدهر اصبح منعما ... وادار افلاك السعود تكرما
وصفا الزمان واشرقت انواره ... من بعد ما قد كان ليلا مظلما
جاء البشير مهنيئا من مسقط ... بوصول يوسف عصره متقدما
تاهت به من قبل مصر واهلها ... وروت لنا عنه الفخار مترجما
حسبي سليمان بن عبد الله من ... خطبت منابره فأخرست الفما
أسد يذب عن الحريم بسيفه ... متوقد الجمرات حرا مسلما
كم غارة قد فاقت هاماتها ... غاراته واستوطئتها سلما
كادت تهز الجن رأية بأسه ... وتجر أيدى الانس منه عرمرما
شهدت وجوه الحق ان صفاته ... لم ترض غير العدل منها مغنما
واذا الكريم ترفعت هماته ... لا شك يمضى امرها متجشما
من للصيانة والزمان محارب ... يسعى اليه كالهزبر غشمشما
دول على رق الانام تحالفت ... وغدت توزعه اليها اسهما
سحرت عقولا بالصلاح لحسبها . ... من فتنة بفسادها لأولي العمى
ءاه على الاسلام كيف تمزقت ... أعراضه وسناه قد بلغ السما
لله در نفوسة فى نسلها ... قد أرضعت للمجد أشرف منتما
يا من يشق البحر عند عبابه ... وجرى عليه كأنه بحر طما
لا زلت تمتحن الليالي خارقا ... جلبابها كالبدر يمحو الغيهما
ومسهداً منها عيونا طالما ... طرق الكرا اجفانها وتسنما

انت الذي رفـــع الجهاد قناته ... وسما بملته ففاق الانجما
هذي عيون عمـان شاخصة الى ... لقياك تنتظر السـواد الاعظما
أبدا تحن الى وصـالك فانتظم ... فى سلكها تجد الحماية والحمى
لا زال افق الغرب يسطع بالسنا ... شرفا وينطق بالهدى مترنمـــا
خذها تحية مخلص قد حاكـها ! ... سمطا من الدر الثمين منظما

حرر في ٢٩ محرم الحرام ١٣٤٣

٤ - زنجبار تهنيء سعادة الباروني باشا

وردت من زنجبار القصيدة الآتية تهنيئة لسعادة البـــارونى باشا من نظم الاديب الشاعر الشيخ صالح بن علي الخلاسي حررها في ٢٢ صفر ١٣٤٣ ونصها:

اهلا بطلعة سيـد الامراء ... ليث العرين وصفوة العظمـاء
من زار مسقط فاكتست شرفا به ... فلك الهناء يا مسقط الفضلاء
فكـأن عيد الفطر يوم قـدومه ... فالناس في جذل وفى سراء
نفسي تحن الى امتداح جنابه ... لكنها كلت عن الاحصاء
أعني سليمان البروني الذي ... قد فاز بالاقـدام فى الهيجاء
جاب البلاد حزونها وسهولها ... طلبا لنصر الحق والا عـلاء
لم يثنه في الله اي صعوبة ... وكـذا تكـون طريقة النجباء
ساد الرجال بعـزمه وبسيفه ... متقلداً بالهمة القعســاء
متقدم فى قومه لجلاله ... فتراه فى التقديم مثل الباء
نعم الفتى من جد فى طلب العلا ... فسمت به شرفا الى الجـوزاء
قد باع نفسا للالاه مجـاهداً ... ليقيم دين الله ذي الآلاء
ان كنت تجهل باسه فهو الذي ... قد شتت الطليان في البيداء

وغدا يجول كحمزة يوم الوغى ... ويرى كمين القوم مثل هباء
اهلا به من قادم متفضل ... بزيارة الاخيار والنبــلاء
دم يا ابن عبد الله مغبوطا بما ... اولاك ربك من عظيم عـلاء
متفيئا ظل السعادة راقيا ... اوج العلا متمتعا برخاء
والى هنا تم النظام وقد رســا ... قلم المديح المحتوي لثنـاءي
نظم الخلاسي الفقير اتى بـه ... مدحا لـكم والمدح خير عطاء

٥ - في سياحته بعمان

ترادفت على الباروني باشا دعوات الى زيارة بلاد عمان ، فعقد اول رحلة من مسقط تلبية لتلك الدعوات وتبديلا للهـواء ، حيث بدأ يزوره المرض حسبما نبسطه فيما بعد ، وقد كتب الى بعض اخوانه عن هذه الرحلة هذه الرسـالة ، ونصهـا :

حمداً وصلاة — روي . ٢٩ صفر ١٣٤٣

اخوان الصفا الاجلاء . السلام

امس خرجت من مسقط للسياحة وتبديل الهواء فوصلت مساء بلدة روي وبناء على طلب جماعتها أقمنا اليوم فيها وفى المساء نتقدم وقد هيأت الحكومة فى كل بلاد ما يلزم لراحتنا وتم الشفاء من المرض والحمد لله .

وصلني كتابك ايها الاخ الجليل فلله انت اذ سبقت الاخوان بتونس فانه لم يصلنى منهم شيء الى الآن مع اني لم اقطع عنهم الـكتابة من يوم خروجي من مرسيليا . الاخوان هنا ورجال الحـكومة يهدونكم التحية وقد ابلغتهم سلامكم ومن قبل هذا أرسلت اليكم تذاكر رسم مسقط . لا تقطع الـكتابة كل اسبوع لعلكم اطلعتم على ما كتبته جريدة الاخبار المصرية عن سياحتنا . وسلم على رفيقك والاخوان .

حرره اخوكم سليمان الباروني

٦ ـ الباروني باشا في بلدة العامرات

لما وصل سعادته بلدة العامرات انشد مرتجلا حضرة الفاضل الهمام الشيخ محمد بن سيف السعدي كاتب سمو الامير السيد احمد بن فيصل والي صحار القصيدة الآتية مهنئا لسعادة الباشا . وهذا نصها :

بنا من سرور لا تعد غرائبه ... وانس عظيم لا تعد عجائبه
باقبال تحرير اضاءت شموسه ... علينا وبحر قد اجاشت غواربه
وكنا نرجى قبل ذا اليوم وصله ... فهذا هو اليوم الذي انا راقبه
فحين اتى الباروني ساحة ملكنا ... تضاحك هذا الدهر وارتاح جانبه
هو القمر الساري الذي بطلوعه ... ازال الدجى عنا وولت غياهبه
اضاء به هذا المكان فاصبحت ... بطلعته العظمى تجل مراتبه
الا يا سليمان الهمام ومن له ... مواقف حرب ملؤهن كتائبه
لقدحزت كل الفخرعن كل مفخر ... وشيدت ركنا للعلا عز كاسبه
ولا زالت البلدان تطلب وصله ... فهذي به تسمو وتلك تخاطبه
وهذي بلاد العامرات تطاولت ... الى النجم فخراً اذ اتتها ركائبه
بلاد اذا ما الضيف حط رحاله ... بساحتها جاءت اليه رغائبه
تهني عمان كلها ثم « مسقط » ... تهنى به مذ يممتها مراكبه
أقام بها فى موقع الضيف عندها ... اذا وهب الدنيا استقلت مواهبه
مليك له بين الملوك مهابة ... اذا ما استتمت للمعالي مواكبه
همام نما من دوحة الملك فاستوى ... على هامة الجوزاء فاعتز صاحبه
كأن يدي تيمور للضيف اصبحت ... تسح له دراً هناك سحائبه
ودم يا ابن عبد الله بالعز دائما ... ولا زلت فى مجد من الله طالبه

٢٩ صفر الخير ١٣٤٣

٧ ـ الباروني باشا في بوشر

لما قدم الباروني الى بلدة بوشر مدينة العلامة الجليل الشيخ عيسى بن صالح الطيواني احد قضاة حكومة مسقط ، أنشد هذا العالم الجليل والشاعر النابغة القصيدة الآتية مرحبا بالمجاهد الكبير سعادة الباروني باشا ، وذلك في ٢ ربيع الانور ١٣٤٣ . وهذا نصها :

اهلا بطلعة باسل مقدام	ليث اذا اشتجر القنا بسام
اهلا بمن حاط الثغور بسيفه	وحمى الحمى بمدافع وحسام
اهلا بمن فض الجيوش بعزمه	واراق في العلياء كاس منام
اهلا بمن عم السرور بوصله	كل البلاد وكل شيء نام
شهدت بسطوته الوغى لله ما	ابداه من عزم ومن اقدام
فان اعتلى متن الصواهل مفردا	فلكم لهام لفه بلهام
وان امتطى الغواص يقطع لجة	قاد الاعادي للفنا بزمام
هذا البروني الذي شاد العلا	وبنى على الجوزا رفيع مقام
شرفت «بوشر» يا ابن عبدالله اذ	أشرقت فيها مثل بدر تمام
فبيوم وصلك بوشرا قدبوشرت	بالخير والاسعاد والانعام
تاهت فخاراً فهي منك بغبطة	وعلت على هام السماك السامى
فلقد نهضت مدافعا كالليث عن	وطن وقمت بذاك خير قيام
قدت الخميس الى الاعادي راغبا	في الله منتظما بحسن نظام
الدين ما قد قمت فيه ناهجا	. لا لبس ـ منطقة وشد حزام
فلئن نزحت عن الربوع فهذه	هي ربعك المأهول بالا كرام
القوم قومك باتحاد جامع	وروابط من غابر الاعوام

فالاهل نحن وان تناءت دارنا — لم لا؟ ودين الحق خير وئام
انا ليجمعنا بكم صدق الاخا — واواصر كاواصر الارحام
تصبو القلوب لذكركم شوقا كما — يصبو النديم لشرب كاس مدام
الدين اعظم رابط بين الورى — واجل جامعة لحسن ختام

٨ ـ الباروني باشا فى بلد فنجا

لما وصل سعادته فى بلد فنجا من مدن عمان انشدت بين يديه القصيدة الآتية ولم يذكر لنا اسم منشدها وذلك فى ١٥ ربيع الاول سنة ١٣٤٣ ونصها

أهلا بطلعة عمدة الاسلام — غوث الورى والسادة الاعلام
اهلا وسهلا بالجليل ومرحبا — حييتم بالرحب والاكرام
هذي البلاد واهلها قد اصبحوا — في غبطة بقدوم ذي الاقدام
ليث العرين ابو الفوارس من غدا — يفرى العدا بقنابل وحسام
ذاك البرونى الذي شهدت له — دول الاجانب بالمحل السامى
أنزل سليمان الهمام فهذه — ارض مقدسة عن الاوهام
أنزل فانا منذ عهد نبيئنا — لم نرض غير حماية الاسلام
أنزل لدينا فالامام — محمد — سيف الالاه وللبلاد محام
لا زال يرقب منك بدراً طالعا — بالسعد والاقبال والانعام
هذي عمان واهلها في عزة — بقدومكم في موكب ونظام

٩ ـ الباروني باشا فى حضرة امام المسلمين بسمائل

لما وصل سعادته مدينة سمائل أنشد العلامة الورع الشيخ محمد بن صالح الطاءي أحد قضاة مسقط ، القصيدة الآتية بين يدي امام المسلمين ابى عبد الله محمد بن عبد الله الخليلي الخروصي وقت ملاقاته لحضرة المقدام العلامة الهمام سليمان باشا

الباروني في موكب رهيب من العلماء وقادة الجيش ، وذلك يوم ١٨ ربيع الاول ١٣٤٣ . وهذا نصها :

اهلا بليث الجحفل الجرار ... مروى العدا بحسامه البتار
اهلا بمنصور اللواء عالي الذرى ... جلد لكل كريهة صبار
كهف الندى غيث اذا ضن الحيا ... جادت يداه بديمة مدرار
اهلا بمن شهدت له اعداؤه ... والري مثل الوابل الفوار
حتى غدوا من باسه فى حسرة ... وتشتت وكـآبة ودمار
فلئن اتيح لهم مرام في الذى ... قد املوا بسوابق الاقدار
لا يطمئنوا ءامنين فانما ... تحت الرماد بقية من نار
ايه بنى الطليان كيف قراركم ... في ارض قوم كالاسود ضوار
ءال البروني شدتم صرح الهدى ... ورفعتم منه رفيع منار
فخرا سليمان بن عبد الله قد ... بهرت صفاتك ناظم الاشعار
حييت يا بطل العلى من زائر ... أنزل بخير حمى وخير مزار
هذي عمان دار قومك طالما ... غبطت نفوسة فيك مذا عصار
شرفت سمائل اذ نزلت بسرحها ... بجوار فخر العرب خير جوار
أعني امام المسلمين محمدا ... عين الزمان وصفوة الابرار
من بعدما شرفت مسقط نازلا ... بحمى مليك سيد مغوار
هذا وخير صلاة ربى دائما ... لنبيه وحبيبه المختار
والآل والاصحاب ماسجعت على ... فنن الغصون سواجع الاطيار

١٠ ـ الباروني باشا في بلدة وابل من وادي بني رواحه

لما وصل سعادته في بلدة وابل من وادي بني رواحه وهم من عبس نزل في منزل السري الكريم الشيخ محمد بن حارث الرواحي فقال شاعرهم القصيدة الآتية ترحيبا بقدوم العلامة الجليل الشيخ سليمان باشا الباروني في ٢٥ ربيع الانور ١٣٤٣ ، وهذا نصها من غير ذكر الشاعر المجيد :

أهذا الذي بالغرب عمت فضائله	وطارت الى شرق البلاد شمائله
وحامي عن الدين الحنيف بسيفه	وشيد ركنا للعلا عز نائله
شجاع اذا ما جئته في ملمة	رايت من الاقدام ما انت جاهله
جواد اذا ما سيل يوما لحاجة	أفاضت من الدر الثمين أنامله
هو البحر بحر العلم غص فيه تلتقط	جواهره واقصده يغنك نائله
فكم هزم الاعداء في صدماته	واوقعهم لما يجد من يناضله
وكم كرة في المشركين اتى بها	وان اوقدوا ناراً طفتها ذوابله
حسام لدين الله لم تثن عزمه	صواعق ارهاب العدا ومعاوله
فلم تثنه في الله لومة لائم	ولا اوقفته عن علاه عواذله
هو الاسد الكرار في حومة الوغى	اذ اشتبكت سمر القنا ومناصله
لقد اصبحت ايطاليا في مهانة	لما شاهدت من بأسه اذ تقابله
«سليمان» شرفت البلاد واهلها	واصبح كل الناس ذا الانس شامله
تلقاك مقدام البلاد مرحبا	فصافحته في موكب حار ناقله
نزلت لحيتك المدافع في الذرى	وجاءتك من كل البلاد قبائله
وعبس هم للمكرمات بدورها	وهم للندى اطواده ومناهله
ودم يا سليمان المهذب سالما	مدى الدهر ما سحب تحدر وابله

١١ ـ الباروني باشا في بلدة الجناة

لما وصل سعادته بلدة « الجناة » من وادي بني رواحه من عبس نـزل فى ضيافة رئيس قومه الشيخ الماجد احمد بن حامد الراشدي الرواحي فأنشد شاعرهم القصيدة البليغة الآتية مصدرة بالـكلمة الآتية قائلا : تقدم لطلمة الشهم الجليـل علامة المعقول والمنقول الشيخ سليمان باشا الباروني . وذلك فى ٢٦ ربيع الانور ١٣٤٣ . وهذا نصها ، ولـكن من غير ذكر شاعرها البليغ النابغة الذي يعد بحق أمير شعراء عمان بلا منازع :

ما للمدافع والبنادق تنطق	والخيل تمرح والصوارم تبـرق
والناس في فرح واعياد وفي	بشر ورايـــات الامامة تخفق
والارض ترجف والـديار تبسمت	والغصن يرقص والحمام يصفـق
العيد أقبل ام هلال سعـادة	وهداية فى كل افـــق يشرق
بطل الحروب ابو الفوارس من غدا	فوق المجرة والسماك يحلق
اسد يكـر اذ الحروب تأججت	نارا ومنه اخو البسالة يفـرق
كشاف كـل مهمة وهاب كـ	ـل فضيـلة فتـاح باب يغلق
ذاك البروني الذي أروى العـدا	بحسامه البتـــار فهو موفق
ذاك ابن عبد الله من شرفت به	كل النواحى غربها والمشرق
جنت الجناة من السرور فأصبحت	فى غبطة افضالهـا تتدفق
بشرى بني عبس بيوم قدومه	يوم عظيم نوره يتـألق
يا مرشد الامم السياسة والهدى	ارشد عمان فانت هـاد مرفق
ولطالما حنت لوصلـك ترتجي	ما املته وانت حر مشفق
ايد امـام المسلمين محمدا	واعضده فهو لذاك صب شيق

الله يسعدكم على نشر الهدى ويمدكم بالنصر منه فيلق
حتى نرى الرايات تنشر في الملا ونرى دماء ذوي المطامع تهرق !

١٢ ـ الباروني باشا في بلدة « الدريز » بلدة البروانيين

لما وصل سعادته بلدة « الدريز » بلدة البروانيين قبيلة سعادته عند بعض المؤرخين كما سبق انشد العالم الفاضل الشاعر الناثر الشيخ سعود بن حميد القصيدة الآتية بين دوي المدافع ورنين البنادق وهتاف الاناشيد الوطنية ، وبعد ان ألم بجسمه اللطيف مرض فعوفي ولله الحمد ، وذلك في اوائل جمادى الاولى ١٣٤٣ وهذا نصها :

الحمد لله لابؤس ولا سقم المجد عوفي اذ عوفيت والكرم
وزادك الله اجلالا وعافية وزال عنك الى اعدائك الالم
وما اخصك فى برء بتهنئة اذا سلمت فكل الناس قد سلموا

هذه نفثات سحر حلال نطق بها لسان الحال ، شكراً لحضرتك الكريمة فى هذا اليوم السعيد ، الذي هو للمسلمين أعظم عيد ، وماذا عسى ان ينظم الناظم وينثر الناثر المجيد ، ومئاثرك البهية تنادي هل من مزيد ؟

اهلا بهذا الطالع السعيد اهلا بهذا الموكب الحميد
اهلا بهذا السيد العميد اهلا بهذا البطل الصنديد
لا زال في يمن وفى تسديد

اهلا بمن قد شرف البلادا ومن به هذا الزمان جادا
بشرى لنا نلنا به المرادا من مثل هذا الليث اذ تهادى
يختال بالرايات والبنود

من كسليمان اذا ما نادى الى البراز الليث اذ تمادى
قسمه بين النسور زادا واردف الطعان والجلادا
لا زال فى نصر و في تأييد

له المعالي اعطت القيادا يحمي الحفاظ ويرى الجهادا
من خير ما المرء به استفادا فتى الى الحق دعا ونادى
قد ارتقى منازل السعود

هذي الدريز تشكر الوصولا تأرجت رياحها قبولا
فكادت الحيطان ان تميلا شوقا الى اكفكم تقبيلا
شعارها سعداً لذي الجدود

وكيف لا ونسب الباروني نيط بهم كاللؤلؤ المكنون
أكرم به من نسب مصون سواء البرواني والبروني
يا حبذا بالحسب الحميد

وحبذا النسيب والمناسب علت بكل فى العلا المراتب
عندهم فعل الجميل واجب فهذه لعمرك المناقب
وكم لهم من مفخر عتيد

ولعمان كلها الفخار به وقد شرفها المزار
اما تراها هزها استبشار فالدهر بالسعد لها دوار
تعودت لطفا من المجيد

على السما علا لها المنار اذ قام بالحق لها انصار
واعترفت بفضلها الامصار سح عليها الوابل المدرار
بديمة ترجف بالرعود

ونسأل المنان نصراً عاجلا　　به يوازر الامام العادلا
ويمتحن عليه فتحا كاملا　　امين يا من لا يخيب الآملا
يا خير مأمول بلا تقييد

وابق لنا اميرنا المرضيا　　عيسى الهمام السند الوليا
واجعل إلاهي عيشه مرضيا　　بجاه خير خلقه النبيا
وءاله وصحبه الشهود

أثر هذه المهرجانات فى نفس البارونى باشا

وسط هذه الموجة الملتهبة احساسا وشعوراً نحو زيارات الباشا لبلاد عمان ، والتى حركت حرارتها عواطف الشعب العمانى النبيل نحو ضيفه الكريم ، فانبعث الخطباء والشعراء يتبارون على منابر الخطابة والشعر في الاعراب عن احساساتهم الفياضة ، كما انبعثت المدافع فى الذرى تدوي الافاق فرحا بمقدمه الجليل ، والرايات تخفق به فرحا فوق ربواتها .

وسط هذه الموجة يكتب الينا رسالة متواضعة تحرك شعور شعراء المغرب كما حرك بنفسه شعراء المشرق ، فأنعش بها رابطة طالما تراخت ببعد الزمان والمكان .

وقد حررها في ١٧ رجب ١٣٤٣ وهو على وشك الرجوع من سياحته الميمونة التى استغرقت نحو اربعة اشهر ونصف ، وقد رأيت في تنقلاته فيها مبلغ شعور الشعب العماني نحوه وما قيل فيه من جيد الشعر . وهذا نص الرسالة :

حمداً وصلاة — اخوان الصفا وفقهم الله .

السلام عليكم — وصلني كتاب الاخ أبي اليقظان المعجب ، فتخاطفته الايدي لنقله ، والى الآن لم يعد الي . ولذا نسيت مضمونه لانه وصلني واني فى المرض

الاخير ايضا الذي أعقبه الشفاء الصحيح على ما يظهر ان شاء الله منذ ٥ ايام .

ويوم ١٧ رجب اعود الى مسقط لانتظار عظمة السلطان اياي ، ومنها اكتب اليكم مفصلا فلا تقطعوا المكاتبة .

وقد وصلني « الصواب » الاخير وشكرت فضله هو والاخ سعيد بن عمر الا انى لا اريد فتح باب المناقشة فيما يتعلق بي مع اوباش لاقيمة لهم فالكف لازم (١) . أتحفوني بكتبكم .

وما لاخوان الصفا وشاعرهم سكوت ؟ لم تحركهم مدافع عمان وقد قرعت الاسماع ؟ السلام عليكم اجمعين وعلى الاخ الحاج عمر ان كان بطرفكم او فأبلغوه صورة كتابى هذا . من هنا الامير عيسى بن صالح وحضرة الامام والمشائخ يهدونكم التحية ويدعون لكم بالتوفيق وكلهم معجبون بكتاباتكم فوالوها إلي والامام الآن بطرفنا — القابل — لمصلحة . ودمتم لاخيكم

١٧ رجب ١٣٤٣ سليمان البارونى

عمان تودع البارونى باشا

ان الامير عيسى بن صالح صنو الامام ومن ابطال وهداة عمان وهو العضو الايمن للعلامة الشيخ عبدالله بن حميد السالمى في كفاح عمان في ١٣٣١ لأجل نصب الامامة بدواخل عمان ، ومركز عمله مدينة القابل من مدن عمان . وله ابن اديب لامع وشاعر بليغ هو الشيخ محمد .

وحينما عزم البارونى باشا على الرجوع الى مسقط ارتجل لوداعه القصيدة البليغة الآتية ، وقد توجها البارونى باشا بهذه الكلمة قائلا :

---

١) الصواب جريدة وطنية تونسية مشهورة لمديرها الوطنى الاستاذ السيد محمد الجعايبى ، وسعيد بن عمر اديب المعى وكاتب بليغ وهو صهر البارونى باشا اذ زوجته عمة سعيد . وقد نشر فصلا في الصواب . فيما اذكر . يدافع فيه عن الباشا ضد من تكالبوا عليه في طرابلس كما اشرنا اليه سابقا .

ارتجل الاديب الشاب الشيخ محمد بن الامير عيسى بن صالح القصيدة الآتية وداعا لنا عند رجوعنا من بلدهم القابل بعمان الى مسقط ، وكان قد رافقنا الى بلدة « النبا » وبتنا فيها معا فقال :

انبئت ان النبـــا	يوذن بالافتراق
والقلب مما بدا	في حيرة واحتراق
فآه من فرقة الا	حبـــاب والاشتيـاق
فليتـــه لم يكن	والتف ساق بساق
اوليته كان هـ	ـذا العرف شيئا محاق
يا دهر مهلا لقد	ضيقت زر الخناق
ادعـوك بالله هـــل	من بعد هذا الفراق
تسخو بجمع لنا	يوما وهل من تلاق ؟
هذا الباروني قد	شد الرحال وتـــاق
الى المواطن من	بعد اشتداد الوثاق
زار عمـــان وقد	زينت بخيل عتاق
حفت بموكبه	كهـــالة ورواق
فعم كل الورى	انس وزال الشقاق
لكـــن بعـودته	عم البلاد اشتيـاق
والناس قـــاطبة	منها الدموع تراق
والكل قد اصبحوا	فى حسرة لا تطـاق
واصبح العيش بعـ	ـد الصفو مر المذاق
كـأن مـــع ركبه	كل القلوب تساق
فسر سليمـــان فى	امن وعد بالتلاق

والله يحميك من　　كيد العدا والنفاق
ما اشتد حبك في　　اهل عمـــان وراق
واقبل وداعا بدا　　نظما به النثر ضاق
محمـــد صـاغه　　من بالصداقة فاق

النبا　　٢٣ رجب ١٣٤٣

الباروني باشا يودع عمان

اثر وداع عمان لسعادة البارونى باشا بالقصيدة السابقة اجابه فى اليوم التـالي من بلدة الغبرة بالقصيدة الآتية وداعا لاهل عمان كافة . وهذا نصها :

وداع من فؤاد مستهـام　　اليك عمان يا مهد الامام
امام المسلمين ابو المعالي　　محمـد المؤيـد بالحسام
سليل المجد طلاع الثنـايا　　لحضرته ابادر بالسـلام

وداعا والعيون تفيض دمعا　　لحزن لم تذق طعم المنام
تناجى القلب وهو يئن طورا　　ويضرب تارة ضرب الزرام
كأن لسانه يتلو دواما　　وهل مثل التفرق من سقام
تركت عمان رغما وهى تزهو　　باخوان كعقد فى انتظام
اسود لا يرون الموت باسا　　وهم حصن منيع للمضام
لهم ادب به يجلى صدا من　　غدا لمرمى نوائبه الجسام (١)
ويشرح صدر من ضاقت عليه　　رحاب الارض من دول عظام
ويشفي غلة المضني ويحيي　　نفوسا بالجهالة في ظلام
وحدث ما تشا في الجود عنهم　　وهم في الدين امضى من حسام

---

١) اى نوائب الدهر المفهوم من المقام

لهم حكم بشرع الله يجري	به كل المحاكم فى انسجام
فلا دول الاجانب عن رعايا	تناضل اوتهدد بانتقام
ولا عهد يقيد مرتضاهم	تحافظه القناصل بالخصام
فهم في روضة حفت بأمن	وفي حرية سمحا النظام
فزد فى عزهم واخصب ربوعا	بهم تختال يا رب الانام
وهب لي عودة تروي غليلي	اليهم يا مغيث المستهام

القبرة — ٢٤ رجب ١٣٤٣ سليمان البارونى

البارونى باشا فى مسقط

بعد رجوع سعادته من سياحته فى دواخل عمان ووصوله الى مسقط سالما كتب الينا فى ٢٠ شعبان ١٣٤٣ الرسالة التالية يفصل فيها شيئا ممـا هو مبهم عن الاخ الباحث . وهذا نصها :

حمداً وصلاة — اخوان الصفا حفظهم الله ووفقهم ءامين .

سلاما واحتراما — شرفنى كتابكم المؤرخ فى ١٢ جمادى الثانية بعد وصولي مسقط . . .

رجعت الى مسقط قبل اسبوع وصحتى ولله الفضل فى غاية ما يرام ، وقد نزلت هذه المرة فى بيت ظريف لجلالة السلطان خارج سورالبلدوسط بستان طلق الهواء نقيه فيه اشجار وخضر وازهار طيبة ومياه جارية وفيه يتردد علي الاخوان صباحا ومساء حتى جلالة السلطان نفسه .

كان مروري على قبائل بني بطاش بطلب منها بواسطة رئيسها الشيخ سلطان وكان لاستقبالهم ايانا فى جميع بلادهم شأن يذكر اوضحه لكم بعد الاستراحة ان وجدت وقتا .

وها كم الآن قصيدة الشاب الاديب الشيخ محمد بن الامير الشيخ عيسى في

وداعنا عند رجوعنا من بلادهم « القابل » الى مسقط ، وقصيدتي التي قابلته بها وداعا لاهل عمان كافة (وقد نشرناها قبل هذه الرسالة)

« عمان فى اصطلاحهم عبارة عن غير السواحل من المملكة ، اما السواحل فيعبرون عنها بالباطنة ، وهى تحت حكومة السلطان مباشرة .

اما عمان — وهى داخلية البلاد فتحت تصرف الامام »

سأخبركم بخطة حركتي بعد ان يسافر جلالة السلطان الى ولاية ظفار التي هي على حدود حضرموت لبعض اصلاحات فيها لانها تابعة لحكومة مسقط .

وربما اتوجه الى الجبل الاخضر لتعلق قلبي به مع الحاح جماعته في طلبي وعدم تمكني من الوصول اليه بسبب المرض .

الاستاذ الثعالبي في الهند وقد وصلتني منه كتب من بمباي وهو بخير في راحة واحترام . سلامى الى الاخوان والاصدقاء كافة . وفى هذا القدر كفاية الآن . والسلام من اخيكم : سليمان البارونى

تحية ميزاب لعمان

جوابا لتساؤل سعادة الباروني بقوله في رسالته السابقة « وما لاخوان الصفا وشاعرهم سكوت لم تحركهم مدافع عمان وقد قرعت الاسماع ؟ » قلت القصيدة الآتية تحت العنوان اعلاه في ٢٧ شعبان ١٣٤٣ فطبعت منها كمية أرسلت منها ١٠٠ نسخة الى سعادة الباشا فكان لها دوي كبير فى سائر بلاد عمان كما ستراه .

وقد نشرت في الجزء الأول من الديوان صفحة ٣٩ ـ ٤٤ وهذا نصها :

يهدي مزاب تحية وسلاما ... متواصلين مع الأثير دواما

ويبث مع ريح الصبا اشواقه ... وولاءه وحنانه وغراما

ويمد اسلاك المودة والصفا ... ليناجي الارواح لا الاجساما

ويفيض من اخلاصه نورا ومن ... احساسه نارا تذيب الهاما

لاخيه شعب عمان حيث الدين حـ ... ـيث المجد حيث العز فيه ترامى

حيث العدالة والنزاهة والتقى ... ضربت على الاصحاب فيه خياما

حيث المروءة اخصبت حيث الفضيـ ... ـلة امرعت والحق صال وقاما

حيث المعارف ورقت اغصانها ... حيث المكارم زانت الاقداما

حيث الجلالة توجت « سلطانها » ... تاج الفخار فنالت الاعظاما

حيث الامارة مد فيه رواقها ... فعلا لها صيت به وتسامى

حيث الامامة رفرفت رأياتها ... واعزت الايمان والاسلاما

واظلت الشرع العزيز ونفذت ... « قرءاننا » واقامت الاحكاما

فكت بحد حسامها اسر البلا ... د وحررت رق العباد تماما

وأزاحت الظالمين ظلم الشرك مع ... ظلم الدخيل فما استطاب مقاما

وأرته ان ترابها لا ينبتـ ... ـن العسف والافساد والاجراما

لكنه مرعى خصيب واسع ... لبذور دين الله ليس مراما
قد أعدمت اطماع اعوان الشقا ... من بعد ان راموا لها الاعداما
فتبددت ءامال كل الطامعيـ ... ـن ولم ينالوا غاية ومراما
وتكسرت امواجهم فى صخرة ... من بأسها فتراجعوا ا كواما
فتمتعت في كامل استقلالها ... تختال فى حرية اعواما
الله اكبر هكذا حظ الذيـ ... ـن يجاهدون ليرفعوا اعلاما

حياة العزة

ا كرم بقوم قد ابوا من غير ان ... يحيوا اعزاء النفوس كراما
وتظلهم اعلام دين الله في ... شعب غدا خير الشعوب مقاما
اخذوا بحزم واستعدوا اذ راوا ... ذاك التمدن يجلب الالغاما
وتيقظوا فى الحال لما عاينوا ... منطاده في الجو جال وحاما
فبنوا لذا اعلى الحصون وسددوا ... فيها المدافع كي ترد سلاما
ربطوا الجياد الصافنات ونظموا ... الجيش العرمرم كي يصون ذماما
فجرى دم من نخوة عربية ... بعروقهم واستعذبوا الآلاما
وردوا حياض الموت لما شاهدوا ... دين الهدى مستهضما ومضاما
لم يعرفوا حكما « وهم ابناء حكم ... الله » الا ذلك الصمصاما
عمدوا لتطهير البلاد وغسلها ... مما يراه الله قبل حرما
لكن بماء احمر تسخو به ... مهج تعاف الذل والارغاما
أعجب بماء لا يطهر سائر ألا ... قذار لكن يغسل الآثاما

تجديد عهد الامامة

سقيا لكم يا معشر الاصحاب يا ... اشبال ءاساد حمت ءاجاما

قد كان مصباح الامامة لامعا — شرقا وغربا يرشد الاعلاما
لـكن تلاعبت الرياح فأطفئـات — انواره نخبـا وخاب فناما
ان حاولت افواهها اطفاءها — فالله جل يتمها اتماما
قمتم لها والصدق رائد جمعكم — متكاتفين تماسكا ووئاما
اذكيتم نار الحماس بشعبكم — فغدت بارجاء البـلاد ضراما
اسرجتم مصباحها فى عصرنا — فأنرتم ما كان قبل ظلاما
جددتم عهد الامامة بعـد ما — جرت عصور فوقه الاقداما
فأعدتموها وهي من سكر الصبا — تختال يهوى وصلها من هاما
احييتم مجداً وخلدتم لـكم — ذكرا فعشتم سادة وعظاما
وأدرتم من كاسها راحا ولم — يرزق أسير «مزاب» ذاك الجاما
من يجتهد يظفر بنيل مرامه — طبعا ويرق ذرى العلا وسناما
حق الحياة لمن يضحي نفسه — ونفيسه ويقارع الايام
اما النؤوم فـكان خير حظوظه — بحياته الاوهام والاحلامـا
تالله لو علم الدخيل بان في — إيذائه لـكم الحياة لزاما
لأتى بـكل مسكن ومنوم — ولما اثـار مشاكلا وخصامــا
فليمعن الاضداد في ظلم وفى — عسف لنسرع فى المسير اماما
لله ما احلى الشقاء واعذب الآ — لام اذ تشفي لنا اسقاما

مهرجان البارونى باشا في عمان

حيا الالاه امامها كانت لها — خير الشرائع عمدة وقواما
ظهرت بمظهرها العظيم فحققت — ما اعجز الاعراب والاعجاما
وحمت عظيما حامي الاسلام نخـ — ـر الدين شهما سيدا وهماما
ذاك « البرونى » المجاهد والذي — صرع الطغام وارغم الاخصاما

فتحت له ابوابها اذ احكمت ... دول التحالف غلقها احكاما
فرحت بمقدمه الجليل فأظهرت ... لمقامه الاجلال والا كراما
وأفاضت الخير العميم واغدقت ... في وجهه الاحسان والانعاما
مادت بلاد عمان واهتزت به ... طربا وتاهت من سناه هياما
والارض من فرط الهوى مياسة ... فأناها رب السماء غماما
ضمته اياما لها . شغفا به ... وكذاك يفعل بالحبيب ندامى
ومنابر الادباء ترقص منهم ... اذ اسمعوها تلكم الانغاما
ضربوا على وتر القلوب وحركوا ... الاعصاب لما حركوا الاقلاما
والخيل تهدي للسمو تحية ... بصهيلها اذ لا تجيد كلاما
تزهو وتمرح وهي تعلم انها ... فرحا تواجه فارسا مقداما
وصدى المدافع والبنادق فى الفضا ... يزعزع الاطواد والآ كاما
ودخانها متصاعد فى الجو اذ ... يبدو به مثل السحاب ركاما
تلك المناظر ليتها - والله - لو ... وجدت لحفظ جمالها رساما
لكن يراع براعة الشعراء قد ... حاك الجمال وصور الارساما
فلرب شطر منه خير من شريـ ... ط السينما اذ يخلب الافهاما
فلقد ارانا « في شمال افريقيا » ... حركاتكم تترى لنا قداما
شكرا لكم يا ايها الكرما فقد ... اكرمتم في شخصه اقواما
ان فاتنا حظ فهذي باقة ... من روضنا شعرا ترى ونظاما

الى الامام يا جلالة السلطان وعظمة الامام

يا مسقط(١) الفضلاء مغاص لآلئي ... الحكماء كعبة سؤدد وحراما

---

١) اسم عاصمة جلالة السلطان السيد تيمور من آل ابو سعيد وهى مرسى كبير بخليج عمان الذى فيه مغاص اللؤلؤ كما هو مشهور فى عواصم اوروبا واميريكا .

يا مطرح (١) العظما ونبع حياتهم ... يولي الحظوظ ويفرق الاقساما
يا معمل الاصلاح قصر سمائل (٢) ... شمس الهداية ترسل الالهاما
يا ايها الركن العظيم القابل (٣) ... لتقدم لا يعرف الاحجاما
تيهي افتخاراً في رياض امارة ... اذ فتقت ازهارها الاكماما
ناغي البلاد بتاجك الخضر الذي ... يغنيك ان اوليته خداما (٤)
سيري بشعبك للامام وساعدي ... الضعفاء عندك واكفلي الايتاما
فالله ينصر ذلك السلطان والا ... مراء والوزراء والحكاما
ويمد ركن المسلمين محمدا ... من كان هدي المتقين إماما
ويعين اهل الامر من اصحابه ... العظما ويلحم بينهم الحاما
ويصون دولتهم ويحمي شعبهم ... فيزيد كل قوة ونظاما
عشتم جميعا في الهناء ولم يزل ... زهر السرور لديكم بساما
وجميع قطر مزاب مع سلك الصفا ... يهديكم مسك السلام ختاما

عمان يرد تحية ميزاب باحسن منها

طبقا لما قلناه قبل ان سعادة الباروني باشا هو الذي حرك شعور شعراء المشرق والمغرب بنفسه وبرسائله ، وهو الذي أنعش رابطة طالما تراخت ببعد

---

١) بلد صاحب المعالي وزير مالية مسقط وهي تبعد عنها بنحو نصف ساعة في البحر ، وقد علت مهرجانها نحو الباروني باشا

٢) عاصمة امام المسلمين ابي عبد الله محمد بن عبد الله الخليلي بداخل عمان وهي تبعد عن مسقط ١٦٠ فرسخا

٣) بلد احد زعماء الحركة الاصلاحية الامير عيسى بن صالح زميل العلامة الشيخ نور الدين عبد الله بن حميد السالمي صاحب التصانيف الشهيرة الذي توفي عام ١٣٣٢ هـ رحمه الله

٥) اشارة الى الجبل الاخضر الذي هو من اعظم جبال الدنيا وارتفاعه ٩٠٠٠ قدم . وفي سفحه الانهار الدافقة والرياض الغناء والاراضي الخصبة وفيه كثير من المعادن كما سيأتي بيان عنه

الزمان والمكان فانتعشت وازدهرت ، فانه ما كادت تصل قصيدتنا « تحية ميزاب لعمان » بمائة نسخة ، حتى اختطفتها الايدي وفتحت بابا مرتزقا للنساخ لها كما افادنا المرحوم الباروني نفسه في وقته فأحدثت دويا هائلا بين اوساط العلماء والادباء والشعراء هنالك ، فتبارروا في رد التحية باحسن منها . وذلك بنظم الغرر من القصائد الصادرة من نبع العروبة ولغة قحطان التي تتقاصر دونها لغة الامازيغ . وفيما يلي ننشر منها ثلاثا كنموذج لتلك الروح الفياضة فى ذلك الوسط العربى الماجد .

الاولى — للشاعر الفحل النابغة الشيخ عيسى بن صالح الطائي قاضي القضاة — اذ ذاك — بمسقط . حررها فى ٦ ذي الحجة ١٣٤٣ ، وقد توجها بتاج من الدر المنثور تحت العنوان الآتى : (١)

ثناء عمان على ابى اليقظان

نهدي سلاما عاطراً وثناء زاهراً وتحيات واكرام وتبجيل واحترام ، الاخلاص رائدنا والاحساس قائدنا الى العلامة الجليل الشيخ أبي اليقظان ومن معه من الاخوان حفظهم الله وابقاهم على الدوام :

أيقظت منا ابا اليقظان من رقدا	لما بعثت بنظم انعش الكبدا
بعثت انوار « روتنج » بثثت بها	روح الحياة فصارت كالبدور هدى
أفرغت في قالب الاخلاص مجتهدا	احساس شعب الى شعب يمد يدا
هذي عمان لما اسديت شاكرة	تهدي سلام مشوق نحوكم ابدا
وشعبها ذلك الشعب الذي أنعمت	هماته ان يرى في دينه اودا
اذكيت بالشعر نيران الحماس به	فعاد بحراً خضما يقذف الزبدا

١) نشرت في الديوان صفحة ٤٤-٤٥

أيقظت منــه ابا اليقظــان نائمة   فهب مستأسدا من بعد ما رقدا
شانيك يكـتم شمسا وهي مشرقة   ياليته جانب الشحناء وابتعدا
الى الامام «ابا اليقظان» انت لها   فاصدع برايك وانبذ رأي من جمدا
ودم واخوانك الابطال تحرسكم   عناية الله من شر الذي حسدا
وحدتم الشعب حتى صار مغتبطا   وكان من قبل فى ءارائه قددا
تلكم مزاب لنا ركن نطول به   وتاج فخر على هام السماك غدا
كم اطلعت من بدور يستضاء بها   واوجدت للاعادي في الوغى اسدا
منها البروني ليث الحرب مسعرها   من صار في خدمة الاسلام منفردا
قد زار مسقط فاهتـزت به طربا   اكرم به من همام ماجد وفدا
وسار نحو امام المسلمين لكي   يمثل الغرب جنب الشرق متحدا
سعى فـوفق فى ايجـاد رابطـة   ما بين شعب عمان والذي بعدا(١)
تلك الروابط ما زالت محكمــة   روابط الدين اقوى رابط وجدا
فيرحم الله روح القطب قدوتنا   اعني ابن يوسف فخر الدين شمس هدى
وها كها يا ابا اليقظان رافـلة   تزف للغرب شوق الشرق متقـدا

مسقط سادس ذي القعدة ١٣٤٣   عيسى بن صالح الطائي

الثانية — لشاعر لم يذكر اسمـه — كما مر نظيره — وشعره البليغ ينبىء عن نبوغ قائله وألمعيته ، وقصيدته العصماء تجر فى ذيلها تاريخ ١٨ رجب ١٣٤٤ تحت العنوان الآتي ، وهي صادرة من سمائل .

تحية عمان لبني ميزاب

نشرت ميزاب اعلام الرشاد   وسمت فخراً على كل البـلاد
بعقود صاغها خير اياد   (قلد المشـرق ثم المغربا)

---

١) سترى شرح ذلك وافيا فيما بعد بحول الله .

جدد العهد لنا فى المغرب   باتحاد شاد ركن المذهب
صير القطرين عضو النسب   (فعلا قدراً فحاز الشهبا)

روضة ما غرسها الا العلا   أورقت اغصانها بين الملا
وجناها زهر مجد أثلا   (نعم ذاك الغرس غرسا طيبا)

يا بني ميزاب يا اهل الصفا   يا حماة الدين ارباب الوفا
كم لكم من شرف قد عرفا   (شرحه تنبيء عنه الخطبا)

كم نجوم فيكم قد اشرقت   دونها الجوزاء بالعلم ارتقت
يهتدي الساري اذا ما طلعت   (مجلس الذكر عليها ضربا)

كم لكم من احرف مسطورة   رقمت فى كتب مأثورة !
احكمت من درر منثورة   (تنعش الروح وتبري الوصبا)

يا ابا اليقظان أيقظت القلوب   بنظام هد أركان الخطوب
جعل الشرق مع الغرب يئوب   (وبقوس يرميان الحجبا)

اصبح الشعب العماني يميد   طربا من ذلك العهد الجديد
وقريب بالمودات البعيد   (فهو ذاك الشعب مهما غربا)

هو شعب مشرقي نهجا   منهج العدل سناه انبلجا
انفت همانه ان يلجا   (بابه ذل وان يستلبا)

نحن ابناء عمان شهب   للاعادي ليس فينا رهب
نبذل النفس كما قد يجب   (علم استقلالنا قد نصبا)

كم شجاع بطل فينا مهاب   اسد يفتر فى الحرب بناب

ما له غير دم الاعدا شراب (يحتسي كاس المنايا طربا)

بامام صار فينـا عمـرا شمس عدل بدر علم ظهرا
بحر جـود ليث حرب زأرا (لا يبالي بدخيل شغبا)

الخليلي صاحب المجد الاثيل نجل عبد الله ذو الرأي الاصيل
ناصر الاسلام بالسيف الصقيل (حافظ الاوطان ان تختلبا)

ولأنتم يا ابا اليقظان قد صرتم منا كعضو من جسد
بارتبـاط لا يرى فيه اود (يجمع الشمل ويحي النسبا)

كيف والمغرب قد شاد البنا للمعالي وانار الوطنـا
ابدا للعلم اضحى معدنا (لرقي فوق الثريا منتصبا)

نصب القطب عليه المنبرا فغدا فيه الرئيس الاكبرا
وحمى الدين واحيـا الاثرا (ابرز النيل واجرى الذهبا)

والبروني الشهير البطـل شهد الغرب له والاسـل
انه بين المنـايا زحـل (يهزم الاعدا ويقضي القضبا)

زارنـا منتـدبا لله لم يخش من عذل ولاخطب ألم
قطـع البحر الينـا وانتظم (جمع الشمل فنلنا الاربا)

يا بني ميزاب اهديكم سلام وهو بالنشر يرى مسك الختام
لقواف صدحت مثل الحمام (ترقص الافنان منها طربا)

* * * *

الثالثة — لشاعر بليغ لم يذكر اسمه — كـذلـك — ولـكن خريدته الفريدة تشفَ عن بلاغة قائلها ونبوغه ، وقد توجها بالعنوان الآتي ، ومصدرها

كالتي قبلها « سمائل » وهذا نصها :

تحية عمان لبني ميزاب

أبا اليقظان أيقظت النياما وأطربت الحواضر والخياما
وحركت الغصون وعاشقيها وأرقصت الجوامد والغماما
بني ميزاب احييتم نفوسا على ذكرا كم زادت هياما
واذ كيتم شعور الشرق فيها وهيجتم على القلب الغراما
ولاح هلالكم فى الغرب بدرا فضاء الشرق مبتهجا وهاما
سبكت قلائداً اذ صغت نظما ابا اليقظان تهدينا السلاما
فحل من الفؤاد محل روح وهيج شاعر الدنيا فقاما
فزدنا من رحيق الغرب زدنا وزد زدنا ولا تصغ الملاما
ادر كاس الصفا واسكر فانا سكرنا مذ بدا البدر التماما
سليمان البرونى الذي قد اذاق عدوه الموت الزؤاما
وولى وجهه للشرق كيما يجرد من معادنه حساما
ويبرز من مزايا العرب ما قد طواه الدهر من مجد تسامى
كذلك تفعل الابطال دوما اذا سكنت وقلت الكلاما
ستنظر يا ابا اليقظان فاصبر تر الانوار تكتسح الظلاما
وتسمع او تشاهد فعل جند اذا سلطانه « تيمور » حامى
وذاد عن الحياض وثار شعب امامهم على المنهاج قاما
محمد رافع رايات عدل على عرب لهم ملك ترامى
لهم في الاعصر الماضين صيت ترى التاريخ دونه تماما
فحيي الغرب وارو الشوق عنا ولا تجعل لفاتحة ختاما

طرابلس وزنجبار تترددان الصدى

هزت هذه الموجة الكبرى طرابلس في شمال افريقية وزنجبار فى افريقية الشرقية فضربتا على اوتار تلك النغمات الشجية على بعد الدار وشط المزار ، حيث ان الروح واحدة والاوشاج متشابكة ، فأرسل شاعر كل منهما الينا قصيدة تضرب تواقيع كل واحدة من القصيدتين على تواقيع الاخرى على اختلاف في البيان وتنوع في المنوال :

فاما من طرابلس فقد وردتنا من زوارة القصيدة المومى اليها من الاديب الالمعي الشيخ علي بن محمد متوجة بالعنوان الآتي مؤرخة فى ذي القعدة ١٣٤٤ وهذا نصها : (١)

تحفة الاصحاب للاصحاب

وتحية زوارة لميزاب

تهدي زوارة باقة الاشواق ... لبني مزاب الطاهري الاعراق

السابقين الى العلا دون الورى ... الحائزين السبق عند سباق

السائرين على محجة ذي الهدى ... المشرقين معالم الخلاق

الآمرين بواجب المعروف والنـ ... ـاهين عن نكر بغير نفاق

ان الوفي هو الولي لديهم ... لو كان عبداً بيع في الاسواق

وكذا العدو هو الخئون ولورقى ... أعلى العلى وازدان بالارزاق

لله درهم زكت أرباحهم ... فعلوا ذرى الدارين باستحقاق

صدق الحديث بغير شك فيهم ... من رهط هذا الفارسي السباق

جلبوا لتونس نشأة من غرسهم ... قد اثمرت ثمراً لذيذ مذاق

---

١) نشرت في الديوان صفحه ٤٦ ـ ٤٨

لاغرو ان تزكو ثمار زهورها ... اذ قد تمهدها خبير ساق
طود من الاطواد بل بحر طمى ... علما ومعرفة وحكمة راق
قد وقف النفس النفيسة دونها ... فليحي محيي العلم بالانفاق
وليحي من ثبت النبات بسعيه ... وبنوره في الشمس في الاشراق
لا تعجبوا فالدر من اصدافه ... قد جاء يسبك معوج الاخلاق
من دوحتي عبد العزيز المصعي ... يدعى «ثمينة» بل ثمين راق
أعتند ابا اليقظان واشدد ازره ... يا بلبلا يشدو على الاوراق
سموك عن غلط بشاعر مغرب ... بل انت شاعرها على الاطلاق
انهض وخذ بيد الشبيبة للعلا ... قد ذاع صيتك في فضا الآفاق
قم قم ابا اسحاق فاعتنق العلا ... فلأنت اولى من لها كملاق
ولانت أولى من يصور حسنها ... ببديع نظم حيك للعشاق
اطبع بسجعك المتوافي انها ... تجلو فؤاد الحائر المتملاق
واحفظه في الديوان يبقى لدى الورى ... اثرا نفيسا صين فى الاوراق
«القطب» فاض عليكم بخضمه ... فسموتم أوج العلا بمراق
هو المحيط وانتم انهاره ... فتدفقت منكم سيول سواق
قد فاض قبل على البروني فارتقى ... بمدارج تسمو لسبع طباق
فأنار مسود الظلام بهديه ... ما زال يرقب شمسها بوفاق

* * * *

ليت الفضا يطوي لناعن بعده ... فترا كم العينان بالاحداق
ويبل قلب المستهام بنظرة ... تشفى غليل الصاد من احراق
أترى الزمان يجود بعد جفائه ... بالقرب او يقضى لنا بتلاق
يا يوم تجتمع الاحبة بالصفا ... يتجاذبون لطائف الاذواق

مازال مركزكم حصينامانعا | للنازحين كماجا ورواق
قمتم لنشأتنا قياما لائقـا | فلكم جزيل المدح باستغراق
الله يعلم ما اليه قلوبنـا | بلغت وما بالنفس من اشواق
بعثت من الاشواق خيطامدفي | سلك الاثير الى مناخ رفاق
تهتز اعطافي لـدى ذكراهم | لكنني عنهم مهيض الساق
يا حاديايطوى السباسب والقرى | قف للوداع ولو كقدر فواق
خذ جمرةمن مهجتي تغنيك عن | قدح الزناد اللامع البراق
او لم يكن ماء لـديك مبردا | خذ ركوة من دمعى المهراق
وصبابتى دعها لديهم علها | تتفتح الابـواب من اغـلاق
ولعلها ولعلها ولعلهـا | ولعل يطلق ربط كل وثـاق
فالله نسأل ان يقي مجموعنا | شر الحسود ومكر كل نفاق
فهو اللطيف المستعان بجوده | يتبدل الامـلاق بالاغداق
ثم الصلاة على النبيء محمد | ما حاديا من ذي الحليفة راق

زوارة فى ١٤ ذي القعدة ١٣٤٤ — علي بن محمد الزواري

واما من زنجبار فقد وردتنا منه القصيدة الآتية من نظم الشاب الاديب خالد بن هلال بن سالم بن مانع الرحبي ، وقد توجها بديباجة من اللؤلؤ المنثور وهذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل الدين سببا للوداد ، والطرس نائبا عن الوصل بين العباد ، واللسان يعرب عما فى الفؤاد ، والصلاة والسلام على من بين سبيل الرشاد وءاله وصحبه الامجاد .

وبعد — فلما تملكت فؤادي محبة دينية للنئية المغربية الصادقة ، ولم اجد

لي سبيلا الى الوصال لمضيق المسالك في الحال ، فتبرع الجنان باملاء هذا البيان فأنبته عني لزيارة زبدة الاخوان الشيخين : ابي اسحاق وابى اليقظان . وان كان لا يجدى فتيلا ، لكن كما قيل في مضمون التنزيل تاويلا : « اذا لم تجدوا ماء فالتيمم يكفي في جميع ما يعني » .

فاليكم بالنيابة عنى هذه الغادة ، وان لم يكن الشعر منى عادة ، ولتقبلوا قرب ارواحنا ، ولو نزحت الديار باشباحنا ، فارجو منكم قبولها ، وان تصلحوا خللها وفضولها . اذ قلتها وعمري لم يتجاوز العشربن ، والقلب من الوجد اليكم والبعد في شغلين ، ومع ذلك انى منغمس ببحر الجهالة متسربل بسرابيل الملالة فهذا عذري ان كان في قولي خلة فاصلحوها واغفروا لي كل زلة .

وارجو من فضلكم ان تجيزوني بجائرة الدعاء بأن يبلغني الله مراتب البلغاء وعليكم مني السلام ورحمة الله وبركاته وعلى كافة اخواننا المسلمين .

وهذا نص القصيدة تحت العنوان الآتى :

زنجبار يناجي ميزاب

أرجال الدين هذي غادة !

بارق من جانب الغرب سرى	فتجلى لي بارضى سحرا
جعل الرعد زفيري في الدجى	اذ تراءى والدموع المطرا
يا له من بارق اجخسنى	أخذ النوم واعطى السهرا
كلما لاح لعيني ضوءه اذ	فصمت من عقد الصبر العرى
ليت شعري هل سقت غادية	ربع احبابى فأضحت خضرا
مربع ضم الاولى ان سئلوا	وهبوا الجم واعطوا البدرا
وبه قام عمود الدين وار	تد طرف الكفر عنه حسرا
ونبات الجد فى ساحاته	بالعلى والعز اضحى مثمرا

وبناة المجد والعليا قد　　بذلوا النفس فنالوا الوطرا
أظهروا الدين على فطرته　　وبنوا المجد واحيوا الاثرا
واقاموا للاعادي حججا　　الخمت كل كنود كفرا
كم لهم من حجة نيرة　　تخجل الشمس وتخفي القمرا
وشجاع لا يبالي في الوغى　　أتناءى موته ام حضرا
وفصيح ادهش العالم ان　　نظم القول اذاً او نثرا
وكريم اخجلت راحاته　　لجج البحر ندى والمطرا
وامام حيرت اسفاره　　كل فهم ثاقب والبصرا
ومليك صير الاملاك في　　كفه يأخذهم كيف يرى
عمر عمر دين الله في　　سوحه نعم المفدى عمرا
وبنو رستم نالوا ما اشتهوا　　من علاء فعلوا فوق الورى
وبنو بارون فيه اصبحوا　　فوق جبهات المعالي غررا
وبنو ميزاب في ساحاته　　أظهروا الدين فسادوا البشرا
وبه القطب الذي قد حاز في　　قصبات السبق هامات الذرى
قطب دين الله محييه ابو النـ　　فضل مولى الناس تاج الامرا
وابو اسحاق صمصام الهدى　　معدن الفضل فقيد النظرا
عالم حاز علوم العقل والنـ　　قل طرا فهو ادرى من قرا
أصبحت ايامه ضاحكة　　بعلاه ودجاه مقمرا
ذو يراع لا يجارى وعلاء　　لا يبارى وندى لن يكفرا
ومجلات اذا ما شوهدت　　حسبت مما حوته ابحرا
وابو اليقظان ابراهيم في　　افقه اصبح بدرا نيرا
بين السبل لطلاب العلا　　بعدما قد كن سرا مضمرا

ونحى طرق المعالي طالبا ... حظه منها فنال الاوفرا
فارس ان قبض الاقلام او ... ركب الطرف ازال المنكرا
واذا ما نثر الخطبة فى ... محفل أيقظ الباب الورى
صحف الوادى له قد شهدت ... انه عزز منها المنبرا
لسن ان نظم الشعر فقد ... جاء بالسحر فاعيا الشعرا
ورجال العلم والافضال قد ... ملؤا ساحاته فازدهرا
فهم العمدة فى الدين وهم ... نصروه للعلا فانتصرا
نفر في جوف قلبى سكنوا ... وبهم قلب المعنى عمرا
ان تكن قد بعدت اشباحهم ... فهواهم فى فؤادي حضرا
واخو الحب ولو قد بعدت ... ارضه فهو سمير السمرا
لمنا الاسلام بالود الذي ... فى مجاري اللحم منا قد جرى
أرجال الدين هذي غادة ... وفدت ارضكم تبغى القرا
اوفدتها فكرة من مومق ... في ابتغاء الوصل افنى العمرا
طالما حاول وصلا فثنى ... عزمه صرف زمان عسرا
فاستناب الحال عنه هذه ... فاتت تهدي اليكم جوهرا
زفها نحوكم والدها ... تقطع البيد وتفري الابحرا
فامهروها بقبول حسن ... ومنى والدها ان تمهرا
ولكم مني سلام عطر ... ملء ما بين الثريا والثرى
وصلاة الله تغشى من له ... قلم التنزيل بالمدح جرى
احمدا والآل والصحب الاولى ... بهم الدين علا وانتشرا
ما نسيم هب بالبشر وما ... بارق من جانب الغرب سرى

زنجبار ... خالد بن هلال بن سالم الرحبي

نقول — اذا كان هذا الفتى الطموح يقول مثل هذا الصنف العالي من الشعر وهو على رأس العقد الثاني من عمره فقط فكيف به اذا اصبح وهو يقبل راس العقد الرابع منه اذا هو سار على هدا المنهاج القويم ؟ أفلا يتربع على عرش امارة الشعر البليغ بالقطر الشقيق زنجبار ! ابلغه الله ما يرجوه من مراتب البلغاء

اعمال البارونى باشا فى عمان

عند ما وصل البارونى باشا بلاد عمان وجد الجفاء مخيما بين جلالة السلطان « تيمور » وعظمة الامام ابى عبدالله محمد بن عبدالله الخليلي منذ ثورة احرار عمان على سلطنة مسقط فى جمادى الثانية سنة ١٣٣١ .

واحوال بلاد عمان الداخلية فى تفكك وانحلال والدسائس الاجنبية تدب عقاربها في اطراف جزيرة العرب وهي تحبو نحو النواحي الشرقية من بلاد عمان ادرك سعادته كل هذا واكثر من هـذا ، وليس من الهين على نفسه الكبيرة وهمته العالية ان يقف ازاء هذه الاخطار المحدقة بالقطر العمانى العزيز وبجزيرة العرب المقدسة موقف المتفرج ، وهو الرجل العظيم العمومى الذي جعل حياته الغالية وقفا للاسلام والمسلمين ، سيما وقد زادته سياحته الماضية في دواخل عمان اطلاعا واكتناها لخبايا الامور هنالك .

ورغما عن مبادرة المرض له قبل ان يبادر لوضع خطة العمل اخذ يفكر في وضع خطته اثر رجوعه الى مسقط من سياحته التى دامت من ربيع الاول الى رجب ١٣٤٣ بما فيها من ايام مرضه المضني على ما نوضحه فى محله ان شاء الله تعالى .

واليك فيما يلي خلاصة من اعماله الكبيرة في داخل البلاد وخارجها :

١ — منها اعمال تمهيدية لازالة الجفاء بين السلطان والامام وتقريب المسافات بين الفريقين بما ظهر أثره المحمود من توحيد قواهما لمواجهة الاخطار وجمع كلمتها

ضد الاجنبي وتوجيه انظارها لحماية عمان من كل اعتداء على البلاد من اي كان

٢ -- ومنها سفارته باسم جلالة السلطان وعظمة الامام لدى جلالة الملك ابن السعود وسمو الملك علي بن الحسين في الحجاز ، فوفد اليهما وهو يحمل منهما وثائق فى اعتماده سفيراً لهما لدى الملكين المسلمين رجاء ايقاف الحرب بينهما حقنا لدماء المسلمين وانزال الوئام في جزيرة العرب محل الخصام .

وفي اعتماد الامام له بتمثيل امة عمان في المؤتمر الاسلامى المزمع عقده لأجل قضية الخلافة بمصر .

الاولى — من تيمور بن فيصل

الى حضرة صاحب العظمة سلطان نجد وتوابعها اخينا عبد العزيز بن عبد الرحمان السعود لا برح فى رقى واجلال . السلام عليكم ورحمة الله .

أخوكم يحمد الله الواحد الاحد بحال يسركم يرجو من الله انكم بحال يسر اخواننا المسلمين ، منذ برهة من الزمن انقطعت مواصلات المكاتبات الودية بيننا فعساها الشاغل خير .

والباعث على طرسنا هذا الودادى هو ان حامله جناب الشيخ الجليل عندنا سليمان باشا البارونى احد رجال الاسلام ومن علماء مذهبنا قصد السفر الى مركز عدلكم الذي اضاءت انواره اقصى ممالك الاسلام فلزم تجديد مراسلات الصداقة وروابط المحبة بيننا . ولا شك فى انها لا تتغير ، وبهذه المناسبة اتشرف بان اصرح لعظمتكم باننا فى كدر واسف عظيمين من استمرار الحرب حول بيت الله الحرام بين اخوان مسلمين كل منهم يعظم البيت المقدس ويحترمه . نسأله تعالى ان يوفق الجميع الى الوصول الى طريقة حل تحقن الدماء وترضي اهل الاسلام اجمعين .

وحيث ان حامل كتابنا هذا هو على ما نحن عليه من الكدر كلفناه

بان يعرب لعظمتكم عن احساساتنا الدينية توضيحا لما كتبناه هنا ، فالموجو اعتماد كلامه فى هذا الصدد ، فانه الثقة الامين ، ولاشك في ان لكم الخبرة التامة فيه وفى امثاله ، وله تفان وتضحية فى كل ما يتعلق باصلاح حال الامة الاسلامية .

وفي الختام اتمنى دوام علائق المودة الخالصة وقبول احترامي .

رمضان سنة ١٣٤٣ (١)

الثانية — نظيرها الى سمو الملك علي بن الحسين وهذا نصها :

من تيمور بن فيصل الى حضرة صاحب الشرف العالي اخينا الملك الشريف علي بن الحسين المحترم دام اقباله واجلاله . السلام عليكم ورحمة الله .

اما بعد فان اخاكم يحمد الله جل شانه فى عزمي فضله تعالى يرجو انكم فى صحة تامة مؤيدين بروح من مالك الملك متوجين بالفوز في كل حركة فيها راحة اخوانا المسلمين امين .

حامل كتابنا هذا هو الوجيه المحبوب لدى الدولتين المحترم الشيخ سليمان باشا الباروني احد علماء مذهبنا ومن رجال الاسلام المعروف لديكم شخصا وعملا متوجه الى ساحة ملككم مضحيا خدماته فيما فيه مصلحة الامة الاسلامية ولديه اخلاص كامل لسيادة والدكم والدنا . وقد اصحبناه كتابنا هذا لينوب عنا فى عرض احساساتنا وتألمنا العظيم مما لا زلنا نسمعه من استمرار الحرب حول حرم الله المقدس بين اخوان مسلمين كلهم يدينون بتعظيم بيت الله الحرام وشعائره المقدسة فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم . نسأله تعالى ان يلهم الجميع ما فيه حقن الدماء وسرور العالم الاسلامي ووقاية الاماكن المقدسة من كيد الكائدين . وحيت ان الحامل المذكور من الثقاة الامناء

---

١) المنهاج - السنة الاولى ج ٣ ص ٠

عندنا فلا حاجة الى التوصية على اعتماد ما يبديه لديكم من الفكر فيما فيه الصلاح ، كما نلتمس من جلالتكم التنزل الى تسهيل ما يعسر عليه في هذا السبيل فانه وامثاله الذين حاربهم الدهر ولا يزال حربا لهم ممن يجب ان تسهل السبل امامهم ليقوموا بخدماتهم الخيرية الاسلامية .

وفى الختام ارجو دوام اتصال حبل المودة المتين وقبول احترامي الخالص والسلام . رمضان ١٣٤٣ (١)

الثالثة — من الامام الخليلي . وهذا نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

من امام المسلمين بعمان محمد بن عبد الله الخليلي -- الى جناب المجاهد في سبيل الله الغيور فى دين الله اخينا الشيخ سليمان الباروني وفقه الله .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

حيث ان العالم الاسلامي في اضطراب واهتمام بقضية الخلافة والاماكن المقدسة . وقد تقرر على ما بلغنا عقد مؤتمر لأجل ذلك ، فانا نكلف جنابك باسم الامة العمانية ان تحضر هذا المؤتمر الذي سيعقد لهذا الغرض الديني السامي في مصر او غيرها من البلاد الاسلامية وليكن رأيك فى مسألة الخلافة مطابقا لقواعد الشرع الصحيحة وهي لا تخفى عليك .

اما مسألة الاماكن المقدسة فليكن رأيك فيها مبنيا على حمايتها من عبث العابثين بها ووقايتها من تسلط كل يد اجنبية عليها مهما كانت مقاصدها وصبغتها

وقد استحسنا جداً تكليف جناب السلطان اياك بالتوجه الى الحجاز مندوبا من طرفه وحاملا كتب نصيحة منه الى المتحاربين حول بيت الله الحرام . فنعم الرأي رأيتماه فان المسألة من أهم ما يجب ان يهتم به كل مسلم . واننا لا

---

١) المنهاج . السنة الاولى ج ٣ ص ١٧١

نزال فى شغل من ذلك . والمنتظر من جنابك موافاتنا بالاخبار الصحيحة بدون فاصلة . والله تعالى نسأله ان يوفقك والمسلمين اجمعين الى ما فيه خير دينهم ودنياهم ءامين .

رمضان المعظم ١٣٤٣ (١)

قلت ليعتبر الاخ الباحث كم تفيد هذه الوثائق التاريخية القيمة من اهتمام ائمة الاباضية وملوكهم وزعمائهم بشئون الاسلام والمسلمين عامة وباحوال الاماكن المقدسة خاصة ، خلافا لمن يزعم ان الاباضية انما يعيشون لانفسهم ، كأنهم لا يعنيهم من امور الاسلام والمسلمين شيء .

وهي تهمة لاتخرج الا من افواه الذين يتجاهلون كثيرا من مواطن الاسلام واخوانهم المسلمين . بناء على قاعدة « عدم الاعتراف بالوجود » زهواً وغروراً .

* * * *

وبعد — فما تقدم من اول الكتاب الى هنا يرى الاخ الباحث طرفا مما عليه الباروني باشا في اطوار حياته من ءايات وعبر .

وقد بذلنا جهدنا في تنظيمها وتنسيقها وابرازها بهجة للناظرين .

ونحن نحمد الله ونشكره على ما امدنا به من العون والتوفيق الى اتمام هذا الجزء الاول من الكتاب . وكما امدنا بذلك فى الماضي نرجوه ان يمدنا في المستقبل لاتمام الجزء الثانى ان شاء الله . والحمد لله رب العالمين .

---

١) المنهاج السنة الاولى ج ٣ ص ١٧٢ ، ولكن لم يتيسر لسعادة البارونى باشا تلبية امر الامام لحضور المؤتمر الاسلامى بمصر لاسباب تراها من بعد من قلم المرحوم البارونى نفسه

الفهرست

سليمان الباروني باشا

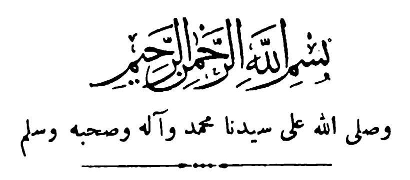
في اطوار حياته

بقلم

أبي اليقظان الحاج ابراهيم

الجزء الثاني

١٣٧٦ – ١٩٥٦



وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

بعونه تعالى نستمد الرشد والتوفيق والتأييد للشروع فى الجزء الثانى من كتاب « سليمان البارونى باشا » في اطوار حياته .

ونحن — بحول الله — بنفس العزم والصدق والاخلاص والارادة نواصل العمل لتدوين بقية الكتاب وتنظيمه وتنسيقه وابرازه فى جزء ثان جامع لما بقي لدينا من الاعلاق والذخائر والوثائق المتعلقة بهذا الموضوع التاريخي النفيس .

ونرجو من غواة العلم والادب والتاريخ ان يجدوا فيه مرشدا حكيما وموجها مخلصا الى ما يجب ان تكون عليه حياة المسلم بينه وبين ربه وبينه وبين نفسه وبينه وبين المسلمين في دائرة السعادتين ، سعادة الدنيا وسعادة الآخرة.



المرحوم سليمان الباروني باشا باوسمته الرسمية خلال إقامته ببغداد سنة ١٣٥٦

سياحته الثانية
الى دواخل عمان وما يكتنفها من الاعمال

لقد رأيت يا اخي الباحث — في الجزء الاول — اشارة في جوابه الاخير المؤرخ فى ٢٠ شعبان ١٣٤٣ الى شوقه الكبير لزيارة الجبل الاخضر مع طلب رئيسه وجماعته له .

فكان من برنامجه فى هذه السياحة الثانية زيارة الجبل الاخضر ، ولكن ليس لدينا على وجه التحقيق متى بدأ في هذه السياحة المباركة ، ولعلها كانت اثر العيد الاضحى من عام ١٣٤٣ ، كما يستفاد من رسائله .

فاولاها فيما اتصل بايدينا مؤرخة في ١٢ ذي الحجة ١٣٤٣ ، وهذا نص محل الحاجة منها :

« . . . اهنئكم بالعيد المبارك ، وصلت صوراً واستقبلني الوالي والاهالي استقبالا فاخراً واليوم اتوجه الى بلدان جعلان ان شاء الله الخ .

وثانيتهما مؤرخة في ٤ محرم ١٣٤٤ وهذا نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

اخوان الصفا ، حماكم الله — السلام عليكم ورحمة الله . أرسلت اليكم كتابا من بني بو حسن (جعلان) واليوم وصلت القابل ماراً ببلاد الحجريين واستقبلت كما في غيرها من البلاد . انقطعت عني كتبكم واني فى انتظارها .

سلامي الى الاصدقاء كافة .

٤ محرم ١٣٤٤ من اخيكم : سليمان الباروني

قلت : يتضح من هذه الظروف الراهنة انه بدأ في هذه السياحة وازمة العلاقات بين عمان وابن السعود والانقليز على اشدها ، ثم مناورات من هؤلاء

وهؤلاء ، ومن اجتماعات قواد الجيوش ورؤساء البلاد ومن استعراض الجيوش هنا وهنا مما جعل لسياحته هذه فيها اهمية خاصة ، ومن رسالته التالية تدرك مغزى ذلك ونصها : بسم الله الرحمن الرحيم

القابل ١٨ محرم ١٣٤٤

اخوان الصفا ، حماكم الله . السلام عليكم — وصلت القابل ووصلها وفد من شمال عمان يرأسه مشائخ « دبي » وكان الاستقبال مهيبا .

قدموا لتأكيد الروابط مع الامير الشيخ عيسى وحضرة الامام وتنظيم خطة لصد غارة ابن السعود والانقليز عن تلك الجهات اذ ظهرت دسائسها كما ذكرت لكم سابقا ، وستسمعون ان شاء الله باتحاد كلمة هذه المملكة حتى مع عظمة السلطان ، بعد ان شتتها الدسائس والاغراض ، واني منذ نهضت من ذلك السقم المنهك وانا مجد في ذلك سراً وجهراً والنجاح محقق باذن الله، وقد عادوا اليوم مسرورين بما نالوه من الاحترام . وقدموا للشيخ عيسى فرسا هدية وقدم اليهم هو ذاولا الخ . سلامي الى الاخوان والاصدقاء كافة .

ودمتم لاخيكم : سليمان الباروني

قلت : — قد يتراءى للاخ الباحث ان في هذه الرسالة الغازا ورموزا تبعث على الحيرة والقلق ، ولشرح هذه الرموز نقدم اليه فيما يلي رسالة الباروني باشا نفسه في الموضوع نشرها في مجلة المنهاج الغراء في الجزء الثالث من السنة الاولى صفحة ١٦١ والرسالة مؤرخة في ١٧ صفر ١٣٤٤ صادرة من القابل ، وهذا نصها تحت العنوان الآتي :

جزيرة العرب

لا خوف على عمان من المعاهدة

رأيت في جريدة « الشورى » الغراء ، وفي جريدة « العراق » المحترمة

ذكرا لمعاهدة ثلاثية على غزو عمان فلم استغرب ذلك لان مثله من الدول ليس بغريب ، وقد كان لهذا النبا تاثير سيء في صدور المسلمين اينما كانوا ، فانه قد وردت الي كتب من اصدقاء كثيرين في مصر وغيرها يسألون عن حقيقة ذلك وحيث ان المسألة ليست مما يسهل الوقوف على خباياها بسرعة فانى أقول الآن ان عظمة السلطان السيد تيمور موجود الآن فى ولاية ظفار المجاورة لحضرموت من مدة خمسة اشهر ،فلا يمكن الاستفهام منه ولا صلاحية لوزارته فى مسقط في تكذيب او تصديق مثل هذه الاشاعات لو سئلت ، ولا اشك في انه اذا حضر عظمة السلطان من ظفار يعلن براءته من هذه المعاهدة على صفحات الجرائد اذا كان بريئا منها كما هو المنتظر منه .

اما من جهة الدولة البريطانية فالمنتظر من الدول الاروباوية واميريكا المعظمة المعترفة باستقلال مملكة مسقط وعمان استقلالا تاما ان تطلب منها تكذيب ذلك ، واما عظمة السلطان ابن السعود فالمأمول منه ان يبادر الى اعلان براءته من هذه المعاهدة قبل ان يسأله العالم الاسلامي الذي ستزيده هذه الاشاعة ،الاما على ما يقاسيه من ألم المذابح الحجازية النجدية التي مضى عليها عام كامل واتباع محمد عليه السلام يتطاحنون حول ضريحه المقدس وبيته الحرام لفائدة اعدائه لا غير .

اما مملكة عمان — فلا خوف عليها بأذن الله بالمعاهدة ان صحت ، ولو قصد احد عمان بسوء قبل هذا لحصل فيها بعض تاثير ، اذ كانت قبائلها تتقاتل والرؤساء طامحون الى العصيان ، وكل من بيده حصن يرى انه هو سلطان القطر

اما الآن فقد توحدت كلمة البلاد وانقطعت الفتن وادرك الجميع مضرة الانقسام واحسوا بما يحيط بهم من الخطر براً وبحراً واعلن القابضون على الحصون انهم مستعدون لتسليمها لمن يتصدى للدفاع .

ان اكثر ما كان يخافه اهل عمان هو ان يأتيهم عدو من جهة شمال المملكة براً او بحراً حيث الانظار متجهة الى مدن دبي والشارقة وبوضبي القريبة من جزيرة البحرين لان فيها مغاص اللؤلؤ المشهور في العالم كله ، ولان في جهة الشارقة على ما يقال خليجا عظيما يصلح لأن يكون ملجا لاكبر اسطول بحري وهو على مدخل خليج فارس ، فاذا عمر يكون كباب مغلق على ما وراءه الى البصرة ثغر العراق فهو للبصرة كمدخل الدردانيل بالنسبة للاستانة ومن ينظر الى الرأس المعروف برءوس الجبال في خريطة مملكة عمان يتضح له ذلك وقد كانت عمان من قديم الزمان لا تغزا براً الا من تلك الجهات لقربها من نجد والعراق وكان سكان تلك الجهات فى اكثر الاحوال ينضمون الى الغازي .

اما اليوم فقد تنورت الافكار وتحقق العقلاء بالوقائع القديمة من عهد الحجاج ان لا نتيجة من انضمامهم الى المغير على عمان الا تخريب ديارهم وهلاكهم سواء انتصر المغير ام لم ينتصر ، ولذلك كان شهر المحرم الماضي ١٣٤٤ شهر اجتماع وتوثيق عهود ، فقد حضر الى هنا (بلد القابل) مركز شرقية عمان وفد كبير يرأسه الفاضلان النجيبان الشيخ سعيد واخوه الشيخ سهيل نجلا الشيخ بطي رئيس دبي سابقا وقدما فرسا هدية الى الشيخ عيسى بن صالح رئيس الشرقية وكتابا من عمهما الشيخ سعيد بن مكتوم رئيس دبى الحالي حرره باتفاق مع الشيخ سلطان بن زايد رئيس بوضبي لتوثيق عرى الاتحاد وتقرير خطة لمقاومة كل من يقصد تلك الجهات بسوء براً او بحراً ، وهكذا وردت وفود من مراكز الظاهرة وكتب من مشائخ جعلان وغيرهم ، وكان المتوهمون يسيئون الظن بقبيلة الشارقة القريبة من دبى وقبيلة بني بو علي في جعلان لانهم على المذهب الوهابي ، ولهم في السابق ميل الى نجد ، ولكنهم اليوم صاروا فى مقدمة الساعين فى توثيق عرى هذا الاتحاد وشد عضد المتصدي عن الوطن

سمو امام عمان محمد بن عبد الله الخليلي ورؤساء ال حمود شيوخ بني بو علي اولو عقل ودراية بالاحوال وصلابة فى حب الوطن يرون ان لا خير لهم الا فى الانتظام فى سلك المدافعين عن هذه البلاد . وقد اجتمعت بهم من قبل وفارقتهم وهم على هذا الفكر ، ثم وصلت في هذه الايام كتبهم ورسائلهم الى بلد القابل .

والاموال تجمع بسخاء والزكاة تجبى وتذخر والامام يستعد للتقدم بنفسه من نزوى عاصمة الامامة الى الظاهرة والبريمي القريبة من دبى لشحن حصونها بما يلزم واتخاذها مركزاً لقوة تلك الجهات حتى اذا حدث حادث من البر او البحر التحق به المدد المهيأ المرتب فى كل بلاد من رجال ومال وذخيرة ، وسيسمع العالم اذ ذاك بدون شك ان عظمة السلطان تيمور قام بما يوجبه عليه حق الوطن والملك وصوب عمل حضرة الامام واتحد الدفاع .

ان في مملكة عمان من ظفار الى قطر ما لا يقل عن نصف مليون من رجال مسلحين بالموزر العثماني والسلاح الالماني والانقليزي ولديهم من الذخائر ما لا يحصيه عد . ولكل مسلح جمل (مهري) لركوبه وجمل زاده ، فاذا ضرب مدفع واحد (علامة الاجتماع للحرب) فى جهة حضر من فى تلك المنطقة من الرجال في مدة لا تتجاوز الاربع ساعات بكل ما يلزمهم للحرب بحيث اذا كانوا بالمسير من هناك الى جهة من الجهات لا يحتاجون للرجوع الى بيوتهم قط فهم كجند نظامي موزع في بيوته الى وقت الحاجة . فهل يعقل اخضاع اجنبي مهما كان لامة هذه اوصافها وقد حافظت على استقلالها التام من عهد العباسيين الى اليوم (الا ان يشاء الله ذلك فلله خرق العوائد)

كتبت هذا ليقرأه على صفحات جريدتكم الاسلامية المحترمة رجال الاسلام الذين يهمهم امر اخوانهم المسلمين اينما كانوا ليطمئنوا و يعلموا ان لا خوف على عمان العربية المستقلة باذن الله !

احرر هذا والفؤاد يتمزق اسفا وتحسراً على الامة العربية المسكينة لما اعتقده من ان الانقليز لا يقدمون على حرب بهذه البلاد بانفسهم ولا يخسرون عليها احدا من اولادهم قط . بل سيمهدون السبيل لتصادم القوتين العربيتين الاسلاميتين النجدية والعمانية حتى اذا ضعفتا ونفد ما عندهما من مال ورجال وذخيرة احتلت بكل سهولة جنودها مراكز بوضبي ودبي والشارقة وصاحت بملء فيها هذه غنيمتي من الحرب الاسلامية العربية الحمقاء واصدرت اشاراتها الى المتحاربين قائلة كفا عن الحرب حتى افصل بينكما على ما اشتهيه ويوافق مقاصد اركان حرب جيشي كما صنعت في الحرب النجدية الحجازية اذ ضمت اليها باسم شرق الاردن مراكز العقبة ومعان وتبوك بوسيلة خوف الهجوم على الاردن وستصبح يوما ما على ابواب المدينة المنورة متوسلة بخوف الهجوم على العقبة وما اليها ايضا .

ومن يطالع مقالتي التى كتبتها تحت عنوان « المعاهدة الحجازية الانقليزية سنة ١٣٤٢ » اذ كنت فى باريس ونشرتها جريدة « الصواب » الغراء التونسية يدرك حقيقة مصير الحجاز وحصول كثير مما اشرت اليه قبل وقوعه فى تلك المقالة مثل سقوط مكة المكرمة في يد احد رؤساء الجزيرة وتقهقر الملك حسين الى جدة ونقل المدرعة الانكليزية اياه الى لندن ، فان هذا كله قد وقع ، وقد نقلت المدرعة الانكليزية الملك حسين الى جزيرة قبرص . والأمر لله ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

هذا ورجال العالم الاسلامي يرون الى اليوم انهم هم الذين اسقطوا الملك حسينا عن عرش خلافته وانهم هم الذين محوا بدهائهم ملكه ، او لا يدرون ان الفاعل لذلك كله هي الدولة البريطانية ، ولكن بايدي ودماء المسلمين العرب وهم لا يشعرون !!!

فهل يمكن الآن للمسلمين اجمعين ان يسقطوا الانكليز عن كرسي العقبة او تبوك فقط ؟ وهل في اعتقادهم صد الانكليز عن التقدم الى المدينة اذا ارادوا ؟ وهم يعلمون ان اكبر كبير منهم شرقا وغربا لا يقدر ولا يجسر على مبارحة بلاده لمجرد السياحة الا بعد تملق وخضوع للحصول على اذن من الحكومة الاجنبية المسيطرة على بلاده والا فهو اسير فى وطنه الى ان يموت .

فتح الله بصائر اهل الاسلام وعلمائه وعقلائه الى ما يدبر لهم من المكائد واراهم سبيل الرشاد والنجاة ءامين .

القابل ـ مملكة عمان　　　صفر ١٣٤٤　　　سليمان البارونى

الباروني باشا في مهرجان الاستقبال

في سياحته الثانية لدواخل عمان

١ - في بلدة السباخ

عند مرور موكب الباروني باشا ببلدة السباخ من بلاد إبرا في طريقهم الى نزوى اقتبلهم اهاليها اقتبالا حارا واقاموا لهم حفلا فخمـــا فى يوم ٢٢ صفر ١٣٤٤ مزينا بالخيل والرجال وضرب المدافع وكان معهم والي ابن الشيخ سليمان بن سنان والشيخ محمد بن الامير عيسى والشيخ علي بن حمود .

وبعد انتهاء الاحتفال قام الشيخ عبد الله بن خلفان الجهضمى فـالقى خطبة طـويلة ختمها بهذه الابيات :

هذه الدار اضــاءت بهجة　　وتجلى حسنهـــا للناظرين
بقدوم الليث كشاف الدجى　　قدوة الدين منار المتقين
ذا سليمان البروني الذي　　صار فى الهيجا سمام المجرمين
حاز فخر الدين والدنيا معا　　زده توفيقا ونصـرا يا معين
واظهر الحق إلاهي دائمـــا　　واخمد الباطل يا رب ءامين

٢٢ صفر ١٣٤٤　　عبد الله بن خلفان الجهضمى

٢ - في مركز ازكي

عند مرور موكب الباروني باشا ببلد ازكى احتفل بهم اهاليها احتفالا شيقا كـذلك التي فيه الاديب الشيخ سالم بن سليمان الرواحي المدرس بجامع ازكى القصيدة الآتية فى يوم ٢٧ صفر ١٣٤٤ ، وهذا نصها :

بشر الامـة بالوفـد الحسن　　حيث وافا دارنا بدر الزمن

ناصر الملة موفور الحجا	موسع الخلق اياد ومنن
ابلغ الناس مقالا يرتضى	يصطفي القول بتخريج حسن
كعبة الفضل وقمقام العلى	صاحب الصيت بسهل وحزن
قائد الجحفل مسمار الوغى	قائم الباس على اهل الوثن
باذل العزم على نصر الهدى	ثابت الجأش لاعزاز السنن
يا سليمان ومن ساد على	هذه الامة مجدا لم يهن
انت للارض ربيع وحيا	انت كهف وملاذ فى الزمن
انت من يحفظ عهدا للورى	ويصون العرض صونا عن مذن
انت من يرفع مجداً نيرا	انت من يطفيء نيران الفتن
ظهرت منك على قمع العدا	سطوة تشبه ليثا قد حرن
رجع الكفر الى اوكاره	اذ رأى منك لايثار المحن
انذا اليوم ببشر مبهج	يوم وافيت نزارا ويمن
نشكر الله على منته	شكر من يطلب توفير المنن
اذ راينا لك وجها مشرقا	يشبه الشمس على خلق حسن
حبذا الاقدام اقدام على	بركات الله من أنشا المزن
عش هماما قائم الجد على	بهجة الإنس اذا الغيث هتن
دونك النظم اتى مرتجلا	صاغه الفكر بيانا عن شجن

٢٧ صفر ١٣٤٤ — سالم بن سليمان الرواحى

٣ ـ الباروني باشا في نزوى

فى اوائل ربيع الاول ١٣٤٤ وصل سعادة الباروني باشا الى نزوى عاصمة الامامة ، وقد استقبله عظمة الامام الخليلي ورجاله وجيشه بموكب فخيم بلغ حد

الابهة والجلال ، وحضر رؤساء ووفود القبائل من سائر البلاد بعمان .

وفي اول جمعة من ربيع الاول ١٣٤٤ القى البارونى باشا بعد صلاة الجمعة بجامع نزوى وقد غص برجال العلم والحرب والسياسة وبسائر الوفود ورؤساء القبائل خطابا فخما وقصيدة رائعة بين يدي عظمة الامام أفرغ فيهما اراءه السياسية ازاء المشاكل الراهنة كتوجيهات لعظمة الامام ليتوخاها فى سياسته الداخلية والخارجية ، وكمنهاج للسير بدولة الامامة الى الامام .

ومع الاسف الشديد لم نحظ بنص الخطاب ، واما القصيدة فاليك مقتطفات منها ، وهذا نصها :

وبدت لعصر الراشدين دلائل — اذ لاح من جبل الشراة سناء
فأضاء واسطة البلاد واشرقت — بعمان شمس امامة سمحاء
وعلا امام المسلمين محمد — عرشا تطاطأ دونه الجوزاء

* * * *

فانهض وشمر فالعوائق جمة — ولذا الزمان سياسة خرقاء
تذر العقول الراجحات بحيرة — ويرى بليداً من لديه ذكاء
خل القضا لرجاله واعكف على — تنظيم جند فالنظام دواء
انى ارى حول الامام عرمرما — شاكي السلاح انوفه شماء
يرنو الى طلب العلا متوقداً — ارواحه للمكرمات فداء
لو نظمت اساده لارتج من — زأراتها ارض وماد سماء
وارى الحصون على الجبال تزينها — كالتاج تلك الراية البيضاء
تهتز ان قذفت صواعقها الربى — وتضيق من اصدائها الارجاء
لكن بها من عهد كسرى عدة — ما في مدافعها الطوال شفاء
فاستبدلن عتيقها بجديدها — ان الجديد جهنم حمراء

واع التداعى بالقبائل انه سهم العدو ومحنة سوداء
واجمع قلوبا بالخلاف تمزقت حتى يضم شتاتهن لواء
ولشبل « فيصل » ولطرفك عاقدا معه الخناصر فالشقاق شقاء
دع ما تقدم واعمان لمقبل فلآل « فيصل » همة ووفاء
وامدد الى نجد يديك متاخا صمصامها بل نارها الزرقاء
واعطف الى سبط الرسول حميد من ضاءت بطلعة بدره صنعاء

* * * *

وهنالك اتحدوا ولا تتفرقوا وتعاهدوا ولتشهدن حواء
ودعوا وساوس من يفرق واذكروا مجد الجدود ليسعد العقلاء
وضعوا الحدود بصورة مقبولة ترضى الالاه فيطرب العقلاء
وليعن كل بعد ذا ببلاده وكنوزها فلها بتلك غناء
فمساكر وتجارة وصناعة وزراعة ومدارس علياء
اذ ذاك يرجع للجزيرة عزها ولها جميع المسلمين فداء
اما التطاحن والعدا بمراصد فعلى الجميع مذلة وبلاء
وعليهم الوزر العظيم وعاره وعليهم تتسلطن الاعداء
هذي نصيحة مخلص في دينه ما شابها مدح ولا اطراء
اني امرء ترك المديح لاهله مذ انشبت اظفارها الهيجاء
فاعذر ففي نصحي مديح كامل وعليك يا قطب الشراة ثناء
اوليتني ما لم أكن اهلا له والفضل منك سعادة ورضاء
دم يا امام المسلمين مؤيدا منصور جند حولك الكبراء
ما ابن البرونى ساح فى اقطارها وعليه من دول الصليب غطاء
ثم الصلاة على النبيء وءاله وصحابه فهم هدى وسناء

في ضمن هذه الاستقبالات ارسل الينا الباروني باشا عنها رسالة موجزة ، وهذا نصها :

حمداً وصلاة -- ٤ ربيع الثاني ١٣٤٤ -- تنوف مركز الجبل الاخضر

اخوان الصفا حماكم الله ، السلام عليكم اجمعين ورحمة الله .

اخبرتكم بوصولي الى الحمراء وقد صعدت منها الى الجبل ، وكتبت اليكم ما تجدونه طي هذا مختصرا — وقد رأيته ءانفا — وقد كتبت اليكم عن الاحتفالات التي حصلت فى بلاد إزكي والمضيبي والبركة وتنوف (مركز الجبل) وفيها لاقانا رئيس العبريين الشيخ ابراهيم بن سعيد واعيانهم ، وكان الاستقبال في تنوف بالغا منتهاه كما في نزوى والحمراء . وسيرافقنى الامير الشيخ سليمان بنفسه (اي للمرة الثانية) .

ورد الي كتاب من عظمة السلطان السيد « تيمور » من ولاية ظفار ، وهو صارف همته في تعميرها ، وقد ساح بنفسه فى جبالها واوديتها الى نهاية حدودها من جهة حضرموت (المكلا) كان الله فى عونه .

* كلفت مرارا من بعض اهل الحل والعقد بقبول منصب عال مع الامام فاعتذرت خوفا من ان ينسب الي التحيز ، وانا يهمني ان ابقى للطرفين (السلطان والامام) حتى اتمكن من صلح بينهما يسعد البلاد ان شاء الله .

المنتظر وصول الامير الشيخ عيسى بعد يومين الى نزوى بجيش الشرقية للتقدم الى مراكز شمال عمان كما ذكرت لكم قبل هذا . وعند الحركة اكتب لكم التفصيل :

انتظر وصول القافلة ثم اصعد الى الجبل وسيرافقني الامير بنفسه .

والسلام على الاخوان كافة .

من اخيكم

سليمان الباروني

٤ - فى بلدة الحمراء

عندما توجه موكب الباروني باشا الى الحمراء — بلدة في الجبل الاخضر — استعد اهاليها لاستقبالهم استعدادا عظيما ، ونحن ندع سعادة الباشا يصف ذلك الاحتفال بهم فيما يلي — قال رحمه الله :

لما بلغ الشيخ ابراهيم بن سعيد العبري الذي كان تقلد خطة القضاء بمدينة « الرستاق » خبر توجهنا الى « تنوف » استعفى من القضاء وتقلد رئاسة قبائل العبريين فسبقنا اليها — تنوف — واعيان بلاد الحمراء ، ودعونا للزيارة فتقدمنا اليها ، وهى على مسافة نصف يوم من تنوف واستقبلنا اهلها رجالا وركبانا على مسافة ميلين . وكان لدخولنا الى الحمراء منظر مطرب : قد تلبد دخان بنادقهم ومدافعهم في الجو كالسحاب . وكنا نمر بين مزارعها الخضراء تحف بنا الرجال والخيل والمهر . وقد بلغ عدد البنات والخادمات اللتى يحملن جرار الماء المغطات باكواب الزجاج على رءوسهن نحو المائة يراهن الناظر كاسراب الظباء يميناوشمالا ينادين هل من شارب ؟ويرى الاكواب والجرار تلمع كالنجوم عند مقابلة الشمس ، فكان الموكب من اجمل ما شاهدته من المواكب ، وعند مدخل البساتين لاقانا العلامة بقية السلف شيخ عمان علما وسنا الشيخ ماجد بن خميس البالغ من العمر اربعا وتسعين سنة — اي قدر عمر قطب الائمة الشيخ طفيش رحمه الله — وبعد الاستراحة انشد الشيخ ابراهيم المذكور ءانفا القصيدة الآتية ، وذلك فى يوم ١٤ ربيع الانور ١٣٤٤ . وهذا نص القصيدة :

شرفت عمان واهلهـــا	بوفود من حاز العلى
السيد البطل الكمي	الليث جـواب الفلى
باشا سليمان الهمـا	م المرتضى زين المـــلا

ذاك ابن بارون النفو ... سي الشهير ابن الجلا
ذاك الذي بعلومه ... ظلم الجهالة قد جلا
ذاك الذى بسيوفه ... قطع الغلاصم والطلى
كم وقعة في حر نا ... ر جحيمها الاعداء صلى
كم في طرابلس ابا ... د المشركين وجندلا
لا تنثني عزماته ... عنهم ولو عظم البلا
غاص الخضم وسار فى ... ظلماته مستكملا
ما غاصه للآلىء ... بل العدا مستأصلا
تلقاه ان عظم البلا ... متبسما متهللا
لا غرو ان غدر الزما ... ن به فأصبح اعزلا
فلكم عزيز اذله ... ولكم غني أرملا
فعسى المهيمن ان يعيـ ... ـد زمانه متغضلا
ويقيمه فى العالمين ... مجاهدا متبتلا
واليكها يا من بذكـ ... ـر مديحه شعري حلا
عذراء ترفل في الدمقـ ... ـس فكن لها متقبلا
واطلب لابراهيم من ... مولاك ادراك العلا
وصلاة ربي والسلا ... م على النبيء ومن علا

٥ ـ في بعض قمم الجبل الاخضر

قال رحمه الله :

. . . من الحمراء صعدت الى احدى قمم الجبل الاخضر المشهورة بالارتفاع (٩٠٠٠ قدم) فصعدنا في يوم واقمنا يوما وليلتين ، ورجعنا فى يوم . وهناك قلت الابيات الآتية وذلك فى يوم ١٦ ربيع الانور ١٣٤٤ :

في جانب الحمراء طود شامخ ... بمتمنطق متعمم بسحـــاب
بمت قمته الرفيعة راجـــلا ... وسجدت للخلاق فى محراب
ومع الاثير بعثت منـه تحيتي ... لجميع من في الارض من احبابى
ومع الشعاع رفعت صـاعدة الى ... عـرش الالاه مطـالبي ومتابي
أرجو من المولى قبول جميعها ... وشمول كل اقاربى وصحـابي

وقلت

اصفى المياه شربت اعلى قمة ... فوق السحاب الى السماء قريبه
فيها الرياحين الذكية اعبقت ... ومناظر للملألان غريبه
فيها الهواء منعش وطيورهـا ... فوق الغصون لدى الصباح عجيبه

وقلت

قف هاهنا وانظرن نزوى وقلعتها ... ومستعطا قابلا جعلان والجـــارا
وانظر صحار وحي البحر ملتفتا ... الى البريمي تجـد حصنهـــا نارا
واقبل بوجهك للعينين متجها ... نحو الحجاز وحي الغرب والدارا
هنا سليمان احيا الليل مبتهـلا ... وها هنا اوقد البارونى النـارا
يتلو الكتاب يناجي الله منفردا ... والليل داج وكان الدمع مدرارا

١٦ ربيع الانور ١٣٤٤ ... سليمان البارونى

مؤتمر بهلا

في ١٠ ربيع الثانى ١٣٤٤ انعقد بامر عظمة الامام مؤتمر عظـيم فى حصن بهلا غربى نزوى حضره اقطاب الامة من العلماء وقواد الجيوش ورؤساء القبائل وكان من بينهم سعادة الباروني باشا .

وقد تداولوا فيه عن التدابير الواجب اتخاذها ازاء ازمة البـلاد الشرقية من عمـــان .

وبعد مذاكرات قرروا الاكتفاء بتقدم الامير الشيخ عيسى بن صالح ببعض جيشه مع قسم من جيش امير الجبل الشيخ سليمان النبهاني برأسه العلامة الشيخ ابراهيم العبري ، وذلك الى مركز شمال عمان الذي كان مسرحا للدسائس الاجنبية حتى ان الامام كان عازما على التقدم اليها بنفسه .

الا انه بعد حضور مشائخ دبي الى القابل مركز الشرقية وورود رسل ووفود غيرهم من المراكز رأوا انه لا حاجة الى سوق القوة الكبيرة اذ لا مقاومة ولا حرب هناك . وقد تقدم الشيخ عيسى الى هناك .

وقد حكي ان قوافل متعددة حاملة مئونة وذخيرة وصلت مركز البريمي القريب من دبي من طرف امراء بوضبي ودبي استعدادا لاستقبال الشيخ عيسى وجيشه اذا رأى لزوما للوصول الى البريمي بعد وصوله الى مراكز عبري والعينين والدريز التي هو قاصد اليها . إما امير الجبل فقد عاد من مجتمع بهلا الى مركزه على ان ينتظر النتيجة ، حتى اذا رأى حضرة الامام التحاقه بالامير الشيخ عيسى تقدم بجيشه الذي هو على اهبة الاستعداد عند صدور الامر اليه من الامام (١)

— قلت : — اذا تاملت — يا اخي — مما نشرناه عن الباروني باشا من رسائله منذ اوائل سياحته الثانية هذه الى الآن ومن خط مروره فيها ، واذا شخصت الآثار الناجة عن هذه السياحة مباشرة ، أدركت ان الفضل في التفاف بلاد عمان ورؤساء قبائلها حول عظمة الامام بعد تشتت كلمتها بدسائس واغراض انما يرجع الى سعادة الباروني باشا .

وهي — لعمري — من الاعمال الكبيرة التي لا يضطلع باعبائها الثقال الا امثال الباروني باشا لما اوتوا من حصافة وحنكة وخبرة وكياسة وجاذبية ولطف سياسة ، وما يلقاها الا ذو حظ عظيم .

---

١) المنهاج السنة الاولى م ٥ صفحة ٢٨٥

فى تسليم الظاهرة

ءايات الاتحاد ظاهرة

طبق ما كنا نشرناه عن مؤتمر « بهلا » من المقررات فقد تقدم الامير الشيخ عيسى بجيشه الى بلاد الشمال « الظاهرة » فقابلته وفودها بالطاعة والخضوع وتقديم الذخائر والمئون كما اشرنا اليه ءانفا .

ولهذه المناسبة ارتجل رفيق الباروني باشا في هذه السياحة الاديب الالمعي الشيخ ابو سلام سليمان بن سعيد الكندي القصيدة الآتية فى ١٦ جمادى الاول ١٣٤٤ ، وهذا نصها :

نفح النصر فهبوا مسرعين	وارفعوا الراية بين العالمين
وامرحوا في الارض شكرا فلقد	نصر الله امام المسلمين
حجة الله التي اظهرها	بعدما كان بها الدهر ضنين
هو سيف الحق فى الارض فمن	رام ختلا كان قطاع الوتين
قبض الملك فأدى حقه	وأتاه الناس كل طائعين
نشر العدل فما من معشر	نفروا الا أتوه مذعنين
شكت السر اليه امر ما	يعتريها من امور المعتدين (١
خرج الجيش من العقر الى	نحو عبري وله النصر قرين (٢
ماجت الارض بهم من طرب	وتهادوا كاسود في عرين
فأتوها وهي في منعتها	كعقاب الجو فى حصن حصين
سامت من يومها الامر لمن	قد رأته انه البر الامين
علمته انه الكفؤ لها	فلهذا صافحته باليمين

---

١) ارض السر هى ما بين دبي وبين منتهى الجبل الاخضر من جهة الغرب .

٢) العقر هى المحلة التى فيها حصن نزوى الذي يقيم فيه الامام .

فكساها حللا من عدله ... وكفاها شر كيد الكائدين

كتب السعد على ابوابها ... فادخلوها بسلام امنين

أصبحت كل بلاد السر فى ... يده تطلب عفو المذنبين

وغدا العينين كالعينين فى ... جبهة الدهر لكل المبصرين(١

حينما حل به غوث الورى ... طود مجد ملجا للخائفين

نال عزا وعلا وغدا ... ينطح النجم يحي النازلين

أصبح الناس بامن بعدما ... ألفوا الخوف من الدهر سنين

يا امام العصر شكراً للذي ... جعل الفوز لكل الشاكرين

فهنيئا لك يا منصور ما ... نلته رغما لكيد الكائدين

يا رجال «السر» كم من مفخر ... بكم يتلى بايدي القارئين

إذ غدوتم للامام المرتضى ... خير انصار له في الآخرين

بوركت ايامكم من معشر ... وسقى ربعكم ماء معين

يا ابن عبد الله دم مجتهداً ... لا تبالي بمقال المرجفين

حولك الانصار مهما تدعهم ... تلق قوما لن يولوا مدبرين

رضعوا الحرب قديما فلكم ... تركوا الخصم على الترب رهين

سر شمالا واجمع الشمل ولا ... تسأمن والله يجزي الصابرين

هذه فرصة دهر سنحت ... لا تضعها انما الوقت ثمين

فاغتنمها انها سائغة ... واذخرها فهي كنز الذاخرين

* * * *

ايها العرب ارفعوا اعلامكم ... وانشروها علنا للناظرين

---

١) العينين احد مراكز ارض السر

رب الف بيننا واجعل لنا ناصراً منك يذل الظالمين
واجعل العرب جميعا اخوة وبني الاسلام طرا اجمعين
ولك الحمد إلاهي دائما ما دعا الداعي لنصر المؤمنين

١٦ جمادى الاولى ١٣٤٤ — نزوى سليمان بن سعيد الكندي

صدى هذه السياسة الحكيمة

يردد رنينه الشعراء عن الباروني باشا بعمان

أنشد في هذا الصدد الشاعر المجيد الشيخ حمدان بن محسن الجابري احد رؤساء قبائل بنى جابر من عمان القصيدة الآتية عندما زار سعادة البارونى باشا قبائلهم ، وهذا نصها :

أبارق المنحنى قد لاح من اضم ليلا فحرك اشجانا من الهمم
قد نور الافق فانجابت غياهبه كأنه البدر فى داج من الظلم
بشرى عمان لقد حلت بساحتها معادن الجود اهل العلم والكرم
بشرى لكم ملة الاسلام ان لنا مفاخراً بوفود السيد العلم
نجل الكرام اخي المعروف من قدم بوركت من رجل بوركت من قرم
انت الهمام لك الاعلام ناشرة بالنصر والعز في الهيجا والسلم
انت السري سليل العلم قدوتنا مبارك الاسم حامي الجار من وصم
انت الكمي ابو الهيجاء عمدتنا لله درك ذا الاخلاق والشيم
انت المرجى لامر ان هممت به تنل من الله اجرا غير منفصم
انت المرجى لنصر الدين فاسع له بحسن تدبيرك الاسنى وبالهمم
لك السياسة والاعداء شاهدة خزرا عيونهم والحال في وخم
يخشون منك رياحا طالما عصفت فزعزعت منكب الالحاد بالنقم
تخشاك ان جردت يمناك بارقة اولو البسالة والآساد في الاجم

تخشى الصواعق من لقياك يوم وغى ... ويرتجى الغيث من يمناك في السلم
مزقت شملهم في كل معترك ... بالصارم الذكر الهندي والخذم
تخاله كسناء البرق في خلل ... تخر اعناق اهل البغي والظلم
تركت هامهم جزر السباع على ... وجه البسيطة للعقبان والرخم
اضحت طرابلس لما نزلت بها ... مسرورة بعدما لاقت من الالم
لازلت فوق متون الخيل مبتدراً ... تكر مثل عقاب كاسر قطم
ياليت اهل عمان فى الوغى شهدوا ... يوم اللقا تحت خفق البيض والعلم
مع المدافع والآلات كاملة ... يحمون دين إلاه العرش والعظم
تسقى العدا بكئوس الموت مترعة ... لا تنثني عنك بالاسحار والعتم
بكل ليث عرين ما له ظفر ... غير الحديد ونار الحرب في ضرم
أيا سليمان هاتيك البشائر قد ... لاحت على الفلك الاعلى فلا تنم
تغضي عيونك والاعداء ساهرة ... وانت يا ابن المعالي عالي الهمم
أين الكماة أسود الغاب من مضر ... ومن ربيعة اهل الحمر والدهم
ما لي اراكم همودا لا تورقكم ... صواعق الخصم في سحب من النقم

* * * *

فقم بنا يا ابن عبد الله انت لها ... فهاك أيدي عمان طوع ملتزم
فقم بنا يا رعاك الله من رجل ... فصادم الكفر أهل الجور والظلم
فقم بنا ويد الاسلام قاهرة ... على الاعادي بلا كره ولا رغم
أتقن سياستك الحسنى فان لكم ... مع السياسات آراء من الحكم
وعندكم سيرة الاسلام مجمعة ... خذوا بهذى ذوي الالباب والشيم
ويا سليمان انت اليوم واحدها ... فمن يمارنها إلاك من شمم
وعندك اليوم اخوان غطارفة ... ما عابهم ابدا زيغ عن الحكم

فقم فدم ثغور الغاصبين على … حكم الكتاب بلا ريب ولا وهم
لا تقعدن عن الاسلام فى كسل … ان التكاسل رأس اللؤم والندم
يا من له فوق هام العز مرتبة … ومن له نسبة للسيف والقلم
جاوزت مرتقيا افق العلى كرما … لا زلت مرتديا بالعلم كالعلم
هذي مقالة من يرجوك ناصره … بضربة تترك الاعداء كالحمم
وما مدحتك فى معشار حقك يا … من رقى ذروة العلياء والكرم
صلى وسلم ربي ذو الجلال على … خير البرية من عرب ومن عجم
محمد ما شدت بالايك نائحة … وما حدا سائق الاظعان بالنغم

* * * *

كما انشد في هذا الصدد الاديب الشيخ محمد بن الامير عيسى بن صالح القصيدة الآتية يوم وصول موكب سعادة البارونى باشا الى بلدة « العز » في رمضان ١٣٤٤ . وهذا نصها :

العز فى الشرق فانزل اكرم النزل … بلغت ما تبتغى يا غاية الامل
ان البشائر وافتنا بطلعتكم … فالدهر فى زجل والناس فى جذل
حييت من موكب حفت جوانبه … بعثير النقع بين الخيل والابل
وللفوارس فوق الخيل هيمنة … والمدافع رنات على القلل
تحركت همم الدنيا باجمعها … واستيقظت لقدوم القائد البطل
أعني سليمان باشا من به شرفت … عمان حتى علت فخراً على زحل
قد قام محتسبا لله منتدبا … للدين منتصراً فى اوضح السبل
مشمراً شاهراً للسيف ذو همم … تسنمت ذروة الجوزاء والحمل
تروي مفاخره اقرانه سندا … عن صهوة الخيل والهندى والاسل
فاسأل هديت بنو الطليان ماوجدوا … يوم الكفاح ويوم الروع والفشل

ينبئك مخبرهم ان الهمام له | قلب يرى غير رعديد ولا وكل
تروي الرماح يداه حين يوردها | بيضا ويصدرها حمرا بلا وجل
خيوله للقنا حلت قلائدها | لكن منها حرام حوزة الكفل
ما عمر مع عامر اقدامهم شبه | بكره لا ولا بسطام ان تسل
ولا الهزبر ابو العباس من شهدت | مخالفونا له فى الحادث الجلل
اولاك بالسيف كان الحرب بينهم | لا بالمدافع مع طيارها الهطل
فالرمح حامية والدرع سابغة | والخيل سابقة والسيف في شغل
لله در نفوس كم لنا نتجت | من الكماة السراة السادة الكمل
من ذا الذي كسليمان البروني اذا | دارت رحى الحرب فهو القطب كالجبل
حتى يشتتها يمنى وميسرة | ويورث القلب منها طعنة الاجل
ذاك الذي خطب العليا فادركها | بالمشرفي وبالعسالة الذبل
لا زال مرتقيا بالعز مرتديا | للعلم منتميا فى اكمل العمل

* * * *

ومن اعماله الكبيرة سعيه المخلص الحثيث المثمر لجمع الكلمة وتوحيد الوجهة بين عظمة سلطان مسقط السيد تيمور وبين عظمة الامام الخليلي فكانت الكلمة واحدة والخطة واحدة والهدف واحدا ولو اختلفت الوسائل وتباين الموقف ، على ان موقف سلطنة مسقط نفسها لايزال حافظا لاستقلاله الذاتي ، ولم يكن للاجنبي فى نفس الامر والواقع الا الاشراف البعيد على ما يتبادر .

وبفضل توجيهاته الحسنة قام عظمة السلطان السيد «تيمور» اخيرا باصلاحات شتى وادخل بعض الانظمة فى المملكة تعود بالنتيجة الحسنة الحديثة عليها .

كما ان التحسين فيها اخذ في التدرج كما يدل على ذلك سياحة جلاله السلطان نفسه في بعض اطراف المملكة كولاية ظفار ومعه ولي عهده لتفقد شئونها ،

فأسس عدة مراكز للجباية عن البضائع الاجنبية ، واستقبلته وفود قبائلهـا حيثما حل ركابه استقبالا حسنا .

ومن آثاره التاريخية توجيه رسالة بليغة فى هذه الظروف الى المؤتمر الاسلامى المنعقد بمصر لقضية الخلافة عام ١٣٤٤ ، وهذا نصها تحت العنوان الآتى :

الآثار النبوية

مسقط ١٩ ذى القعدة ١٣٤٤

قرأت خبر الوفد العراقى المحترم المنتخب لحضور مؤتمر الخلافة بمصر .

وحيث انى كانت في العام الماضي من طرف حضرة امام المسلمين فى عمان بحضور هذا المؤتمر ، كان لي الحق في التشرف بالحضور فيه لكن لسد دول الحلفاء ابواب مستعمراتها الاسلامية امامي لم أجد طريقا الى مصر وقـد تلقيت دعوة في غرة رمضان الماضي ١٣٤٤ من فضيلة شيخ الازهر رئيس اللجنة العليا للمؤتمر وكتابا خصوصيا من الكاتب العام فضيلة الشيخ حسين والي فى الحث على اجابة الدعوة فاجبتها فى ٤ رمضان بتلغراف وفى ٥ منه بكتاب طالبا اصدار رخصة لدخولي مصر من حكومتها وانتظرت الجواب ، ولما مضت اشهر وفات وقت انعقاد المؤتمر — ولعله فى شوال — ولم يات منهـا شيء علمت ان اللجنة عجزت عن تحصيل الرخصة ولم تقدر على الثبات امام اعتراضات حكـومة مصر ومعتمدي ايطاليا وانكلتيرا على دخول شخص واحد (الباروني) الى مصر وهو مدعو من طرف لجنة المؤتمر فى الوقت الذي تحاول فيه القيام بامر عظيم وهو جعل مصر كعبة آمال العالم الاسلامي اجمع .

فاذا فاتنى الحضور فى المؤتمر فلا يفوتني بيان بعض ما كنت عازما على ابدائه من الرأي على صفحات المنهاج الاغر . وهو ما يأتي :

١ — حيث ان الحكومة التركية اصبحت لادينية (دهرية) ابعد عن

الاسلام من الحكومات المسيحية فلا مسوغ لابقاء الآثار النبوية الطاهرة عرضة للتلف والسخرية في الاستانة بل يلزم نقلها .

وحيث ان عقد الخلافة الحقيقية التي يمكنها محافظة هذه الآثار متعذرة فى الوقت الحاضر من وجوه مهمة .

(وعدم الخلافة مؤقتا ودوام السعي في ايجادها فى المستقبل اولى من الخلافة المضحكة ومن المسارعة الى البيعة مرة ثالثة)

وحيث ان اقوى الدول الاسلامية القريبة من الحجاز واقدرها على محافظة هذه الآثار المباركة فى هذا الوقت هي الدولة المصرية ، فالمطلوب من المؤتمر الاسلامي الموقر ان يقرر اعتبار صاحب الجلالة ملك مصر امينا على هذه الآثار الطاهرة ، ويفوض له الامر في مفاوضة بقية الدول الاسلامية المستقلة على شد عضده فى السعى في نقلها الى مصر حيث كانت قبل هذا ومحافظتها على وجه الامانة الموقتة الى ان تتأهل مصر لتحمل اعباء الخلافة باستقلالها الحقيقي التام .

وان بقيت مصر على هذه الوضعية الى ان بلغت حكومه الحجاز درجة من القوة تضاهي قوة مصر وتحقق استقلالها واستعدادها لمحافظة هذه الآثار الطاهرة نقلت الى مهدها الاول مكة المكرمة او المدينة المنورة .

٢ — المطلوب من المؤتمر المحترم انتخاب لجنة دائمة يكون مقرها مصر برئاسة فضيلة شيخ الازهر او غيره من افاضل مصر تشتغل بما يتعلق بالخلافة وتكون في اتصال مستمر بالعالم الاسلامي بالوسائط التى تراها موفية بالمراد ، وتدعو الى انعقاد المؤتمر كلما رأت لذلك لزوما او مناسبة الى ان يتهيأ لاعلان الخلافة الحقيقية الشخص والمكان المطلوبين لها . سليمان الباروني (١)

قلت — : لا غضاضة من الباروني باشا ان يرشح ملك مصر لأمانة الاثار

---

١) المنهاج السنة الثانية ص ٤٧

النبوية ويسميه امينا قبل اكثر من ربع قرن في الوقت الذي يسميه اساطين مصر ورجالات العرب بالملك الصالح !! وسبحان مقلب القلوب ، ولا يعلم الغيب الا الله . نعم لو قالها قبيل خلعه عن عرش مصر سنة ١٩٥٢ ، لقلنا انها غنيمة ساقها له ليستغل بها بعض ملوك الاسلام المغفلين ببعض ملايين من الجنيهات ويتخذها وسيلة لسهر بعض الليالي فى مونمارتر للرقص مع بعض اوانس باريس ، لكن حاشا الباروني باشا ان تبلغ به الغفلة الى هذا الحد !!

انقلاب عظيم فى عمان

وزارة الباروني باشا لدى حكومة الامام الخليلي اعزها الله

اسباب ونتائج (١)

١ — حسبما بسطناه سابقا كان الباروني باشا من يوم نزوله بمسقط في غرة محرم ١٣٤٣ لا هم له الا النصيحة والدعوة الى جمع الكلمة والاتحاد والنهوض لمجاراة الامم الحية فكان هذا حديثه وهو راكب وسائر وجالس وعلى فراش المرض الذي كان ينتابه كل مدة فى اكثر بلاد عمان .

٢ — جاهد سعادته فى سبيل ايقاظ هذه الامة الى واجبها جهاداً مستمراً بدون فتور ولا مبالاة ولا يأس حولين كاملين ١٣٤٣ — ٤٤ ، وقد كلف مراراً من طرف رجال الامام بقبول منصب يليق به فلم يقبل لعلمه بان فكرته التي كان يبثها لم تنضج ، ولو انه قبل منصبا مهما كان في ذلك الوقت لما توفق بسهولة الى اتمام مراده ولحصلت عراقيل كثيرة في سبيل ما يقصده من الاصلاح .

٣ — كان من تأثير هذا الجهاد المستمر ان عقد عظمة الامام اجتماعا رهيبا

---

١) المنهاج السنة الثانية ج ١–٢ من ص ٦٩ الى ص ٧٦

بضم اقطاب دولته واهل الرأي فيهم مثل العلامة الشيخ عيسى بن صالح امير الشرقية والشيخ سليمان بن حمير امير الجبل الاخضر واكابر العلماء مثل شيخ مشائخ عمان الشيخ ماجد بن خميس العبري قاضي المرحوم الامام عزان بن قيس قبل ٦٠ سنة والعلامة الشيخ سعيد الكندي قاضي قضاة مسقط سابقا والعلامة الشيخ عامر بن خميس قاضي قضاة الامام الحالي (١) جمع هؤلاء يستشيرهم في إسناد امر تنظيم الدولة الى الباروني باشا فاجمعوا كلهم مع الامام بعد تجربة سنتين للباروني باشا على انه اهل لان يقلد أمر تنظيم المملكة على الوجه العصري الموافق لروح الشريعة الغراء التي هي مصدر كل صلاح وعمران .

٤ — بعد تمام كل هذا اخذت المخابرات بين عظمة الامام والباروني باشا في دورها الحاسم ، وهو بمسقط منذ شهر ذي الحجة ١٣٤٤ .

٥ — حينما سافر عظمة السلطان السيد تيمور الى الهند قدم الباروني باشا الى سمائل حيث يقيم الامام مؤقتا فطالت بينهما المذاكرة والمداولة في الرأي مشافهة الى آخر شهر المحرم ١٣٤٥ .

٦ — لما علم الباروني ان فكرته من توحيد الكلمة بين جلالة السلطان وعظمة الامام قد حلت في جميع القلوب محل الاجلال والتقدير ، وانه بعد تجربة الامام ورجاله سنتين قد تبين ان الرأي العام عندهم مجمع على وجوب تنظيم المملكة على الوجه العصري الموافق لروح الشريعة الغراء ، لم يتوان سعادته في اجابة دعوة عظمة الامام اياه وقبوله باضطلاع امر المملكة بما اوتي من عزم وحزم وصدق واخلاص وخبرة ودراية .

---

١) هو عالم عمان الكبير الذي له في علوم الشريعة ارجوزة تحتوي على مئة الف بيت كما حكاه لنا الباروني باشا نفسه .

اشارة البارونى باشا الى ذلك

من اساليب الباروني باشا انه يعلن بقليل من القول عن كثير من العمل ، ومن ذلك رسالته الآتية للمرحوم السيد الحاج عمر العنق فيما نحن بصدده تحمل اشارات ورموزا لولا ما شرحته الانباء حسبما قدمناه لما وقفنا على جلية الامر . وهذا نصها : بسم الله الرحمن الرحيم

٧ محرم ١٣٤٥ سمائل — عمان

حضرة الجليل الوفي الاخ الحاج عمر العنق ، وفقه الله وحماه ءامين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . انى احمد الله فى صحة وقد عدت الى سمائل بعد سفر عظمة السلطان الى الهند ، اجابة لدعوة حضرة الامام أعزه الله .

. . . حضرة الامام باشر فى بعض الاصلاحات والتنظيم حسب اشارتي وفقه الله . وقد حصل التيقظ للاصلاح لولا القحط العام في المملكة من منذ عشر سنين اعنى من يوم قتل الامام سالم بن راشد الخروصى ، وقد ارتحل من عمان الى الزنجبار للخدمة والتجارة اكثر من اثني عشر الف رجل في مدة الخمس سنين وقد دخلت السنة الجديدة بالامطار ويؤملون ان تكون سنة خصب ورخاء حقق الله ذلك . سلامي الى الاخوان كافة ، ومن هنا حضرة الامام ورجاله والاخوان يسلمون عليكم كافة . ودمتم فى عز لأخيكم : سليمان الباروني

مرسوم ملكي

بعد تتابع الاسباب المتقدمة ، وبعد الاتفاق التام بين عظمة الامام ورجاله وبين سعادة الباروني باشا على اسناد امر تنظيم المملكة تنظيما عصريا موافقا لروح الشريعة الاسلامية الغراء ، اصدر الامام البلاغ التالي (١)

---

١) لم ينشر المرسوم الملكى الى تاريخه ؛ ويظهر انه في اواخر محرم ١٣٤٥

بسم الله الرحمن الرحيم

من امام المسلمين محمد بن عبد الله الخليلي — الى جماعة المسلمين — ليعلم الحاضر الغائب اني فوضت الامر فى تنظيم المملكة تنظيما صالحاً للشيخ البارونى ، فبيده الملكية والعسكرية والمالية والسياسة الداخلية والخارجية ، فمن يخالفه او يقف في سبيل اعماله الاصلاحية يعاقب ولا يلوم الا نفسه

صدع الباروني باشا بالامر فباشر اعماله مبتدئيا بقلعة سمائل فنظم دفاتر حصر فيها الذخائر الحربية ، ونظم دفاتر العسكرية ، ثم زاد فاشتغل بتنظيم المالية التي هي روح الامم وحياة الدول فى كل زمان ومكان كما يقول الباروني باشا نفسه .

فتولى بنفسه محاسبة الذين بايديهم ادارة املاك بيت المال ، وهى كثيرة وجباة الزكاة واموال الاوقاف ، وهي كثيرة وانواع ، كاوقاف المساجد واوقاف المتعلمين واوقاف المدرسين واوقاف الطرق والابار والانهر والفقراء والغرباء والاكفان وذوي العاهات الى غير ذلك ، وقد كانت كلها لا يصل من وارداتها صندوق الامام الا شيء زهيد والباقى يوزع في الجيوب .

وصندوق الامام كان عبارة عن صناديق الولاة والقضاة والجباة والوكلاء . وقد كانوا مطلقي التصرف لا حساب ولا عقاب عليهم .

اما الآن فأول ما افتتح به البارونى باشا اعماله حفظ هذه الاموال في صندوق واحد فى يد رجل امين غني انتخبه لذلك بمعرفة الامام ولا يصرف شيء منه الا بامر منه مصدق من الامام .

وهكذا فقد صرف الباروني باشا جل اوقاته — بعد اسناد الامر اليه — بين مذاكرات مع حضرة الامام ، وبين تحضير مسودات واملائها على كاتبه

وارسال نسخ مما أتم تنظيمه في سمائل الى الولاة والمأمورين فى الجهات الاخرى

ومن رأي البارونى باشا في سياسة الدولة التباعد عن معاداة اي دولة من الدول الاجنبية كانت او مسالمة والاشتغال باصلاح الداخلية علما واقتصادا ، عسكريا ومدنيا وصحيا .

الهزة العنيفة بالانقلاب الجديد في عمان

كان للانقلاب الجديد في عمان اثره البليغ فى مختلف الطبقات ، وابرزها طائفتان :

الاولى : — طائفة المحافظين وفيهم رؤساء وعلماء ، ولاسيما من كان بيده وقف من الاوقاف يستغله لنفسه على حساب المصلحة العامة ، فان النظام الجديد اول ما يمس هذه الطبقة مباشرة .

فلمجرد ما اخذ البارونى باشا في تنظيم المالية رفع هؤلاء عقيرتهم بالاستنكار باساليب مختلفة ، فمن قائل : ان هذا الأمر بدعة وكل بدعة ضلالة ، ومن قائل ان هذا من عمل النصارى لا نقبله ، ومن قائل ان هذا لم نجد عليه آباءنا واوائلنا وهم أدرى منا بالاصلح فكيف نخالفهم ، الى غير ذلك مما كاد يحدث فتنة في البلاد .

ولما بلغ ذلك كله مسامع البارونى باشا حضر الى مجلس الامام وهو غاص بالناس من علماء ورؤساء وغيرهم فجلس واستأذن فى الكلام فأذن له ، فوضع أمامه ظرفا فيه أوراق فاندفع مسترسلا فى الكلام نحو ساعتين بصوت جهورى وصار يتكلم فى كل موضوع من مواضيع الاصلاح التى قررها مبينا مضار الحالة الحاضرة ومصالح الاصلاح المقصود مستدلا في ذلك ببعض اعمال الخلفاء في عهد الصحابة رضوان الله عليهم وببعض الآيات الكريمة والأحاديث النبوية والامام يجول ببصره يمينا وشمالا ناظراً الى الذين هرعوا اليه من قبل وأتوه معترضين

وهم في غضب شديد ينظر الامام اليهم وهو يبتسم كلما سمع حجة دامغة من كلام الباروني باشا .

ولما انتهى من الكلام ، قال الامام ما خلاصته :

اما المضرة فقد شاهدناها ظاهرة ، واما المنفعة فها نحن نسمعها بأذاننا ونلمسها بايدينا وديننا المبين لا يسوغ لنا قطعا سلوك طريق المضرة وتجنب طريق المنفعة .

بناء عليه ان هذا الامر قد قضي باتفاق العلماء فلا اقبل بعد اليوم اي اعتراض فيه .

ثم أمر باعلان ذلك فى الاسواق فنادى المنادون بما نصه : من امام المسلمين محمد بن عبدالله الخليلي الى جماعة المسلمين – ليعلم الحاضر الغائب اني فوضت الأمر في تنظيم المملكة تنظيما صالحا للشيخ الباروني فبيده الملكية والعسكرية والمالية والسياسة الداخلية والخارجية ، فمن يخالفه او يقف فى سبيل اعماله الاصلاحية يعاقب ولا يلوم الا نفسه .

بهذا النداء الحاسم هدأ الثائرون واعترف كثيرون من المعترضين — وفيهم علماء بخطاهم ، واتت رسائل من كل جهة الى الامام يشكرونه على صنيعه هذا ، ورسائل الى الباروني باشا يشكرونه على قبوله الدخول فى العمل لاعانة اخوانه المسلمين واحياء مملكة مسلمة مستقلة لا اجنبي فيها قط ، وهى عريقة فى العربية من عهد سيل العرم المذكور فى القرآن الكريم .

وفى هذا الشأن وقفنا على رسالة من الباروني باشا الى بعض اصدقائه بمسقط وهي مؤرخة في ٢٥ جمادى الثانية ١٣٤٥ ، وهذا نص محل الحاجة منها :

. . . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . اني في عافية والحمد لله وفي جد فيما كانت به ، ولا اصل لما بلغكم من الأراجيف ، واي وال يمكنه ان يعارض

الأصلاح وعزله فى كلمة من الامام أعزه الله .

اما امير الجبل فأجل من ان يخطر في باله خلاف . بل هو مستبشر وقد رجع الى تنوف في الحين اذ بلغه خبر وصولنا نزوى فطيبوا نفسا والله الموفق .

المرجو ان تفهموا كل غريب يريد الوصول الى هنا ان يكتب الينا اولا وينتظر الجواب احسن من التعب لأني غير مستقر فى بلد واحد . الخ

ودمتم لأخيكم : سليمان الباروني

الثانية ـ طائفة المستنيرين وأرباب المدارك الواسعة ورؤساء البلاد الراسخين فى السياسة واذكياء الشباب من الادباء والشعراء وغالب عامة الشعب فهؤلاء قد تلقوا ذلك الانقلاب العظيم بمظاهر البهجة والسرور ، اذ تفتحت به امامهم ءافاق من الامال الواسعة الكبيرة فى حياة دولتهم وامتهم على يد هذا الامام الجليل الساهر بحق على خير هذه البلاد بواسطة الباروني باشا ذلك الرجل العظيم الذي أحسنت دول الحلفاء صنعا في تضييقها عليه حتى ساقه القدر الى هذه البلاد رحمة ونصيراً

حقا — لو علمت دول الحلفاء ما فى الغيب وان فى تضييقها عليه لنتائج عظيمة تعود بالنفع الكبير على عمان لخففت من غلوائها عليه ، ولكن لأمر اراده الله لعلها تركهم فى طغيانهم يعمهون ، كما قلنا اذ ذاك في مثل هذا الشأن:

تالله لو علم الدخيل بأن في	إيذائه لكم الحياة لزاما
لأتى بكل مسكن ومنوم	ولما اثار مشاكلا وخصاما
فليمعن الاضداد فى ظلم وفي	عسف لنسرع فى المسير اماما
لله ما احلى الشقاء وأعذب	الالام اذ تشفى لنا اسقاما(١

نعم ! لقد تلقت هذه الطبقة العالية هذا الانقلاب بمظاهر البهجة والسرور فأقامت الولائم وعقدت الاحتفالات وتبادلت التهانى وتبارت الخطباء على المنابر

١) الديوان ص ٤١

وتغنت الشعراء باعذب الالحان ، ونحن نورد فيما يلي بعض القصائد التى أنشدت في هذا الباب كنموذج مما ذكرنا والسنة الشعراء رسول عواطف الامة ، فمن ذلك خريدة وهى من نظم العلامة الجليل الشيخ احمد بن سلطان من آل سليم ، وهذا نصها :

هنت عمان بما حازته بلدان ... اذ احرزت بك فتحا يا سليمان
القى اليك مقاليد الامور بها ... من حثه لطريق الهدي ايمان
ومن تحقق فيك الخير واندفعت ... الى الصلاح به نفس وعرفان
من طالما سهرت عيناه فى عمل ... به البلاد غداً يسمو لها شأن
عرفت اقدم موثوق ومضطلع ... فالدين منك له ركن واعوان
تركت دورك في الاتراك السنة ... تثنى عليك فانغام والحان
وموقف لك منه فى طرابلس ... ذكر عظيم وآيات وبرهان
فما ونيت واذ جاءت مبرهنة ... للغاشمية ان الحق ما هانوا
يا مجد من وقفوا تلقاءما حشدوا ... وما اعدوا فذاك الظلم والذان
توهموا دول المعمور تنذرهم ... لما هممت وما باليت من كانوا
حتى راوا اعظم ما ابديت من جلد ... حزما واذ انت اجناد وقيمان
فاكبروك وعدوا من حسابهم ... حتى على النفي ما تخلوك اعيان
أأين ما وطئت رجلاك من بلد ... قامت عليك بها الاعباء سكان

* * * *

يا صفقة ربحت هذي البلاد بها ... ورحمة كلها بر واحسان
جاد الامام بها حب الصلاح فهل ... من المليك مباراة وحسبان
الى الحياة الى فجر النجاة الى ... خير الغداة اذا ما ثم ميدان
الى الوئام الى سبل السلام الى ... سير الامام كفى ما ظل رجحان

ابا سعيد الا عطفا بحالتنـــا — فقد وهت بأثيل المجد اوهـــان
ابا سعيد الا عهداً يذكرنـا — عهد الاولى حفظوا ما شاد قحطان
هذي الاماني والآمال وافـدة — من امة كدها بغي وعدوان
اودى بها الجهل واجتاز الشقاء بها — متاوها ملئها هلك وخسران
جرت بها فئة قد كان رائدها الـ — فوضى وديدنها زور وبهتـان
ظلت على المكر صبغا من ضلالتها — كيما تغر بذاك الصبغ عميان
واستفرغت دثرها ظالما وما سئلت — اكدت ام اكتسحت من بعدا وطان
فللشقاق ولـلارهـــاق اقفية — وللنفـــاق اساليب والـــوان
رفقا بنا ايها المولى فقد سنحت — طير السعادة واستحنتك بلـدان
شد المدارس في فيح المدائن كي — تنجاب عنا عمايات وخـذلان
واكمل عليها من ارباب الفنون كما — يقضى الصلاح وتستوعيه اذان
وارع الشبيبة واستنفر حفائظها — فهي الاساس بهـا يشتد بنيـان
حيث المعارف ميمـون طـوالعها — عذب مناهلها روح وريحـــان

* * * *

هيا بني وطني قد حان وقتكم — فامضوا سراعا عسى الاعمال تزدان
هيا بني وطني قـد قام رائـدكم — لبوا النداء فان الوقت جـذلان
تلك الشعوب نضت عنها غمائمها — واستشعرت ان نير الغرب طغيان
قد اشرق الجو في انحـاء اسية — أليس عارا اذا اعيـاه إعمـــان
وهل من الذنب ان نسعى لصالحنا — وهل علينـا آزاء الحـق نكران
دعوا التباغض وامحوا من ضغاينكم — لا يدرك الفوز ما لم تمح اضغان
دعوا التساهل واجلوا من عزائمكم — تزكو لكم من خمول الجهل اذهان
خلوا منافسة في الدين ان عرضت — لم ياتنـا نبأ عنهـــا وسلطان

فالخطب اعظم مما جر بينكم ... والامر اكبر ما يجريه انسان
فلو سبرتم بامعان عواقبه ... جلا لكم كنه ما في الامر امعان
حيوا الزعيم وعدوا من تكاتفكم ... حول الزعيم فتعزيز واذعان
فهو الذي سرنا شكر الزمان به ... من بعد ما اعوزتنا منه ازمان

. . . .

يرى الخسارة في يوم يمر به ... لم يبن مجدا ولم يعقبه شكران
عسى تنير على شعب المزون به ... شمس كطالعها سعي ونجحان
تحدو الى الرشد منا كل منتدب ... الى المعالي له توق ونشدان

دبي ـ عمان ٢٠ ربيع الثاني ١٣٤٥ احمد بن سلطان ءال سليم

ومن ذلك ما كتبناه نحن في ١ جمادى الاولى ١٣٤٥ تهنيئة من وادي ميزاب لعمان ، كما نشرت في جريدتنا وادي ميزاب عدد ٨ وفي الديوان صفحة ٥٢ ، وهذا نصها :

خفقت بنود العز والسلطان ... وعلت جنود سيادة بعمان
وتطاولت فيها الحصون وزعزعت ... فرحا مدافعها اعز مكان
وترنحت فيها الغصون وهزها ... شدو البلابل هزة الولهان
وتمايلت فيها المنابر اذ تبا ... رى فوقها الخطباء سحر بيان
والخيل تهتف بالصهيل وقد علا ... منها الغبار وضجة الفرسان
كل يسبح بالثنا بلسانه ... شكراً لمولانا العظيم الشأن
كل ينادي بالسعادة والهنا ... لامامنا ذي الفضل والاحسان
لما كسا باليمن غادة ملكه ... ثوب الفخار وعزة السلطان
لما حبا تاج الامامة درة ... يسمو بها في سائر التيجان
لما تلألأ قصره وبلاطه ... بشعاع بدر سعادة وامان

لما تمايد عرشه متشامخا ... متعاظما بوزارة « الباروني »

ذاك العظيم الشهم فخر الدين والا ... سلام مردي امة الطغيان

الله اكبر عزة الاسلام قد ... عادت كما كانت مدى ازمان

عهدت جلالته اليه بكل ما ... يعلي منار الدين والاوطان

ناطت به تنظيم دولته كما ... تقضى حياة العصر في البلدان

كي يصبغ الشعب الكريم بصبغة ... التحصين والتمدين والعمران

ويتم تجهيز الامامة سرعة ... بالمال بل بالعلم والعرفان

ويشيد من بنيانها ما ينبغي ... مما يليق بامة القرءان

حقا لقد جاءت على قدر له ... وللطف سر صد عن اوطان

لا غرو فهو لها أحق واهلها ... اذ كان للسلطان امهر بان

أفمن يهير بناء رومة وهو من ... عمل الدهاة بصنعة البنيان

يلهو ويعجز عن بناء شبيهه ... وله كتاب الله كالميزان

* * * *

يا ايها الميمون طلعته ويا ... اسد الاسود وسيد الاقران

عظمت بكم ءامالكم فزكت بكم ... اعمالكم في السر والاعلان

سقيا لكم ولدوحة استقلالكم ... فى روضة الاسلام والايمان

بشرى فيها قد انجز الاقبال ما ... وعد المجاهد في رضى الرحمان

بشرى فقد هبت لكم من عرشه ... نسمات تلك الروح والريحان

بشرى فقد زفت لكم تلك العرو ... س بحسنها وجمالها الفتان

بشرى فقد فتح السبيل امامكم ... للسعي للتنظيم للاتقان

والجو صاف والهوا طلق وفي ... عرض الفضاء بساحة الميدان

فابنوا المدارس اسسوا ارقى المطا ... بع انشئوا صحفا بدون توان

فهي المعبر عـن ضمير الشعب فى | كل الأوان وخير كل لســـان
غوصوا بعمق الماء طيروا في السما | واطووا وهاد الارض كالجيران
واستثمروا خيراتها واستخرجوا | منها دفائنها بكل تفـــان
هذي حصون الدين والدنيا معا | هذي الحياة حظيرة الانســـان
يا ايها الامجاد طبتم فادخــلوا | باب السلام لساحة الـرضوان
واليكم كاس التهانى الآن من | «وادى ميزاب» مع ابي اليقظان

الباروني باشا يجيب

اثر ذلك الانقلاب، واثر تلك التهاني يشرفنا الباروني باشا بالرسـالة الآتية باسلوبه الخاص الخاطف شأن المثقل كاهله بالاعمال، وهذا نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

نزوى — ١١ رجب ١٣٤٥

العلامة السياسي الاخ الشيخ . . . . وفقه الله واعانه .

سلاما واحتراما، وصل كتابك الـكريم ووادي ميزاب الأغـر وقد كتبت اليك تقريظا من سمائل ارجو وصوله وقبوله، وانى الآن في نـزوى مجد فيما انا فيه والله المعين .

ارجو ان قصيـدة دبى في التهنيئة وصلتك على طـريق مصر (وقـد نشرت قبل) وسنرسل اليكم غيرها

وقد أطربت تهنيئة «وادي ميزاب» الاخوان طربا لايقاس بحد .

أوصيك بالاعتدال حتى يتمركـز وادي ميزاب ويعيش عمرا طويلا ان شاء الله . سلم على الاخوان كافة، ومن هنا عظمة الامام اعزه الله والجماعة يسلمون عليكم اجمعين، سلموا على اخوان الصفا في الخضراء . ودمتم فى عز لأخيكم :

سليمان البارونى

ومن ذلك ما دبجه شاعر مسقط وعمان الشيخ عيسى بن صالح الطاءي قاضي مسقط ، وهذا نصها :

أقومي ان للعليا رجالا ... لهم في نيلها رأي وفكر
لها نحروا السكرى بنصال عزم ... وفي وثباتها قصد وكر
اذا ليل الغباوة مد سجفا ... جلاه منهم علم وخبر
فكم ظلمات جهل قد محوها ... كما تمحى من الاسفار سطر
غذوا ارواحهم بلبان علم ... فطال لهم على النظراء قدر
ففرق بين من ساس البرايا ... وجربها ومن فى الناس غمر
وفرق بين من هزم السرايا ... وبين فتى له في الحرب فر
وفرق بين من ان قال فصلا ... وبين فتى به خدع ومكر
أقومى اين مجدكم قديما ... تقاصر عنه عيوق ونسر
ألم تلعب به ايدي رجال ... بباءهم عن العلياء قصر ؟
أقومي بيت مالكم مضاع ... فلا رأي به للمال وفر
لقد سمح الزمان لكم بقرم ... له في خدمة الاسلام بر
هو الشهم الباروني ذو المزايا ... سليل المجد فى الهيجاء ذمر
نمته نفوسة شرفا وجادت ... به لعمان ايام ودهر
ولولا المزعجات من الليالي ... لما اعتورته اجراز وبحر
فكونوا عنده اعوان صدق ... ولا يأخذكم حسد وكبر
سليمان أقم للدين صرحا ... لقد أودى به طمع مضر
وجدد عهد من سلفوا ملوكا ... أيمتنا لهم شأن وذكر
تخيرك الامام العدل فاخدم ... رضاه واثبتن فلأنت بدر
ولا تحجم اذا استعصى جهول ... تساوى عنده زيف وتبر

فطعم الماء في الافواه عذب ... وفى فم من به الاسقام مر
فهذا القطر قم فيه عزيزا ... يحفك من إلاه العرش نصر(١

ومن ذلك القصيدة الرائعة التى أنشدها الشاعر النابغة الشيخ ابو سلام سليمان بن سعيد الكندى لما سمع وهو في قرية بوشر خبر تقليد امام المسلمين المعظم بعمان ابى عبد الله محمد الخليلي رئاسة الحكومة للباروني باشا ، وهذا نصها :

قم سليمان فى صلاح البلاد ... لا تبالي بقول اهل الفساد
انما انت عالم كيف أضحت ... امم الغرب تزدري بالعباد
هي بالعجز ام بجهل بنيها ... نالت المجد ام سمت بالرقاد
لا ولكنها تدك بعلم ... كل صرح بدا بغير عماد
فابذل النفس والنفيس وشمر ... واصرف الجهد من صميم الفؤاد
ان تعارضك فئة في نظام ... لا تلمها لجهلها بالمراد
هكذا كل من سعى في صلاح ... عاكسته الايام بالحساد
انما الحق واضح كيف يخفى ... عن بصير فما لهذا التمادى
لو سلكنا نهج الصلاح لأمسى ... ذكرنا فى السما وفى كل نادي
او درسنا علم التواريخ جيئنا ... بفخار الاباء والاجداد
لكن الجهل حطنا فانحططنا ... ونسينا مكائد الاضداد
كل شيء باول الامر صعب ... فاذا تم كان عين المراد
يا بروني هذه فرصة قم ... فاغتنمها فالدهر حرب الجواد
طالما قلت واجتهدت وها قد ... خدمتك الايام رغم العناد
فالامام المؤيد اليوم ولا ... ك من الامر ما اليه تنادي

١) المنهاج السنة الثانية ص ٢٧

قد قبضت الزمام فامض مجدا أنقذ القطر يا عظيم الايادي
نظم الجند واجمع المال واسلك بعمان سبيل اهــــل الرشاد
وانشر العلم والمعارف وامحق اثر الجهل من جميع البــــلاد
فبهـذا وذاك نحيى ونرقى ذروة المجد يا طويل النجـاد

* * * *

يا لقومي الى متى نحن نبقى في غرور نتيـه في كل واد
يا لقومى الى متى نحن نرضى عيشة الذل بين شوك القتـاد
ان قعدنا نشكو الزمان فحسبي من رجال اعددتهم للجهاد
خاب ظني فيهم فيا قوم من لي بغيور يقوم فيهم منــــاد
رب ايد امامنا العدل وانصر واجره من كيد كل معاد
ذاك قطب الهدى الخليلي من قد نشر العدل والهدى في العباد(١

ومن ذلك ما جادت به قريحة الاديب الالمعى سعيد بن سليمان الخـروصي لما سمع النداء في الاسواق طبق ما اسلفنا ذكره ، وهذا نصها :

الله اكـبر فجر اليمن قد وضحا والحق والله باب النصر قد فتحا
فجر تبلج للاسلام عزهم وكان من قبل هذا الفجر ما لمحا
لما تربع استـــاذ السياسة فى مرقاه وهو بعرش المجد ما برحا
فاليوم نرسـم ايات السرور على باب التهاني وصدر الدين قدشرحا
واليوم ترفع اعلام البشائر فى شم الحصون وقدتاه الورى فرحا
واليوم تلبس تيجان العمـائم في اعلى الرءوس وطير العز قد صدحا
قدتوجت دولة الاسلام تاج علا من نحره جبهة الجوزاء قد نطحا
ذاك البـروني من لا زال متزرا بـكل مكرمة شمـــا ومتشحا

---

١) المنهاج السنة الثانية ص ٢٨

ميسور سعي ترى الآمال خاضعة — له فيلبس منها كل ما صلحا
ذوا الحزم والعزم في الامر الذي حمدت — عواقب الراى منه حينا نجحا
ولاه عدلا امام المسلمين على — حفظ الامانة لما حملها طرحا
فلا تسل عن معاليه فحسبك ما — ترى ودع عنك اخبار الذي نزحا
قد بارزته بنو الطليان في لجب — فاصبح النصر في كفيه متضحا
يا من اذا رمت مدحا فى جلالته — خلت الثنا باريج المسك قد نفحا
خذها عروسا لقد حاك البديع لها — ملابسا واتت تسعى لكم مرحا
واسلم ودم في نعيم لا ترى ابدا — هما ولن تلقى بؤسا لا ولا ترحا
وانصر إلاهي امام المسلمين ـ ابا — عبد الالاه الخليلي الذي نصحا (١

ومن ذلك ما جادت به قريحة الاديب سالم بن سليمان فى نفس الموضوع ، وهذا نصه :

بلبل الايك ترنم بالخبر — أتحف الكون بايات البشر
وترنح باناشيد الحبر — اذ فتى الدهر ترقى للمرام

يا يراع الشعر أسلس للقياد — حرك الاوتار قد هام الفؤاد
اطرب الناس بنجد ووهاد — اذ غدا البدر وزيرا للامام

يا رحاب الارض ميدي مثل بان — وانشري الاعلام فى كل مكان
وانثر الازهار فالاقبال بان — يوم وافاك سري وهمام

قد دخلت اليوم فى طور جديد — وتقدمت على رغم البليد
بارك الله لمحييك المجيد — سابق المجد وحام للذمام

ان هذا من حماة كرما — قدسوا الاوطان سادوا الهمما

١) المنهاج السنة الثانية ص ٢٩

وحموا شرعة خلاق السما هم بنو المغرب فاقوا فى الزحام

تلك ءاثار اياديهم ترى لامعات كسناء ظهرا
زحزحوا الغرب وثاب القهقرى وغدوا للشرق حصنا لايرام

سل بني التاريخ ما شأنهم اذ بدا الطليان خصما لهم
تجدوا الخبر جليا عنهم انهم عزوا مقاما ووئام

ما استدانوا لهوان الكفرة ما استكانوا لمراد الفجرة
لم يحيدوا عن طريق البررة قدموا النفس لتذليل الطغام

غير خاف كل ما منه بدا من عزوم زلزلت قلب العدا
كم رمى الخصم بمهواة الردى وبنى المجد مشيدا فاستقام

ان في العرب بقايا عرفت فضله حتما وما عنه ثبت
فاصطفته للمعالي مذ رات سعيه فى رفع رايات السلام

والخليلي الامام المرتضى ناشد العدل بسيف منتضى
خصه منه بحب ورضا فغدا اليوم وزيرا للامام

يا سليمان عظيم العظما طاير الصيت بارض وسما
يا شريف النفس يا عز الحمى يا بروني اهنيئك دوام

لك في الكون مقام وجلال واياد توسع الخلق نوال
وزئير يذر الشم رمال وسياسات فعال وكلام

عش عزيزا يا ابن عبد الله فى رتب المجد واسنى الشرف
شاسع النظرة قواما وفي تتعالى مثل بدر فى التمام

ماذا كان بعد وزارة البارونى باشا

فى حكومة الامام

كان لسعادة الباروني باشا بعد اسناد وزارة الامام الخليلي وتفويض أمر مملكته اليه ، برنامج واسع وخطة حكيمة فى اصلاح شئونها وتنظيم معالجها لو ساعده القدر وسالمه المرض وجانبته حمى الملاريا .

كان ينوي ان يصلح وينظم تنظيما عصريا سائر الدواوين في جميع الميادين بما يجعل دولة الامامة بمان تضارع الامم الناهضة ، والدول الحديثة فى مقومات الحياة . وقد اخذ يضع الخطوط الرئيسية :

١ — في المالية . ٢ — فى المعارف . ٣ — فى الجيش . ٤ — فى الصحة

اولا — اما المالية فقد سبقت الاشارة الى انه ما كاد يأخذ في تنظيم اموال الدولة وانتزاع اشتاتها من ايدي المستبدين بها ، وجمعها في يد غنية امينة واحدة وضبط دخلها وخرجها في ديوان خاص حتى قامت قيامة بعض الانتفاعيين الذين يمس مصالحهم هذا النظام ، وزلزلوا من ذلك زلزالا شديدا حتى اخذوا يختلقون ضد البارونى باشا الاختلاقات بما اضطره ان يعقد مع الامام مجلسه الحاسم وهو غاص بالملإ من رجال دولته من بينهم اولئك المعارضون .

فكانت النتيجة بعد محاسبة هؤلاء ان زاد عظمة الامام في تفويض الباشا في امور مملكته ، وهدد المعارضين له بصارم العقاب ، حتى اضطر هؤلاء للاعتذار لدى عظمة الامام وسعادة البارونى باشا ، والحق احق ان يتبع .

وقد اشار الى خطته هذه في رسالة له الى الاخ المرحوم السيد الحاج عمر العنق . وهذا نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

سمائل — ٩ جمادى الاولى ١٩٤٥

جناب الاخ الاجل الفاضل الحاج عمر العنق ، دام موفقا ءامين .

السلام عليك ورحمة الله وبركاته . اني فى خير ولله الفضل .

تلقيت كتابك المؤرخ فى ٢٤ صفر بكل سرور اذ دل على صحتك وتحسن احوالك ، وهناء البلاد وخصبها وراحة الاخوان والحمد لله على ذلك كثيراً .

انى في اجتهاد فى تنظيم المملكة مبتدئيا بماليتها التي كانت ضـائعة وبعد حفظها اباشر العمل في غيرها .

وعلى كل حال اطلعتم على تنويه جرائد العراق ومصر باسم عمان والله المعين .

في هذه الساعة وصلني عدد من جريدة وادى ميزاب الغراء فامتلأت افئدة الجميع سروراً واستبشاراً بطلوع بدرها ادامها الله خادمة للاسلام والشعب ، فابلغ تحيتي وتهنئتي للاخ الهمام . . . الخ

ومن ذلك رسالة اخرى منه للاخ المذكور ، وهى تعرب عن جملة من اصلاحاته وهذا نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

الجناة — ٢٨ رمضان ١٣٤٥

جناب الاجل المحترم الاخ الوفي الحاج عمر العنق زيد قدره . السلام عليك ورحمة الله وبركاته ، اني في صحة تامة ولله الفضل . وقد عدت من سياحة اجريت فيها بعض مصالح ، واليوم بمركز وادي بني رواحة قاصداً سمائل مؤقتا وقد كتبت اليك غير هذا بواسطة « وادي ميزاب » الاغر ارجو انه وصلك .

ثانيا — واما المعارف فقد اخذ في انشاء مدرسة كبرى فى سمائل ، وكان ينوي ان تكون اول واكبر مدرسة ثانوية في سائر بلاد عمان ، وقد صرف عنايته وجهوده لأبرازها الى الوجود بنظام عصرى على الطراز الحديث . وكان

في عزمه ان يسافر الى عواصم الاسلام ليجلب منها الاساتذة والمعلمين الاكفاء اذا ساعده القدر وتسامحت معه الدول الكبرى لدخول تلك البلاد التي تحت نفوذها .

ولكن الامراض المزمنة انهكت قواه واقعدت به عن انجاز هذه الغاية السامية ، ولم يحقق منها الا جزءاً يسيراً منها ، وذلك باتمام الطابق الاول فقط من تصميمه الشامل لطابقين ، ومع هذا فقد بقي الطابق الاول مغلقا اذ لم يتيسر له ان يسافر لجلب المعلمين اليها من خارج عمان .

أضف الى هذا ان اهل عمان — غالبا — ما زالوا على الطراز القديم وما زالوا لم يهضموا الاساليب الحديثة فى الحياة ولاسيما فيما يخص التعليم الذي هو اشد مساسا بالدين . وإلا لنسجوا على منواله واتموا برامجه ولو اقعده عنها المرض!

والى هذا المشروع الجليل يشير اشارات خاطفة في رسائله المتواليه ، وفيما يلى نورد نماذج منها:

١ — منها رسالة منه الى اخيه — هذا — مؤرخة — في ٢٠ رجب ١٣٤٧ وهذا نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

جناب الاجل الاستاذ الكامل السياسي الاخ . . . زيد قدره

السلام عليك ورحمة وبركاته .

أكتب اليك هذه الاسطر مع تعب لملازمتي الفراش منذ شهر بعد رجوعى من نزوى من الالم المعهود . أما عيسى فمنذ شهر لم يبارح غرفته ، وهذا حالنا مع هواء عمان والامر لله .

اما بناء المدرسة فمستمر من يوم رجرعي من نزوى نسأل الله الشفاء والاعانة حصل لي الاذن من ملك العراق فى الوصول الى بغداد للتداوي حيث منعت بريطانيا دخولي الى كراتشي والهند .

وسأذهب الى بغداد ان شاء الله فى اواخر رمضان بعد اتمام الطبقة الاولى من المدرسة ، لان هذا الالم اتعبني ولازمني واخاف عاقبته ، والله الميسر .

ودم سالما لاخيك : سليمان الباروني

٢ — ومنها رسالة للمرحوم الحاج عمر العنق مؤرخة في ١٥ رمضان ١٣٤٧ وهي تفيد الاستمرار في بناء المدرسة وسفره صحبة الامام لتفقد بعض الحصون رغم ما هو عليه من المرض ، وهذا نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

. . . احرر لك هذا بقلم الرصاص وفي هذه الورقة وانا في الطريق عائدا الى سمائل صحبة حضرة الامام اعزه الله من تفقد بعض حصون الجهة الغربية . وقد طالت المدة ولم ار منك خطابا كما انى لم اكتب اليك لانى كنت ملازما للفراش مدة ٤٠ يوما ثم حصل الشفاء والحمد لله . وبناء المدرسة مستمر ، وعما قريب تصلنى ءالة الرسم وارسل اليكم صورتها ولو قبل تمامها .

تفصيل بعض الحوادث في كتابى الى الاخ الاستاذ أبى اليقظان فاعذرني الآن وانى سأصل الى العراق للتداوي ، فان الملك فيصلا ارسل الي اذنا ، ودم سالما لأخيك المتشوق اليك والى ذلك القطر العامر . سليمان الباروني

ومنها رسالة اخرى لاخيه — هذا — من بغداد مؤرخة في ١٨ صفر ١٣٤٨ تتضمن ارجاء اصلاحاته عامة فى عمان الى ان يستأصل داء مرضه حتى يتفرغ لها بقوة . وهي فى بطاقة بريد تحمل رسم مسجد الشيخ عبد الرحمان الجيلانى، وهذا نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

. . . وصلت بغداد وباشرت التداوى وصحتي فى تقدم مطرد يوميا والحمد لله وعلى رأي الدكتور سأقيم هنا نحو شهر ءاخر حتى يستأصل الداء ويخرجه من مكامنه في الجسم .

ولعل بعد هذا يمكنني الاقامة بعمان بهناء ويمكنني القيام بعمل نافع جداً اما على حالتي الاولى التي كانت لا يمر علي شهر قط وانا صحيح فلا اقدر على عمل وصحتي في كل وقت مهددة بخطر .

ومتى يبرز ميزاب ؟ بشروني ، ودمتم في رعاية الله .

بغداد — اوتيل دار الضيافة العراقية   سليمان الباروني

٤ — ومنها رسالة اخرى منه لاخيه هذا ايضا مؤرخة فى ١٠ ذي الحجة ١٣٤٨ ، وهي تتضمن الاخبار باتمام بناء المدرسة والبيت وغير ذلك وهذا نصها

بسم الله الرحمن الرحيم

السياسي المحنك العلامة الاستاذ . . . دام كماله ، سلاما واحتراما . اني فى خير لولا ملازمة الالم المعهود ، وانى استعـــد للسفر ولا ادري الآن الى اين ؟ والله يقدر الخير ، قد تم بناء المدرسة والبيت ، وسأرسل اليكم رسم المدرسة ، اهنيئكم بعيد الاضحى المبارك احياكم الله لأمثاله اعواما كثيرة فى عز .

شرفني كتابك المؤرخ في ٣ شوال ؛ وساءني تعطيل الجريدة « ميزاب » فى مهدها . والامر لله يفعل ما يشاء .

أكتب اليك هذا يوم العيد وانا فى تعب من الحمى والحمد لله .

سلامي الى الاخوان كافة   من اخيكم سليمان الباروني

٥ — ومنها رسالة اخرى الى المرحوم الحاج عمر العنق مؤرخة فى ١٠ ذي الحجة ١٣٤٨ وهي مصحوبة ببعض رسوم المدرسة بعد تمام الطبقة الاولى منها كما تفيد عزمه على السفر لاستصحاب معلم او معلمين معه لها . وهذا نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

. . . قدمت اليك غير هذا ارجو وصوله ، وهذه صورة المدرسة مصغرة على ما فيها لعدم توفر لوازم أخذ الصور هنا .

واني استعد للسفر عند وصول اول اذن لي من احدى الدول الثلاث ، ولعلي أتوفق الى استصحاب معلم او معلمين عند رجوعي .

اما الآن فسأتركها مغلقة والله الميسر المعين . الخ والسلام من اخيكم

سليمان الباروني

وقد كتب بعض المرجفين عن اغلاقها ما كتب فاجابه الباروني باشا عن شبهه بما يلي (١)

حضرة مدير جريدة الفلق الغراء ، سلاما واحتراما

اما بعد — فقد قرأت في عدد من الفلق ما كتبه اليكم مخابركم الفاضل من مسقط من ان مدرستنا التي في سمائل اصبحت مناخا للابل ، ثم قرأت في عدد آخر ما كتبه اليكم من اشاعة اعتزالي أمور عمان وعزمي على الاقامة بمسقط ولكون الخبرين مبالغا فيهما ابين لكم الحقيقة : وهي ان افتتاح المدرسة تأخر لأسباب لا حاجة الى بيانها وهي مغلقة الابواب ولا يضرها الانتظار !

فقد بقي ءادم عليه السلام اربعين سنة (على قول) صورة من طين ثم نفخ الله فيه الروح فعمرت بذريته الكرة الارضية ، وسينفخ في المدرسة من روحه بعد سنتين من شيدها فتشرق منها شمس العلوم وتحي المملكة العمانية ان شاء الله .

نعم وصل الي نحو مرتين المشائخ انجال الامير الشيخ عيسى للمذاكرة في مصالح وطنية ، ووصل الي العلامة ناصر بن راشد الخروصي وغيره لذلك ايضا ، ولكون المدرسة في مكان طلق الهواء خارج البلد استحسنوا ان يكون مبيتهم ومذاكراتنا هناك . وصادف وصولهم مرة ايام المولد النبوي فاحيينا ليلته مع جملة من الافاضل على سطحها ، هذا ما كان .

---

١) وقد نشرناه في « النور » عدد ٣١ الصادر في ٢٦ ذي القعدة ١٣٥٠ - ٣ مي ١٩٣٢

واما اشاعة اعتزالي امور عمان فقد راجت على اثر تقريري عزل ونقل بعض عمال وقضاة هم حجر عثرة فى طريق الاصلاح الذي تنشده الامة ، فلم يوافق الامام اعزه الله على ذلك بل عزل بعضهم واعاده بسرعة . وتقريري تاذيب بعض جباة عبثوا باسم الزكاة فهربوا والتجأوا الى عظمة الامام وهو في نزوى فاعادهم مكرمين .

وفى هذا الاثناء ورد تلغراف في وصول عائلتي بغداد قاصدة الي من طرابلس الغرب فاسرعت المسير الى مسقط فتوهم من لا علم له بخبر العائلة ما بلغكم في سرعة البرق ثم زالت الاوهام بوصول العائلة ، واذ لم يساعدها الهواء واصيبت بحمى الملاريا عادت الى بغداد في الاسبوع الماضى صاحبتها السلامة .

وانا استعد للرجوع الى سمائل ان شاء الله . ودمتم موفقين

مسقط ١٢ شوال سليمان الباروني

ثالثا — واما الجيش فقد رسم له الخطوط الرئيسية كذلك وصرف له عنايته الخاصة وبدأ بقلعة سمائل فنظم دفاتر حصر فيها الذخائر الحربية ودفاتر لتنظيم العسكرية ، واخذ فى تجديد السلاح لها وفي تفقد القلاع والحصون بالمملكة ورأى ان الجيش فى حاجة اكيدة الى التدريب العسكري على النظام الحديث ، وانه فى حاجة لبلوغ هذه الغاية السامية بالجيش الى جلب الضباط من الخارج .

ولكن امراضه المزمنة كانت أمامه عقبة كاداء فى اي اصلاح ، وانه كما رأيت لا يهنأ له عيش ولا يقوم باي عمل ما لم يستأصل ذلك المرض من مكامنه بجسمه الكريم .

رابعا — واما الصحة فانه كذلك كان مشروعها ضمن براج اصلاحاته من بناء المستشفيات وجلب الاطباء لها ، وقد بدأ فاستدعى دكتوراً حاذقا كان من احبابه واصدقائه منذ الحروب الطرابلسية ١٩١١ـ١٩١٩ وهو الدكتور

فؤاد بشير الشامي .

ولكن ما كاد يدخل عمان حتى غشيته غاشية حمى الملاريا الخبيثة فنشبت مخالبها فيه فتوفي بسمائل .

وكان مصابه على الباروني باشا ورجال عمان عظيما وخطبه جسيما ، ومن هنا توقفت اعمال الباشا ايضا فى هذا الصدد والامر لله .

ونحن هنا ندع سعادة البارونى باشا يحدثنا بنفسه عن خطوطه الرئيسية لاصلاحاته مجملا لها فى رسالة منه الينا مؤرخة فى ٤ ربيع الاول ١٣٥٢ ، وذلك بمناسبة ما نشرته جريدة الحياة من الحقائق(١) عن اعمال الباروني باشاواصلاحاته فى عمان فرأى فى ذلك مبالغة يجب تمحيصها بما يطابق الواقع توطيدا للثقة باخبارها ، وهذا نص الرسالة :

... وصلت مسقط يوم ٣٠ صفر ووجدت ابراهيم طيبا ، بعد غد اقصد سمائل لحضرة الامام اعزه الله في الشرقية

عمان في هذه السنة فى خصب عام مع امن والحمد لله

اطلعت في مسقط على ما كتبته الحياة الغراء فى عددها ٢ ، وانى لأشكرها على وقوفها على الحقائق التاريخية المسرودة فى مقالها الا انها بالغت فيما كتبته عن عمان ، ولعلها اعتمدت على الاشاعات التى حصلت عند مباشرتى العمل

فقد كان من المقرر انشاء مدارس ومستشفى وتنظيم الجيش والمالية تنظيما عصريا الى غير ذلك الا ان ذلك لم يتم حسب المرغوب

اما المالية فقد نظمت بالنسبة الى السابق وتنبهت الامة الى ما كانت غافلة عنه واصبحت تتوق الى الاقتداء بالاقطار الاسلامية الناهضة وتتشوق الى اخبار الصحف التي كانت لا تعلم لها معنى .

---

١) جريدة الحياة كان يصدرها في الجزائر الاستاذ باسعيد عدون بن بكير باللغتين العربية والفرنسية وقد برز منها بضعة اعداد فقط في سنة ١٩٣٣ فيما اظن .

واما المستشفى فقد كنا استدعينا الدكتور فؤاد بشير الشامى العثماني الذي كان دكتوراً معنا للمجاهدين في الحروب الطرابلسية من سنة ١٩١١ الى ١٩١٩ لكن مع الاسف ماكاد يصل مسقط حتى اصيب بالملاريا فوصل الى سمائل في حالة سيئة ، وفي ظرف ذلك الشهر انتقل الى الدار الآخرة ، وكان مصابه علينا عظيما ، فحاولنا ان نقنع الدكتور الامريكاني الذي في مسقط بان يترك التبشير ويسمح له الامام اعزه الله بالاقامة في سمائل اذا هيأنا المستشفى فابى الا ان يكون بصحبته مبشر ، لان الاموال التى تنفق عليه من امريكا انما خصصت للتبشير فاصبح المشروع غير تام .

واما الجيش ففي تنظيمه نقصان لعدم وجود كفاية من المعلمين ، وفى جلبهم من الخارج بعض محاذير لا محل لبيانها الآن .

فالواجب الاستدراك محافظة على الثقة بالصحف مع التحفظ فى المستقبل من مثل هذا ، كان الله في عونكم ووفقكم والسلام عليكم اجمعين .

ابراهيم يقدم لكم تحيته واحترامه من اخيكم المخلص سليمان البارونى

نماذج من احكام الامام

فى عهد البارونى باشا

نقص علينا رسالة من البارونى باشا مؤرخة فى ١١ رجب ١٣٤٥ صادرة من نزوى عاصمة الامامة ، نماذج من احكام الامام بعمان . والرسالة موجهة منه لأخيه هذا ، وهذا محل الحاجة منها ونصه :

— . . . فى السنة الماضية قتل رجلان من قبيلة امير الشرقية الشيخ عيسى ابن صالح عند رجوعهما من دبى طمعا في مالهما وسلاحهما ، وبعد البحث تحقق فى هذه الايام ان القاتل لصوص من البدو الساكنين فى الرمل فى جهة الظاهرة والبريمي القريبة من دبي فقبض رئيس البريمي على المتهم وحز رأسه وارسله ،

ولما وصلت به الرسل الى مسقط تعفن فطافوا به في اسواق مسقط ومطرح ودفنـوه .

٢ -- اما رئيس الدروع فقبض على المتهم المنكر وارسله مـع عشرة رجال الى الشيخ عيسى فارسله الى عظمة الامام فامر بوضعه في السجن المضيق في قلعة نزوى والتحقيق جار .

وفى السنة الماضية قتل رجل بلوجستاني ابني عمه فى عمان وهرب ، ثم القـى عليه القبض ، وبلغ الخبر الى اولياء المقتولين فى بلوجستـان فحضروا وحوكم الجاني بين يدي عظمة الامام وثبت عليه الجرم ولم يقبل الاولياء الدية فاعـدم رميا بالرصاص بحضور الامام فى سمائل .

هكـذا يجري القصاص هنا ، وهكذا تضامن اهل المملـكة .

فاذا ذكرنا ان الامام سالم بن راشد اول ائمة العهد الاخير ذهب ضحية الاغتيال في سنة ١٣٣٨ لأجل حكم القصاص اصدره على بعض الجناة وعزم على انفاذه عليه .

واذا تأملنا في النماذج المذكورة ءانفا من انفاذ الامام الخليلي حكم القصاص طبق الشرع العزيز واسوة بسلفه الامام سالم بن راشد الخروصي رحمـه الله ، ولم ينته عن عزمه اغتيال الامام الاول وذهابه شهيد الحق !

واذا لاحظنا تضامن اهل المملـكة في انفاذ الاحكام الشرعية سواء ما كان تحت نفوذ جلالة السلطان أو ما كان تحت نفوذ عظمة الامام ، تبين لنا ما كان لمملـكة عمان من سطوة وسلطة على عتاة الامن والعابثين بالراحة والنظام .

حديث عن مملكة عمان

كما سجلنا من قبل حديثا للباروني باشا مع الاستاذ عمر الطيبي في شأن جهاد طرابلس ، كذلك نسجل هنا حديثا له معه فى شأن مملكة عمان ايضاحا لما تقدم نقلا عن جريدة « فتى العرب » قال الاستاذ ما نصه :

. . . وصلنا مع الزعيم البارونى الى مسقط ونضيف اليوم — انه لما اشتد به مرض الملاريا استأذن عظمة السلطان في الدخول الى دواخل المملكة لتبديل الهواء واجابة دعوة عظمة امام عمان ، وصديقه القديم الشيخ عيسى بن صالح امير الشرقية فأذن له واستقبل استقبالا شيقا فى البلدان التى مر بها بامر الامام وأقيمت له احتفالات وتلقاه الامام فى موكب من كبار رجاله في سمائل واحتفل به وزار الامير عيسى في مركزه ـ القابل ـ وكانت احتفالات عظيمة .

وكذا زار امير الجبل الاخضر الشيخ النبهاني ، ووصل نزوى بعد رجوع الامام اليها ، حيث لا حكم الا لكتاب الله وشريعة رسوله ، وحيث لا اثر لاجنبي بل لا يسمح للاجنبي بالدخول مطلقا ، حتى ان العربي الغريب اذا لم يكن موثوقا به ثقة تامة فانه يمنع من الدخول ايضا .

والى القراء بعض المعلومات الطريفة عن عمان ونزوى عاصمة الامامة .

الامامة الاباضية

لما تم امر التحكيم بين معاوية وعلي بن ابى طالب على الشكل المعلوم ، انفصل الاباضية عن الامام علي وقعدوا عن نصرة خليفه علي ءاخر ما دامت الخلافة تطلب لمجد الظلبى فقط . وانتخبوا من بينهم اماما هو المرحوم عبدالله بن وهب الراسبي فقادهم الى ان قضى نحبه .

وكانوا اذ ذاك يعرفون بالمحكمة فقط لقولهم للامام علي انت امامنا الواجب

علينا طاعته ونصرته الى ان نفنى ، ولما حكمت الرجال في امرك وخلعوك فنحن احرار فى تولية قيادتنا من نشاء « ولا حكم الا لله »

ويعرفون بالخوارج في كتب التاريخ ، ويعرفون بعد ذلـك بالشراة ، لقولهم شرينا أنفسنا من الله بالجنة . ويتمثلون بقوله تعالى « ان الله اشـترى من المؤمنين أنفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون »

وما اشتهروا بالاباضية الا اخيراً وكان معظمهم فى العراق ، اما قطعة عمان وحضرموت فكانت كلها على رأيهم .

ولهم مع ملوك بني امية ثم ملوك بني العباس حروب طاحنة ومركز امامتهم اذ ذاك مدينة صحار المشهورة في كتب التاريخ على ساحل عمان .

ومن علمائهم ورؤسائهم المشهورين فى ذلك الوقت الذين بسعيهم تأسست امامة عمان وحضرموت ثم امامة المغرب ، وانتقلت اليها بعد حروب مدهشة مع جيوش بني العباس الزاحفين على طريق مصر منهم الامام المحدث ابـو الشعثاء جابر بن زيد الازدي العماني نزيل البصرة ، وكان له مرتب من خزانة بني امية وهو من ثقاة الحديث عند الامام البخاري ورواياته كلها عن ابن عباس وعائشة ام المؤمنين وبعض كبار الصحابة حتى انه قال اجتمعت بسبعين صحابيا فحويت ما عندهم من العلم الا البحر — يعني ابن عباس .

ذكر البارونى انه زار آثار بيته فى قرية « فرق » القريبة من نزوى ، وكذا ضريح ابنته الشعثاء هناك .

ومنهم ابو عبيدة ابن ابى كريمة التميمي البصري والربيع ابن حبيب البصري وابن محبوب وعبدالله بن اباض وهو الذي اشتهر مذهبهم باسمه في ايام عبد الملك ابن مروان لقيامه بالدفاع عن نحلتهم وانكار المنكر على عمال عبد الملك ، ورده على الصفرية والازارقة من المحكمة ، لتحليلهم دماء واموال وسبي نساء واولاد

مخالفيهم من المسلمين ، فتبرأ منهم ابن اباض وبقية الشراة المحكمة لاجل ذلك .

فعبد الله بن اباض لم يبايعه الشراة بالامامة ولا ادعاها وانما كان من عظمائهم فنسبهم ملوك بني امية اليه فقبلوا النسبة مفتخرين وحافظوا على اسمهم الاصلي « الشراة » في كتبهم .

ولما هاجم البرتغاليون سواحل عمان لما كانوا استولوا على الشرق كله كاستيلاء الانكليز اليوم ، صار مركز الامامة مدينة نزوى الواقعة في سفح الجبل الاخضر بعيدة عن البحر ، وكانت لهم مع البرتغال حروب عظيمة حتى اخرجوهم من سواحلهم وتتبعوهم الى ان اجلوهم من سواحل العجم والهند والزنجبار وسواحل افريقيا الشرقية الى قريب من رأس الرجا الصالح وحلوا محلهم وكونوا دولة قاهرة ذات اسطول ضخم تكفل التاريخ بتفصيلها .

ولما طرق دولتهم الضعف في المائة الثانية بعد الالف من الهجرة هاجمهم العجم واستولوا على بعض السواحل وقسم من الداخل واشتدت الحرب بينهم حتى طردوهم وتتبعوهم الى سواحلهم فاحتلوا بعضها .

وكان احمد بن سعيد من قبيلة ءال سعيد من عمان واليا على مدينة صحار وهو جد العائلة الحاكمة اليوم في مسقط .

فاظهر البسالة والثبات فى مطاردة العجم ، واشتهر بحسن السيرة والنزاهة والعدل ، فاجمعت الامة العمانية على اهليته فبايعوه اماما فاختار لاقامته مسقط وكان قد اسسها البرتغاليون وحصنوها فصارت عاصمة عمان بدلا عن نزوى فسار بالدولة العمانية سير الابطال فاستقامت له الامور ولم يحز لقب امام أحد من ذريته بعده ، وانما كانوا يلقبونهم بالملوك والسلاطين لنقصان بعض شروط الامامة فيهم وهو اقامة الحدود الشرعية ، ولأن توليتهم كانت شبه وراثة لا بالانتخاب كما تقتضيه قواعد الاباضية .

وحصل من بعضهم تساهل فى دخول الخمر الى البلاد وظهور بعض المنكرات بوسيلة وجود قناصل اذ ذاك لبريطانيا وفرانسا وامريكا وبعض رعاياهم الذين لا يتيسر للسلطان منعهم بالقوة ، وحصل من بعض الولاة ظلم نشأ عنه سفك الدماء وفتن بين القبائل ، فاصبحوا عرضة اقيام العلماء ضدهم مطالبين بالاصلاح ومحافظة شعائر الدين ، حتى انهم بايعوا قبل نحو سبعين سنة الامام عزان بن قيس وهو من العائلة نفسها ، واستولى على عمان كلها حتى مسقط ، والتجأ السلطان الى الهند الى ان قتل الامام عزان في مطرح مرسى مسقط فعاد السلطان وسكنت البلاد الى سنة ١٣٣١ هـ فتجددت الثورة بعين السبب مع ما زاد من الاسباب ، واعلنت الامامة الداخلية باسم الامام « سالم بن راشد » وتقدم حتى جاء مسقط ، ولما مات بويع الامام الحالي « ابو عبد الله محمد بن عبد الله الخليلي » وجرى صلح بين الفريقين على ان يكون الساحل للسلطان وداخل البلاد للامام ، وسكنت الامور ، والامام من خيرة اهل تلك المملكة اخلاقا واخلاصا وكفاءة وعلما وتقوى وحبا للخير (١)

ولما هبط الباروني نزوى عهد اليه الامام بالوزارة فأخذ يدير البلاد بحكمة وروية لينهض بها على قدر الامكان مع السعى في اصلاح ذات البين وازالة ما بقى فى النفوس من التنافر .

---

١) اما علم « الامامة » فهو ابيض يتوسطه سيف وعدة نجوم .

سلطان مسقط لا يعترف بامامة الداخل

ولكنه يبادلها الرسائل الودية

ولايات عمان وطراز الحكم

من شروط الامامة عند الاباضية ان يتحلى الامام المنتخب بصفات الكمال من الاسلام والحرية والعقل والعلم والشجاعة والتقوى ، ولا يشترطون العصمة اذ لا معصوم غير الأنبياء والملائكة عندهم .

اما طريقة الانتخاب فهي محصورة فى كبار علماء البلاد مع زعيمي اليمانيين والنزاريين في هذا الوقت ·

وهم يسمون اليمني بالهناوي ، وزعيمهم الاكبر هو الشيخ العلامة عيسى بن صالح امير الشرقية وتحته زعماء قبائل وبطون كثيرة وهو من عائلة عريقة فى الرئاسة والعلم ·

ويسمون النزاري بالغافرى ورئيس الغافرية هو الشيخ سليمان بن حمير النبهاني من سلالة النبهانيين ملوك عمان في الازمنة السابقة وهو امير الجبل الاخضر الآن ، وتحته شيوخ وزعماء لقبائل كثيرة ايضا ·

وهذه القسمة سارية في جميع قبائل عمان من قطر الى حضرموت ، وهي حديثة ولها سبب طويل الذيل ·

فاذا وقع الاجماع على انتخاب امام وجب على اهالي البلاد ان يسمعوا له ويطيعوا ووجب على منتخبيه ان يكونوا اول السامعين والمؤيدين والمقاتلين بين يديه اذا مست الحاجة ·

وكان من اجداد هذا الامام فى الأعصر السابقة جملة ائمة اشتهروا بالعدل والقوة منهم الآمام الخليل ابن شاذان وكان فى المائة الرابعة للهجرة ·

اما السلطان الحالي السيد سعيد بن تيمور فهو شاب فوق العشرين عربى

محض ذو نشاط وذكاء تواق الى الاصلاح العصري ونشر العلم محبوب عنـد رعاياه ولأمراء العائلة تعلق زائد به واخلاص ويؤملون ان يعيد للمملكة مجدهـا كما كانت في عهد اسلافه .

تعلم فى مسقط ثم فى بغداد ، ثم قلده والده رئاسة الوزارة نحو سنتين فاظهر اقتداراً وحسن ادارة بدرجة جعلت والده السلطان تيمور يستقيل ليتقلد ولي عهده فى حياته السلطنة فجلس على العرش في احتفال مهيب كان البـاروني حاضراً فيه في شهر شوال سنة ١٣٥٠ هـ

وقدم له البيعة اكبر امراء العائلة اولا وهم عمه الامير نـادر ثم عمه الامير احمد ، ثم بقية الامراء فالعلماء فاكابر العاصمة ومن حضر من الرؤساء واطلقت المدافع من القلاع ، وخطب خطبة تعهد فيها بمحافظته على استقلال بلاده التام مع مراعاة معاهدات اسلافه مع الدول والمحافظة على صداقتهن خصوصا بريطانيا

وفى اليوم التالي جاء قنصل بريطانيا وقدم له التهنيئة باسم دولته في احتفال رسمي . ولا يوجد الآن في مسقط من القناصل غيره لأن فرانسا وامريكا الغتا قنصليتها قبل الحرب الكبرى لعدم وجود رعايا لها في مسقط .

التقرب بين السلطان والامام

وقد قـرب الزعيم الباروني بين السلطان المستقيل والامام حتى اصبحـا يتبادلان الرسائل بدون واسطة . رغما عن عدم اعتراف السلطـان بالامامة الجديدة . والباروني صديقهما معا ومؤتمن في نصائحه عند الجميع (١)

(١) قلت يتأمل فى هذا فان الواقع يفيد ان عظمة سلطـان مسقط يعترف بسيادة الامام كما تصرح بذلك معاهدة « السيب » المنعقدة بين الطرفين فى بلدة « السيب » سنة ١٩٢٠ ، وقد امضاهـا من طرف السلطـان المستر « وينجت » قنصل الانكليز فى مسقط ، وقد اتفق فيها الطرفان على المـواد الآتية كما سبقت

ومملكة عمان المشتملة على امامة وسلطنة وبعض مناطق ممتازة واسعة جدا كثيرة السواحل .

يحدها على سبيل التقريب من الشمال والشرق والجنوب البحر ومن الغرب الربع الخالي ، وتمتد جنوبا الى حدود مملكة حضرموت وشمالا الى حدود قطر المجاور البحرين .

ولايات الساحل وولايات الداخل

اما ولايات الساحل مع المناطق الممتازة فهي ظفار المجـــاورة لحضرموت ، وللسلطان عناية بها . وصور مركز ولاية جعلان وهي مرسى كبير للمراكب الشراعية الكبيرة التى تسافر الى شواطيء الهند والبصرة واليمن والزنجبـار وغيرهـــا .

وقريات ومسقط وهي العاصمة ومرساها مطرح والسيب والبركة والسـولق والمصنعة والخابورة وصحار وشناص ولوي والعجيرة وخصب والشارقة ودبي وابو ضبى وقطر وغيرها .

الاشارة اليها ءانفا في حديث المقال :

١ – على انها معاهدة مصالحة بين طرفين مستقلين متساويين فى السيادة

٢ – على ان يتعهد كل طرف بعدم التدخل فى شئون البلد الآخر .

٣ – تحديد الضرائب على البضائع المارة بمسقط الى عمان بنسبة ٥ فى المائة

٤ – على تبادل المجرمين من بلد الى آخر (١)

ولعل هذه المعاهدة بقيت حبرا على ورق الى عهد حضور البارونى باشا فبذل جهده من جديد فى توثيق العلائق بينهما .

---

١) عن آخر ساعة المصرية الصادرة فى ٢١ ديسمبر ١٩٥٥

الاسواق التجارية

وفي كل منها اسواق عامرة بالتجارة وبعض ابنية لا باس بها على الطراز القديم ، ودوائر للحكومة يسمونها بالحصون .

ولمسقط ولاية على ساحل بلوجستان « السند » تعرف بجوادر .

واما منطقة الداخل فتمتد فى مقابلة الساحل يكتنفها الربع الخالي من جهة الجنوب الغربي والشمالي ، واشهر مدنها وولاياتها : سمائل وهي اقربها الى مسقط وبها ضريح مازن بن غضوبة اول من اسلم من اهل عمان فى زمن النبيء صلى الله عليه وسلم ، اذ كان يعبد صنما فسمع نداء من خلفه بالدعوة الى الاسلام كما هو مدون فى التاريخ .

ذكر الباروني انه وقف على قبره .

ثم ولايات نخل والمعاول والرستاق وازكى والبركة ونزوى وبهلا والحمراء والمضيبى وسمد وادم ومنح والمترب وابرا وعبري وينقل والبريمى وتنوف — مركز الجبل الاخضر — وغيرها .

طراز الحكم

الامام فى الداخل كالسلطان في الساحل ، والشيخ فى المنطقة الممتازة هو الحاكم المطلق وفى كل ولاية وال وقاض شرعي وجند بقدر سعة الولاية له قائد اما جند نفس مسقط فنظامي ، وهم يخدمون الجندية بالفطرة ، فالاهالي بفطرتهم جنود مسلحون ، ولا يسود البلاد الا حكم الشريعة الاسلامية ، سواء في ذلك الساحل والداخل ، والحدود الشرعية تقام في منطقة الامام دون هوادة .

فالسارق تقطع يده والقاتل يقتل والزانى المحصن يرجم وغير المحصن يجلد ويجلد شارب الخمر ، اذ قد يجلب الخمر او يستعمل خفية ، ويؤدب متعاطي

الدخان وهو لا يباع الا سرا او بواسطة الغرباء من بلوجستان يهربونه من منطقة مسقط ، ولذلك قلت الوقائع جدا ، وفي مسقط محكمة عــدلية هي فى الحقيقة محكمة تجارية يتحاكم امامها التجار سواء في ذلك رعايا السلطان ورعايا الانكليز من الهنود المسلمين والمجوس وهم قليلون وقد يراجعون في اختلافاتهم الخصوصية قنصلهم فيفصل بينهم .

البلاد تعيش بالضرائب الشرعية فقط

الجندية الفطرية — محصولات البلاد ومعادنها

اموال البلاد

اما واردات البلاد ساحلا وداخلا فهى من الزكاة ، فيستوفي السلطان والامام زكاة المزروعات وثمرة النخيل وزكاة المواشي وزكاة عروض التجارة وزكاة حلي النساء وزكاة النقود ، وهناك اجرة دكاكين اكثر الاسواق لانها اميرية ، وهناك بساتين النخيل الاميرية وهي كثيرة فى منطقة الامام تباع ثمارها بالجملة بواسطة المناداة العلنية ، وهناك اوقاف كثيرة ايضا بعضها عائد الى بيت المال والبعض الى مراجعها المتنوعة، وبعضها للمدارس والمساجد والفقراء ولتعمير الطرق وتداوى المجذومين وعابر السبيل وغير ذلك .

وللجميع جباة يجدد تعينهم كل سنة ، والاهالي يسامون ما لا تصل الجباة الى احصائه بطيبة خاطر .

السكان والجندية

ويقدر سكان المملكة كلها بما فيه المناطق الممتازة بمليون ونصف كما جاء في كتب الجغرافية ، ولكن الزعيم البارونى يعتقد ان عدد النفوس اكثر من ذلك والامن يسود البلاد كلها رغما عن انها مسلحة تسليحا تاما ، فالاهلون من

ابن سبع سنين الى ابن الثمانين مسلحون . وكانوا يحملون السلاح العثماني القديم وقد اخذوا يستبدلونه بالموزر المعدل وبالانكليزي .

النفير العام

واذا نشب الحرب فعلى كل قبيلة ان تقدم للامام او للسلطان عددا معلوما من الجنود ليقاتلوا بين يديه .

ولدى اكثر القبائل بعض اصطلاحات خاصة للانفاق على رجالها الى ان يصلوا الى الامام او السلطان فيرتب لهم نفقات خاصة من خزائنه .

واردات السلطان اوفر لان بيده فرض الساحل « الجمارك » زيادة عن الزكاة ، وهذه تكون واردا كبيرا .

محصولات البلاد

واكثر حاصلات البلاد من تمر النخيل وهى تصدره الى الخارج ، ومن اصنافه المختصة بها « المبسلى » وهو يرسل الى الهند ولا يبقى منه فى البلاد شيء ويعده الهنود طرفة يتفاخرون بتقديمها على موائدهم خصوصا ايام الاعياد والمواسم و« الفرض » وهذا يصدر كله الى امريكا على بواخر تأتي حاملة صناديق فارغة على احجام متفاوتة فيملؤها عمال الشركة فى مسقط وتحمل الى امريكا ، والنوعان تزداد قيمتهما سنة فسنة .

وبقية انواع التمر تصدر الى حضرموت واليمن وغيرها .

وتصدر البلاد الليمون الحامض الى العراق والعجم وغيرها والرمان الى الهند وهو افخر رمان عرفه العالم الزراعي وتكثر اشجاره في الجبل الاخضر ، كما تصدر الجوز والسمن والجلد وانواعا من السمك الكبير الى الاقطار الشرقية .

اما السمك الصغير جداً فتشحن منه بواخر كثيرة الى جرمانيا ويقال انهم

يستعملونه سماداً . وفيها العسل بكثرة وتزرع فيها الحبوب على مختلف انواعها لتأمين حاجة البلاد والفواكه كلها موجودة بكثرة ما عدا السفرجل ويكثر فيها شجر « العنبا العظيم »

ويزرع فيها قصب السكر ، وهناك يعصر بمعاصر على الطراز القديم وقد بدأوا بجلب المعاصر الاوربية ويزرع فيها القطن الابيض والاحمر .

والبلاد مملوءة انوالا للنسيج وتصدر منسوجاتها الزائدة من العمائم والازر وغيرها الى الزنجبار وشرقي افريقيا وغيرها .

المعادن

وبلاد عمان غنية في معادنها الا ان هذه المعادن لاتستثمر الآن لأن الاهلين حتى قبل ان يؤسسوا الامامة الحاضرة كانوا يحاذرون مغبة دخـول الاجانب فضلا عن تمكن الاجنبي من شيء من امورهم أذ يسمعون ما يجرى في الاقطار الاسلامية المستعمرة من الأمور التى تجعلهم يرجحون ان يبقوا على ما هم عليه من التأخر المادي والمعنوي ولا يتقربوا من الاجنبي مطلقـا حتى ولا من الشركات والمصارف « البنوك » الاجنبية الى ان يتيسر لهم العمل بانفسهم وباموالهم لأن الاموال الاجنبية ما دخلت ارضا الا وملكتها واستعبدت اهلها ومزقت شملهم .

هكذا يعتقدون ولا تخلوا البلاد من وجود نفط فيها وخصوصـا فى المنطقة الساحلية .

هذا ما قاله الاستاذ الباروني والذي علمته اخيراً ان البلاد لم تمنح امتيازات ما لاستثمار شيء من المعادن او للتحري على البترول حـتى فى ادوار الضعف التي مرت عليها واثناء خلافاتها الداخلية .

جواسيس الاجانب وحيلهم الشيطانية

الجدب الغريب — العرب وكيف يستنبطون المياه

وقد قدر لاهالي عمان فى السنين السابقة ان يؤخذوا من قبل بعض المسلمين الذين ظهر اخيراً انهم جواسيس بل ان بعض غير المسلمين جاء وهم بقيافات عربية واسماء مسلمة يجيدون قراءة القرءان وينتسبون للاقطار العربية البعيدة فاحترموهم وقربوهم ثم بعد خروجهم تبين لهم انهم غير مسلمين .

حيلة جاسوس

ومن جملة الجواسيس واحد اتصل بالمرحوم الامام سالم في اول الحرب الكبرى بصفته مهاجرا فأحسن وفادته وقربه واحترمه لغربته وأدبه .

ولما اطمأن سأل الامام قائلا : ما رأيكم في هذه الحرب العامة ؟ وفي الدولة العثمانية ؟

فقال له : لو نجد طريقا الى الاتصال بها ، ولو كانت تمدنا بالسلاح لزحفنا بجيوشنا لنصرتها ،

فقال له : اذاً فاكتب كتابا الى قائد اليمن « سعيد باشا » وانا اتعهد بايصاله اليه فكتب كتابا وسلمه له فذهب . وبعد مدة تحقق انه سلم الكتاب الى دولة اجنبية وانه جاسوس !!

ولذا فالامام اليوم لا يسمح لاي اوروبي بالدخول الى بلاده ، وابعد مكان يقدر الاوروبي ان يصله مصحوبا باحد من طرف مسقط هو بلدة « بوشر » التابعة لمسقط ، والتى تبعد عنها نحو ساعة واحدة فقط فى السيارة !

اما الغريب ولو عربيا اذا لم يكن معروفا واشتبه فيطرد او تلاحظ حركاته واقواله بدقة حتى يتحقق أمره ، ولهذا قل من تجاوز العاصمة « مسقط » من الغرباء بعد الحرب الكبرى .

المياه والانهار

والبلاد وافرة المياه العذبة والانهار الصغيرة المطردة وتسمى هذه هناك « بالافلاج » وهي كثيرة ، منها طبيعى ومنها صناعى والمدن والقرى كلها عمرت على تلك الافلاج .

مياه القرى

اما القرى الواقعة في السهل فقد استنبط اهلوها طرقا لجلب الماء اليها فى اقنية خاصة بطرق هندسية وهي كافية لزراعتهم وبساتينهم ومواشيهم

الينابيع الحارة الكبريتية

والعيون الشديدة الحرارة الى درجة الغليان كثيرة تنفجر من الجبل الاخضر وفرؤعه وعليها قرى كثيرة ، لانها فى غاية العذوبة اذا بردت والكبريتية منها قليلة .

مهندسو المياه

والغريب ان لهم في كل وقت أناسا اختصوا بمعرفة اماكن المياه فيأتي احدهم وينظر الى الارض مليا نظر الفاحص المدقق، ثم يعلن ان فيها مياها غزيرة او غير غزيرة ويقدر مسافة عمق المياه وكثيراً مايصيب في تقديره ويعرف هذا عندهم « بالقافر » وعلم معرفة اماكن المياه عندهم كعلم القيافة عند العرب على ما يظهر .

القيافة

والقيافة باقية عندهم الى الآن حتى ان احدهم ينظر الى اثر ناقة فيقول هذا اثر بنت الناقة الفلانية وهو لايعرفها وانما رأى امها قبل ذلك بمدة ويصدق قوله

وءاثار الري الفني من عمل العرب ظاهرة في البـلاد تدل على ما كان لملوكهم وائمتهم السابقين من العناية به .

الجدب

والعجب ان البلاد مع هذا معرضة للجدب رغم ان البحر يتأخمها من امامها والغابات على الجبل الاخضر كثيرة من ورائها واشجارها كثيرة ايضا ، ولكن للجدب ناموسا خاصا ، فالبلاد حسب المتواتر تجدب بعد كل خصب طويل جدبا يمتد في بعض جهاتها احيانا الى بضع سنين .

اذ تقل الامطار فتضعف انهار كثيرة ضعفا لا تبقى معه فائدة منها فيعانى اصحابها الامرين من هذا الجدب ويضطر كثيرون منهم للهجرة من بلـدانهم طلبا للرزق ، وهم يقصدون على الاكثر مملكة الزنجبار وشرقى افريقيا لوجود اقارب لهم هناك من قديم ويتوغلون فيها الى منطقة الكونغو البلجيكية فيتجرون ويشتغلون عند اقاربهم الاغنياء حتى يأذن الله بالفرج ويعودوا الى بلدانهم يعمرونها وهم يحبونها حبا جما .

ويقدر عدد الرجال الاشداء الذين لجأوا الى الزنجبار للارتزاق اثناء الجدب الذى دام نحو ثمان سنين في اكثر جهات عمان وانتهى بفضل الله فى السنة الماضية بئالاف كثيرة وقد بدأوا يعودون لتعمير بلادهم .

عناية الامـــام

ولذا فالامام يتساهل كثيراً فى تحصيل الزكاة مساعدة لأهالي بلاده على تعميرها والثبات فيها والاستفادة من الخصب الذى عمها في هاتين السنتين وهم يؤملون امتداد هذا الخصب حسب العادة سنين كثيرة ان شاء الله .

وقد كانوا فكروا في جلب ءالات لحفر الآبار الاورتوازية لتجربتها في

الجهات التي يضرها الجدب فوصلت ءالة واحدة الى مسقط واخرى الى القابل مركز الشرقية لكنهم عطلوها مؤقتا اذ شمل البلاد خصب تام فاضت به الافلاج وأصبحوا في غني عن الآلات ،هذا كله فى المنطقة الداخلية .

اما المنطقة الساحلية فمؤسسة على الآبار والماء فيها متوفر في اكثر الاوقات الا ان راحتها وشقاءها متعلقان بخصب وجدب الداخلية لأختلاط المنطقتين فى كل شيء حتى في الانساب !!

البعثات التبشيرية وعملها السيء فى البلاد

تضحية طبيب سوري -- كلمة الى الجمعيات الاسلامية

الحالة الصحية

والحالة الصحية غير حسنة ، ذلك ان الحميات كثيرة في البلاد بسبب وفرة المستنقعات حول مسقط ومطرح وفى بعض الاودية الداخلية ، ولفقدان الادوية والاطباء ، ولدى الاهلين اشخاص يطببونهم على القواعد القديمة ، وكثيراً ما يستعملون الكي بالنار ، ولذلك عانى الزعيم الباروني وعائلته كثيراً من ءالام الملاريا حتى اشرفوا على الهلاك واضطرت عائلته للانتقال الى بغداد .

تضحية طبيب سوري شريف

والبلاد لم يدخلها طبيب حذق الطب الحديث لحذرهم من الاجنبي كما قلنا الا واحداً مات ضحية حبه لخدمة الانسانية قبل ان يقوم فيها باي عمل كان .

وهذا الرجل الفذ الذي يجب ان يعد شهيد الفن والواجب هو الدكتور بشير فؤاد الجمال سوري الاصل تعلم فى المدارس العثمانية وءاثر العمل فى سبيل خدمة قومه عـلى كل شيء . فكان اول طبيب هبط طرابلس الغرب اول حربها مع الطليان ١٩١١ واول من ضمد جراح مجاهدي واقعة « الهاني »

لشهيرة ، وبقي يقوم بواجبه الى ان سامت الحكومة العثمانية فعاد الى الاستانة ولما اعلنت الحرب العامة التحق بالزعيم الباروني في طرابلس عن طريق مصر وبنى غازي فعينه رئيسا للصحة مدة الحرب الكبرى

واخيراً بلغه ان الباروني في عمان فقرر الالتحاق به ووصل مسقط واشتدت به حمى الملاريا التى جاء بها من البصرة حسب الظن فأدخل المستشفى السلطاني في مسقط ، ثم اتصل بالباروني في سمائل فاستبشر به وسر الدكتور بالبناية الضخمة التى بناها الباروني على ان تكون مدرسة عصرية واتفق معه على انشاء مستشفى والقاء دروس صحية في المدرسة ليلا وقرر الاقامة في البلاد فأعفى لحيته وترك استعمال الدخان اقتداء باهل البلاد وحافظ على الصلاة ، لكن الحمى اشتدت عليه ولم تفده الادوية التى اتى بها معه لمكافحتها ولم يمض اسبوعان حتى حصل له خبال وصار يكرر قوله « قد ساقني الله الى هنا لأدفن في ارض اسلامية لا اجنبي فيها » الى غير ذلك فكلف الباروني من خواصه من قام بشئونه وكان يسهر الليل كله بجانبه الى ان توفاه الله ، فاختار لدفنه مقبرة ءال الامام القريبة من المدرسة اكراما له . وكان لوفاته تاثير كبير على الباروني وعلى اصدقائه .

الطب والتبشير

في مسقط ارسالية انجليلية امريكانية اسست مستشفى منتظما على النمط العصري فيه قسم للنساء يتم قريبا واخذت باسم خدمة الانسانية تداوي مجانا وتعطي الادوية مجانا ولديها اساتذة ماهرون في الجراحة وهي في الحقيقة تخدم التبشير الا انها لم تؤثر شيئا حتى اليوم ، وقد توسلت بشتى الوسائل للدخول الى داخل البلاد فلم تنجح .

لكن الامام بناء على الحاح الكثيرين وشفقة على الفقراء الذين يتكبدون

مشقة كبيرة فى سبيل الوصول الى مسقط للتداوى سمح مرة للبعثة ان تأتي مؤقتا الى سمائل التي هي اقرب المدن الداخلية الى مسقط كما روينا فوصلتها ومعها قافلة كبيرة تحمل صناديق مشحونة بالآلات والادوية والكتب وقدمت الحكومة لها محلا مناسبا لتأمين غايتها وكثر الواردون عليها للتداوى ، لكنها لم تقم بواجبها الانسانى اكثر من بضعة ايام ثم بدأت مهمتها التبشيرية واخذ الطبيب يجمع المرضى ويدخل عليهم القسيس الذي معه وهو عربى فيدعو بان يرفع الله رأية المسيح على ربوع هذه البلاد وان ينصر اتباعه ويقهر اعداءه ، ثم يطلب من الاهلين السذج ان يؤمنوا على دعائه قبل ان يباشر مداواتهم ، وهم لا يفهمون من دعائه شيئا .

ثم وزع عليهم رسائل تتضمن الدعوة الى الدين المسيحي فبلغ الخبر الى الباروني فى مكانه وهو مريض بالملاريا فكتب الى الامام وهو فى نزوى يطلب منه الامر باخراج البعثة من البلاد باسرع ما يمكن ، واخبره بما جرى فصدر الامر بذلك مع رسول خاص واحضرت الحكومة للبعثة الابل الكافية لحمل اثقالها وعادت الى مسقط في ذلك اليوم .

وبعد مدة كتب الباروني الى رئيس المستشفى كتابا قال له فيه : « انه يمكن ان يقنع الامام فيأذن برجوعه الى سمائل ويقدر له اجرة معتدلة بالنسبة للغني والمتوسط والفقير على شرط ان لا يستصحب معه مبشراً وان لا يشتغل بالسياسة والدين . »

فاجاب الرئيس بما خلاصته :

« انهم انما جاءوا من امريكا لخدمة الانسانية ومداواة المرضى مجانا لا باجرة على شرط (التبشير) لانه دعوة الى الحق لا يتنازلون عنها ، والاموال التي تنفق عليهم انما خصصت لذلك السبيل . »

ومن ذلك اليوم منعت البعثة من الدخول بتاتا ، فليتأمل اغنياء المسلمين وجمعياتهم وعلماؤهم فى هذا الجواب .

وحبذا لو اهتمت الجمعيات الخيرية الاسلامية فاوفدت بعثات طبية نزيهة على عهدتها الى اطراف جزيرة العرب الخالية من الاطباء الوطنيين كعمان وحضرموت ومدن الخليج المصابه بالبعثات التبشيرية ليخدم هؤلاء الفن والانسانية والعرب والدين ولتخفف وطأة الامراض الفتاكة عن تلك البلاد ولتغنيهم البعثات الطبية الاسلامية عن البعثات التبشيرية ولو مؤقتا ، فان صرف الاموال فى هذا السبيل اعظم فائدة من صرفه على بعثات التبشير بالاسلام في اوروبا والصين مثلا .

حول مناورات الانكليز نحو عمان

ايضـــاح

نشرت جريدة « العالم العربي » الصادرة في ٢٩ ديصامبر ١٩٣٢ فصلا قيما للباروني باشا تحت العنوان اعلاه كشف فيه الغطاء عن بعض مناورات ودسائس الانقليز في بعض بلاد عمان ، وتعميما للفائدة نسجله هنا ، وهـذا نصه ، قال :

. . . قد اطلعت على نبذة من رسالة (ابران) جاءت فى « العـالم العربي » عدد ٢٦٥٧ ، وتعجبت من تسمية المراسل الشارجة « الشارقة » بالمدينة ، ومن تلقيبه شيخها بالسلطان !!

لان الشارقة عبارة عـــن بلدة صغيرة لا تبعد عن مدينة دبي الشهيرة باسواقها العامرة ولؤلؤها الفاخر اكثر من نصف ساعة ، واما رئيسهـا فشيخ قبيلة صغيرة بالنسبة لقبائل دبي العظيمة . والمفهوم ان المراسل ترجم ذلـك عن عبارة اجنبية ، ولا غرابة لأن السياسة قد تصور الحبة جبلا لمآرب خاصة .

وقد استغربت جدا ما ذكره المراسل من اتفاق قنصل بريطانيـا مع ذلك

الشيخ على المواد التي ذكرها ومن رفع الراية الانكليزية على بعض الثغور هناك الأمر الذي يجعل تلك القرية وتلك الثغور مستعمرة انكليزية في مملكة عمان العربية ، واصحاب الشأن في عمان لا يتوقعون ذلك ايام كنت هناك ، لأنهم لا يتصورون ان تقصد بريطانيا استعمار بلادهم المستقلة منذ الف وثلاثمائة سنة فى الوقت الذي تحرر فيه البلاد المستعبدة من مئات السنين .

نعم شاع قبل سنتين ان قنصل بريطانيا فى الخليج يخاطب بعض مشائخ سواحل عمان الشمالية ومنهم هذا الشيخ على انشاء محطة للطيارات حتى انه على ما قيل هدد بعضهم ، ومنى بعضهم باماني كبيرة وتوسط ببعض رؤساء العرب من خارج عمان ولم يفلح ، ولا نعلم الشيء الذي أخضع هذا الشيخ اليوم !

وبما ان الاعتراض كان منتظراً من عظمة سلطان مسقط السيد « تيمور » اذ ذاك وقف اهل الرأي في دواخل عمان ينتظرون ، ولما تحققوا ان السلطان لم يتكلم لأسباب جهلوها او تكلم ولم يؤثر كلامه ارسل عظمة الامام ابي عبد الله الخليلي بواسطة امير الشرقية الشيخ عيسى بن صالح احتجاجا الى قنصل بريطانيا في مسقط بين له فيه : « ان مخاطبة القنصل للمشائخ مباشرة وفي البلاد دولة مخالف للاصول ، وان الامة العمانية تعتبر بلادها كتلة واحدة لا تتجزأ كما هي عليه منذ عرفت (من قطر المجاور للبحرين الى ظفار المجاور لحضرموت) وان الامة العمانية لا تعترف باتفاق ما من شيخ عماني مع دولة اجنبية مطلقا ولا تقبل في داخل حدودها المذكورة راية غير الراية العمانية ابدا ، وان كل حركة تصدر من القنصل او غيره في هذا السبيل تعتبره الامة العمانية تعديا على حقوقها وتصديا للاخلال باستقلالها التام الذى حافظت عليه الى اليوم وستحافظ عليه الى النهاية » اهـ

هذا مثال الاحتجاج على ما بلغني .

وقد اجاب عليه القنصل واجيب فسكت ، فاذا صح ما قاله مراسلكم دل على ان بريطانيا عازمة على ان تحدث فى عمان مناطق محمية تنتحل لها القاب سلاطين كالتى احدثتها في اليمن وجعلتها فى جدال مستمر ، مع عظمة الامام يحيى وعلى اتخاذ الخليج الفارسي بحيرة خاصة بها كبحر مرمرة عند الدولة العثمانية سابقا اذ امدت يدها الى رءوس الجبال وقبضت على مضيق هرمز ولم تعارضها دولة فارس (١) او انها شكت فى تمركزها في البحرين بعد ان طالبتها بها دولة فارس فاستسهلت عمان العربية المسالمة لها .

ولا شك في ان هذا العمل يضر -- اولا — بتجارة دبى بل يقتلها وتليها مدينة صحار عاصمة عمان القديمة لقربها منها ثم تلحقهمامسقط العاصمة الحالية بافلاس فرضها (جمار كها) اذا اصبحت البضائع تساق الى دواخل عمان من المدينة الجديدة (الشارجة) التى ستكون المرسى الوحيد للبواخر الانكليزية . الا اذ تشكلت شركة بواخر عربية (٢) او فارسية او مشتركة وزاحمت بواخر الشركة الانكليزية المستغلة الى اليوم بنقل الركاب والبضائع بين مدن الخليج وبين الهند والبصرة فربما يهون الامر .

وعلى كل حال قد فتحت بريطانيا على نفسها بهذا العمل باب نفور عظيم من العمانيين الذين كانوا ينظرون اليها بنظر الصديق .

وان كانوا لا يجهلون انها هى التي جردتهم من ممالكهم وولاياتهم الخارجية التى كانت في ايديهم على سواحل فارس والسند والهند وجزر البحر العربي والبحر الهندي وجزائر الزنجبار وممباسة والخضراء وسواحل شرقي افريقيا وغيرها لكنهم لا يظنون انها تتجاوز الى مهاجمتهم في قعر دارهم وتمزيق جسم

---

١) نشطت دولة فارس في هذه المدة لمعارضة نفوذ بريطانيا في الخليج والخلاف مستحكم

٢) تشكلت في هذه المدة جمعية فى البصرة لشراء بواخر تزاحم البواخر الانكليزية فى الخليج ويقال بان فى فارس من يروج مثل هذه الفكرة ايضا . البارونى

عمان نفسه ، وقد كانوا الى اليوم يتحاشون الاتصال بل التعرف بالدول الاجنبية الاخرى ، ولا يرغبون الآن فى العمولات الانكليزية حتى انه وصلت على مـــا بلغني قبل سنة باخرة المانية ثم باخرة روسية هذه الجهات تحملان بضائع رخيصة جداً وطافتا بالثغور العمانية الى دبي ولم يشتر التجار منهما شيئا فعادتا كما جاءتا ، كل ذلك ارضاء لبريطانيا الصديقة ،

وقد التزمت عمان الحياد التام في الحرب العظمى مع امكان استمدادهـــا واتصالها بالجيش العثماني التركي الذى كان فى الحسا او الذي كان فى اليمن عـــلى طريق البر بكل سهولة ، بل ان عظمة سلطان مسقط السيد « تيمور » المتغاني هو واسرته في صداقة بريطانيا تساهل فاباح لها ان تتخذ بجـــوار مسقط محطة لجيوشها ومرسى لمراكبها المستخدمة من الهنـد والبصرة مـدة الحرب العظمي كلها رغما عن انكار العثمانيين عليه ذلك !

هذا ما كان عليه العمانيون من قبل . اما بعد هذا الحادث الجلل ـ حادث الشارجة ـ فالله اعلم بما سيكونون عليه تجاه بريطانيا صديقتهم .

انما الذي أعلمه هو انه لما شاع سابقا عزم بريطانيا على سلخ الجـزء الشمالي من عمان وتمليكه لأجنبي باسم ملك ، قام ارباب النفوذ والفـكر فى اكثر جهات عمان يسعون لتكوين حزب باسم « حزب الاتحاد العمانى » للتوفيق بين الامامة والسلطنة وتوحيد المملكة كلها من قطر الى ظفـــار مع المحافظة على بعض امتيازات لبعض مواقع لأهميتها .

ولا بد ان يتقوى هذا السعى وينجح بسهولة بعد هذا الحادث .

وستكشف الايام ما خبأه القدر لهذا القطر العربي الاسلامي المحض الهـادي، المشمول بالامن الذي لا نظير له باجراء احكام العدل فيه .

نزيل بغداد　　　　　سليمان الباروني

قلت : — لقد كشفت الايام يا سعادة الباشا فتغلغل النفـوذ الانـكليزي ببخور « البترول » في امارات الخليج واستفحل تـآمره بالاخوين اللذين كرست حياتك على جمعها وتوحيد كلمتهما — الامام والسلطان — فجعل منهما اعـداء يقاتل احدهما الآخر ، فبعد ان اثارها شعواء في اواخر سنة ١٩٥٥ فى واحـة « البريمي » على اميرها « صقر بن سلطان ءال حمود » فاحتل واحته أثارها على الامام « غالب بن على » على الاثر فاحتل عاصمته « نزوى » فانـزوى الامام وحاشيته وتسللوا الى رءوس الجبال لا فراراً من الزحف ولـكن تحرفا لقتـال وتحيزا الى فيئة وعلى الباغي تدور الدوائر .

وهـكذا برزت رءوس الاستعمار البريطـاني في شـكل أفضع منـذ ٢٥ جوليت سنة ١٩٥٧ ، فرغما عن تعهد السلطان السيد سعيد بن تيمور في حفلة التتويج فى شوال سنة ١٣٥٠ ، اذ التزم امام المحتفلين به وبمحضر سعادة الباشا نفسه بانه سيحافظ على استقلال بلاده التام ، ورغمـا عن معـاهدة « السيب » الآنفة الذكر التى تعترف باستقلال الامام فان السلطان سعيد استنـفـار على اخيه الامام غالب بن عـلي قـوى الانـكليز الجوية والبرية والبحرية ، فسرعان ما أخذت تدك حصون « نزوى » التاريخية دكا على رءوس حماته الابطال فأخذت تخرب البلاد وتقتل العباد ، ولـكن مع الاسف باسم ابناء البلاد وبقوى البـلاد وما ذلك الا لمجرد مطالبة الاحرار باستقلال بلادهم . وقد شاهد العالم فى هـذه الـكارثة كيف يتجنى الاستعمار البريطاني على العروبة والاسلام باسم ابنـائهما . الا فليشهد العالم هذا التجني الغادر . الا فليحضر سعادة البـاشا البصير بالامـور والمؤمن بنور الله يبصر ، وليشهد كيف تتحقق تنبوءاته فى بـلاد ذهب ضحية انقاذها ، فرحمه الله رحمة واسعة .

مـــاذا يعانى البـارونى باشا

من الآلام والاسقام فى عمان ؟

عهدنا بالباروني باشا انه كان ممن متعه الله بنعمة الصحة وسلامة البنية واعتدال المزاج ، وقد مر بنا انه في اثناء حروبه من ١٩١١ الى ١٩١٩ كم تحمل من متاعب وعانى من مشاق والتذ بشظف العيش وسار فى الهاجرة فى القيظ والحر وسرى فى الليل في البرد والقر ، فلم يشك ألما يذكر ولم يثن عزمه شيء من ذلك اصلا ، الى ان دخل عمان وهو مغتبط بالاستقبالات الفخمة التى قابلته بها عمان حكومة وشعبا ، تحدو به امال فسيحة وتحلق به مطامح واسعة .

لكنه لم يمر عليه نحو شهرين هناك حتى أخذ الالم يساوره ، واصبح فى حاجة الى تبديل الهواء .

فان نزوله بعمان كان فى اوائل محرم سنة ١٣٤٣ وسياحته الاولى من مسقط الى دواخل عمان لتبديل الهواء ابتدأت في اواخر صفر ١٣٤٣ ، نعم لتبديل الهواء ولكن الى اشد .

فمنذ ذلك الحين أخذ يتقلب في جمرات حمى الملاريا ، وهى تغالبه وهو يغالبها تارة يطفو وتارة يرسب بها حسب مغالبتها قوة وضعفا ، وجسمه الضعيف بين عاملين : قوة عزماته وبعد مراميه تنهض به وقوة امراضه واسقامه تقعد به ، وهو اما في الفراش واما على الحصان !

وهنا يتجلى للاخ الملاحظ مبلغ صبره وقوة احتماله واين يظهر مبلغ الصبر وقوة الاحتمال ممن لم يمتحن ويبتل امتحان الباروني وابتلاء الباروني .

وهكذا على قدر العزائم والهمم يكون الامتحان ويكون الابتلاء !

فلقد استمرت به الاسقام هكذا منذ اوائل ١٣٤٣ الى ان اختاره الله اليه في اوائل ١٣٥٩ — اي نحو ١٦ سنة — .

واذا نظرنا الى فتك حمى الملاريا بالدكتور فؤاد بشير في سمائل فى شهره الاول منذ دخوله عمان وهو طبيب ، فانا نرى كم غالب البارونى باشا حمى الملاريا الى حد بعيد مدة نحو ١٦ سنة . ومن هذا ندرك كم كان للبـاروني باشا من حصانة فى صحته وبسطة في جسمه . ورغما عن هذا كله فقد هد الالم قوته فى النهاية ، ولكل اجل كتاب .

لقد مر بنا خلال بعض رسائله ما يشعرنا بظهور ذلك الخطر يحوم حـــوله من حين لآخر .

ولكننا لأجل استجلاء ذلك الخطر على صورته كما هي ولاجل استكناه مبلغ صبره منه وقوة ايمانه بقضاء الله واستسلام امره اليه تعالى ، رغم مضايقات دول الحلفاء له دون دخول احدى البلاد التى تحت نفوذها لتبديل الهواء نورد نماذج من ذلك من رسائله في هذا الشأن فيما يأتي :

١ — رسالة منه الينا مؤرخة فى ١٤ صفر ١٣٤٣ ، وهذا نصها :

حمداً وصلاة — اخوان الصفا ، سلاما واحتراما

مرضت نحو ١٠ ايام بلغت فيها درجة الهلاك ثم زال الضرر والباس بفضل الله وانى متدرج في العافية ، وبعد اسبوع اتوجه الى الجبل الاخضر فى عمان حيث الهواء النقى والانهار العذبة المتدفقة من رءوس الجبال والحدائق الغنـــاء والفواكه الطيبة وهو من اعلى جبال الدنيا ارتفاعه نحو ٩٠٠٠ قدم وفي سفحه مدينة نزوى مركز الامام .   ودمتم لأخيكم : سليمان الباروني

١ — مكرر٢ — رسالة منه الى المرحوم الحاج عمر العنق مـؤرخة فى ١ جمادى الثانية ١٣٤٣ من القابل - عمان ، وهذا نص محل الحاجة منها هنا :

منذ وصلت القابل أعني شهرين وانا ملازم الفراش ولمدة ٧ ايام حصل الشفاء والحمد لله ، ولـكننى بقيت عظما وجلداً ومتى قدرت على الركوب رجعت الى

مسقط لمقابلة جلالة السلطان لأنه رجع من الهند ثم أعود الى الجبـــل الاخضر لطلب اميره وجماعته بالحاح .   ودمتم لأخيكم سليمان الباروني

١ — مكرر٣ — رسالة منه مؤرخة في ١٤ جمادى الثانية ١٣٤٣ الى الاخ المرحوم الحاج عمر العنق تفيد ظهور الخطر المهدد لصحته ، وهذا نص محـــل الحاجة منها :

. . . شرفني كتابك المؤرخ فى ١١ ربيع الثاني وادخل علي سروراً كبيراً بارك الله فيك وشفاك .

وأنى قد لازمت الفراش ٥٥ يـوما ثم ١٠ ايام والآن في عافيـة الا انى لا أطيق الركوب للرجوع الى مسقط لملاقاة عظمة السلطان فقد ورد الي منه جواب امس في وصوله من الهند ، ومتى حصلت القوة على الركوب توجهت ان شاء الله

الامير عيسى بن صالح وانجاله والاستاذ الشيخ سعيد الكندي يهدونـك والاخوان اوفر التحية . لا تقطع المكاتبة . ودم سالما لأخيك : سليمان الباروني

٢— رسالة منه اليه من بغداد مؤرخة فى ٢٦ محرم ١٣٤٨ ، وهذا نص محل الحاجة منها :

اما بعد فانى بخيروصلت البحرين والبصرة ثم بغداد . سيفحص كيمياوي المستشفى الملوكي اليوم دمى ليتحقق العلة (وما هي الا الملاريا والطحال) وغـداً اباشر استعمال الدواء ، اما صحتى بعد خروجي من مسقط ففـي تقـدم سريع . وكانني اليوم ما بى شيء ولا مرضت والحمد لله (لله هواء وحر عمان ما أشدهما واقساهما على الغريب)

والله انى اذا افتكرت انى سأعود الى عمانـــ اندهش وكـأنى ارى نفسي قادما على يوم المحشر لما كـنت اقاسيه من ألم مستمر وتقهقر فى صحتي يوما فيوما وعدم تلذذي بأي شيء من اكل وشرب ونوم .

اما الآن فأجد والحمد لله كل شيء لذيذاً ، انما هناك الانس والطمأنينة ولذة الاجتماع بالاخوان الخلص والتعاون بل والجدال معهم في كل وقت على الاصلاح ، وفي ذلك لذة اخرى تنسيني الألم وكل تعب ، وقد جاءتني الرسل الخصوصية من الرؤساء واطراف عمان ومن حضرة الامام والاستاذ الكندي قاضيه والشيخ عيسى يعترضون علي سفري خوفا من التعطيل وقطع الطريق عني لكن الرسل وجدتني فى غمرة من المرض وحالة حملتهم على قبول عذري ولزوم سفري للتداوي والتخلص باذن الله من هذا الداء الملازم . الخ

من اخيكم : سليمان الباروني

٢ مكرر — رسالة منه الينا معا مؤرخة فى ١٩ ربيع الاول ١٣٤٨ صادرة من بغداد ، وهذا نص الحاجة منها :

قدمت اليكم مع البريد الجوى كتابا باسم السيد الحاج عمر لاني لا أعرف العنوان الجديد للاستاذ بعد تعطيل الوادي ، ارجو انه وصلكم . وقد عادت الي صحتي والحمد لله الا ان الاطباء حذروني من الرجوع الى مسقط وعمان ، ولكني سأتذرع بالادوية واستصحب المقدار الكافى منها توقيا من رجوع الداء والله الواقي ، وأعود بعد ١٠ ايام على الاكثر . فان دامت لي هذه الصحة بقيت لاتمام ما انا بصدده وأن ظهر شيء من امارات الداء بادرت بالخروج .

سلامي الى الاخوان كافة . ودمتم فى رعاية الله ، وليكن جوابكم الي مع البريد الجوي الى مسقط .

من اخيكم سليمان البارونى

٣ — رسالة الى الاخ المرحوم الحاج عمر العنق بتاريخ ٢٨ ربيع الثانى ١٣٤٨ تفيد رجوعه من بغداد الى عمان وهذا نص الحاجة منها :

أحرر هذا والسيارة واقفة لاقصد الباخرة المتوجهة الى مسقط ، صحتي الآن فى غاية ما يرام والحمد لله ، وسأنظر هذه المرة فاما الاقامة الدائمة في عمان

اذا دامت صحتي ، واما هجرها بتاتا اذا عاد ماكان بى ، قدر الله الخير . الخ

البصرة سليمان البارونى

٤ — رسالة منه الينا بتاريخ ٢٥ جمادى الثانية ١٣٤٨ من سمائل تفيد وصوله اليها من بغداد ومعاودته مرضه وهذا نصها :

رجعت الى سمائل من بغداد مخالفا نصيحة الاطباء في عدم الرجوع اليها الا بعد مدة فبعد وصولي بشهر ونصف عاودنى الالم المعهود بشدة قاسيت به اولا ما الله به اعلم ، ثم هان باستعمال الدواء ، وأمكنني اليوم ان اكتب اليكم هذا المختصر بتعب ، وساداوم تناول الدواء الى ان اتم اشغالي اللازمة واجدد الخروج قبل رمضان لكن الى أين ؟ لا ادري والامر لله . طردت من المغرب الى المشرق ، والآن اطرد بالملاريا من المشرق فالى أين ؟

سلامي الى الاخوان كافة مع قبول العذر . من اخيكم سليمان البارونى

٥ — رسالة منه لاخيه هذا من سمائل بتاريخ ٢٠ ربيع الثانى ١٣٥٠ تفيد تحسن صحته مدة ٣ اشهر تامة وتبشر بوصول ابنه ابراهيم اليه والتحاق عائلته اليه قريبا ونصها : بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة العلامة المحنك المجاهد بقامه ولسانه في سبيل دينه ووطنه الاخ الشيخ ... دام موفقا .

السلام عليك ورحمة الله وبركاته .

اما بعد — فانى في صحة ولله الحمد ، لم يعاودنى الالم المعهود منذ ثلاثة اشهر ، وهذه اول مرة بقيت فيها صحيحا اكثر من شهر واحد منذ ٧ سنين

وصل ابننا ابراهيم من الاسكندرية زائراً بعد ان أذنت له ايطاليا فزار العائلة فى الجبل بعد فراق دام تسع سنين والحمد لله ، وانا الآن في انتظار وصول العائلة فقد ورد منها من مدة كتاب بان ايطاليا اذنت لها في السفر

فبارحت الجبل قاصدة الينـــا على طريق اسكـندرية وبيروت والشـــام وبغداد والبصرة ، نسأل الله لها السلامة وجمع الشمل الذي شتته تحكم دول الحلفاء علينـا خاصة اكثر من عشر سنين ، ولله الامر من قبل ومن بعد .

سلامي الى الاصدقاء كافة .   ودمتم لأخيكم : سليمان الباروني

قلت — لتلفت نظر الاخ الملاحظ الى ان الباروني باشا كان يتحمل وطـأة مرض نفسه فقط على نفسه ، وفيما يلي وبعد أمد قليل واثر وصـول عائلته الى عمان من الجبل وأنسه بجمع شمله هناك ، يعود فيتحمل اثقـال مرضه واثقـال مرضها معا في آن واحد فيزدوج الالم وتعظم البلوى فينقلب الانس بؤسا والفرح ترحا ، وهكـذا يتعاظم الابتلاء بقدر تعاظم الدرجات ، فخذ واقرأ واعتبر :

٦ — رسالة منه الى المرحوم الحاج عمر العنق مؤرخة في ١١ رجب ١٣٥٠ تفيد وصول عائلته اليه وما قاساه اوان وصولها من المتاعب والمشاق . وهذا نصها

... وصلت العائلة يوم ١٢ جمادى الاولى ويوم ٢٠ قصدنا سمائل ، لـكن لما بلغنا في السيارات نهاية الطريق المهد تحركت بعض ءالام على البعض واصابت الحمى بعضنا فاقمنا هناك شهراً ولما بلغ البعض درجة الخطر رجعنـا في سيارات الى مسقط ، وباشرت دكتورة امريكانية في العلاج فشفي البعض من يومين والباقون تحت التداوي وقد زال الخطر وصحة الجميع في تقدم والحمد لله .

قررت اقامتهم في مسقط الى نهاية الشتاء لتوفر اسباب الراحة خصوصا من جهة المأكول والله الحافظ .

وربما أصل الى سمائل بعد اسبوع أقيم شهراً وأعود .

والسلام على الاخوان والاصدقاء وانجالك واخوتك الـكرام والى الاستـاذ الـكامل وبقية اخوان الصفا ، ومن هنا ابراهيم ويوسف والاصحـاب يسلمون واعذرني فقد حررته والباخرة على جناح السفر بالبريد . من اخيك الباروني

٧ — رسالة منه الينا مؤرخة في ٢٧ شعبان ١٣٥٠ تفيدنا ما يقاسيه من المتاعب بامراض العائلة ، وهذا نصها :

... بلغتني كتبكم الكريمة واني في صحة والحمد لله ، الا ان العائلة لا تزال تحت التداوي بواسطة دكتور مسلم هندي بعد الدكتور الامريكاني والدكتورة والشافي هو الله وحالهم على العموم في تحسن بطيء .

الا ان جدة الاولاد البالغة من العمر الثمانين قد وافاها المنون يوم ٢٦ شعبان بعد مرض ايام قليلة كان يطرقها اذ كانت بالاستانة وزوارة ولم تنفع فيها هذه المرة ادوية لانتهاء الاجل فكدرنا ذلك ولا حيلة مع القدر فسبحان من تفرد بالبقاء وقهر الخلائق بالافناء القائل في كتابه الكريم وهو اصدق القائلين « كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون » الخ والسلام

من اخيكم سليمان الباروني

٨ — رسالة منه للمرحوم الحاج عمر العنق من سمائل مؤرخة فى ٢٠ ذي الحجة ١٣٥٠ وهى تعبر عن اقسى واقصى ما يعانيه البارونى باشا من المتاعب والآلام لمرض جميع افراد عائلته وهذا نصها :

... انى في صحة ولله الحمد مضت هذه السنة ولم ار الالام المعهود اثرا ولعله لا يعود بحول الله ، العائلة كما علمت وصلت مسقط وظننت اني ظفرت بالغنيمة ، اجتمع الشمل المشتت منذ عشر سنين وحصل الانس والراحة وتخلصت من الاسر . لكننا نريد والله يريد !! « تجري الرياح بما لا تشتهي السفن »

ما كادت تصل مسقط حتى اصاب افرادها جملة وهم ثمانية حمى الملاريا ثم ضمت اليهم ابراهيم الذي سبقهم فصاروا تسعة وبعد معاناة شتى الآلام وتردد الاطباء ووفاة جدة الاولاد واختلال عقل احدى البنات واعتلال صحة الباقين اضطررت الى نقلهم الى بغداد بعد ان قالت لي الطبيبة ان هؤلاء كلهم اصبحوا

لقمة بين شفتي الموت فاذا لم تخرجهم مع الباخرة المتوجهة بعد يومين الى البصرة فانك ستقدم كل اسبوع واحداً الى المقبرة اذ لم يعد الدواء مفيدا لهم اذنزلت درجة دمائهم الى ٣٠ و٣٥ من ١٠٠ واصبحوا لا يقبلون حليبا ولا ماء ولا لحم ولا غيرها من القوت فاصبحت مشتغلا بجوازات سفرهم وتوجهوا كلهم وهم عظام تضمها جلود فقط ، لم يقدروا ان يدبوا من داخل البيت الى بابه ليركبوا السيارة الى المرسى ، وما صعدوا سلم الباخرة الا بتعب لايوصف .

وصلوا البصرة فبغداد وبدأت صحتهم في التحسن حسب جوابهم الاول ، لكن بعده جاء تلغراف في طلب قدومي بسرعة لأن ابراهيم مريض جداً ، وقد ذكروا في الكتاب الاول انه حصل له تغير في عقله كما جرى لاخته في مسقط (لكنها شفيت وعاد اليها عقلها في بغداد) لذلك انى الآن استعد للالتحاق بهم في بغداد اذا يسر الله (وما تشاءون الا ان يشاء الله . وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم) هذا ما انا فيه الآن . اللهم انا لا نسألك رد القضاء لكن نسألك اللطف فيه .

٢٠ ذي الحجة ١٣٥٠ سمائل . تأخر الجواب الى ان وصلت اليوم مسقط قاصداً بغداد لأني وجدت كتابا هنا من الاولاد في لزوم قدومي لأن حالة ابراهيم العقلية سيئة جدا والامر لله والسلام .

٢ محرم ١٣٥١ سليمان الباروني

٩ ــــ رسالة منه لاخيه هذا مؤرخة في ٢٥ صفر ١٣٥١ صادرة من بغداد وهي تبشر بانفراج ازمة المرض قليلا عن العائلة ، وهذا نصها :

... تلقيت بيد السرور كتابك الكريم المؤرخ في ١٤ ذي الحجة ١٣٥٠ وانا مشتغل فى التأهب للسفر الى بغداد اجابة لطلب العائلة اياي بالتلغراف لاشتداد المرض بدنا وعقلا بابراهيم

وبعد مراجعات تلغرافية بين قنصل بريطانيا ومرجعه جاء الاذن تلغرافيا ، فقصدت بغداد ووصلتها ليلة ١٤ صفر وكان سروري عظيما لما رايت ابراهيم يتقدم للسلام علي في المحطة وهو صحيح الجسم وقد زال ما كان به من التخيلات بتأثير الملاريا والحمد لله .

اما بقية العائلة كلها ففي صحة الا ان بقايا حمى خفيفة لم تنقطع عنها والحر في بغداد وان كان شديداً لكن وسائل الراحة متوفرة والعنب والتفاح والبطيخ بانواعه وغير ذلك كثير ورخيص وهواء الليل البارد الذين قد ينسي حر النهار .

واني في شغل من امر العائلة ، فان في اعادتها الى عمان بعد التجربة خطراً على حياتها ورجوعها الى طرابلس على الحالة السابقة رجوع الى الاسر والتشتت الذي كنا نتألم منه وبقاءها في بغداد وانا في عمان حمل لا اطيقه ، فان اجرة البيت الذي نزلت فيه (في المعظم) مع صغره وعدم وجود بستان فيه تبلغ نحو الخمسين ربية ، وفيه الماء والكهرباء ولا يصلح للاقامة على فرض نية البقاء فنحتاج الى اجرة اكثر مع ما يلزم من الاثاث .   سليمان الباروني

٩ -- مكرر ٢ رسالة منه للمرحوم الحاج عمر العنق مؤرخة في ٢٢ ذي القعدة ١٣٥١ وهذا نص محل الحاجة منها :

اما بعد -- فان العائلة كلها طيبة الا البنت التركية التي ربيناها فانها لا تزال مريضة فادخلناها المستشفى وبعد معاينتها باشعة رونتجن قرر الاطباء اجراء عملية جراحية فشقوا على معدتها واستخرجوا ما شاهدوه بالاشعة وخاطوها وبقيت مغمى عليها يوما وليلة ثم تنبهت وصحتها في تحسن وربما تبارح المستشفى بعد اسبوعين والحمد لله ، ودمتم في رعاية الله من اخيكم المخلص

سليمان الباروني

٩ مكرر ٣ — من رسالة منه لأخيه هذا مؤرخة في ٤ محرم ١٣٥٢ وهذا نص محل الحاجة منها :

سألت عن علاقتي بعمان ؟ هي باقية واني اعدهم بالرجوع عند الفرصة والحقيقة اني لا اقدر في الوقت القريب وما دمت في هذه الوضعية فأني ذقت لذة الصحة والحمد لله فلم يطرقني ألم منذ دخلت بغداد وكنت في عمان الازم الفراش اسبوعا على الاقل في كل شهر من اشهر الصحة اما اشهر المرض فقد تتوالى الى ٣ اشهر حتى لا يبقى بي الا العظم والجلد . الخ والسلام من اخيكم

سليمان الباروني

١٠ — رسالة منه الينا من بغداد مؤرخة في ١٣ صفر ١٣٥٢ تنبيء عن معاودة الحمى لأبنه ابراهيم وغير ذلك ونصها :

حضرة اخوان الصفا دام عزهم . السلام عليكم ورحمة الله

اننا في خير وصحة ولله الحمد الا ما لابد منه من تغير المزاج احيانا لأسباب .

ورد من ابراهيم جواب بان الملاريا عاودته كالسابق وطلب اذنا في السفر لتبديل الهواء والتداوي فلاقى في ذلك معارضة شديدة ولعل ذلك لالجائه الى الاستقالة وسيستقيل اذا لم يجيبوا طلبه ، ويقدم خوفا من ان يقع فيما وقع فيه قبل والامر لله ما شاء كان .

سأضطر للسفر الى عمان اذا جاء ، والا اصبحنا في وضعية لا يمكن وصفها ، اللهم لا اعتراض على حكمة الله .

نحن من المغرب وحياتنا معلقة في المشرق ! لكن أين ؟ في دواخل عمان بيننا وبينه بحر وبر وهي بين انياب حمى الملاريا الخبيثة الفتاكة وبعد سفر طويل فلا حول ولا قوة الا بالله

تأسفت لتعطيل « النور » ولعل الله يمن بعده بالضياء . تحيتي الى الاخوان كافة ، سأكتب لكم اذا قررت السفر ، رسائلكم كالسابق الى بغداد حتى اذا سافرت لتلحقني حيث أكون والسلام . من اخيكم : سليمان الباروني

١١ — رسالة منه الى المرحوم السيد الحاج عمر العنق مؤرخة في نفس التاريخ المذكور ، وهذه الرسالة في معنى الرسالة المذكورة انفا وتزيد عنها ما نصه :

شرفني كتابك الكريم من قسنطينة وقد كنت غير مسرور من انتقالك من وارجلان وعدم ثباتك فيها لكني عذرتك لما فهمت ان السبب هو الحمى وقا الله الجميع شرها فان معها لا يهنأ عيش ولا يمكن القيام باي عمل نافع مهما تجلد الانسان او صبر كان الله فى عونك في ارشاد التلامذة وتهذيبهم وارجو اتصال كتبك مع الامكان .

١٢ — رسالة منه الى اخيه هذا مؤرخة في ٢٣ جمادى الثانية ١٣٥٢ من مسقط وهى تفيد معاودة الحمى لابراهيم وحيرته به وبالعائلة مع هذه الحالة ، وهذا نصها :

عاد الي الالم كعادته حتى اكتويت كما ذكرت لك قبل هذا ، والآن فى عافية والحمد لله . طلبت من مسقط مع رسول خاص لان ابراهيم عاوده مرضه الاول فاتيت وقد زال ما به والحمد لله .

واذ صادف وجود رفيق الي قرب البصرة قررنا توجهه لتبديل الهواء شهرا واستصحاب العائلة كلها لتعيد الكرة على مسقط ، فان استراحت فذلك المراد والا اضطررنا للخضوع لشروط ايطاليا فيعود بها ابراهيم من هنا على طريق عدن واسكندرية

هذا فكرنا الاخير والامور بيد الله ، نسأله اللطف فى قضائه ، وهو مسافر

مع الباخرة الحاملة لهذا اليوم صاحبته السلامة . سلامى وسلامه وسلام الاصدقاء كافة اليك والى الاخوان الـكمل .   ودمتم لأخيكم : سليمان الباروني

١٣ — رسالة منه الى اخيه هذا مـؤرخة في ١٣ رجب ١٣٥٢ حول موضوع الرسالة السابقة ، وهذا نصها :

... عرفتك من مسقط بعود الألم الي ثم عاد الى ابـراهيم مرضه وحسب نصيحة الدكتور وقنصل بريطانيا بعدم سفره وحـده اضطررت لمصاحبته فوصلنا اليوم (الخميس ١٣ رجب) البصرة .

وقد تحققنا ان هذه البلاد « عمان » ستقضى على اجسامنا وعقولنا معا ، والامر لله ما شاء كان !

اما انا فلا ملجأ لي غيرها ، واما الباقون فسأنهي مسألتهم هـذه المرة اما الى مصر واما الى طرابلس ، وان كان فى ذلك ما هو خارج عن طاقتى ، ولا ملجأ من الله الا اليه وما تشاءون الا ان يشاء الله .

جوابك الى بغداد كالسابق .   من اخيكم سليمان البارونى

١٣ مكرر — رسالة منه للشيخ امتياز ابراهيم مؤرخة فى١٢ شوال ١٣٥٢ من بغداد وهذا نصها :

اما بعد ـ فاننا بخير ولله الحمد ، وقد شفى ابراهيم مما ألم بـه فى مسقط ، وذلك بواسطة دكـتور طرابلسي رئيس المستشفى العسكري فى بغـداد فانه لما بلغه خبر وصولنا من مسقط وما طرأ على براهيم من تغير المزاج والعقـل جاء وقدم نفسه لمداواته متبرعا لذلك بارك الله فيه فنجح علاجه والمنة لله .

والسلام من اخيكم سليمان الباروني

١٤ — رسالة منه الى اخيه هذا مؤرخة فى ٢٨ ذي الحجة ١٣٥٣ تحمـل فيما تحمل تأثره من حال بعض امراء ءال عثمان وما ءالت اليه ، وهذا نصها :

. . . وصل جوابك الكريم المورخ في ١١ ذي الحجة وسررت به

أكتب هذا مضطربا لاني تلقيت رسالة من احد امراء ءال عثمان الساكنين فى الشام يصف لي ما هم فيه من البؤس والشقاء وانه عزم على التوجه الى الشرق والزنجبار لأستجداء ما يسد به رمق عائلته وطلب مني كتاب توصية وتعريف به الى سلطان زنجبار وغيره ممن اعرفهم فذكرني اياما تناسيتها ورثيت لحالهم ، والامر لله ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم لا راد لقضائه والسلام

من اخيكم سليمان الباروني

١٥ — رسالة منه الى اخيه هذا مورخة فى ٢٠ ربيع الاول ١٣٥٥ من بغداد ، وهذا نص محل الحاجة منها هنا :

خرجت ام زكريا من المستشفى امس الاول على ان تتردد عليه يوما بعد يوم لاتمام العلاج وصحتها وصحة ولدها على ما يرام والحمد لله

اما فحص دم ابراهيم فقد دل على سلامته من الامراض وانحصرت المسألة فى مرض الاعصاب بدرجة سهلة التداوي على رأي الدكتور ورفقائه ، ولكونه الى اليوم لم يقبل تناول ما يأمره به الدكتور من الادوية قرروا ان يعالجوه بالحقن ولو بالقوة كما اخذوا منه الدم بالقوة وحالته الآن كما كان فى البيت لا شغل له الا تلاوة القرآن بالمصحف ويصبح احيانا صائما خلافا لنصيحة الدكتور والمأمول شفاؤه قريبا ان شاء الله . ودمتم فى عز موفقين من اخيكم

سليمان الباروني

١٥ مكرر — رسالة منه الى اخيه هذا مورخة في ١٦ جمادى الثانية ١٣٥٥ صادرة من بغداد تنبىء عن حالة ابراهيم والعائلة وهذا نصها :

خرج ابراهيم من المستشفى ولازم البيت وقد زال ما في البيت من الامراض ، والبنت التى مضى عليها اكثر من سنة وهي على الفراش بدأت منذ

شهر تصعد بنفسها الى السطح للنوم والحمد لله .

اشار علي الطبيب (اسما فقط) باخـراج ابراهيم من المستشفى فاخرجته وندمت اذ اصبح ملازما البيت ومشاغبا اكثر من ذي قبل ، وهـو مصمم على طلب السفر الى مسقط سبب بلائنا الذي نخوض فيه الى اليوم فلم اعارضه اتقاء للخطر الذي ربما يحدث من المعارضة ، ولم يبق أمل فى رجوعه الى المدرسة او الوظيفة ، وقد أيست منه او كدت . سلامي الى ءالك والاخوان كافة اينما كنت .

ودم موفقا لأخيك سليمان الباروني

١٦ — رسالة منه الى اخيه هذا مؤرخة فى ٣ شعبان ١٣٥٥ تشف عن حالة ابراهيم السيئة وهذا نصها :

. . . ثم ان ابراهيم قد عاوده الداء بعد خروجه من المستشفى بصورة اشد ضرراً من قبل فاضطررت الى اعادته الى المستشفى واصبحت فى تعب وتفكر اكثر من السابق والامر لله ما شاء كان ، قرب الله ما فيه الفرج . والسلام

من اخيكم : سليمان الباروني

١٧ — رسالة منه الى الشيخ امتياز ابراهيم مؤرخة في ٢٩ رجب ١٣٥٦ تنبيء بحدوث مرض ضغط الدم له وبحالة ابراهيم السيئة ، وهذا بعض ما فيها :

. . . اما بعد — فاني منذ اكثر من شهر ملازم البيت منقطع عن القراءة والكتابة باشارة الاطباء لأني اصبحت فجأة بالالم المعروف بضغط الدم بعد كتابتي للمقال الذي نشر فى الشباب في حق ٢٣ طرابلسيا الذين سلمتهم فرانسا في تونس لايطاليا ، وبعد الاشراف على الخطر من هذا المرض سلم الله ولا زلت أتناول العلاج ٦ مرات في اليوم ، وبالامس أذن الطبيب بالكتابة والقراءة بصورة غير متعبة فبادرت بهذا المختصر .

ابراهيم خرج من المستشفى ونزل في اوتيل باشارة الطبيب الى ان يسافر

لتبديل الهواء لكنه لم يفتح له طريق الى الشام ولا مصر تبعا لمنعي انا قائلين : « الولد نسخة من ابيه » والامر بيد الله ·

تحيتي الى الاخوان خصوصا الخواص منهم . واقتصر الآن على هـذا لانى سأكتب جوابات رسائل كثيرة وردت وبقيت متراكمة ، وبعـد الاستراحة التامة اكتب اليك ودم موفقا .

من اخيك سليمان البارونى

١٨ — رسالة منه للشيخ ابراهيم امتياز مورخة فى ٣ ذي القعـدة ١٣٥٦ وهذا نص محل الحاجة منها هنا :

. . . تحرك علي فى هذه الايام ضغط الدم كأول مرة فحرمني الطبيب من اللحم مطلقا بعد ان اذن لي فى قليل من لحم الدجاج والسمك مرتين فى الاسبوع كما منعني من الارزة مطلقا ومن القهوة والشـاي والبيض ، واقتصر على الحليب والفواكه والخضر وقليل من الخبز واهجر الكتابة والقراءة الا قليـلا ، وفي هذا الآن كفاية ، ودمتم فى خير ، حرر مستعجلا

من اخيكم : سليمان البارونى

مراجعات البارونى باشا للحلفاء

رغم أن وضعت حرب ١٩١٤ — ١٩١٨ اوزارها ، ورغم انعقاد الصلح بين دول الحلفاء واعدائها ، ورغم رجوع المياه الى مجاريها بعد ذلك بين الدول المتحاربة من قبل .

وبناء على ما لكل سياسي من الحق في الالتجاء الى اي دولة من الدول الكبرى على شروط يلتزمها لها ، فان الباروني باشا خاصة قد حرم من هذا الحق الشرعي منذ ان كان فى اسر الحلفاء من سنة ١٣٤٢ — ١٩٢٣ بين مرسيليا وباريس .

فقد طرق منذ ذلك الحين ابواب المراجع العليا فى باريس ولندرة مراراً وتكراراً عسى ولعل ان تفتح واحدة منها فى وجهه ابواب بعض بلاد مستعمراتها مثل الجزائر وتونس ومصر وسوريا ، كما سبق لنا الالمام موجز بذلك فى صفحة ١٩١ من الجزء الاول ، ولكنها لا تزداد بذلك الا اصراراً وتعامياً وكلما ألح عليه المرض في عمان وبغداد فزاد في الطلب والالحاح في ذلك . ازدادوا هم عتواً وعناداً ومكابرة ، رغم الوسائط العليا والوعود البراقة .

وهكذا استمر دأبه ودأبهم كلما أحس بالحاجة للراحة والاستقرار وجمع شمل عائلته وشعر بهذا الامل يداعبه وبالاجل يطوف حوله ، كان ذلك الاصرار تلعب نشوته في رءوسهم تحت تاثير القوة والقسوة ، لا احساس لهم يشعر ولا عرق ينبض ولا أذن تسمع .

فكان هو ازاءهم بالالحاح وهم ازاءه بالتجاهل والدلال ، كما كان ذلك الشاعر ازاء الغادة الحسناء اذ يقول :

اذا ما نهى الناهي فلج بي الهوى   أصاخت الى الواشي فلج بها الهجر

وفيما يلي ننشر بعض رسائله فى هذا الشأن كنماذج طبق خطتنا في هذا

الكتاب ليطلع الاحرار على ما يقاسيه الرجال الكبار من عنت الاستعمار في عصر المدنية والازدهار ، مقتصرين على المفيد دون الديباجة والخاتمة .

١ — رسالة منه للمرحوم السيد الحاج عمر العنق مورخة فى ٢٨ محرم ١٣٤٥ صادرة من سمائل يسكب فيها عاطفته نحو اخوانه بميزاب ويرجو منهم التوسط لدى المراجع العليا الفرنسية لاعطاء الرخصة له للدخول الى تونس او الجزائر لاستقراره فيها بعائلته بضمانة معتبرة . وهذا نصها :

اني بخير لولا تردد المرض المعلوم احيانا ، وانا فى سمائل بحضرة الامام اعزه الله ، لكنه يأتي ولله الحمد خفيفا وبدون حمى .

في هذه الساعة تلقيت بيد الاحترام كتابك الكريم تاريخ ١٣ ذى الحجة من القرارة وسررت به ايما سرور وتلي مع الكتاب الوارد من الاخوان بتونس فى مجلس الامام وكانا محل اعجاب ، وكان السرور مضاعفا بما حصل من التدرج فى الغاء الجندية بهمة رجال الاتحاد الميزابي وانصات الوالي خفف الله على كل مغلوب مصائبه .

انى في شوق لا يوصف الى تلك الديار العامرة والى الاجتماع بالاخوان الافاضل الذين لا انسى ما عشت ذكرهم سهل الله ذلك .

ولو يتوسط بعض القواد والعزابة لدى الحاكم فى حصول الاذن لي في الدخول الى تونس او الجزائر بضمانة معتبرة ، ما أظن ان الدولة ترد طلبهم لاسيما اذا كنت مع عائلتي واولادى الذين هم لا يزالون فى طرابلس بمنزلة الاسارى مع اخى الشيخ يحيى ، فلو تفكرون فى هذا الامر بعض اهل الهمة لا أرى باسا فيه من جانب الدولة . ودمتم فى عز لاخيكم : سليمان الباروني

٢ — رسالة منه اليه منها مورخة فى ٩ جمادى الاولى ١٣٤٥ وهي تتضمن نفس الموضوع الآنف الذكر وهذا نصها :

. . . انی في خير ولله الفضل ، تلقيت كتابك المؤرخ فی ٢٤ صفر بكل سرور اذ دل على صحتك وتحسن احوالك وهناء البلاد وخصبها وراحة الاخوان والحمد لله على ذلك كثيراً ، سلامى الى الاخوان العلماء والرؤساء والجماعة .

اني اتمنى كثيراً ان تسمح لي الدولة الفرنسية بتوسط الاخوان ان أنقل عائلتى الى تونس لآتيها بنفسي وانقلها الى هنا . اذ لا يخفاكم طول الطريق وصعوبته وتنقلاته مع عدم وجود من يرافقها ، ويكون ذلك وسيلة للاجتماع بالاخوان ولو شهراً واحداً نزيل به ألم الشوق المتراكم والفرقة الطويلة ويكون دليلا على تساهل فرانسا ، ولا أظن انها ترد رجاء رجال ميزاب في هذا السبيل ولا أظنهم يبخلون بجاههم فی مسألة بسيطة كهذه لا يلحقهم منها الا اظهار المروءة والثواب فعرفنى برأي اهل الفضل والجاه عند الدولة في هذه المسألة .

من اخيكم سليمان البارونی

٣ — رسالة منه اليه من بغداد مؤرخة في ٢٦ محرم ١٣٤٨ وهذا نص محل الحاجة منها هنا :

ارجو ان اتوفق وانا هنا ـ بغداد ـ الى حل الابواب المغلقة أمامي من طرف الدول المتحالفة ، وقد شممت امكان ذلك وسأسعى والله الموفق .

ودم في رعاية الله من اخيك سليمان الباروني

٤ — رسالة منه الينا مؤرخة فی ٢٨ ربيع الاول ١٣٤٨ تبشرنا بانفتاح باب مصر امامه وهذا نصها :

. . . ابشركم بانه فی هذه الساعة اخبرنی قنصل مصر بورود جواب حكومته بالموافقة على دخولي مصر مدة ثلاثة اشهر ، وعلى كل حال بعد دخولي يسهل تبديل القرار والحمد لله على فتح ما كان مغلقا ، وقد اخبرتكم بحصول الاذن الى الشام وارجو ان يفتح باب تونس فيتم المراد ويحل العقال ، وما ذلك

على الله بعزيز .

جاءتني بالامس كتب الامام ورؤساء عمان كافة في سرعة رجوعى للمذاكرة في امور مهمة . وبعد ٥ ايام ابارح بغداد باذن الله ، وبعد تنظيم اموري في عمان اجدد الرحلة الى مصر للنظر فى مسألة المطبعة والكتب المغلق عليها مدة ١٨ سنة وفي امر العائلة ، والله الميسر . من اخيكم سليمان الباروني

٥ — رسالة منه الى اخيه هذا من بغداد مؤرخة في ٢٨ ذي القعدة ١٣٥٢ وهذا نصها :

. . . مذ وصلت بغداد لم ار منك خطابا رغما عن تعدد كتبي الموجهة اليك ووصولها اذلم تعدالي ، ولعل ضيافات الوطن ومجالس الانس مع الاخوان انستك من بعد عنك ادام الله أنسكم

قبل يومين زارني كبير من مشاهير فرانسا بواسطة السفارة الفرنسية يصحبه واحد من كبار الحكومة ، وبعد حديث وشرب قهوة ، قال انه مسافر صباح تلك الليلة الى باريس وأظهر تأسفه مما بلغه من سد فرانسا ابواب مستعمراتها امامي ووعد بان فى امكانه ازالة هذا السد ، وانـه سيسعى في ذلك على اثر وصوله حتى تمكنني الاقامة فى تونس او الجزائر الخ ، وربما يوجه اليكم او الى بعض الاخوان سؤال فتظنون ان وراءه خطراً ، حررت هذا اليكم لتكونوا على علم . والسلام من اخيكم سليمان الباروني

٦ ـ رسالة منه الينا من بغداد مؤرخة في ٥ شوال ١٣٥٣ ، وهذا نص محل الحاجة منها هنا : قال

زرت وزير فرانسا يوم ١ ديسامبر فاحتفل بي كثيراً وقال : ان الصديق المستشرق قد صرف جهده فيما وعد به كما فعلْ هو ايضا لكن الوضع السياسى الحاضر وتشدد ايطاليا فى المعارضة بصورة لا توصف راينا من الاوفق الانتظار

الى ان تنحل هذه المشكلات ، ثم وعدني بانه سيجدد الكتابة ولو بالاذن الى مراكش فشكرته فليكن ذلك في علمكم .

٧ ـ رسالة منه الى الشيخ امتياز مؤرخة في ٢١ صفر ١٣٥٥ من بغداد وهذا نص محل الحاجة منها :

اخبرتك قبل بانقطاع المخابرة مع الطليان على الاذن للعائلة فى الرجوع بسبب الحرب واذ خرجوا منها ظافرين بهذه السرعة العظيمة فلا اظنهم الآن يتساهلون في شيء ، وأني افكر في فتح الكلام معهم مرة اخرى والتساهل لان البقاء في بغداد اصبح عبثا ووخيم العاقبة مادة ومعنى

اما مراجعتى لفرانسا على تونس والجزائر فقد صرفت النظر عنها لانها اصبحت تتحبب لايطاليا اكثر من ذي قبل والله ولي الامر الخ

٨ ـ رسالة منه لاخيه هذا من بغداد مؤرخة في ٢ ربيع الاول ١٣٥٥ تعطينا ضوء لانقداح فكرة جديدة له في هذا الشأن ، وهذا بعض ما فيها :

تلقيت الآن جوابك المؤرخ فى ١٣ بعد ان رجعت من دائرة الوزارة لاتمام فكرة كنت ابتدأت في تنفيذها فى اليوم الذي كتبت فيه جوابك

وهي اني في يوم المولد بينما كنت غارقا في بحر التفكر في مصير هذه العائلة ألهمت رأيا لم أتوان في الشروع فيه ، وهو أن أغتنم فرصة توتر العلائق بين الدول فاطلب الجنسية العراقية (التي لم يجب طلبي فيها سابقا) ومتى حصلت طلبت جواز عراقى للسفر بعائلتي الى مصر او الجزائر لمداواة ابراهيم ، وفى الحال قصدت رئيس الوزارة ثم وزير الداخلية واخبرتهما بالواقع فاجابا بالقبول مع تسهيل ما يصعب فقدمت الطلب وجرت المعاملة في طريقها القانوني واليوم تمت المعاملات وطلب مني حسب الاصول ضابط دائرة الجوازات أن أتيه بوثائق تثبت اني طرابلسي عثماني في السابق وءاتيه بجوازات السفر التى وصلت بها العراق

فأحضرت اليه وثيقة المبعوثية عن طرابلس في مجلس المبعوثان وفرمان تعييني في الاعيان وفرمان ولاية وقيادة طرابلس في الحرب العامة وكلها في ورق كبير مكتوب بالذهب محلات بطغراء « محمد رشاد » فاندهش عند رؤيتها لانه جديد وصغير لا وقوف له على ما كان في ايام الدولة العثمانية ، فحملها الى وزارة الداخلية وحلفت اليمين اللازمة قانونا وغدا يتم كل شيء ويبدأ فتح الابـــواب المغلقة ان شاء الله .

على ان القائم باعمال مفوضية مصر في بغداد يسعى من مدة فى فسخ قرار المنع السابق ، وفي اواخر الشهر يذهب الى مصر مأذونا ، وسيسعى مباشرة لفتح الباب (١) دمتم لاخيكم سليمان الباروني

٨ مكرر ٢ — رسالة منه الى اخيه هذا مؤرخة في ١٦ جمادى الثانية ١٣٥٥ وهذا نص محل الحاجة منها :

. . . اما مسألة الاذن فالى الآن لم يات الجواب الشافي عنها وكلمـــا راجعت قيل لي المخابرة جارية واخر مراجعاتي كان بالامس فقيل لي انهم ارسلوا برقية ينتظرون جوابها ، وهكـذا اصبح اليوم عندي بتمام شهـر وكأن الاحـوال الطارئة بسبب اسبانيا عقدت المسألة ، سهل الله كل ما صعب

وما تأخرت عن الجواب الا انتظار للنتيجة التي كنت اعتقد قربها حسب قولهم اولا والامور بيد الله .

على ان تعهدي لهم بعدم اشتغالي بغير شئوني الخصوصيـة كان داعيـا الى توقيف الكتابة في وقت النزاع على التليفون عندكم ، الخ

---

١) انظر ما هو وجه الجمع بين ما هو فى الوثيقة رقم ٤ المؤرخة في ٢٨ ربيع الاول ١٣٤٨ وبين ما فى اخر هذه الوثيقة رقم ٨ المؤرخة في ٢ ربيع الاول ١٣٥٥ فهـل رجعت حكومة مصر عن اذنها الاول او لانتهاء مدته المحددة بـ ٣ اشهر ؟؟

٨ مكرر ٣ — رسالة منه الى اخيه هذا بتاريخ ٢ شعبـان ١٣٥٥ تفيد اياسه من مراجعة فرانسا ، وهذا نصها :

. . . كنت كتبت اليك من مدة ما اردت به ادخال السرور عليكم والاطمئنان من جهتي لكن مع الاسف لم يتم شيء من ذلك ، فالجواب الاخير ورد من فرانسا بعدم امكان اجابة طلبي بل صرح بعضهم لصديق لي بأن وجود اسم الباروني في شمال افريقيا مطلقا خطر محقق ، وان الايطاليين لم يغفلوا قط عن التأكيد بعدم اعطاء مجال لدخول هذا الاسم شمال افريقيا الى المحيط والا التهبت الثورة حالا الى اخر ما قاله من التهويل ، فقطعت الامل .

٩ — رسالة منه الى الشيخ امتياز ابراهيم بتاريخ ٨ ذي الحجة ١٣٥٥ من بغداد تبشر بانفتاح باب سوريا لأبنه ابراهيم وغير ذلك ، وهذا نصها :

. . . اننا في خير على ما اخبرتك به في رسالتي السابقة والحمد لله الا ان خروج ابراهيم قد تأخر الى ما بعد العيد ، وقد أحضرت له جواز السفر الى سوريا ومصر وطرابلس لكن ايطاليا لم تقبل التأشير عليه .

اما فرانسا ففعلت ومنحتني بعد مخابرات مع السفير دخول سوريا واقامة ثلاثة اشهر هذه المرة بوسيلة مصاحبتي لأبراهيم والحمد لله الذي فتح هذا القفل الذى تعطل فتحه اكثر من ١٥ سنة ، وعندما يخرج ابراهيم اسافر معه الى دمشق وبيروت واذا استحسن البقاء هناك عدت الى بغداد بعد ان ارتب له ما فيه راحته ، وان يسمح له قنصل ايطاليا وسافر الى طرابلس فذلك مراده

١٠ — رسالة منه الينا بتاريخ ٥ محرم ١٣٥٧ من بغداد ، وهذا نص محل الحاجة منها : قد تجددت المساعي للحصول على الاذن الى مصر بواسطة وزير مصر هنا (عزام بك) الذي عاد صديقا بعدما جرى بيننا ما قرأتموه قدر الله الخير .

ودمتم موفقين من المخلص : سليمان الباروني

مقام الباروني باشا

لدى الاسرة المالكة وعظماء الشرق في العراق

بالموازنة بين مقامات الرجال ، وبالمقارنة بين العظماء ، وبالمقام الذي يستحقه المترجم له - عادة - بين اولئك ، وبالمنزلة التي يتبوأها المحتفل به بين هؤلاء ، تظهر قيمة الرجل الذي يريد الباحث ان يشخصها لقرائه .

هكذا كان شأننا مع الباروني باشا ازاء من يريد ان يعرفه على حقيقته في نظرنا .

فلاجل ان ننزل سعادته في المنزلة التي يستحقها من قلوب اولي القلوب زيادة عما اسلفنا في هذا الباب فيما يخص مقامه بين رجال عمان حكومة وشعبا ، نعرض امام الاخ الملاحظ نماذج من رسائله الموجزة المتواضعة فيما يخص مقامه بين رجال الشرق عموما ورجال العراق حكومة وشعبا خصوصا ، حتى يمكن له ان يتخذ منها شهادات عليا للسمو والعظمة والكمال ، وحتى يتسنى للشباب ان يتخذوا الباروني باشا مثلا اعلى للرجولة الكاملة والاستقامة التي تهدف في هذا العصر الحاضر لسعادة الدارين معا .

وهاهي هذه على الترتيب التاريخي فيما يلي :

١ — رسالة منه الى المرحوم الحاج عمر العنق من بغداد مؤرخة في ٢٦ محرم ١٣٤٨ ، وهذا نصها :

. . . اما بعد — فاني في خير ، وصلت البحرين والبصرة ورايت من رجالهما حفاوة زائدة ، ثم وصلت بغداد فلقيت من اعيانها وعلمائها ورجال حكومتها اجلالا واحتراما واكراما لا يوصف ، واستقبلني جلالة الملك ثاني يوم وصولي استقبالا فائقا في مجلسه الرسمي .



صورة للباروني باشا وهو مع سلطان مسقط (من اليسار) وبعض من افراد عائلته



صورة له وهو يتوسط بعض عظماء العرب فى الشرق والغرب

ورايت من عناية صديقي الاستاذ الثعالبي بي ما لا يقدر ، فقــد كان على سفر من مدة شهر وما تأخر الى اليوم الا لأجلي ، وسيسافر اليوم الى طهران لتبديل الهواء ، وكانت الضيافة عنده ثاني يوم وصولي حضرها جملة من اكابر ورجال حكومة وعلماء بغداد ، وكانت بعده عند رئيس ديوان الملك ، وبعـده عند سفير مصر وبعده عند مفتي بغداد وامام مقام الشيخ عبد القادر الجيلاني .

ودم في رعاية الله من اخيك : سليمان الباروني

من وفد المؤتمر الاسلامي ببغداد ، وهو في طريقه الى الهند لجمع الاعانات لـكلية القدس وعلى رأسه السيد أمين بك الحسيني مفتي القدس في محرم ١٣٥٢ فصادف وجود الباروني هناك ، وقد نال وفد المؤتمر من جـــلالة الملك اذ ذاك حفاوة فائقة واكراما عربيا ، وكان من بين ضيوف البـــلاط الملكي الـكرماء سعادة الباروني باشا . فقد نوهت جريدة « الاهالي » الغراء الصـادرة في ٢٦ محرم ١٣٥٢ بهذه المأدبة الفاخرة تحت العنـــوان الآتي « في البلاط » قائلة : جاءنا من ملاحظية المطبوعات للنشر ـــ تناول مساء امس طعام العشاء على المائدة الملـكية في البلاط الملـكي العامر اعضاء وفد المؤتمر الاسلامي العام ، وقـد حضر المأدبة فخامة رئيس الوزراء وارباب المعالي زملائه وسماحة رئيس مجلس الأعيـان ومعالي رئيس مجلس النواب وبعض الشخصيات البارزة منهم معالي الحـاج جعفر جلبي ابو التمن وسعادة سليمان باشا الباروني ، وكان اعضاء وفـد المؤتمر الاسلامي موضع التفات صاحب الجلالة ورعايته الـكريمة .

على الهامش

حول هذه الحفاوة الملـكية وهذا التـكريم العظيم ، كان يحـوم حـول الباروني باشا ازمة اقتصادية خانقة من جراء التنقلات والاسفـار والمـداواة ، وكان يستغني اثناء ذلك ويتجمل ويصبر صبراً جميلا ، وكان بارعا في التلطف

وابتكار الحيل لأقتناء البسة القناعة والتعفف ، وكان مثالا بارزاً لأولئك «الذين احصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا فى الارض يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الحافا »

وفى اثناء هذا قص على خواص اخوانه قصصا فكاهية حقيقية للعبرة والتاريخ ، وفيما يلي نماذج منها :

١ — فكاهة حقيقة تحفظ للتاريخ :

وصلتني ثلاث دعوات : ١ — لرفع الستار عن تمثال الملك . ٢ ـ عن تمثال السعدون ـ ٣ ـ لأفتتاح حديقة الغازي (ولي العهد) فى ٢٥ محرم ، واخرى لازمة بدون دعوة لحضور استعراض الملك للجيش وتقديم التهنئة له بيوم ولادته .

ولكون حضور الجميع مع بعد الامكنة يستدعى مصروفا لا اقل من ٤٠ فرانك اصبحت متمارضا . ولما وصلت دعوة المأدبة وجبت الاجابة لانها كانت لأخص الخواص لا حسب العادة ، وكان الموجود الباقى من اجرة البيت ربع دينار وربية واحدة (٣٠ فرانك تقريبا) حفظتها للطواريء الى ان يصل من ابراهيم ما يرسله اخر الشهر فعزمت على المخاطرة بها في اجرة السيارة ، ومن حسن الحظ مر بي قصداً وزير الاقتصاد والمفتي في سيارته قبل الموعد بربع ساعة فركبت معهما وربحت اجرة الذهاب

لكن ـ ونحن فوق المائدة ـ افكر فى كيفية الرجوع فلما ودعنا الملك خرج الجميع الى بهو يدخنون ويستعدون لركوب سياراتهم فخرجت الى جهة السيارات ومنها اطلقت العنان لرجلي فى طريق الحديقة الى الباب وقطعت الجادة العمومية ووقفت حيث لا يصلني نور سراج سياراتهم حتى مرت سيارة عمومية كالترام فركبتها وحمدت الله على الربح ، هذه حيلة مشروعة مستورة فيها ربح

لكنها لم تنجح فى اليوم الثانى .

٢ — جاء الي فى البيت عضو الاعيان الرئيس الكبير مولود باشا ودعانى لحضور العشاء مع الوفد وبعض النواب ورئيسهم فاحتلت : ركبت السيارة العموميه الى بغداد وهناك ركبت عربة فاخرة الى البيت باجرة زهيدة لانه قريب وفي اثناء الاكل صرت افكر في كيفية الرجوع لان صاحب العربة ذهب لسبيله ، واذا كانت خادم الباشا بالاتيان بعربة سيأتي بها على نية الوصول الى الاعظمية وبدون ان يقاول صاحبها ، وبمناسبة الليل وعدم وجود عربات من الاعظمية ستكون الاجرة لا اقل من ربع الدينار المحافظ عليه فرجحت ان اركب مع المفتى بوسيلة محادثته فيما كان يحدثني به وعند وصولنا الجادة الكبرى اودعه على اني سأركب سيارة او عربة ، وكان ذلك لكن عند خروجنا تحركت زوبعة اثارت التراب حتى أصبح الانسان لايرى يديه من الظلام كما يجري كثيراً فى هذا الوقت فى بغداد ، فحاول ان يقنعنى بأن يوصلوني الى الاعظمية ويعودوا فلم أقبل ونزلت وظل التراب ينهال والكسوة بيضاء محددة وهي الوحيدة والغير اسود فجاءت سيارة عمومية فركبتها على ما فيها من الازدحام .

وبمناسبة الغبار والظلام طلب صاحبها الاجرة مضاعفة فقبلنا وهناك وجدت صديقا من الموظفين سبقني فسبقته لاداء الاجرة عني وعنه فصارت الاجرة الواحدة اربعا فقلت لم تفلح الحيلة كالامس ، وصلت البيت ولما قمت فى الصبح لألبس الكسوة وأخرج وجدت ظهرها أحمر بالاحتكاك بكرسي السيارة المملوء بالتراب فاحتجت الى ملازمة البيت هذا اليوم لتغسل وتحدد فتضاعفت الخسارة ولم تفد الحيلة ، ولبس الاسود في الحر غير مقبول .

٣ ـ هنا حيلة اخرى : في كل البيوت مراوح كهرباءية خصوصا مجلس النساء ومجلس الرجال وهن غاليات ويصرفن كثيراً فلنتخلص منهن ، لم نلح على

صاحبة البيت فى ادخال السلك الكهرباءي للبيت واكتفينا بسراج الغاز ولما سئلنا قلنا — وهو الحقيقة — ان صاحبة البيت عازمة على بيعه ونحن على نية السفر فلم نر وجها للخسارة لا لها ولا لنا واكتفينا بمراوح السعف .

٤ — اما الكنبات والكراسي الخشبية فأصبحنا فى مأمن من جهتها لان صاحبها صديقنا الذي قدم ذلك للعائلة مؤقتا عند وصولها من مسقط تعين موظفا كبيراً فى وزارة المالية فسكن قصراً جديداً باثاث فاخر جديد يناسب مقامه فاستراح من الاشياء التى عندنا ولو اعدناها اليه لما وجد لها محلا فهي باقية لنا ما بقينا .

٥ ـ بقي التفكر فى الولد الصغير الذي يتقاضى منا ٥ ربيات في الشهر لخدمات خفيفة من السوق ، فاذا وجدنا سببا مقبولا لايوجب الشك فى حاجتنا سنرده لوالده في ءاخر هذا الشهر ونربح ال ٥ ربيات .

أحفظ لي كل ما كتبته لك وما اكتبه ربما يأتي وقت احتاج اليها فاطلبها منك لأتذكر بها لان اكثرها لا مسودة لها عندي .لهذه المناسبة قلت ارتجالا :

تأمل يا ابا اليقظان وانظر تجد ذا البؤس في جنب الملوك
فليس المال للاجلال كاف ويكفي للعلا حسن السلوك
فسبحان الذى خلق البرايا على حكم تجل عن الشكوك

ءاه يا درهم ءاه انت أس للرفاه
كل من فى الكون قال ان في الدرهم جاه
فهو يسعى بتفان لا يبالي كي يراه
انت للانسان عون بل بك المجد تناه
انت للعلم سياج انت للاخلاق شاه
ان في الفقر شرورا ليس تحصيها شفاه

كيف تجتمع الفضيلة والبؤس فى مكان واحد؟

بمناسبة هذا السياق نسجل فيما يلي رسالة منه الينا مؤرخة في ٧ ذي الحجة ١٣٥١ لخص فيها لنا كثيراً من العبر فى هذا الباب حينما اظهرنا تأثراً عميقاً لشهادة رجل كبير له بالفضل فقال مجيبا لنا ما نصه :

. . . اننا في خير ولله الحمد ، وكذا ابراهيم في مسقط ، والمطر هنا متتابع الى الامس .

وصل كتابك الذي في طيه كتاب الاخ السيد الحاج عمر العنق وقد وصل قبله كتابك الذي أظهرت فيه استبشارك انت والاخوان بشهادة الرجل الكبير لي ولكم بالفضل (١) وذلك لعدم تعودكم امثال هذه الشهادات !!

فماذا تقولون اذا قيل لكم ان صاحبكم شهد له رسميا وزراء ٥٧ دولة فى مقدمتهن انكلتيرا وفرانسا وايطاليا والمانيا وامريكا وجابونيا والصين ، وذلك فى مؤتمر لهم يرأسه أعظم وزير انكليزي وبعد التشكر له استمدوا منه رأيه في معضلتهم التى يحاولون حلها الآن (٢)

وهم يعلمون انه مطرود من طرف حكوماتهم محرم عليه الدخول الى مستعمراتهم ومتحققون انه خاوي الجيوب ينام هو وعائلته فى هذا الشتاء على فرش مستعارة فوق حصر من نوع ما يفرشه افقر فقراء العراق ، وليس فى بيته الا ثلاثة كراسي قديمة وثلاث كنبات كذلك والجميع مستعار من صديق له . ولا

---

(١) هو الخديوي عباس حلمى اذ اجتمع به هناك بعد ان اجتمع بنا هنا وصرح له بتصريحات عظيمة تخصه وتخصنا كما اشرنا الى شيء من ذلك في جريدتنا « وادي ميزاب » عدد ٧١ فى ٢٥ فيفري ١٠٢٨

(٢) هو مؤتمر نزع السلاح الذي ترأسه في جينيف المستر « هاندرسون » وزير خارجية انقلتيرا تحت اشراف عصبة الامم ومعضلتهم هى قضية « نزع السلاح » وسياتى شهاداتهم للباروني باشا وجوابه لهم في محله ان شاء الله .

يذوق طعم اللحم الا مرة في الاسبوع ، وقد دعته الضرورة الى اجراء عملية جراحية في المعدة لبعض افراد عائلته فاضطر ان يدخله مستشفى الفقراء ليعالج مجانا ، وقد نجحت العملية وتم الشفاء ووصل المريض الى البيت قبل ٥ ايام والحمد لله ، أليست الشهادة المذكورة من اغرب ما يذخره التاريخ ، وهل يوجد دليل اعظم من هذا على امكان اجتماع الفضيلة والبؤس في مكان واحد ؟

اذا اردت الوقوف على هذه الحقيقة فافتح الظرف الذي مع هذا المعنون باسم الاخ . . . تجد ما يسرك !

وما حملني على ارساله الا لادخل عليكم سرورا جديداً فوق السرور الاول وهلا حافظت على البيتين اللذين كتبتهما على لوحة رسم الجمعية الاسلامية في باريس يوم العيد وهما :

نلت الصدارة في كل المجالس لا كن لا رجال ولا مال يؤيدني
لو كان لي كالورى مال لنلت به للمنهج الحق اعلى مركز مدني

ودمتم في عز دائم من اخيكم سليمان الباروني

قلت : — هذه الشهادة من القوي للضعيف اشبه شيء بالشهادة التي وقعت للاستاذ الشيخ الثعالبي من بعض رجال فرانسا الكبار : ذلك ان الكوماندان « بارون » الذي جرى على يديه بحث الثعالبي لما كان سجينا بتونس سنة ١٣٣٩ بتهمة زعزعته لامن الدولة ، فعند تمام بحثه قال الكوماندان : « في ود فرانسا ان تخسر فيك - يا استاذ - عياراً ناريا ولكن تبنى لك على رأس كل شارع تمثالا . ! »

مزايا ءال الحسين ازاء ءال البارونى

ابن البارونى باشا في بلاط ملك العراق

وردتنا من البارونى باشا كلمة مورخة فى ١٤ رمضان ١٣٥٢ هذا نصها :

« لما سمع بعض رجال جلالة الملك بما يعتري ابراهيم من الامراض فى مسقط فكروا في استخدامه فى بغداد ، وحيث ان قانون العراق لا يسمح باستخدام غير العراقي الا بعد التجنس والاقامة خمس سنين تكرم جلالة الملك بالامر بتعيينه فى دائرته الخاصة بالبلاط ، اذ لا يشملها هذا القانون ، وهي اشرف دائرة اذ هي مرتبطة بالملك مباشرة ، والصبر مفتاح الفرج .

ثم لخص لنا البارونى باشا بهذه المناسبة موجزاً عن مزايا ءال الحسين نحو ءال البارونى ، وهذا نصها :

١ — ان الملك حسينا كان السبب الوحيد من انقاذي من البقاء في باريس اذ سدت الدول امامى ابواب البلاد الاسلامية كلها ففتح الملك حسين طريق مكة لما بلغه ذلك فررت من مرسيليا بثغور مصر فمنعت من النزول فيها ووصلت مكة ، وبعد الحج قصدت مسقط بتسهيل سلطانها السابق السيد « تيمور » وكان انزلني ضيفا مكرما عنده .

٢ — ولما اصبت بالملاريا واردت الذهاب الى كراتشى او بمباي للتداوي عارضت بريطانيا فكتبت الى جلالة الملك فيصل فارسل في الحال الاذن بدخولي العراق فجئت بغداد فنلت منه ومن حاشيته النفاتا ، وبعد التداوي رجعت لمكاني الى عمان فكانت السبب الثاني لأنقاذي من الملاريا .

٣ — ولما جاءت العائلة من طرابلس وابراهيم من اسكندرية واصيبوا بالملاريا اعدتهم الى بغداد ، ولما شفي ابراهيم عاد الى مسقط وتكرم

السلطان الحالي السيد سعيد فعينه فى العدلية .

٤ — ولما عاودته الملاريا بشدة اذنت له الحكومة فى الرجوع الى بغداد التداوي وكان بحالة سيئة اضطرتنى الى مصاحبته الى بغداد .

٥ — ولما بلغ رجال الملك غازي خبر ذلك اهتموا بالمسألة فتكرم الملك بتعيينه في دائرته الخاصة فكان السبب الخامس فى انقاذي انا من التعب وفى انقاذ ابراهيم من خطر الملاريا لو عاد مرة اخرى الى مسقط . اه

نحن نسجل هنا بمداد الفخر والاعجاب ونسطر على صفحات القلوب مزايا ءال الحسين الكرام على ءال الباروني الامجاد ، ونثني الثناء العاطر على اريحيتهم الاسلامية وشهامتهم العربية ، ونرجو ان يتواصل هذا الترابط المتين بين اجيال العائلتين الماجدتين لاعزاز العروبة والاسلام واعلاء كلمة الله مدى توالي الايام وتتابع العصور .

٦ — على ذكر شهادات عظماء الشرق للباروني باشا على ما يقص عن نفسه من البؤس نسوق هنا شهادتين عظيمتين لهما قيمتها عند من يزن أقدار الرجال ، هما من عظيمين في العالم الاسلامي اولاهما من الملك السيد ادريس السنوسي الحالي ثانيتهما من الاستاذ الشيخ عبد العزيز الثعالبى .

اما الاولى : فقد نقل الاستاذ عمر فائق البرقاوى من رسالة اليه من السيد ادريس السنوسى في شأن الباروني باشا لما دافع بقلمه عن قضية طرابلس وبرقة ومجاهديهما كما دافع بسيفه ما نصه :

« . . . سليمان باشا الباروني كاتبته من زمن وشكرته على ما كتبه في الجرائد فرد علي بكتاب الى ان قال : « اني مؤيده فى كل ما كتب وهو الرجل الوحيد العاقل العالم المجرب والذي ينظر الى الامور من وجهها الحقيقي . الخ

واما الثانية فاني لما كتبت مقالا ادافع فيه عن الباروني باشا ردا للتهم التى

الصقها به بعض المغرضين ، وانا اذ ذاك بتونس عرضت على الاستاذ الثعالبي ذلك المقال ولما وصلت فيه للكلام : « على ان الباروني باشا رجل من رجال الاسلام العموميين كالامير خالد فى الجزائر والشيخ الثعالبى فى تونس وسعد زغلول باشا فى مصر الخ قاطعني الاستاذ هنا وصاح قائلا :

«اه ! «اه ! أتشبه الثعالبى بالشيخ البارونى ؟ كلا ! كلا ! ان مجد الشيخ سليمان انما اكتسبه بالسيف وما يكسب بالسيف يبقى ابد الدهر لماعا كالذهب واما انا فاذا ما اكتسبت شيئا فانما هو لا يعدو شقاشق كلامية وسرعان ما تذهب هذه كفقاقيع الماء! فأمرنى بالخط عن هذه الجملة وتعويضها بما يناسب.

حكمة البارونى باشا وحسن تدبيره

لأجل التخلص من ازمته الاقتصادية التى اشرنا اليها قبل ولأجل توفير راحته ارسل الينا اقتراحا فى تاريخ ٢٨ محرم ١٣٥٢ تحت العنوان الآتي يشف عن علو همة وشهامة وعزة نفس ، وهذا نصه :

فكرة هل يمكن تطبيقها ؟

ان لي في مصر ما لا يبعد او يتجاوز ١٠ «الاف نسخة مطبوعة من حاشية المسند للسالمي ووفاء الضمانة والازهار وديوان الحضرمي وديوان البارونى ورسالة سلم العامة مخزونة من سنة ١٣٢٦ لم اتمكن من الاستفادة من ثمنها بسبب حرب طرابلس ثم الحرب العامة ثم منعي من دخول مصر . الخ فهل في الامكان (خدمة للعلم والشرع واعانة لي) انشاء جمعية لشراء قسم منها بما يعجبها من الثمن ولو بنصفه على ان توزع مجانا وقفا بعد ان تطبع بختم كبير فيها كلمة (وقف) مثلا في جملة صحف من كل مجلد حتى لا تغير لأجل البيع وتكون الصحف معلومة حتى اذا وجدت نسخة معروضة للبيع ينظر فى تلك الصحائف

لعل فيها ختما او لعلها قطعت من اصلها لاخفاء الاختلاس ، او بيعها على حساب الشركة للربح حيث ان أصل المشترى يكون بنصف القيمة الممكن البيع بها .
أرجو ان تتفكروا مع بعض الاخوان في هذه المسألة ، فاذا أمكن تطبيقها تكونون قد قمتم بنشر كتب العلم وبافادة الذين لا يقدرون على الشراء والذين يصعب عليهم او لا يرغبون فى بذل الدراهم في الكتب ، ولا أظن وجود مانع سياسى لهذا قطعا (اني في انتظار جوابكم) من اخيكم سليمان الباروني

قلت : لقد سلكنا في هذه الفكرة السديدة مسلكا اخر : ذلك اننا طلبنا اصدار كمية منها من مصر بعد تجليدها لنروجها نحن على حساب الباشا ، فكلف الاستاذ الشيخ ابراهيم طفيش بمصر فجلد منها كمية فارسل الينا منها للجزائر ثلاثة صناديق فسعينا فى ترويجها بين الاخوان باثمانها المناسبة . وكلما جمعنا منها مبلغا ارسلناه اليه للترفيه عنه .

وكان للشيخ ابراهيم امتياز في هذا الشأن فى جملة العاملين بسعي ممتاز يذكر فيشكر ، وهذا ما سترى اثره البليغ في رسائل الباشا الباروني في ظروف مختلفة .

وفي هذا السياق وردت منه رسالة للشيخ ابراهيم امتياز مؤرخة في ١ جمادى الاولى ١٣٥٣ ، وهذا نصها :

. . . اما بعد فانى بخير ولله المنة ، ورد الي كتابك الكريم ولك الشكر على اهتمامك ، وارجو انك توفقت مع الاستاذ . . . الى طريقة لتوزيع ما ذكرته لكم من النسخ وان كانت الازمة مستحكمة فى كل مكان خفف الله عنا وعنكم وطأتها ، الا ان مثل هذا التقسيم قد يسهل أمره لما فيه من الفائدتين والثالثة حفظ هذه الكتب من التلف بطول البقاء وبدون محافظة والله ولي الامر تحيتى الى الاصدقاء ، ودمتم موفقين . من اخيكم سليمان البارونى

فى انفراج ازمته بعد صدره الجميل

بعد ان ارسلنا اليه مبلغا من ثمن كتبه صادف وصوله ازدياد غلام لأبنه ابراهيم مع حل بعض مشاكله التى كانت تهمه كثيراً فكتب الينـــا الرساله الآتية مؤرخة فى ١١ جمادى الثانية ١٣٥٣ . وهذا نصها :

قال يا بشراي هذا غلام

. . . أكتب هذه الاسطر المختصرة والبريد على جناح الطائر مع اشتغال رزق ابراهيم ولداً قبل فجر الخميس ٣ جمادى الثانية ١٣٥٣ و١٣ سبطـامبر ١٩٣٥ ، اى فى اليوم الذى لا يحبه الافرنج ، ولكنه كان مباركا علينا ، اذ فى ذلك اليوم :

١ — وصل مفتاح ابواب الجنة الثانية وهي اكبر سعادة لدينا من ذلك ا

٢ — وفي ذلك اليوم قررت وزارة المعارف العراقية قبول ابراهيم في كلية حقوق بغداد .

٣ — وفي ذلك اليوم قرر البلاط الملكى استمـرار ابراهيم في عمله من الصبح الى الظهر ، وفى الساعة ٣ بعد الظهر يذهب الى الكلية ، لانها قررت ان يكون وقت التدريس فيها من أول اكتوبر من الساعة ٣ بعد الظهر الى الساعة ٧ مساء . ولذلك يمكن لأبراهيم ان يكون موظفا في البلاط وتلميذا في الحقوق ومدتها ٣ سنين او ٤ اذا قبل اقتراح عميد الكلية على الحكومة .

فبارك الله فى المولود فى ذلك اليوم المبارك ، وقد سميناه وكنيناه باسم وكنية جدنـــا ابي يحيى زكريا بن ابراهيم الباروني المشهور بالعـــدل والعلم والثروة الخارقة والكرم الحاتمي فى القرن السادس كما تطلعون عـلى خبره فى سير الشماخي (وقد اطلعت على سيرته فى صدر كتابنا هذا) وهو الذى رثاه

ابن اخته ابو نصر في قصيدته المطبوعة مع الدعائم . جعله الله شبيها به طويل عمر من رجال العلم والعمل للدين والدنيا ءامين (١)

أبدل الله الدرهم دينارا

لما بلغ اصدقاءنا اشتغال ابراهيم بجواز السفر وعزمه على الاستعفاء من الوظيفة لم يوافقونا واقترحوا السعي لدخوله في كلية الحقوق مع بقـــائه في الوظيفة ، ولما تحققنا امكان ذلك سعينا فتوفقنا فى الحال والحمد لله .

وفى ذلك فوائد :

١ — بقاؤه مع العائلة فيمكنني التردد على عمان

٢ — بقاؤه فى الوظيفة التى سيكون لها مستقبل بعد حصوله على شهادة الحقوق وتجنسه بالجنسية العراقية .

والسعي جار فى الحصول عليها من الآن ، وان لم تتوفر شـروط الاقامة . وسنبشركم عن قريب ان شاء الله (فالله الاصدقاء المخلصون)

٣ — استفادة ٣ سنين بالنسبة لكلية بيروت التى كانت مدتها ٦ سنين وقررتها هذه السنة ٧ سنين

٤ — البعد عن دنس التبشير

٥ — استفادة ثلثين من النفقة ، فان نفقة بيروت لا تقل عن ١٠٠ دينـــار سنويا ، اما هنا فلا تبلغ ثلث ذلك تقريبا

٦ — استفادة مرتب وظيفة البلاط والمأمول زيادته

٧ — لو وقع لابراهيم في بيروت مثل ما حصل له فى مسقط من المرض مثلا لضاق بنا الفضاء : فانه لما ورد الي الخبر من مسقط أسرعت اليه في الحال واتيت

---

١) وهذا الشبل قد اشتهر اليوم باسم طارق ، وهو يزاول الآن دروسه الحربية ضمن البعثة الملكية الليبية في المدرسة الحربية بمصر حفظه الله ورعاه .

به الى بغداد ، اما لو حصل مثل ذلك فى بيروت لما وجدنا للمشكل حلا لأني ممنوع من دخول سوريا ، وما عندي من يقوم مقامي في الذهاب اليه .

اليوم تم معاملة دائرة الشرطة فيما يخصها من حسن سيرته و بعد غد يقيد فى دفتر الكلية باذن الله .

وقد كتبت الى الصديق المتبرع بنفقة ببروت بما وقع وشكرت فضله فاستحسن ودعا بالتوفيق (ونية المؤمن خير من عمله) (١)

اليوم من الصبح والعمل جار فى احضار وليمة سيارة لبعض كبار البلاط أرادوا تناولها على ضوء القمر فى جزيرة وسط الدجلة قريبة منا ، وقد سبق لهم فى الشهر الماضي ان فعلوا ذلك ودعونى فاجبت .

هذا كله سهل بعد ان وطأت الارض قدم أبي يحيى الثاني فتفاءلنا خيراً .

ما لدي قلم يخط بعض ما يجب من الشكر والدعاء لكم بارك الله لكم في المال والاهل واحياكم سعداء موفقين لخير الدارين ، وسأكتب اليكم مفصلا بعد هذا ، وتحيتي الى الاخوان الخلص والجماعة اينما كنتم .

وصلتني كتبكم الثلاثة وسأجيب كلا عن كتابه بعد هذا ان شاء الله .

ابراهيم يقدم اليكم تحيته واحترامه ، ودمتم في عز وهناء من اخيكم :

سليمان الباروني

ثم انه حدثت به ازمة اخرى من عودة المرض الى ابراهيم وغيرها فصبر لها كذلك صبراً جميلا كعادته مع امثالها كثيراً ثم انفرجت

وفى هذه شدة وانفراجا يكتب الى الشيخ ابراهيم امتياز رسالة مؤرخة فى ٢٣ ذي القعدة ١٣٥٥ من بغداد تحت العنوان الآتي ، وهذا نصها :

---

١) سياتي مزيد بسط لقصة هذا الصديق الكريم

بشـــرى

(انما امره اذا ارا شيئا ان يقـول له كن فـيكون)

بغداد ٢٣ ذي القعدة ١٣٥٥

اما بعد ـ فقد وصل كتابك الكريم والفكر مشغول بمرض ابراهيم وغيره من العائلة والضائقة مشتدة ، والآن قد انقشعت الغمة فشفيت العائلة كلها وسيبارح ابراهيم المستشفى ليسافر لتبديل الهواء فى طرابلس اذا سمحت له ايطاليا والا ففى مصر او تونس اذا لم يمنع حسب اشارة الطبيب سهل الله ما صعب

كيف أنفرجت الازمة فجأة ؟

ذهبت الى المستشفى لأطلب خروج ابراهيم فوافق الطبيب على شرط سفره بدون تأخير لتبديل الهواء خارج العراق فحرت في الامر ، ولا أمل في وصول شيء من عندكم ، فقررت ان اطلب من ٠٠٠ قرض ٢٠ دينـــاراً وهو خارج بغداد ومستعد من قبل على اجابة طلبى عند الحاجة

فعدت الى البيت مساء لا كتب اليه ، ونفسي تحدثنى بأن الشدة بلغت منتهاها ولعل الفرج قريب

ولما دخلت البيت قيل لي ان على المكتب رسالة جاءتك من البلاط فظننت انها دعوة الى حفلة او ضيافة رسمية ، وقد مللت هذه الدعوات لما يترتب عليها من نفقة البيت أحوج اليها كاجرة سيارة ذهابا وايابا وغير ذلك مما لا طاقة لى على الدوام عليه .

لـكن وجدتها من ناظر الخزانة الخاصة يقول فيها :

انه تلقى من جلالة الملك ارادة فى تخصيص ١٥ ديناراً (١٥٠٠ فرنك تقريبا) مرتبا شهريا لنا فحمدت الله على فتحه باب خير ما كان يخطر ببـالي قط في وقت شدة ما كـنت أظن انها تهون بسهولة ، ولـكن الذي امره بين الـكاف والنـون

قال كن فيكون في لحظة ، سبحان الفعال لما يريد .

وقد عجلت لك بهذا ليطمئن قلبك وقلوب الاخوان الذين تألموا وتكلفوا لاجلي كثيراً .

أسافر الى عمان بعد سفر ابراهيم لآتي ببقية الكتب واصفي اموري التي هناك وأعود لاستأجر على ترجمة رسائل ومقالات فرانسية وايطالية وانكليزية تتعلق بحرب طرابلس لأنقل منها المهم في التاريخ ، وكان فراغ اليد معطلا ترجمتها ، والشروع في التدوين ، اما ما يمكن الحصول عليه من ثمن بقية الكتب فسأخصصه لطبع التاريخ والله المعين .

اما رئيس الوزارة فهو حكمة سليمان الذي كان السبب في هذا وهو اخو محمود شوكت باشا الصدر الاعظم ووزير الحربية العثماني وكان يجلني كثيراً وكان اخوه هذا يسمع منه الثناء علي كثيراً فلم يقصر هنا في اظهار احترامي في كل مناسبة ، ولما وقع هذا الانقلاب وولي رئاسة الوزارة بادر باقتراحه هذا على الملك والمأمول غيره ان شاء الله ،

ونحن هنا لا ندخر وسعا لأن نسجل ثناءنا العاطر على أريحية جلالة الملك العربي الاسلامي وعلى مروءة وشهامة رئيس وزارته ووزير الحربية ورئيس اركان الحرب بكر صدقي باشا قائد هذا الانقلاب وعضد رئيس الوزارة القوى ، خلد الله ملكهم لاعزاز الاسلام واعلاء كلمة الله ، ونعد هذه سادسة مبرات آل الحسين لآل بارون كما تقدم .

ولا يفوتنا هنا ان نلفت نظر المبتلين الذين عثر بهم جواد الدهر بعد النعمة والرفاه ان يتخذوا امامهم الباروني باشا مثلا أعلى في الوثوق بالله والايمان بلطفه وحكمته وفرجه والاعتماد عليه وتفويض الامور اليه والاتكال عليه وفي صبره الجميل وهمته وشهامته وعزة نفسه رغم المحن والشدائد والازمات .

ءالام الباروني باشا وءاماله

منذ ان دخلت حياته الحافلة ميدان العمل والكفاح كانت — بقدر ذلك — محفوفة بالآلام والآمال .

ولاتزال هذه وهذه تزداد خطورة واتساعا كلما اتسعت امامه ءافاق الاعمال الى ايامه الاخيرة ، شأن اصحاب النفوس الكبيرة والهمم العالية .

وقد رأى الاخ الملاحظ فيما اسلفنا عنه شيئا كثيراً من ذلك ولكن لا يمنعنا هذا ان نورد بعض نماذج من ذلك مزدوجا فيما يأتى حتى يدرك منه الى اين يبلغ الآلام والآمال بالنفوس فيتخذ من صبرهم الجميل للاولى درعا حصينا لتحمل الاهوال ، ومن صمودهم العتيد نحو الثانية سلما للصعود الى شواهق الكمال ، بلا وهن ولا ضعف ولا استكانة .

لقد رأى الاخ الباحث في ءاخر رسالته الاخيرة بالفصل السابق لما انفتحت امامه نافذة الفرج فجأة كيف انطلقت ءاماله نحو الامام فجأة ، فأخذ يضع الخطط للسفر الى عمان لتصفية اموره واتيان بقية كتبه منه واستئجار مترجمين لرسائل ومقالات من اللغات الاجنبية لاعداد العدة لتدوين كتابه تاريخ الحرب وطبعه الخ . وعلى هذا النمط رسائله الآتية :

١ -- ما جاء في رسالة له الى الشيخ ابراهيم امتياز مورخة في ١٢ ذي الحجة ١٣٥٢ ما نصه :

واتمنى ان يمن الله علي باستراحة البدن والقلب فاكتب تاريخ حرب طرابلس من سنة ١٩١١ الى ١٩١٩ مدللا بالحجج الرسمية حتى ينكشف الغطاء عن كل ما كتمه اصحاب المقاصد او زادوه مما لا اصل له الخ ،

٢ ـ رسالة منه لاخيه هذا مورخة في ٢٩ ربيع الاول ١٣٥٣ من بغداد ، وهذا نصها :

. . . ما اخرني عن المباشرة في جمع التاريخ الا وجود وثائق الحرب الاولى ١١-١٣ ووثائق ما جرى فى السلوم في اوائل الحرب الكبرى فى صندوق بقي في استانبول ولا يمكن جلبه بسهولة ويحتاج الى مصروف كبير ، لكن بعد ثلاثة اشهر يمكن جلبه الى بيروت عندما يكون ابراهيم هناك فيتسلمه بدون ان يضيع منه شيء وقت تفتيشه فى الجرك ، اما الصناديق الاخرى الواردة له الى مسقط من قبل فقد جاء عن شأنها في رسالة له مؤرخة في ٢٠ ربيع الاول ١٣٥٥ ، هذا نص محل الحاجة منها :

. . . وعلى كل حال فكان عقد الصدمات قد انتهى وسقطت حبته الاخيرة بقضية الصناديق الواردة من مسقط في الاسبوع الماضى وهي انه قبل ان يصل ابراهيم المستشفى رأيت ان حالته فى ازدياد وانه لا تمكنني مفارقة بغداد فارسلت في طلب الصناديق الاربعة المحتوية على اوراق حرب طرابلس فى الحرب العامة فارسلت على ان يقبضها مرسلها وجاءت الورقة غير موقع عليها (سهواً) من المرسل فقدمناها للشركة فقالت لا نسلم الا للمرسل نفسه فحاولنا ان تقبل كفالة من شاءت من المعتبرين فقالت الا ان يكون الكفيل بنكا ، فقلنا ما اعظمها قضية ، صناديق ليس فيها الا اوراق ممزقة واكثرها مكتوب بقلم رصاص لا تسلم الا بكفالة بنك كأن بها تاج كسرى او جورج الخامس هذا ما لم يسبق مثله ولكنه شهادة على قيمة التاريخ الذي سيجمع منها ، واخيراً سعى احد العظماء وقبلت كفالته ، ووصلت امس البيت وقد اجتمعت الآن مواد التاريخ الاصلية ، ولولا اشتغالي بابراهيم لباشرت التدوين الخ ،

ثم قال فى رسالة اخرى منه الينا مؤرخة فى ٦ جمادى الثانية ١٣٥٥ فى هذا الشأن ما نصه :

. . . فاذا قدر الله لي الاستراحة عملت ما بقي من عمري ان شاء الله حيث

أجد راحتي ويسهل علي اتمام التاريخ الذى عرقل الشروع فيه ترجمة ما يلزمني للاستشهاد به مما كتبه مخابرو الصحف الانكليزيه والفرانسية والايطالية ، وهذا انما يتأتى لي فى تونس او الجزائر او مصر لوجود المترجمين اما هنا فلا يوجد الا بعض من يترجم الانكليزية ترجمة لا اعتمد عليها فى التاريخ خوف التكذيب والانتقاد . ودمتم موفقين من المخلص : سليمان البارونى

ثم قال : وها هنا اطرق بابا كنت اريد تأخير الكلام عنه الى ءاخر شهر اغشت (اوط) ، ولهذه المناسبة اقول :

منذ نال ابراهيم شهادة البا كالوريا وانا افكر فى الطريق الذي يمكن معه اتمام تحصيله العالي في احدى الكليات ، ولتراكم المصائب منذ وصوله مسقط قادما ليستشيرنى فى أمر تحصيله العالي عجزنا عن البت في المسألة ، وقنعنا بان يمضي اوقاته فى اية مأمورية كانت ، حتى لا يقال اننا بمجرد خروجنا من طرابلس وانفصالنا عن الترك عجزنا عن الحياة واصبحنا لا قيمة لنا ، فرضي بالوظيفة فى مسقط ، ولما اصيب بالملاريا هو والعائلة وكان ما علمتموه ورجعنا الى بغداد شفى بأذن الله وتوظف فى البلاط حتى لا يقال اننا انما قبلنا فى بلاط مسقط مجاملة بوسيلة الذهب ، واننا فى بغداد لا شأن لنا .

ولا زال الاصدقاء يسعون لترفيعه ، ولكننا نحن نرى ان المسألة موقتة الى ان يفرج الله وقد فرج والحمد لله . فقد استخدم يوسف بمرتب خفيف الآن يكفيه .

وقد تعب من اجلي كثيرا بصحبته للعائلة ومرضه كابراهيم وجنونه الخ عين كاتبا لمدير الحارثية ، مزرعة الملك التي فيها مصيفه وفيها قصر الزهور البديع الذي شيده الملك فيصل لنزول من يزور العراق من الملوك وهي على مسافة نصف ساعة فى السيارة من بغداد وقد انتقل يوسف اليها ويزورنا فى ايام الجمعة

هذا وقد علم احد المحبين على السماع من اغنياء الاسلام ان سبب قبولي توظيف ابراهيم وانقطاعه عن العلم هو عجز عن نفقة الكلية التي يدخلها فكتب الي يتعهد بما يلزم لذلك من النفقة الى ان ينال الشهادة العليا فأجبته بالموافقة شاكراً اريحيته ، وتقرر ان يدخل اولا الكلية الاميركانية التي في بيروت لسهولة ذلك بواسطته لصداقة بينه وبين رئيسها ، وقد قال رتبت ما يلزم .

فما على ابراهيم الا ان يقصد الكلية قبل افتتاحها بايام فيقبل وسيكون ذلك ان شاء في اواخر سبتامبر (١)

وهذا امر كنت كثير الاهتمام به لمستقبل ابراهيم فان الوظائف العالية اصبحت منوطة بالشهادات العالية والله اعلم بماذا يكون بعد عشرين سنة من التطور والرقى الذي ستصبح معه هذه الشهادات وحاملوها كلا شيء لكن ما لا يدرك كله لا يترك كله .

وقد حمدت الله على تعطيله هذه المدة اذ درس فيها بعض ما يلزمه من جهة الدين وعرف رجاله واخوانه واصبح على يقين من فضله على غيره ، وارجو ان يكون من رجاله الذين يرفعون شأنه في المستقبل باذن الله (وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم) (لو اطلعتم على الغيب لأخترتم الواقع) فالحمد لله الذي فتح هذا الباب في احرج الاوقات عندي ومن حيث لا احتسب (لامن امرائنا ولا من ملوكنا ولامن ائمتنا) ومن يتوكل على الله فهو حسبه .

أني سألاقي بعد هذا ازمات اخرى من اصعب ما لاقيت ، وبعد ان اشار اليها قال : اذا اتممتها رجعت الى عمان خفيفا من كل الوجوه حراً لأتردد على بغداد الى ان تتم الخمس سنين وانال التابعية فاننا الى اليوم (انا وابراهيم) لا

---

(١) سبقت اشارة الى هذا المحسن الكريم في صفحه ١١١ ضمن الكلام عن عدول الباشا عن هذا البرنامج الى برنامج له زهاء احسن

تابعية لنا وانا نسافر بتذكرة سفر مسقط موقتا .

لان تركيا لم تقبل تجديد تابعيتي ولا دخولي الى بلادها كبقية الدول معتذرة — ظاهرا — بما كتبته ضد حركاتهم اللادينية .

والدنيا مضطربة جداً ولو حدث شيء لبقينا كغنم لا راعى لها فنجبر على تابعية ايطاليا التي امتنعت منها اكثر من عشرين سنة ونقع في محاذير خطيرة

اما اذا بقيت منفرداً فلا خوف على غزال فى الصحراء ولا على طائر فىالهواء ولا على تمساح في الماء .

ومن يتوكل على الله فهو حسبه ، اخاف ان يفوتني البريد فلنختصر الكلام الآن .

سليمان الباروني

ثم قال في ملحق لهذا ما نصه :

من طرق الخلاص سفري الى عمان موقتا (لكن هذا تعذر بتقرر سفر ابراهيم الى الكلية وباستخدام يوسف خارج بغداد) فلا يمكن ترك العائلة وحدها .

فلم يبق طريق الا ان تسعوا لما اقترحته سابقا وهو شراء مقدار من مطبوعاتي (الازهار ـ الحضرمى ـ المسند) ولو ٥٠٠ نسخة بالثمن الذي تقررونه فاذا وفقتم الى ذلك فعرفوني ببيان العدد من كل مصنف لأرسل الى مصر فى تجليدها بالقماش وارسالها بالعنوان الذي تبينونه .

واني في انتظار جوابكم على احر من الجمر مع اول بريد جوي ، وارجو ان تتوفقوا فيخف علي حمل هذه المطبوعات البالغة نحو ثلاثة عشر الف مجلد الباقية فى مصر منذ ٢٠ سنة يلعب بها الفار ويعلوها الغبار .

بعد المقالات والمحاضرات كثر زوارنا من علية القوم الذين لم يسبق التعرف بهم فاضطررت بمناسبة الحر ان اسلم لصاحبة البيت اجرة ٤ اشهر مقدما من تلك

النفحة الالاهية التي لم تكن في الحساب وجاد بها الاخوان فادخلت النور الكهرباءي الى البيت فضاء بعد ان كنا نستضيء بسراج الغاز التى اتينا بها من مسقط وقصور جيراننا تلألأ بالانوار ، وفي وقت تركيب الكهرباء مر صديق كبير امام البيت وصادفني في الطريق (وقد كنت أرسلت يوسف ليستأجر لنا مروحة بالشهر لانها غالية الثمن) فقال بعد ان دخلت الكهرباء البيت تلزمكم مروحة فقلت قد ارسلت يوسف الى السوق في شأنها ، فقال لا تشتري فان عندى مروحة لا حاجة لي بها اقدمها لك فشكرته .

وفى الحال ارسلها ، فاصبحت غرفتنا كجيراننا منورة بالكهرباء وفيها مروحة ، والحمد لله مغير الاحوال .

٢ — ومما يبرهن عن شدة الامه ان تكاد تبلغ درجة الغليان احيانا عن شئون المسلمين واحوال الاسلام عموما واحوال عمان وميزاب خصوصا ما ورد في رسالة له الى بعض اخوانه من بغداد مؤرخة فى ٢١ صفر ١٣٥٥ وهذا نص محل الحاجة منها هنا :

« . . . كلما نظرت الى حالة عمان والى ما يجري عندكم من الشقاق والفتنة العمياء اعترتني حالة لا اقدر ان اصفها وزادتني غما عما انا فيه ! الخ

٣ — ومن ذلك ما سبق ذكره من انه أصيب فجأة بمرض ضغط الدم حتى أشرف به على الخطر ، أثر مقال حرره دفاعا عن ١٣ شابا طرابلسيا سلمتهم فرانسا بتونس لأيطاليا الخ

اهداف الباروني باشا ومطامحه

قد علمت ايها الاخ الباحث من الفصل السابق الشيء الكثير من اماله وهي تدل بسهمها الغليظ على مراميه البعيدة ، واهدافه ومطامحه العليا .

ولاتمام هذا الموضوع وتشخيصه نورد هنا بعض نماذج له من ذلك فيما يلي

١ — قصيدة له كتبها اثناء الحرب العمومية في سنه ١٣٣٣ ـ ١٩١٥ فى شأن شعر رأسه وءالى ان لا يحلقه وان يبقى كذلك منذ حرب طرابلس ١٩١١ ١٩١٣ الى ان يقع ما ءالى عليه والا بقى كذلك الى الممات ، وهذا نصها :

هذا هو الشعر الذي	شهد الحروب الهائــلات
وعليه امطرت القنا	بل كالصواعق نازلات
خاض المعامع لا يهــا	ب عـــلى الجياد الصافنات
حبــا لتطهير الموا	طن من بني الايطاليات
ءاليت ان يبقى الى	ان يعبر الجند القنــاة (١)
ونرى الغزاة على ضفا	ف النيل تفتك بالبغـــاة
ونرى طرابلس العزيـــ	ـزة فى ليــال باهرات
تختــال فى برد الهنا	الـــلانتصار على الطغاة
وتسود اعلام الخليـ	فة فى البلاد الضائعات (٢)
ونرى الهـلال متـوجا	جزر المحيط الخالدات
اذ ذاك يحلق بين افـوا	ج الاعاظم والغـــزاة
ما بين تهليل وتكــ	بير وتقديم الصلات

---

(١) الجند العثمانى مارا بقناة السويس نحو مصر وشمال افريقية ، ذلك هو برنامجهم في حرب ١٩١٤ ـ ١٩١٨ لو ساعدهم القدر

(٢) يعني تسود اعلام الخليفة العثمانى تونس والجزائر ومراكش الى جزر المحيط الاطلانتيكي



صورته وهو بالشعر الذي آلى على نفسه ان لا يحلقه
الى ان يعبر الجند القنـاة



صورته وفوق ركبتيه حفيده زكريا طارق

فيكون عنوان الفتو ح مدى العصور الدائرات
او هكذا يبقى اذا لم ننتصر حتى الممات
يا من وعدت المسلمين النصر امنن بالحياة

عاطفة تسيل

بمناسبة أخذ الباروني باشا رسما له تذكاراً لاقامته في بغداد وعدم ظهور شعره فيه من خلفه ، وبمناسبة بروز العدد ٥١ من جريدتنا « الامة » في اول مرحلتها الثانية فى ١٢ شعبان ١٣٥٤ قلت الابيات الآتية ونشرت فى العدد نفسه اسفل الرسم تحت العنوان اعلاه ، وانا اسائل ذلك الظل ، وقد اهتز لها الباشا ووعد ان يجيبني عن ذلك السؤال شعراً ، ولكن المصائب والمحن حالت دون انجاز وعده ولعل ابياته ناجزة في اعلاقه ، ونصها :

يا ظل !

أعجب بظل حامل شمس العلا والمكرمات
طيف بطي شعاعه بدر الوفا كنز الهداة
رسم «الباروني» قد حوى أسمى المعاني والصفات
رمز الجلال بل الكما ل بل المعالي الرائعات
جمع الفتوة والكهو لة والشيوخة بالثبات
يلقي على اهل الجمو د خياله أقسى العظات
يهدى الشباب بسمته كيف الرجولة والحياة
الدين والدنيا معا لا للمراة او الغلاة
لكنما فى عزة الا سلام سيماء الشراة

* * * *

يا ظل ما اسماك . ما   أعلى جلالك فى الغزاة
كم ذا تقل من العظا   ئم بين ابطال حماة
كم خضت في الاهوال عز   ما فى الليالي الحالكات
بين المدافع والقنا   بل والاسنة والظباة
فوق الخيول الصافنا   ت اللاعبات الراقصات
والنقع في جو السما   يحكي سحاب (البيرنات)
والاسد تزأر لافترا   س رءوس اجلاف الطغاة
ذودوا على مجد البلاد   ان لا تعيث به العتاة

* * * *

يا ظل ما ابهى سنا   ك لدى الوجوه الناضرات
قد كنت « طيفا » ناحلا   تدمى القلوب القاسيات
فكساك ربك نضرة   لما شربت من الفرات
وقد انجلت منك الملا   مح بارزات زاهرات
كم ذا تكن النفس فيـ   ك من الامانى الغاليات
ماذا ترى عيناك من   بعد الى ما هو ءات
ماذا يفكر ذلك الرأ   س العظيم بذي الحياة ؟
ما لي اراه — مجردا   مما به باهى الكماة
اوما حلفت وقلت في   تلك اللآلي اللامعات ؟
(ءاليت ان يبقى الى   ان يعبر الجند القناة !)

* * * *

يا ظل ما اغلاك فيـ   ما بين الطاف الصلات
فاذا السياسة حجرت   مرءى العظيم عن السرات

فلنعم ذي مرءاته   يا ظل انت لدى الهواة
ولنعم انت النائب   الاعلى لدى جمع الاباة
والظل أحسن ملجا   فى الحر بل كهف النجـاة
الروح تنعش والقـلو   ب بأنس طيفك طافحات
والعين تمتع والنفـو   س لفرط عزك زاهيات
ومنازل الخلان مـع   ردهاتها متباهيات
نرجو من الله التـلا   قي قبل ابان الممات
والجمع بينكما بها   بين الزهور الباسمـات

* * * *

٢ — ابيات قالها في بعض مناسبات مرت الاشارة اليها ، تشف عن ءاماله ومطامحه . ومطلها :

يودون موتي ولـكنني   على رغم انفهم لا اموت

٣ ـــ ابيات قالها كـذلك وحماس البطولة يفور منها ، وشرر الرجولة يتطاير منها ، وقد مرت في بعض مناسبات :

هي النوائب لي فلا   أرضى بها للخاملين

هذه مطامحه فى دور كهولته وقد اقتحم معامع الحروب وخاض غمارها وحنكته تجاريبها .

واما مطامحه فى دور شبيبته وهو لا يزال بين الاقلام والمحابر والصحافة والمنابر ، ففي ديوانه للاخ الباحث غنية ، وله بين غرر قصائده الذ بغية واعز منية ولـكننا لا يسعنا الا ان نورد هنا فى هذا الباب نموذجا منها :

لما عزم على السفر من وطنه العزيز طرابلس الغرب الى مصر فى سنة ١٣٢٤ وفى نفسه ءالام ممضة عن وطنه شرحها بعد ، وءامال فسيحة فسرتها اعماله بمصر

من نشر جريدة وانشاء مطبعة وطبع كتب وخوض معامع الخطابة، انشأ القصيدة الآتية مودعا وطنه ونشرها في العدد الاول من جريدته « الاسد »، وهذا نصها:

وداعا يا ديار العز حتى   أعود اليك في اهنا نهـــار
اذا ما نحو قطرك مد خط   « حديدي » الى تلك القفار
ونور (الكهرباء) اتاك يسعى   وقيل «الماء» في البيـداء جار
وطهرت العيـون وقام حزب   (بمعدنك) النفيس وبالاثار
وشيدت المدارس واستقامت   رجالك واكتست ثوب الفخار
وخاطب فيك «بالتلفون» خل   يريد البحث عن حال التجار
وحررت «الجرائد» واستعدت   « .. مها » الى نشر القرار
ورقيت (الصنائع) واستفاقت   شبيبتـك الحليفة للديار
وجاب الشهم منها الارض علما   وخاض بحزمه لج البحـــار
وجارى في السياسة من اروبا   رجالا زاحموا قطب المدار
وابدى الكد مخترعا مجداً   يجر النفـع من تحت الستـار
هنـاك تـكون يا وطن المعـالي   غزير العلم مجتمع النضـــار
يسود المرء فيك ينال عـزا   يحوز الامن يطمع في انتصار
رزقت بـدولة تسعى دواما   لتهذيب الكبار مع الصغار
وما نجع الدواء وما استفاقوا   لحبهم الدمار على العمار
الا يا قوم قد نمتم طويلا   وهمتم بالجهالة في البـرار
فهل من يقظة تشفي غليـلا   وتمحوما استوى من سحب عار
فهبوا واصدقوا فالصدق فيكم   عريق واحفظوا حق الديار
والا فالوداع وكل قطر   به الاسلام يصلح للقـرار

* * * *

قلت : لقد احسنت مجلة « صوت المربى » الطرابلسية ، اذ نشرت صورة : « طرابلس الجديدة » ونشرت تحتها القصيدة الآنفة . وكتبت تحت صورة طرابلس هذه العبارة « صورة طرابلس الجديدة كما يتمناها الشاعر الكبير سليمان باشا البارزنى او ما بمعناها . »

والخلاصة : ان الباروني باشا اجمل مطامحه كلها فى هذين البيتين السالفين:

نلت الصدارة في كل المواطن لا   كن لا رجال ولا مال يؤيدني - يقويني

لو كان لى كالورى مال لنلت به   للمنهج الحق اعلى مركزمدني - ديني

آراء الباروني باشا في المشاكل الكبرى

لما اوتي الباشا من قوة ايمان ونور بصيرة وجودة فهم ورحابة صدر وسعة حلم وسلامة قلب ونزاهة نفس وغزارة علم وحرية رأي وحسن تقدير ، كان تفكيره واسع الافق ، لا ينحصر في حدود ضيقة ، وكان ينبع عن تلك المنابع الصافية لا يعرف مصانعة ولا مداهنة ولا مداجاة ، ولا يصدر عن دافع غرض او شهوة الانتقام او حبا في شهرة .

فهو ان نصح فللمصلحة وان حذر فعن مضرة وان بشر فبالعزة وان نذر فبالخطر . وان أمر فحبا وان نهى فشفقا وان وجه فالى غايات شريفة وان رمى فالى اهداف عليا وان اشتد فمن اجل الدين والامة والوطن وان تسامح ففي حق نفسه .

على هذا المنوال كان تفكيره في المشاكل العالمية العامة كسياسي كبير من ساسة العالم الانساني .

وتفكيره في المشاكل الاسلامية الكبرى كعظيم من عظماء الاسلام وتفكيره في المشاكل العربية الاسلامية كرجل معدود من رجالات العروبة والاسلام .

وتفكيره في المشاكل الوطنية الداخلية كوطني صميم من ابناء البلاد .

ومن هذا لا يهاب في ابداء رأيه دولا ولا ملوكا ولا زعماء ، وكم تحمل في هذا السبيل عدوان دول ، وطغيان ملوك ، وغطرسة زعماء فعاش في نطاق من حصار الحرمان ضحية رأيه لو شاء لعاش كاعز ملوك الارض ، ولكن على غير رأيه وعلى غير مبدإه الذي يعتقد انه الحق .

مما لا يخفى ان اراءه تدور حول ثلاثة اصناف من المشاكل :

الاول - المشاكل العالمية

١ — منها مشكلة نزع السلاح ، وهي المشكلة المعقدة التى اعجزت جبـابرة العقول عن حلها الى اليوم .

فقد قدم الباشا مذكرة مستفيضة في ١٠ ديصامبر ١٩٣٢ الى مـؤتمر نزع السلاح لعصبة الامم بجينيف تحت عنوان : « لا سلم مع الاستعمار » دعمهـا بحجج دامغة وبيانات مدققة ، لو سار عليها المؤتمر لما كانت البشرية لا تخـرج من مأزق الا الى مأزق اخر الى الآن ، وقد نالت المذكرة مقـاما كبيراً فى المؤتمر وكان لها صدى دوي فى انحاء العالم ، وقـد تنـاقلت شركات البـرق والصحافة نصوصها وعلقت عليها بما يتفق ووجهات النظر الدولية .

وقد ارسل الى اخيه هذا فى شأن هذه المذكرة رسالة من بغداد مـؤرخة فى ١٨ شعبان ١٣٥١ لخص فيها موجزاً للمذكرة . وهذا نصها :

. . . بمناسبة الجدال الحاصل بين بريطانيا وفارس على شركة النفط قـدمت رسالة الى مؤتمر نزع السلاح . ربما تطلعون عليهـا فى بعض صحف مصر او جينيف اذا نشرت وتشتمل على الفصول الآتية :

١ — انجح عمل لمنع الحرب الغاء الاستعمار

٢ — لا أمل في السلم مع الاستعمار لتعطش المستعمرات الى الثورة .

٣ — سبب انتصار الحلفاء فى حرب ١٩١٤ وفشل اعلان الخليفة للجهاد

٤ — ندم المستعمرات على عدم الثورة في حرب ١٩١٤ اقتداء بطرابلس .

٥ — استعداد المستعمرات للثورة وقبول المدد مـن الاعداء فى الحرب المنتظرة .

٦ — صعوبة امداد الثوار سابقا ١١ـ١٢

٧ — سهولة امداد الثوار في حرب ١٤ بواسطة الغواصات

٨ — سهولة امداد الثوار في الحرب المقبلة بواسطة الطيارات

٩ — تزايد اعداء دول الاستعمار في الحرب المقبلة .

١٠ ـ تحقق هزيمة الاستعمار في الحرب المنتظرة .

١١ ـ نصيحة الى دول الاستعمار وايطاليا خاصة .

وسأرسل لكم نسخة .   والسلام من اخيكم : سليمان الباروني

اما نص المذكرة فها هو ذا فيما يلي : (١)

حضرات المحترمين اعضاء لجنة نزع السلاح في عصبة الامم المحترمة .

لمناسبة اشاعة توتر العلائق بين دولتي بريطانيا وايران من يومين لأجل شركة النفط رأيت ان أقدم لحضراتكم رأيا فى منع الحرب وتحذير الدول منها .

١ ـ أنجح عمل لمنع الحرب هو الغاء الاستعمار

أرى رجال الدول المعظمة التي بيدها تسيير دفة العالم مهتمين بامر السلم العام ساعين في عقد مؤتمرات وابتكار ءاراء لمنع الحرب ، وءاخر ما تمركزت عليه فكرتهم هو تخفيض السلاح بمنع الزيادة عن الموجود منه او باتلاف انواع مخصصة منه الى غير ذلك مما قرأناه في الصحف .

هذا كل ما دارت عليه افكارهم وهذا كل ما امكن ان يخطر لهم ببال ، لكنهم عدلوا او تغافلوا عن الجهة التي لو طرقوا بابها لأتفقوا فيما نظنه على الامر الوحيد الذي يستأصل الحرب ويحقق سلما مستمراً غير مشوب بشك ولا كدر : « تلك هي جهة الاستعمار »

فلو اتفقوا على الغاء الاستعمار لما بقيت لآلات الحرب قيمة وانقلبت معاملها الى دور تجارية محضة وانقطعت مطامع الدول المحرومة من المستعمرات وصمت

---

(١) حياة سليمان باشا البارونى ص ١١٧-١٢٤

الاذان عن سماع دعاياتها المزعجة وصارت الأمم كلها كمائلة واحــــدة مشتركة في الربح (*)

٢ - لا أمل في السلم مع بقاء الاستعمار

لتعطش المستعمرات الى الثورة !

اما والاستعمار باق واستعباد الامم القوية للامم الضعيفة مشروع فلا راحة ولا امل في ابطال الحرب طال الزمان ام قصر ، وزادت ءالات الحرب ام نقصت ام انعدمت ورجع الناس الى التضارب بالحجارة والعصي والسيوف (١)

لان الامم المستعمرة - بالفتح - بلغت حالة لا يمكنها معها الصبر على ما تعانيه من الارهاق ومن معاملتها معاملة الحيوانات العجم المسخرة ، بحيث لو حاول كاتب وصف حالها لكان كتابته اشبه شيء باساطير الاولين وحكايات الفراعنة المتألهين .

لهذا تنبهت كلها وارشدتها الحرب العظمى الماضية الى طريق خلاصها الذي كانت تجهله من قبل ، فهي تتحين الفرص وترقب باعين ساهرة بريق اول شرارة لحرب عامة لتقوم باضرامها ببسالة في جبهاتها غير مبالية بالمسيطرين والمتنفذين فيها بواسطة الاستعمار لضمان انتصاره .

٣ - سبب انتصار الحلفاء في حرب ١٩١٤

وفشل اعلان الخليفة للجهاد !

لأجل ايضاح هذه العبارات المجملة نردفها ببيان مختصر ، وان لكم من

(*) انظر هذا الراي السديد الذى قاله الباشا في سنة ١٩٣٢ ! كيف كان مدار ساسة العالم الآن في سنه ١٩٥٥-٥٦ ، وماذا يلاقى المصرون على الاستعمار من جحيم الثورات .

(١) اليست الحرب العالمية الثانية برهانا على ذلك ؟

معلوماتكم البديهية ومقتضيات وظائفكم الحربية والسياسية ما يمكنكم من معرفة أهم اسباب انتصار دول الاستعمار في الحرب الكبرى ، وفشل اعلان الخليفة للجهاد فقد اعلنت الحرب العظمى سنة ١٩١٤ وأعلن خليفة المسلمين الجهاد المقدس وكاد اعلانه يؤثر فى العالم الاسلامي ويقلب سير الحرب رأسا على عقب لكن دول الحلفاء غمرت رجال مستعمراتها بالاحسانات وملأت اسماعهم بالمواعيد الخلابة والامانى التي صورت لهم مستقبلهم على فرض انتصار الحلفاء جنه فردوس فقاموا يقولون لمن يحرضهم على الجهاد في المغرب والجزائر وتونس ومصر والهند وغيرها « ليس من المروءة ان نحارب دولة تحكم بلادنا فى وقت اشتباكها في حرب مع اعدائها ، بل يجب ان نؤيدها وبعد الانتصار نناقشها الحساب ونأخذ منها « استقلالنا » بوجه قانوني ونبقى اصدقاء ! »

هذا ما كانوا يقولونه لمن كانوا غافلين عما يراد بهم في النهاية مغترين بالوعود اللامعة فتطوعوا بملايين من رجالهم الاقوياء واموالهم الخالصة والتى ذهبت طعمة لمدافع ورشاشات اخوانهم العثمانيين فى مدخل الدردنيل باب دار خلافتهم ومباءة عزهم وفى ميادين العراق والشام وقنال السويس واليمن ، ولنيران المانيا والنمسا وغاراتهما اللاحقة فى ميادين اروبا الا طرابلس الغرب فانها لبت دعوة الجهاد وثارت فى وجه ايطاليا فسلمت نفوسها واموالها من التلف بل استفادت من المدد ما جعلها مدة الحرب كلها في ارغد عيش ولم تخسر من رجالها فى المحاربات عشر ما خسرته تونس المجاورة لها (١)

---

١) كل ذلك واقع فقد استغل الحلفاء بله وغفلة المسلمين الى اقصى حدود الاستغلال مقابل مواعيد خلابة ثم جازتهم جزاء سنمار فماذا فعلت انقلتيرا بالعرب فى جزيرة العرب ازاء ثورتهم لفائدتها ضد دولتهم العثمانية ، وماذا فعلت بمصر ؟ وماذا فعلت فرانسا بشمال افريقيا ازاء أمدادها لها بمئات الآلاف من الرجال وملايين الاموال ، وقد ضحت تونس وحدها بـ ٤٥ الفا من خيرة شبابها في هذا السبيل .

٤ - اساءة الدول لمستعمراتها

وندم المستعمرات على عدم الثورة !

قدر الله النصر للحلفاء باعانة المستعمرات فدكوا صرح الخلافة الاسلامية والشرق أجمعه دكا واملوا مواد الذل والسيطرة على امد طويل على الاعداء المقهورين حرفا حرفا ورجعوا الى كراسيهم حاملين الوية النصر يتبخترون لكنهم لم يفكروا قط في تخفيف آلام وويلات مستعمراتهم التي افنت رجالها واموالها في نصرتهم ونسوا كل مواعيدهم المؤكدة لها ، بل باشروا فى التنكيل بكل من نطق بكلمة اعطونا نصيبنا أوفوا بعهدكم الذي عاهدتمونا عليه .

فأعدموا رجالا كاملين وزجوا آخرين في السجون المظلمة وشردوا كثيرين الى الآفاق السحيقة وشتتوا عائلات كثيرة لها تاريخ في مختلف الاقطار وصادروا ما بقي من الاموال فى ايدي الذين اقعدهم الدهر بين ايديهم وضيقوا على من لم يترك له مجال التنفس فكأنه في صندوق مغلق وهذه الاعمال جارية الى اليوم فى اكثر المستعمرات والجهات .

فالاعراض تهتك بدون مبالات والاموال تسلب بلا حساب والارواح تزهق بدون ثمن ، والنفوس الابية تجرع كئوس الهوان من غير سبب .

لما ذكرناه كله نرى امم المستعمرات تعض اصابعها ندما على عدم اقتدائها بطرابلس ، وعلى تقاعسها عن اجابة دعوة الخليفة الى الجهاد متحققة انها لو فعلت ذلك لأنتصر الخليفة وحزبه وكان الشرق أجمعه يرفل في حلل السعادة .

٥ - استعداد المستعمرات للثورة

وقبول المدد من الاعداء فى الحرب المنتظرة !

بناء على ما تقدم يجب ان توقن دول الاستعمار بأنه لو تعلن حرب عمومية

فانها سوف لا تقدر ان تستعين برجل واحد او درهم واحد من مستعمراتها ولا تؤثر وعودها الحلوة في احداً ابداً كالمرة الاولى بل تصبح الثورة متفجرة في كل مستعمرة يقودها الرؤساء ، ولا استثني من ذلك رؤساء الاحزاب الوطنية فى البلدان الحائزة لقب « الاستقلال » المظلومة بمعاهدات استعمارية وتمديدها الى ابعد مدى طالبة المدد من كل من يقدمه لها من اعداء دول الاستعمار ولا بد من ان تصافحها اكف هي اسخى من كف حاتم وتجود عليها بالمال والسلاح والضباط لنيل استقلالها وكسب مودتها فى النهاية . وليست طرق امداد اليوم بصعبة كالسابق ، فقد كان -- مثلا — لا يصل العتاد الحربي من استامبول الى مجاهدي طرابلس الغرب فى اقل من ٤٠ يوما في حرب ١١ ـ ١٢.

ولما ترقت المواصلات صار يصل اليها في ستة ايام فقط فى حرب ١٤ ، ولا يحتاج اليوم الى اكثر من ست ساعات على كل حال . اليكم التفصيل :

٦ ـ صعوبة امداد الثوار سابقا ١٩١١-١٩١٢

كان امداد الثوار صعبا بواسطة البواخر والمراكب المهربة ، وان الدولة العثمانية خاطرت بسلاح كثير واموال عظيمة ، خسرتها فى سبيل امداد مجاهدي طرابلس الغرب سنة ١١ـ١٢ .

ولما كانت وسائل النقل منحصرة في المراكب الشراعية والتجارية وكان الاسطول الايطالي يتلقاها فى عرض البحر فيغنم بعضها ويلتجيء البعض الى موانيء فرانسا فتحجزها والبعض يرمي حمولته فى البحر عندما يشاهد اسطول ايطاليا يقتفى أثره .

وكانت النقود والضباط لا تصل من استامبول الى مواقع المجاهدين الا بعد ان تمر ببلدن اروبا متنكرة الى باريس ومنها الى مرسيليا ومنها الى تونس ثم

تسير فى البر الى دواخل طرابلس مع كل مخاطرة وزمن طويل لا يقل عن اربعين يوما ، اذا سلمت من الجواسيس ولم يعترضها مانع .

ولهذا لم تطل مدة الحرب واضطرت الدولة الى التسليم لأيطاليا وعجزت حكومة الاستقلال الوطنية بعد اشهر عن المقاومة لما انقطع عنها المدد ونفد ما بايديها والتجأت الى اراضى تونس وسلمت سلاحها لفرانسا (١)

٧ - سهولة امداد الثوار

بواسطة الغواصات فى حرب ١٩١٤

ولما ترقت وسائط النقل ولم يبق للاسطول قيمة فى تعطيلها ، أمكن للدولة العثمانية ان تمد مجاهدي طرابلس الغرب — مدة الحرب الكبرى كلها — وكانوا لا يقلون عن عشرين الف مقاتل بكل ما يحتاجون اليه من نقود ذهب أو فضة وانواط عثمانية وفرانساوية وسلاح ومدافع مع كل لوازمها وثياب وخيام وسكر وقهوة وشاي وواقيات الغاز الخانق ووالات التليفون ووالات اللاسلكي والضباط على اختلاف رتبهم .

وكانت عازمة على ارسال طائرات قبل الهدنة بقليل وكل ذلك بواسطة الغواصات التي كانت تخترق البحر الادرياتيكي والبحر الابيض فى ستة ايام فقط سائرة في رابعة النهار حتى تنزل حمولتها على ساحل طرابلس مطمئنة وتعود حاملة ما اشترته من محصولات طرابلس غير مكترثة باساطيل الحلفاء بل كانت الاساطيل تتجنب طريقها وتحذر ملاقاتها خوفا من ان تفتك بها كما شاهدنا ذلك بأعيننا ، وكثيراً ما مرت امام سواحل الادرياتيك الايطالية نهاراً وهي على سطح البحر وفتكت بمراكب في البحر الابيض وركاب الغواصه على ظهرها

---

١) كما بينا ذلك فى نهاية الطور الاول من جهاد البارونى باشا بهذا الكتاب .

يصوزون بنالامهم المراكب والنار تلتهما وهى تتدهور الى قعر البحر والأمواج تتقاذف ركابها المشرفين على الغرق وصياحهم يرن فى الفضاء مستغيثين ولا يغاثون الى ان يزدردهم البحر وتقذف بهم الامواج بعد ايام الى سواحل بني غازى او سواحل طرابلس اشلاء ممزقة فيذكي منظرها في المجاهدين حماسة لا توصف ويضاعف ءامالهم بالفوز والنصر النهاءي .

٨ - سهولة امداد الثوار في المستعمرات

بالطيارات والغواصات في الحرب المنتظرة !

وسيكون ايصال المدد للثوار أسهل وأسرع مما ذكرناه بكثير في الحرب المقبلة ، اذ رقت وسائط النقل الى حد بعيد ، والثورة اذا ظهرت في مستعمرة تظهر فى اطرافها البعيدة حيث المركز الصغير للحكومة فتكتسحها وتغنم سلاحها ولو كان قليلا فيكون نواة لتأسيس مركز المقاومة بعيداً عن قوة الدول المشغولة بحرب مع اعدائها . فأخلوا الجو لطائرات الاعداء فتأتى بالليل وتلقى اعلانات للثائرين تعدهم فيها بانها مستعدة لامدادهم .

وما المدد في اول الثورة الا الدرهم والدينار وجانب من الخرطوش المناسب لسلاحهم وهو سهل الحمل على الطائرة ، فاذا رجعت فى المرة الثانية وقد انتشر خبرها امكنها النزول بامان ومفاوضة الثوار وتعود في الليلة المقبلة حاملة معها احد الثوار الى حكومتها للاستفسار منه ووضع خطة الامداد على علم واساس متين فاذا عادت في المرة الثالثة ومعها رفيق الثوار وبيده النقود والهدايا وبصحبته ضابط لتنظيم الامور انتهى كل شيء على ما يرام وعادت الطائرة تاركة فيهم من النشاط والآمال اللذيذة ما يجعل كل من يبلغه الخبر ملتحقا بهم فتتقدم الثورة متأججة بسرعة الى سواحل البحر البعيدة عن المدن ومراكز القوة والحصون ، واذ ذاك تباشر الغواصات اعمالها بنشاط ويمكن ابقاء الطيارات

معهم للكشف والتنشيط ولا تحتاج الى مطار اذ يسهل عليها ان تنزل حيث شاءت آمنة في الاماكن الفسيحة ، وقد يتم هذا كله في شهر واحد ولا يكلف الدول المعادية لدول الاستعمار حملا ثقيلا ، ولو بعد مركزها من مركز الثورة لان الثوار من طبعهم القناعة والتجلد وانتظار النصر ولا يهمهم طول الزمن ولا شك في ان هذه الافكار مختمرة في ادمغة منظمي الحرب المنتظرة من اعداء دول الاستعمار وانهم يخترعون الطائرات اللائقة لهذه الخدمة المخصوصة ويرسمون الخطط الكاملة لنجاحها ويرتاد جواسيسهم من الآن الاماكن المناسبة لنزولها ليعينوها في الخريطة كما لا شك في ان هذا كله يختلج في صدر كل رئيس وفرد من امم المستعمرات المعذبة ! (١)

٩ - تزايد اعداء دول الاستعمار

في الحرب المقبلة

ستكون في الحرب المقبلة اكثر عدداً منها في الحرب السابقة اذ تلحق بها الدول التي أفلست من الغنيمة ولم تستفد من الانتصار ولو دية قتلاها والدول التي التزمت الحياد لم تجن من ورائه ربحا يذكر ، والدول التي اكتسبت العداوة لأسباب جديدة وغيرها ممن يضمر الحسد للمستعمرين .

وبهذا تصبح مراكز الطائرات والغواصات المعدة للغارة على المستعمرين ولأمداد الثائرين كثيرة وقريبة منها في كل جهة فتقوم بما تكلف به بكل سهولة .

---

١) أليس الامر واقعا كله اليوم كذلك في تونس والجزائر ومراكش كما تنبأ به الباروني باشا في سنة ١٩٣٢ ؟ (احذروا فراسة المؤمن فانه بنور الله يبصر)

١٠ - النتيجة

تكون النتيجة ان تحقق الهزيمة على دول الاستعمار فى الحرب الآتية ولا نقف عند هذا الحد فى البيان مع انه كاف لتنوير الاذهان فى الموضوع الا اننا نقول سائلين : هل يتصور احد مع ما ذكرناه امكان انتفاع دول الاستعمار من مستعمراتها ويتصور انتصارها في الحرب المقبلة كالمرة الاولى !؟

اما نحن فنجيب عن هذا السؤال من الآن بالنفي القطعي بدون تردد . واما اركان حرب جيوش الاستعمار فلها رأيها ، وكم رأينا انها من غلطات فادحة في ارائها واعمالها في الحرب السابقة مما ادركته بنفسها على كل حال (١)

١١ - نصيحة الى دول الاستعمار

وايطاليا خاصة

واني أعقب هذا بنصيحتي الى دول الاستعمار وايطاليا خاصة فأقول : اذا كانت الدول تبحث باخلاص نية عما يقي العالم شر حرب مدمرة سينصب بلاؤها كله على عواصمها العظيمة الجميلة الحافلة بالعجائب والغرائب والمشحونة بخلاصة اممها التي تحرص على سعادتها .

فلتبادر بتقرير الغاء الاستعمار وتحرير الامم المحكومة ، والاتفاق على سن قانون لتدريب الامم المستعمرة واعانتها على النهوض ببلدانها بادارة مستقلة توافقها وتنتفع بخبراتها متعاونة مع الشركات واصحاب الفن من اوروبا .

وهذا أمر في طريق التحقيق عاجلا او آجلا .

---

١) وربما يقول قائل : ها هم أولاء الحلفاء قد خرجوا من الحرب العالمية الاخيرة بالنصر المؤزر فأين تنبؤات الباروني باشا هنا ؟ فنقول : الجواب هو طرابلس ومصر والسودان والهند واندونوسيا وبيرمانيا وكوريا والهند الصينية والاردن وتونس ومراكش والجزائر (ويخلق الله ما لا تعلمون)

فالواجب على الدول المبادرة اليه بدون حدوث محن وكوارث على العالم(١)
ونتمنى ان تبادر حكومة ايطاليا بتحرير طرابلس الغرب التي اوقعت الحرب
معها بموجب عهد اقتضاه الوضع والوقت سنة ١٩١٩ تعهدت به حكومتها
السابقة وصدق عليه مجلسا النواب والاعيان ، وتوجه جلالة الملك عمانويل بارادته
الملكية وبوشر تطبيقه ثم الغى بدون سبب مشروع .

مقدمه عضو مجلس الاعيان العثماني سابقا
ووالي وقوماندان طرابلس الغرب في الحرب العظمي
سليمان الباروني

جواب رئيس المؤتمر

ثم قال رئيس مؤتمر نزع السلاح لعصبة الامم بجينيف المستر هندرسون
وزير خارجية انقلتيرا اجاب سعادة الباروني باشا عن تقريره الهام الآنف الذكر
برسالة شكر وثناء ، هذا نص ترجمتها — نقلا عن خط الباروني باشا نفسه :

مستر باروني المحترم ـ عضو مجلس الاعيان العثماني السابق .
اشكركم على تقريركم المهم حول عدم التسلح .

بالنظر الى عودة المانيا الى المؤتمر والى المواد التي حصلنا عليها بنتيجة اعمال
ومفاوضات السنة الماضية ، اؤمل كثيراً بأن المؤتمر سيتخذ في برهة الثلاثة
ألاشهر القرارات الحاسمة التي يرتكز عليها النجاح النهائي .

واذا تحقق هذا الامل فاعتقد انا سنتمكن من تجهيز وتصديق نظام عدم
التسليح الذي يمكن التوقيع والتصديق عليه في بحر هذه السنة ، وهذا مما يلائم

---

١) لقد حدث ما تنبأ به الباروني باشا من محن وكوارث على العالم و حرب العالم
الكونية ١٩٣٩ـ١٩٤٥ ، اي بعد نحو ٧ سنين من تنبوئه اذ لم تبادر الدول بحسن الاصغاء
اليه ، ولا أخذ ذلك الامر يتحقق للامم على الاثر .

شعور الامم في انحاء العالم ورغبتهم فى تاسيس سلم مستقر مع عدم التسليح .

أسمحوا لي ان اعبر لكم عن أملي الشديد بأنكم ستواظبون على تقديم جميع المعلومات والمساعدات التي تتمكنون من ابدائها الينا في برهة الاشهر العصيبة القادمة .

واؤكد لكم مع تشكراتى على تقريركم انني المخلص اليكم ،

٩ مارس ١٩٣٣ الرئيس : هندرسن

٢ — ومنها بيان كيفية الغاء الاستعمار :

رسالته الثانية الى مؤتمر نزع السلاح

ثم ان البارونى زاد فأرسل الى مؤتمر نزع السلاح رسالة ثانية مجيبا وشارحا وملاحظا في ٢٤ مارس ١٩٣٣ ، وهذا نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

بغداد ٢٨ ذي القعدة ١٣٥٣ ـ ٢٤ مارس ١٩٣٣

حضرة صاحب الفخامة المحترم المستر هندرسن رئيس مؤتمر نزع السلاح في جمعية الامم بعد تقديم الاحترام اللائق بمقامكم الرفيع . أعرض اني تلقيت بيد الاجلال كتابكم الكريم المؤرخ فى ٩ مارس ١٩٣٣ وتلوته بلسان التعظيم شاكراً عواطفكم العالية وتنزلكم لرد الجواب عن رسالتى .

ان دخول جرمانيا المحترمة في المؤتمر يعد من اكبر موفقيات جمعيتكم الموقرة تستحق التهنيئة عليه .

لكن هل يؤمل اتفاق مطالب جرمانيا مع مطالب فرانسا المتضادتين ؟

وعلى فرض اتفاقها هل يؤمل اتفاق قرارات الجمعية النهائية مع ما تنتظره الامم المستعبدة من نيل حريتها واعتبارها من نوع الانسان حتى تكون

الجمعية عملت لأجل سعادة الانسان لا لأجل سعادة اوروبا خاصة !

وهذا انما يتحقق كما قلته فى رسالتي الاولى بالغاء الاستعمار .

ولأجل دفع ما تتوهمه دول الاستعمار من ضياع حقوقها بالغاء الاستعمار زيد الآن ايضاحا للموضوع بانه يجب :

١ — رفع الحماية عن الممالك ذات الصبغة الحاكمية من قبل والغاء المعاهدات التي عقدت معها فى حال ضعفها وتجديد معاهدات معها تتضمن مصالح الدولة التي كانت حامية لها وغيرها بطريقة عادلة وقبولها عضواً فى جمعية الامم .

٢ — ابدال الاستعمار الموجود في المستعمرات البحتة بانتداب حقيقي، واستفتاء الامم المستعبدة بواسطة الجمعية في الشكل الذي تختاره لحكومتها الوطنية الى ان تتأهل لعقد معاهدة والدخول فى الجمعية .

٣ — عدم حصر الامتيازات فى دولة مخصوصة بل يكون للمؤسسات المالية مطلقا الحق فى الاشتراك فيها انما يكون للدولة المنتدبة النصيب الوافر وللحكومة الوطنية النصيب الاوفر ولغيرها الباقى .

لان الامتيازات هي السبب الوحيد الذى يسوق الدول الى الحرب .

٤ — جعل مدة المعاهدات المذكورة والامتيازات غير طويلة وقابلة للتعديل حتى يمكن الصبر عليها الى ان تنتهى بدون نزاع اذا ظهر جورها واجحافها بحقوق الوطنين .

٥ — تبديل عبارة (حرية الاديان) التي تذكر فى المعاهدات لمقاصد سياسية بعبارة (احترام الاديان والحكم بالعقاب الصارم على من يهينها) حتى لا يبقى محل للتبشير الذى أصبح أقوى منفر للشرقي خصوصا العالم الاسلامي من دول اوروبا .

فان الدين الاسلامي متفق تمام الاتفاق مع المدنية الصحيحة في كل زمان

لتأسيسه على تقديس الاديان السماوية كلها ، ونشر كل ما فيه فضيلة وابطال كل ما يعد خبيثا ، ويحث على تعمير الارض وتعميم الامن والمساوات بين افراد الانسان بدون فرق بين اسود وابيض ، وكل هذا صريح في القرءان المقدس يفهمه كل من تامل فيه بانصاف وراجع التفاسير الاسلامية المعتبرة بدون التفات الى ترجمة اللغات الاجنبية المحرفة قصداً او جهلا باللغة العربية وبلاغة القراءن الكريم .

اذاً — فلا حاجة الى مناهضة الدين الاسلامي العداء بوسيلة التمدين لأن الاسلام قانون المدنية العالمية الطاهرة .

وأظن ان المبشرين الافاضل تسعهم اوروبا وامريكا وروسيا لنشر مراشدهم وتوزيع صدقاتهم ، وفي ذلك كفاية لنيلهم الثواب الجزيل الذين يسعون له من عند الله .

هذا ما ظهر لفكري القاصر في هذه الساعة ، واعتقد أنه رأى أكثر مفكري المسلمين والشرق الذين يتمنون حصول التئاخي والسلم العام بين سكان الارض بواسطة جمعيتكم المحترمة ، وفي الختام اغتنم هذه الفرصة لتقديم احترامي الفائق .

المخلص : سليمان الباروني

نص جواب المؤتمر

جينيف ١ مايو ١٩٣٣

سيدى العزيز سليمان البارونى

قرأت كتابكم المؤرخ فى ٢٤ مارس باهتمام زائد واشكركم اذ وضعتم تحت نظرى وجهة النظر الخاصة بالمساواة بين الشعوب والاديان التى تعتقدون انها تسود الطبقة المفكرة في العالم الاسلامى . وثقوا باني المخلص لكم .

هندرسن

رسالته الثالثة الى مؤتمر نزع السلاح

شرح وتحليل

بغداد ٢٠ محرم ١٣٥٢ هـ ٢٤ ماي ١٩٣٣ م

حضرة صاحب الفخامة المحترم المستر هندرسن رئيس مؤتمر نـزع السـلاح في جمعية الامم .

تشرفت بـكتابكم العالي المورخ فى ١ مايو ١٩٣٣ .

وارجو ان تسمحوا لي بان أبين لفخامتكم انه ليس مقصدي في رسـالتى الاولى والثانية مجرد بيان اماني الاقوام الاسلامية فقط بل مقصدي هو ان تلك الامانى اذا حصلت على أيدي جمعية الامم المؤقرة تـكون خير وسيلة لمنع الحرب وتحديد السلاح .

فانه اذا رفعت الحمايات كما فى المادة الاولى من رسالتى الثانية المـورخة في ٢٤ مارس ، وابدال الاستعمار بالانتداب الصحيح كما فى المادة الثانية منها، ولم تحصر الامتيازات فى دولة مخصوصة كما في المادة الـرابعة . واحترمت الاديان كما في المادة الخامسة . أصبح العالم كله صديقا للجمعية وضداً لمـن يسمى للحرب مطلقا فتضطر المانيا أن تقنع بما تناله من الربح لمشاركـتها فى الامتيازات وبعض الانتدابات التى ستكون عوضا عن الاستعمار وحينئـذ لا تبقـى لهـا رغبة فى التسلح ولا يبقى لفرانسا وبريطانيا حرصهما القديم على محافظتهما على التفـوق فى السلاح حيث انه لا حاجة اليه ، فان الممالك المحمية ستنال استقلالهـا ويبقى للدولة التي كانت حامية حق التقدم على غيرها بالحصول على النصيب الوافر من الامتيازات فقط ، وتنقلب المستعمرات لى منتدبات مؤقتة تنال استقلالها بعد بضع سنين ، ويـكون للدولة التى كانت منتدبة حق التقـدم ايضا على غيرهــا

بالحصول على النصيب الوافر من الامتيازات فقط . فعلى أي شيء يكون الحرب بعد هذا ؟ واي حاجة تدعو الى إنفاق الملايين من الذهب في سبك الحديد وتذويبه والامم تموت جوعا ؟

وبهذا ايضا تنال ايطاليا نصيبها فى الارباح من الامتيازات وتسكن حدتها وهيجانها .

وهذا فيما نظن يسهل على المانيا الاندماج فى الكتلة الاوروبية فتبقى الروسية الشيوعية صاحبة الخطر العظيم على العالم كله منفردة وتعجز عن تنفيذ خطتها .

اما اذا فشل مؤتمركم واتفقت الروسيا مع المانيا وايطاليا وتركيا وصار مضيق البوسفور والدردنيل ممراً حراً لسيول الروسيا التى تومل ان تملأ البحر الابيض بها ، فلتودع اوروبا الشرق كله مل الآن الوداع الاخير اذ لا بد من حصول ما ذكرته في رسالتى الاولى المؤرخة في ١٠ كانون الاول ١٩٣٢ من ثورة المستعمرات كلها ووصول دعاياتِ اليها بسرعة (١)

وبمناسبة ذكر البوسفور والدردانيل ، أقدم لفخامتكم ثلاث نسخ من رسائل كنت قدمتها ايام احتلال الحلفاء لأستامبول لممثلي الدول العظمى .

---

١) اين انت يا مؤتمر نزع السلاح ؟ واين انت يا مستر هندرسن الآن ؟ لقد رايتم تنبؤات البارونى باشا فى سنة ١٩٣٢ – ١٩٣٣ ، مجرد امانى واحلام لاتصدر الا عن الدراويش ، ولكن ماذا حققته سنة ١٩٣٩– ١٩٤٥ ، وماذا هو واقع الى الآن ١٩٥٦ ؟ فهل بقيت الحمايات والمستعمرات الى الآن بين ايديكم كما كانت فى سنة ١٩٣٢ ؟ واين الشرق كله الآن منكم ؟ او لم ترجعوا الآن الى كثير من ءارائه عن قصد او غير قصد ؟ ولاسيما قضية الامتيازات ولكن بعد خراب البصرة (ويخلق الله ما لا تعلمون)

وقد تحقق بعض ما ذكرته فيها قبل وقوعه وفيها كلام على الدردنيل والبوسفور ألفت نظر فخامتكم اليه .

وهو وان كان مكتوبا فى ذلك الوقت بالنسبة الى مركز الخلافة والخليفة لكنه ينطبق الآن على حكومة الجمهورية التركية فانها اقدر من غيرها على محافظة المضيقين (الدردانيل والبوسفور) كما شهدت بذلك التجربة في الحرب العظمى وبانضمامها الى الكتلة الاوروبية يتقوى جانبها ويضمن السلم العام .

وتفضلوا بقبول احترامى . المخلص سليمان البارونى

جواب المؤتمر

جاء جواب المؤتمر هذه المرة فاتراً اذ ورد منه بواسطة سكريتيره لا من الرئيس هندرسن ، حيث كان المؤتمر اذ ذاك غير مجتمع ، وقد ظهرت علامات فشله واضطرابه . وهذا نصه :

جينيف ـ عصبة الامم ـ ١٥ يوليو ١٩٣٣

ان دائرة سكريتيرية عصبة الامم تتشرف بابلاغ السيد سليمان البارونى وصول كتابه المؤرخ فى ١٤ مايو ١٩٣٣ ، وانه يختص بموضوع خارج عن دائرة اعمال سكريتيرية عصبة الامم .

رسالته الرابعة

حول خروج المانيا من عصبة الامم

ثم ان البارونى باشا حرر فى ٢٧ رجب ١٣٥٢ ـ ١٥ نفامبر ١٩٣٣ حول هذه المشكلة الخطيرة رسالة قيمة وهي الرسالة الرابعة الى اعضاء لجنة نزع السلاح في عصبة الامم وضمنها الفات نظرهم الى حل مشكلة فلسطين .

وقد نشرت الجامعة العربية نص الرسالة فى تاريخ ١٣ شوال ١٣٥٢ كانون الثاني ١٩٣٤ تحت العنوان التالي :

الزعيم سليمان باشا الباروني

ينتصر لقضية فلسطين

ارسل الزعيم الطرابلسي الكبير سليمان باشا الباروني نزيل العراق الكتاب التالي الى لجنة نزع السلاح فى عصبة الامم :

بسم الله

حضرة اصحاب الفخامة اعضاء لجنة نزع السلاح في عصبة الامم المحترمين .

شرفني كتابكم عن رسالتي الثالثة وانا في مسقط وقد عدت الآن الى بغداد وبمناسبة ما احدثه خروج المانيا المحترمة من العصبة الجليلة من الانزعاج وتشاؤم العالم من فشل مؤتمركم .

ولمناسبة ما يجري من الفظائع المؤلمة في فلسطين العربية المظلومة المنكوبة بالصهيونية تلك الفجائع التي هزت العالم الاسلامي اجمعه والعالم العربي على الاخص أرجو باسم السلم العام من مجلسكم الموقر اعادة النظر فى رسائلي المتقدمة اليكم فى تاريخ ١٠ كانون الاول ١٩٣٢ وتاريخ ٢٤ مارس ١٩٣٣ وتاريخ ٢٤ مايو ١٩٣٣ ، فانى واثق بأنكم تستحسنون نظريتي في منع الحرب وتحديد السلاح وكل محب للسلم يؤمل ان تتوفقوا بحكمتكم الى اعادة جرمانيا الى حظيرة العصبة كما توفقتم الى ادخالها فى لجنتكم اولا فيزول الخطر .

وان تعاد الى فلسطين حقوقها المهضومة فتسكن العاصفة ، فان الصهيونين ولو بلغوا الملايين لايحمون أنفسهم في فلسطين فضلا عن ان يحموا السكة الحديدية والمطارات وانابيب البترول اذا انفجر بركان حرب عامة واشتغلت الدول الكبرى بمصائبها الداخلية وانفتحت ابواب المدد للامم المقهورة كلها من الخزائن الممدة لذلك كما فصلته لمجلسكم فى رسالتي الأولى المؤرخة في ١٠

كانون الاول ١٩٣٢ . وفي الختام أقدم احترامي الفائق .

المخلص : سليمان الباروني

٢ - المشاكل الاسلامية العامة

١ - الوحدة الاسلامية التامة

كان له في هذه القضية الكبرى منذ بروزه الى ميدان العمل رأي خاص — كأفذاذ قادة الاسلام — يدعو اليه بشغف وغرام في كل مناسبة . وذلك:

اولا — برجوع المسلمين كلهم الى كتاب الله وسنة رسول الله كما كانوا عليه في عهد الصحابة رضي الله عنهم قبل نشوب الخلاف .

ثانيا — باعتبارهم أئمة المذاهب الاسلامية كغيرهم من علماء الاسلام فقط .

فمن ذلك ما نص به في تقرير له حول رسالة والده المرحوم « سلم العامة والمبتدئين » بعد كلام طويل فى افتراق مذاهب الاسلام ، قال :

« . . . فمتى يأتي يوم لا يذكر فيه المسلمون في الشرق والغرب الا الله ورسوله وكتابه ، ولا يذكرون الائمة الا باسم علماء كغيرهم من علماء الاسلام فيصبح الدين واحداً والمذهب واحداً لا طرق ولا مذاهب ، واذ ذاك يزول الشقاق ويتحد الرأي فيطلبون الانضمام الى خليفة واحدة كما كانوا على عهد الصحابة الراشدين أيام الخليفتين بالاتفاق أبى بكر وعمر رضي الله عنهما (١)

---

(١) ص ٤٧ – طبع مطبعة النجاح بمصر فى ذى الحجة الحرام ١٣٢٤هـ ، ويقرب من رأيه هذا قول قطب الائمة الشيخ طفيش رحمه الله اذ قال في كتابه « التيسير » في تفسير قوله تعالى (واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا) الآية ما نصه : والنزاع الآن فشا في اهل التوحيد فملكهم اهل الشرك .

ومن ذلك ما نص به في منشور له مورخ في غرة رمضان ١٣٢٥ ، وقد وزعه في جريدته « الاسد الاسلامي » ضمنه أسئلة يطلب من علماء الاسلام الاجابة عنها :

وهذه الاسئلة تدل بفحواها على اتجاهات تفكيره يومئذ وهذا نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم ، والصلاة والسلام على رسوله الامين وءاله الطاهرين

صورة ما ارسلناه

الى معتبري هداة الامة علماء وادباء الفرق الاسلامية وفقهم الله

المرجو من حضرتكم — ايها الاستاذ — الذى سنعتمد على اقواله واقوال امثاله ممن تمسك بالمذهب المحترم ، امعان النظر في المقالة المحررة تحت عنوان (الجامعة الاسلامية) في جريدة « الاسد الاسلامي » الآتية اليكم مع هذا . ثم بعد اطلاق عنان الفكر بحثا وراء عين الحقيقه نطلب ابداء ما اقتضاه نظركم السامي من الجواب عن الاسئلة الآتية بايجاز غير مخل بالمراد خدمة للجامعة والدين ولحضراتكم الثواب والشكر ويكون الامضاء هكذا :

حرره فلان الفلانى البالغ من العمر كذا سنة فى البلدة الفلانية بشهر كذا سنة ١٣٢ .

الاسئلة

١ — هل توافقون على ان من أقوى أسباب تفرق المسلمين تعدد المذاهب وتباينها ؟

ولو رجعوا الى مذهبنا في الاصول او اغضوا عن مسائل الخلاف كأن لم تكن وكانوا يدا واحدة لغلبوا على اهل الشرك واهل الشرك الآن مشغولون بالاحتيال فيما يملكون به غيرهم الخ ج ٢ ص ٧٩١ .

٢ — على فرض عدم الموافقة على ذلك فما هو الامر الآخر الموجب للتفرق؟

٣ — على فرض الموافقة فهل يمكن توحيدها بالجمع بين اقوالها المتباينة والغاء التعدد في هذا الزمن الذى نحن فيه أحوج الى الاتحاد من كل شيء ؟

٤ — على فرض عدم امكان التوحيد فما الامر القوي المانع منه فى نظركم وهل لازالته من وجه ؟

٥ — على فرض امكان التوحيد فاي طريق يسهل الحصول على النتيجة المطلوبة ؟ واي بلد يليق فيه ابراز هذا الامر ؟ وفى كم سنة ينتج ؟ وكم يلزم له من المال تقريبا ؟ وكيف يكون ترتيب العمل فيه ؟

٦ — وعلى كل حال فما الحكم فى الساعي فى هذا الامر شرعا وسياسة أمصلح أم مفسد ؟

هذا ولسنا بناشرين مما ياتينا فى هذا الباب شيئا حتى يجتمع لدينا المطلوب الكافي لتكون الافكار مستقلة لا يقتبس بعضها من بعض ، والا دارت على محور واحد وذلك مما لايفي بغرضنا .

ان اريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله . وعلى حضرتكم السلام

سليمان الباروني(١)

---

١) لسنا ندرى ما هو اثر هذا المنشور من هداة الاسلام وقادته اذ ذاك ، وهل اجاب بعضهم عن اسئلته ام لا ؛ وغاية ما نعلم ان تجاوبا بين انحاء العالم الاسلامي قد رن صداه نحو هذه الدعوة فتأسست جمعيات للتوفيق بين مذاهب الاسلام ؛ وانعقدت مؤتمرات تهدف نحو هذه الاهداف العالية .

٢ ـ حول المؤتمر الاسلامى العام

لمناسبة انعقاد المؤتمر الاسلامي العام فى القدس سنة ١٣٥٠ ، لاحظ الباروني باشا فى مقرراته بعض ملاحظات هامة حررها كمواد اضافية مقرونة بشرح اسبابها ، وأرسل الينا صورة منها نسجلها نقلا عن خطه حرفيا فيما يلى قال :

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة اعضاء الهيأة التنفيذية للمؤتمر الاسلامي العام الموقر ـ وفقهم الله .

السلام عليكم ورحمة الله

اما بعد -- فاني أقدم لكم تهنيئتي بتوفيق الله رجال الاسلام الى عقد المؤتمر الاسلامى العام الذي طالما تمنت الامة الاسلامية انعقاده .

ثم أعرض رأيي فى بعض المواد التي قررها وفى غيره خدمة للاسلام والمؤتمر

١ — كما انتخب المؤتمر هيأة من خيرة الاعضاء لقضية السكة الحديدية الحجازية يجب انتخاب هيأة كذلك من ثلاثة اعضاء للبحث عن اوقاف الحرمين الشريفين المهملة والمأكولة في كثير من الاقطار الاسلامية والمطالبة باعادتها الى مرجعها .

٢ — انتخاب هيأة كذلك لمطالبة عصبة الامم بالغاء عهد « بلفور » القاضى بجعل فلسطين العربي ومنه البيت المقدس وطنا قوميا وملكا لليهود الصهيونيين وهو لأصحابه العرب من زمان بعيد وللعالم الاسلامي من الف وثلاثمائة وخمسين سنة .

٣ — انتخاب هيأة كذلك لمطالبة حكومة انقرة باعادة الآثار النبوية الطاهرة الى مرجعها (المدينة المنورة او مصر)

٤ — انتخاب هيأة تطوف الاقطار الاسلامية لتشويق ملوكها وامرائها ووزراء اوقافها واغنيائها الى شراء ما يباع من اراضى فلسطين وجعلها وقفا

مؤبداً لا يبدل على مساجد ومدارس ممالكهم بشرط ان تبقى في ايدي اصحابها او غيرهم من عرب فلسطين باجرة خفيفة تنفع ، ولا يستصعبها العاملون فيها .

٥ — تقدير نفقات مكتب المؤتمر على سبيل التقريب لمدة سنة واحدة .

٦ — تقدير نفقات الهيئات المذكورة لمدة سنة ايضا .

٧ — تقدير مبلغ احتياطي يحفظ امانة فى مصرف مصر الاهلي او غيره في مصر .

٨ — الاعلان عن هذه المبالغ في الصحف وترغيب اهل المروءة في التكرم بها ثم اعلان حصولها بمجرد اجتماعها فى صندوق المؤتمر .

٩ — لا لزوم لأنشاء كلية في القدس فى السنين القريبة ولا نقل رفاة رجال الاسلام اليه من بعيد .

١٠ — وجوب دعوة المؤتمر الى الاجتماع فى كل سنة الى ثلاث سنين على الاقل .

١١ — السعي لأنعقاد المؤتمر المقبل في مصر في ميعاده المقرر ٢٧ رجب سنة ١٣٥١ (١)

شرح اسباب المواد المذكورة

اما سبب انتخاب الهيئات المذكورة فهو الاقتصاد فى النفقة وامكان سرعة المباشرة فى تنفيذ المقررات

واما سبب المادتين ١–٢ فواضح ولامراء فى انها من صلاحية المؤتمر الذي

---

١) يستفاد من هذا ان المؤتمر هذا قد وقع انعقاده فى ٢٧ رجب سنة ١٣٥٠ بمناسبة ليلة المعراج اذ اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم فى اصح الروايات ليلة ٢٧ رجب قبل الهجرة بنحو سنة ونصف .

أصبح لسان العالم الاسلامي

واما سبب المادة ٣ فهو ان الآثار النبوية الطاهرة كانت محفوظة محترمة عند الدولة العثمانية لأنها أقوى الدول الاسلامية ولملوكها الشرف الاسنى بكونهم خلفاء المسلمين ، اما وقد عادت حكـــومة انقرة لادينية تحتقر الدين الاسلامي ومقدساته فلا حق لها فى وضع يدها عليها .

بل روضة صاحبها صلى الله عليه وسلم او مصر التي نقلت منها وهي صاحبة الملك القوي في الاسلام الآن أحق بمحافظتها

واما سبب المادة ٤ فهو انه اذا كان الموقوف من الاراضي عائد الى مساجد ومدارس اغنياء واوقاف دول اسلامية أصبح في حرز منيع من تعدي الصهيونيين عليه ولو استفحل أمرهم لأن وراءه امما ودولا تناضـل عنـه وتتحـاشى عصبة الامم او اية دولة غربية التعرض له لانه يؤدي الى الاخلال بالسلم العام الـــذى تسعى وراء تحقيقه فيما تزعم .

وبهذه الصورة ينقطع بطبيعة الحـــال طـريق الهجرة الصهيـونية ويثبت الفلسطيني ولا يبرح وطنه من عسرا وتضييق عليه ، حتى اذ تأججت نار الحرب المدمرة المنتظرة وهي على الابواب بدون ريب يسوقها الضغط البالغ منتهاه على الانسانية سوقا حثيثا وانقطعت المواصلات البحرية بالمخترعات المـكتومـة أصبح الفلسطينيون مع ضيوفهم الاغنياء الصهيونيين فى صعيد واحد لا اجنبي معهم ، وهم يعلمون اذ ذاك ما ياتون وما يذرون . ولعل الله ألهم الدول الى حشر ما بقى من شراذم هذه الامة على وجه الارض الى هذا المـكان لتصبح قبل الامم كلها فى خبر كان كـقوم نوح وعاد وثمود ، ولله في خلقه شئون .

ولو فـكر عقلاء الصهيونيين في المسألة بعين البصيرة لأدركوا مصيرهم الذي يساقون اليه (مكرهين) .

واما سبب المواد ٥-٦-٧-٨ فهى انه اذا علم اهل الفضل والحميه بالمقدار الضرورى للشروع فى العمل وتبينوا الغرض المقصود منه واطمـــأنت نفوسهم بكونه سيحفظ فى محل لا تتطاول اليه يد غاصب كمصرف مصر مثلا ، سهل عليهم التبرع وقد يتبرع به واحد منهم فى اسرع وقت وتحصل المباشرة في العمل بدون تردد .

اما الانتظار الى ان تجتمع عشرات الالوف فمضيع للفرصة محال للعزائم ، وخير البر عاجله ، وللتاخير آفات .

واما سبب المادة ٩ - فهى ان المتبادر الى الذهن من ظهور الدعـــوة الى المؤتمر من سياحة رئيس المجلس الاسلامي الاعلى السيد امين الحسيني على الوجه الواقع من الاستعجال في الدعوة هو الاستنجاد بالعالم الاسلامى لحماية البيت المقدس وحماية الاقربين اليه جيرانه عرب فلسطين من الخطر الصهيوني المحدق بهم

وهذا لا يفيد فيه بناء كليات او مساجد او تشييد أضرحة اذ لم يهددهم الصهيونيون بالعلم او بالدعاء او بسكان القبور بل بقوة المال لأنتزاع اراضيهم من ايديهم وبالاستناد على جمعية امم مسيحية لتنفيذ خطتهم بالقوة فيلزم اذاً انجادهم بالمال وبجمعية امم اسلامية قادرة على محاجة جمعية الامم المسيحية .

على انه ما دام النزاع على البيت المقدس نفسه وهو رأس بل روح القضية فليس من الحكمة عندي بناء كلية وجمع اموال طائلة لهـــا فيكون من باب الحاق الحبل بالدلو على رأي المثل . ونحن لدينا كلية الازهر العامرة وغيرها فى الهند وتونس وفاس ، بل لا أرى حكمة فى المخـــاطرة بدفن اعاظم رجال الاسلام البعيدين عن فلسطين في القدس الشريف اذا لم يقـــدر الله استخلاص البلاد من نير الصهيونيين الغاصبين وكتب على اهلها المساكين الجلاء (لا قدره الله)

فمن ذا الذي يحمى الكلية وتلامذتها الغرباء اذ ذاك ومن يحافظ على تلك الجثث الهامدة في مدافنها ولا حول ولا قوة لها ؟

ألم تطرد حكومة فلسطين عضواً محترما من اعضاء المؤتمر وساقته الى حدود البلاد مخفوراً كمجرم او لص وذلك لكلمة حق قالها ، وفي صحف فلسطين مثلها واشد منها .

فهل أمكن او يمكن للمؤتمر ان يقابل هذا العمل بغير كلمات يحتج بها ؟ وهل تفيد مقابلة الافعال بالاقوال شيئا ؟

وماذا يصنع الاعضاء يا ترى لو حل بهم ما حل باحدهم ؟

أيحتمون بالعرب المستنجدين بهم ؟ أم بقناصلهم ؟ ام يستسلمون للادارة الصهيونية ؟ لا نذهب الى بعيد فهذه جوامع دار الخلافة التاريخية العظيمة ومدارسها الدينية الفخيمة ومدافن الخلفاء من ءال عثمان سيوف الاسلام فى مدة ستة قرون تدمر وتنهب وتهان فهل قدر العالم الاسلامي على حمايتها ؟

وهناك ضريح المجاهد صاحب رسول الله عليه السلام أبي أيوب الانصارى وفى برقة وطرابلس وتونس والجزائر والمغرب الاقصى قبور للقواد الفاتحين اصحابه صلى الله عليه وسلم ، فهل فى الامكان حمايتهم لو اريد بهم سوء كما يجري فى الروسيا الآن ؟ هيهات !

واما سبب المادة - ١٠ - فهى ان العالم الاسلامى شاهد عقد مؤتمرات قبل هذا فى مثل هذا السبيل في مكة ومصر مراراً ولم تسفر عن نتيجة بل بمجرد تفرق اعضائها بقيت المقررات حبراً على ورق ، فموالات انعقاد المؤتمر ثلاث مرات في ثلاث سنين على الاقل مما يثبت مركزه ويظهر ثمرته للمتطلعين اليها ، وفى ذلك من الجد فى العمل وترغيب اولي الحمية في معاضدته وبذل اموالهم في سبيله بطيب نفس ما لا يخفى على المتأمل .

واما سبب المادة - ١١ - فهي ان مصر اوسع صدراً للغريب وأعزز مادة فيجد فيها المؤتمر من الاحترام والتأييد والحرية ما لا يجده في غيرها ويمكن ان يشترك فيه او يشرف عليه من قريب من اساطين رجاله الراغبين في تأييد هذا المشروع من لا يمكنهم ذلك اذا انعقد في غير مصر .

وهذا أمر يجب ان تسعى الهيأة التنفيذية فيه عند حكومة مصر من الآن .

نعم — مع الامكان يجب ان يزور الاعضاء البيت المقدس بعد انتهاء اجتماعاته ، لما في ذلك من ادخال السرور والنشاط على حماته الحقيقين العرب وتقوية مركز مكتب المؤتمر هناك .

هذا ما ظهر لي على ما انا فيه من انحراف مزاج متعب ، فلينظر فيه بامعان وبالله التوفيق . ١٠ رمضان سنة ١٣٥٠ - بعمان مسقط

كتبه سليمان الباروني

وعلى اثر هذا كتب الينا ما يلي :

حضرة مدير النور الساطع .

أقدم لكم صورة مما كتبته في تاريخه الى اللجنة التنفيذية للمؤتمر الاسلامى المجتمع بالقدس الشريف لتحفظوه الى الوقت المناسب او تنشروه للرأي العام لتجرى المناقشة في مواده خصوصا مادة كلية القدس التى لم ار احداً من الكتاب لم يستحسنها والرأي لكم .

وصلتنى كتبك الثمينة والنور الساطع ، واعذر أخاك في تأخر الجواب سابقا ، وسأكتب فيما بعد ان شاء الله .

٦ ذي القعدة ١٣٥٠ سليمان (١)

---

١) لقد نشرنا كتاب الباشا المؤتمر في جريدتنا « النور » عدد ٢٦ الصادر في ١٤ ذى القعدة ١٣٥٠ - ٢٢ مارس ١٩٣٢ نقلا عن البلاغ المصرى

٣ـ حول المؤتمر العربي العام

لمناسبة اعداد العدة لأنعقاد المؤتمر العربي العـام في سنة ١٣٥٠ وردت الى الباروني باشا رسالة من بعض اعيان العرب يطلبه فيها بيان رأئـه فى المواد الـتى قررت لجنة المؤتمر جعلها ضمن جدول اعمالها ومدار بحث المؤتمر فيها .

وفيما يلي بيان قائمة فى تلك المواد وءارائه فيها نقلا عن خط المـرحوم . وهذا نصه :

وردت الي وانا بمسقط رسالة خصوصية من بعض كبار العرب مورخة في ٩ شوال ١٣٥٠ـ٢٦ شباط ١٩٣٢ فيها طلب بيان رأي فى المواد التي قررت لجنة المو تمر العربي العام البحث فيها ، وقد نشر بعضها بعد في الصحف وهى كما يلي :

أ) اختيار افضل مكان مناسب لعقد الموتمر

ب) تعيين موعد عقده

ج) تعيين اسماء الذين ينبغى توجيه الدعـوة اليهم من الاخـوان فى جهتكم للاشتراك في الموتمر .

د) تعيين موضوعات البحث التي يبنى عليها جدول اعمال الموتمر

يلي هذا جدول فيه المواد الآتية على انها من موضوعات البحث والمقترحات التى يبنى عليها جدول اعمال الموتمر

١ ـــ توحيد الاحزاب الاستقلالية فى اوضاعها وتشكيلاتها في الاقطار العـربية .

وقد جاء في مقدمة البلاغ عن هذا الكتاب ما يلي :

وقد احلت اللجنة التنفيذية هذا الكتاب محل الاعتبار واحالت اقتراحاته الى اللجان الفرعية كل في دائرة اختصاصها على ان تقدم كل لجنـة تقريـرا عما تناوله بحثها .

٢ ـــ توحيد العلم العربي فى شكله مـــع ملاحظة اضافة بعض العـلامات حفظا لخصائص بعض الاقطار

٣ — توحيد اسماء الحكومة العربية

٤ — توحيد شكل الطوابع البريدية وما اليها من الحوالات المالية البريدية

٥ — ضرب السكة الذهبية والفضية على صـور متماثلة وتوحيد شكل العملة الورقية على قدر الامكان .

٦ -- توحيد شكل جوازات السفر ورفع حواجز المرور والاقامة .

٧ ـــ جعل التابعية العربية حقا لكل عربي فى الاقطار العربية الاخرى .

٨ — السعي لرفع الحواجز الجمركية

٩ ـ انشاء الارتباط بين الغرف التجارية فى الاقطار العربية

١٠ ـ العمل للوحدة الاقتصادية

١١ ـ تاسيس بنك عربي متحد

١٢ ـ تغليب مصلحة البلاد العربية على كل مصلحة سواهـــا في مشروعات سكك الحديد وطرق المواصلات

١٣ ـ رعاية المصلحة العربية العامة فى جميع ما يعقد من معـاهدات داخلية او خارجية .

١٤ ـ توحيد نظام الموازين والمكاييل

١٥ ـ توحيد المجامع العلمية ومناهج التعليم وتسهيل القيام بالرحلات العلمية والمدرسية .

١٦ ـ ارسال بعثات المعلمين والاندية الى الاقطار العربية المحتاجة الى هذا وتسهيل القيام بالسياحة والسفر .

١٧ تأسيس كشافة عربية عامة متحدة على نظام عربى محض .

١٨ ـ توحيد شكل لباس الرأس

١٩ ـ السعي لحمل ملوك العرب وامرائهم الى عقد مؤتمر خاص بهم يجمع بينهم على اختلاف اقطارهم

٢٠ ـ تعيين يوم عام عيداً للامة العربية ويوم عام لذكرى شهداء العرب

٢١ ـ وضع كتاب للقضية العربية وكتاب لتاريخ العرب مختصر ومفصل

٢٢ ـ اقامة ممثلين للمؤتمر العربى الاول في الاقطار العربية

٢٣ ـ وضع نظام مالي للمؤتمر

٢٤ ـ اللجنة التنفيذية المقبلة تكون الهيأة السياسية العليا الممثلة للاحزاب الاستقلالية العربية

قال ـــ فاجبته عنها بما ياتى في ٢٧ صفر ١٣٥١

السلام عليكم ورحمة الله .

اما بعد ـ فقد تلقيت وانا في مسقط عاصمة عمان كتابكم الاول المحترم (. . .) ثم الثاني المورخ في ٢٥ ذى الحجة ١٣٥٠ الدالين على ما هنالك من الاهتمام العظيم بالقضية العربية المنشودة . والله اعلم بما خامرني من السرور اذ ذاك لكن كان وصولهما مع الاسف فى وقت كنت فيه عاجزاً عن رد جواب فضلا عن ابداء رأي فى قضية كهذه لها المقام الاول فى الاعتبار

واذ وصلت بغداد ولم يبق عذر لتأخر الجواب أعدت النظر فى الكتابين الجليلين .

والى انظاركم السامية ما بدا لى من الفكر فيما يخص المواد الاربع التى فى كتابكم الاول ، وان تأخر عن الوقت الذي عينتموه للجواب :

أ) ان أحسن مكان عندي لعقد الموتمر العربي المقبل هـو المكان الذى يعقد فيه الموتمر الاسلامي

ب) أحسن وقت لانعقاده المقبل هو الوقت الذي يعقد فيه المؤتمر الاسلامي ايضا ، وذلك لأنه متفرع في نشأته من المؤتمر الاسلامي ، ومؤسسوه من اعضائه وماليته منه فيجب ان يكون كقسم منه الى ان يتمركز في ظله ويستعد للاستقلال عنه باعضائه وماليته .

ج) ان مفكري هذه الجهة (مملكة عمان) يرجحون عدم الاشتراك في المؤتمرات السياسية - خارج بلادهم - فى الوقت الحاضر ، والبقاء على الحياد نظراً لوضعية بلادهم الجغرافية والسياسية ، فانها محاطة من الغرب بالربع الخالي مقطوعة به عن العالم العربي ومحاطة من الجهات الاخرى الثلاث تقريبا بالبحر وهو فى قبضة اساطيل الاستعمار ، فليس من الصواب عندهم اظهار العداء للاجنبى الواقف لهم بالمرصاد القابض على زمام البحر المتتبع لحركاتهم بالتدقيق ويتمنى ان يجد وسيلة للتدخل الفعلي في امر وهم في استقلال عنه وان كانوا كالمحصورين (وبعض الشر أهون من البعض)

د) ان اعمال المؤتمر العربى الاولى يجب (على ما اراه) ان تنحصر فى المساعى الموصلة من اقصر طريق الى تحرير البلاد العربية المستعمرة باعتبار درجاتها اذ انها متفاوتة فيه (اي الاستعمار) ومستعمروها مختلفو السياسة والمعاملات وان كانت المقاصد واحدة .

فمراكش - مثلا - فى حاجة الى رفع الحماية عنها ، وكذا تونس .

واما الجزائر فتحتاج الى امير وطني (تحت الانتداب الخفيف) موقتا (١)

وطرابلس الغرب يلزمها اولا تنفيذ قانونها الاساسي وتحقيق استقلالها الداخلي الذى صالحت عليه ايطاليا في ١٩١٩ بعد حرب طاحنة دامت اعواما .

---

١) هذا اقصى ما يمكن ان يقوله الحريت الماهر فى سنة ١٩٣٢ وان تخطت حدوده ثورة الجزائر في سنة ١٩٥٤

ومصر تستحق الاستقلال بمعناه الحقيق

وسوريا في حاجة الى ضم اجزائها المبعثرة تحت لواء واحد مستقل

وفلسطين لا حياة لها الا بالغاء عهد بلفور وضمها الى اصلها وعلى هذا القياس

فيكون على هذا وصول الممالك العربية الى الاستقلال تدريجيا ، وبعد حصوله او الاشراف عليه توجه الانظار والمساعي الجدية الى وضع اساس لاتحادها وربط بعضها ببعض بمعاهدة (لا توحيدها) لان ذلك لم يحصل لا في زمان المأمون من الاولين ولا في زمان عبد الحميد من الآخرين .

وهذا - في نظري - انما يتم بالتفاهم مع رءوساء الاحزاب الوطنية السياسية في كل قطر عربي بعد ان ينتظم أمر المؤتمر ، لانهم هم الذين يمثلون اممهم تمثيلا يعتبره المستعمرون ويحسبون له الف حساب وهم الذين يمكنهم تذليل ما يعترض مندوبيهم من الصعوبات في طريقهم الى المؤتمر وهم الذين يمكنهم الحصول على المال اللازم من ممالكهم لمندوبهم الى المؤتمر .

اما الاشتغال من الآن بالمناقشة في توحيد اسماء الحكومات العربية وتوحيد اعلامها ومكاييلها وموازينها وطوابع البريد والحوالات وضرب السكة بانواعها وجوازات السفر والجمارك والتابعية العربية العامة والسكك الحديدية والغرف التجارية وعقد المعاهدات وتوحيد لباس الرأس وحمل ملوك العرب على عقد مؤتمر عام وغير ذلك مما حوته المواد ٢٤ المحررة في كتابكم الاول فتضييع للوقت في نظري لأنها أمور ثانوية تاتي بعد تحرير البلاد ويطلب المهم منها من حكومات البلاد العربية بعد نيلها الاستقلال

اما الآن والبلاد مستعبدة للمستعمر حقيقة او حكما رغما عما فيها من ملوك وائمة وسلاطين وامراء مجردين من كل قوة عصرية الا ما يبيعه لهم المستعمر بما يريده من القيمة من بقايا سلاحه المهشم المرقع المزخرف بالادهان ايهاما بانه

جديداً وصالح للاستعمال ، فالمناقشة فيها كالمناقشة في تسمية ولد لا تزال امه فى صلب والدها .

وأظن ان المستعمر لا يعارض فى الاشتغال بها وصرف الاموال والوقت في سبيلها ، لأن اكثرها لا يغير مركزه ولأنها تصرف المؤتمر وتلهي رجاله عن الاشتغال بما يقتل الاستعمار وهو تحرير البلاد ولانها تستدعي اموالا قد يعجز المؤتمر عن تحصيلها فيزاحم مالية المؤتمر الاسلامى فيضعفان معا وتنصرف الانظار عنهما وذلك هو متمنى رجال الاستعمار !

نعم ! لا باس بالسعي فيها لكن باسم جمعية خصوصية لا باسم مؤتمر عربى عام ، فان هذا الاسم عظيم يجب ان يباشر العظائم لا ذيولها .

هذا والذى اراه نافعا هو ان لا تستقلوا في المسألة بئارائكم فانما انتم بشر وافراد لم تتجاوزوا عدد الاصابع وهذه قضية عامة فيجب ان تنشروا ما يرد اليكم في هذا الموضوع من الآراء ليمحصه الرأي العربى العام فى كل قطر وينجلي الطريق الاصوب وليس في هذا ما يعد من الاسرار المكتومة ، وهل يصح جهاد مع التكتم خصوصا فيما لا يمكن القيام به الا بالتصريح بانواعه .

على انه لابد ان يكون المكتوم فى ظنكم معلوما عند من تعتقدون انكم تكتمونه عنه ، ولا اشك في وصول نسخ من كتابكم هذا الى بعض دوائر الاستعمار ، فما الفائدة اذاً فى كتمانه عمن يهمهم الاطلاع عليه من اقطاب العالم العربى .

هذا ما ظهر لفكرى القاصر فتأملوا فيه واحملوا خطأه على حسن نية .

والتوفيق بيد الله . من اخيكم المخلص سليمان البارونى

٤ ـ حول حرب الجزيرة العربية

عندما نشبت الحرب فى جزيرة العرب بين الملكين العربيين المسلمين : الملك ابن السعود والامام يحيي فى سنة ١٣٥٣هـ تشاءم البارونى باشا كسائر عقلاء العرب والاسلام من مغبة هذه الحرب على العروبة والاسلام وحذر الملكين المتحاربين من عواقبها الوخيمة عليهما معا وعلى العرب والمسلمين وبين لهما انه لا يخرج بالغنيمة منها الا اعداء الجميع من دول الاستعمار ، فكتب فصولا ضافية في الموضوع نشرت في جرائد الشرق كالقلم وغيرها . ونحن ننقل عنها المقال التالي . قالت تحت العنوان الآتي : (١)

حرب الجزيرة ـ رأى البارونى باشا

لا تسموه اعتلاء وانتصار   انما قولوا انهيار وانكسار

وصلت صحف الشام وفلسطين ومصر وفى بعضها كالدفاع الأغر عنوانات ضخمة بحروف كبيرة تملأ الانظار وتبشر بما احرزته جيوش الملك ابن السعود من النصر ومطاردتها لجيوش الامام يحيى وبما فتحته من البلدان ودمرته من الحصون والقلاع وبتقدمها لاحتلال صنعاء عاصمة اليمن .

وظهرت على أثر وصولها بعض صحف العراق مصدرة بمثل تلك العنوانات الضخمة والحروف الكبيرة لكنها تذيع الانتصارات الباهرة التى نالتها الجيوش الزيدية وما ظفرت به من الغنائم العظيمة من سيارات مسلحة ومدافع وقوافل واسارى مع ما سقط فى الميدان من ءالاف القتلى من الجيوش الوهابية ، وتلا ذلك ظهور منشور طويل من احدى صحف بغداد بيعت منه ءالاف فى ساعة واحدة وهو يبشر بسقوط صنعاء وخلع الامام يحيى وفرار ولي عهده وقتله والمناداة باحد

---

١) وذلك في عددها الصادر في ١٩ ماي ١٩٣٤ عدد ١٣٧٨١

اولاد ابن السعود ملكا بعنوان فيصل الاول ملك اليمن ، ثم ظهرت صحف كذبت ذلك فهاجت خواطر الناس وظهر التحزب فلهج البعض سائلا ربه ان يحقق احتلال الوهابي لصنعاء ليمحو اثر الشيعة الزيدية .

وابتهل آخر الى الله ان يؤيد سبط الرسول حتى يحتل الرياض ليستأصل الوهابية من الارض .

فخيل الي عند ذلك اننا امام حرب تشبه حرب الدولة العثمانية مع اليونان فقد كانت الصحف اذ ذاك تصدر كل صباح على هذا النمط متوجة بمثول هذه العنوانات الضخمة مبشرة بزحف ادهم باشا بجيوش الخلافة على تساليا واستيلائه على مدن اليونان واحدة واحدة والناس ينتظرون سقوط اثينا عاصمة اليونان فى قبضته من ساعة الى ساعة ، واتسع امامي ميدان الخيال حتى ظننت ان هذه الجيوش زاحفة على بعض عواصم اوروبا للقضاء عليها انتقاما من دولها على ما قامت به من القضاء على الخلافة الاسلامية واستعباد الشرق كله او انها زاحفة على البيت المقدس قبلة الاسلام الاولى وثالث الحرمين الشريفين لأنقاذه وانقاذ جيرانه العرب المضطهدين وهو من الحجاز واليمن على قاب قوسين او ادنى .

الا انني ـ مع الاسف ـ أدركت ان ذلك كله خيال لا حقيقة له وان الواقع هو ان الجيوش المتطاحنة اليوم المبشر بانتصار بعضها على بعض هي اسلامية عربية فقط وفى بلاد اسلامية عربية لا غير . ولما قارنت بينها وبين الحرب العثمانية اليونانية المذكورة وجدت ان هذه وقعت بين اكبر دولة شرقية تحمل عنوان الخلافة الاسلامية منذ مئات من السنين وبين امة اروبية كانت تابعة لها وتمردت عليها فارادت اخضاعها ، فالتبشير بانتصاراتها أمر معقول لما في ذلك من الفوائد منها توسيع مساحة الدولة بما تضمه اليها من المدن العامرة والاراضى الخصبة ، ومنها اعادة ملايين من النفوس الى الدولة اكثرهم من المسلمين .

واما هذه الحرب المشئومة على الاسلام والعروبة الواقعة اليوم بين الامامين العربيين الزيدي والوهابي في جزيرة العرب فانه لمجـــرد اعلانها خسر اليمن تسع ولايات فيها عشرات الوف من العرب المسلمين ، لأن الامام يحيى يحارب لأجلها بريطانيا ويطالبها بالتخلي عنها وعما وراءها حتى كادت تعجز امامه فالتهمتها الآن لقمة سائغة بدون ثمن وانقطع أمل الامامين منها ومما وراءها من لحج وعدن وحضرموت وهي التي كان الامام يدعي انها من اليمن لان ابن حميد الدين تركها لبريطانيا استعداداً لابن السعود وابن السعود يصرح من الآن قبل ان يحتل صنعاء بانه لايمس ما دخل في حماية بريطانيا من البلدان .

وها هي بريطانيا واقفة باسطولها امام الحديدة متشفية في خصمها الامـــام يحيى بتمزيق جيوشه وبلاده ، لكن لا بيد بريطانيا بل بيد اخيه في الاسلام والعروبة الامام ابن السعود .

وها هي مدرعات بريطانيا وفرانسا وايطاليا واقفة امام ساحل اليمن تشاهد هذه المذابح عن كثب وتنظر الساعة المناسبة لتتفق على تقسيم احدى الفريستين او كلتيهما في النهاية .

اما الملك ابن السعود فما كاد يعلن هذه الحرب حتى خسر اكبر جوهرة في البحر الاحمر كانت في قلادة الحجاز وهي العقبة « وما ادراك ما العقبة ! » تلك الحلقة الثانية لاتصال البحر الاحمر بالبحر الابيض وارتباط المشرق بالمغرب ، وهي الغل الفولاذي للحجاز اليوم ، فقد اغتنمت بريطانيا فرصة هذه الحرب وباشرت تحصينها على ما جاءت به الاخبار الموثوق بها وسيصبح الحجاز ـ لا قدر الله ـ تحت رحمتها وسلطانها الى ما شاء الله

وابن السعود يصرح تطمينا لبريطانيا بان حاكمها في شرق الاردن الامير عبدالله اخوه وعزيزه انه سيتلاقى به ويتفق معه (اى على ما تريده بريطانيا) ان

صح ما نشرته الصحف .

هذا ما ظهر الى الآن من الخسارة المادية والمعنوية للاسلام والعروبة من هذه الحرب المشؤمة والمستتر اعظم على كل حال وسينكشف عن قريب .

فالمرجو من المستبشرين بهذه الحرب سواء كان النصر الاخير فيها لابن السعود او لابن حميد الدين ان يبينوا لنا الفوائد التي ستجنى منها للاسلام والعرب مقابلة هذه الخسارة الواقعة والمتوقعة ولا اخالهم واجدين مثقال ذرة من ذلك .

فجدير بالصحف المتألمة للاسلام والعرب من هذه الحرب ان تغير لهجتها وتجعل عنواناتها بين علامتي الحزن هكذا : « انكسار شوكة الاسلام بسيوف رجاله » و « انهيار صرح العروبة بمعاول ابنائها »

بغداد الاعظمية — ٢٨ محرم ١٣٥٣ سليمان الباروني

ثم كتب الينا الباروني باشا مذيلا لهذا المقال السديد، وقال :

تناقلت الصحف هذه المقالة وقد احدثت تاثيراً كبيراً في النوادي ، وقد جاء لزيارتي كثيرون من عظماء بغداد الذين لم نجتمع بهم من قبل مقدمين شكرهم على هذه المقالة ومقالة « مؤتمر نزع السلاح » وكان لهما شأن كبير في النادي العسكري في بغداد . الخ

ثم قال في هذا الصدد معلقا ما نصه : (١)

كتبت بقية المقال السابق كما وعدت ، ولما شاع خبر الهدنة استبشرنا خيراً وحمدنا الله على حقن الدماء ، وصرفت النظر عن ارسالها ، واليكم خلاصة بعض ما فيها مما لا يحسن اهماله رجاء ان لا يتكرر مثله من الذين ينتظر منهم

---

١) وقد نشرته المقطم في ٢٤ صفر ١٣٥٣- ٦ يونيو ١٩٣٤ تحت عنوان : في جزيرة العرب والبلدان المجاورة .

الاصلاح فى المستقبل .

١ ـ انتقدت عمل بعض الذين ذكرت الصحف انهم توجهوا من مصر الى اليمن انتصاراً للامام .

٢ ـ والذين توجهوا من الشام الى الحجاز انتصاراً للملك ابن السعود

٣ ـ والصحف التي جاهرت بالتحيز الى احد المتحاربين دون الآخر .

٤ ـ والذين ارسلوا الادوية والاطباء الى الحجاز خاصة ولم يقتدوا بتركيا ومصر .

فان ذلك كله ينافي القول بالوحدة العربية والسعي وراء تحقيقها ، اذ هـذا تمزيق لا توحيد ، ولا حاجة في اثباته الى دليل ، فكان الواجب على كل من كان خارج منطقتي المتحاربين ان يعلن سخطه على هذه الحرب وان يدعو المتحاربين بالهداية بل يصرح بالبراءة من احدهما لا على التعيين حتى يتحقق الظالم منهما الباغي المستحق للبراءة وحده ، لان نتيجة هذه الحرب على كل حال وخيمة على العرب والمسلمين والحرمين الشريفين .

اما القول بأن قضاء احد الخصمين على الاخر سيؤدي الى توحيد القوة التي يؤمل منها ان تنقذ البلاد العربية كلها من الاستعمار فانى اراه من الآمال التي لا طائل تحتها في هذا الوقت .

لان المنتصر منهما اذا رأت دول الاستعمار فائدتها في بقـائه متظاهراً بالاستقلال في دائرة محدودة من الجزيرة فلابد من ان تكرهه بعقد معاهدات معها على الاعتراف لها بما في يديها من البلاد العربية وعلى عدم التعدي وحسن الجوار والصداقة وعلى تسليم المجرمين وسد ابواب بلاده في وجه كل مقـاوم للاستعمار ، وهذا مما لا شك في وقوعه اخيراً فلننتظره .

وهل من المعقول بعد ذلك تعليق الآمال به وانتظار خلاص الشام وفلسطين

مثلا على يديه ؟ اللهم انى لا احلم بهذا فضلا عن ان أقوله !

فالواجب على رجال العمل ان يعتمدوا على الله ثم على أنفسهم ببذل ارواحهم واموالهم في سبيل غايتهم الشريفة لا على الملوك المغلولين بالمعاهدات .

فان عهد صلاح الدين الايوبي قد طواه التاريخ ، وعهد الدولة العثمانية قد عفي عليه « ما حك جلدك غير ظفرك ، فتول انت جميع أمرك »

اما اظهار دول الاستعمار وصحفها التخوف من هذا التحول « الذي ملأ افئدتها سروراً » فما هو الا خدعة سياسية وتمهيد لاتخاذه وسيلة لتوطيد اقدامها ومضاعفة قواتها فى البلاد المرتبطة بها .

فسنرى عما قريب زيادة الجيوش فيها وتشييد الاستحكامات وبناء المطارات وحمل نفقتها او بعضها على اكتاف البلاد المحتلة بدعوى الدفاع عنها وحمايتها من الخطر الذي يهدد سيرها (الحثيث) في طريق استقلالها الذي قررته جامعة الامم

هذا ما سنشاهده عما قريب من نتائج هذه الحرب المشئومة غير ما شاهدناه مما ذكرته فى مقالى الاول .

وقد انتقدت ايضا وفد المؤتمر الاسلامى الموقر على عدم ارساله بعض افراد اعضائه من اول يوم الى اليمن وعلى بقائه في الطائف لما اعلنت الحرب بعد وصوله واستمرت وهو هناك ولم يؤثر كلامه شيئا .

وانتقدته على تسليم اوقاف الحرمين الشريفين التى في القدس للملك ابن السعود في الوقت الذي وصل فيه الى مكة المكرمة باسم المؤتمر الاسلامي للصلح بين المتحاربين .

هذه خلاصة بعض ما كنت كتبته ولا حاجة الى بقيته ، اذ كفى الله المؤمنين القتال واغمدت السيوف والحمد لله .

بغداد ــ ١٣ صفر ١٣٥٣ سليمان الباروني

على ذكر العقبة !

لمناسبة ذكر الباروني باشا لقضية العقبة فى مقاله السابق أستحسن ان أنشر على أثره قصيدة عصماء قالها الاستاذ محمود الفلاح في الموضوع ونشرها في جريدة الاخاء في ٣٠ رمضان ١٣٥٣ ، وذلك لمطابقتها مطابقة تامة لما كتبه في هذا الشأن . وهذا نصها :

أترك الشعر وألق القصبه — وأنع بالسيف علا مستلبه
أي عز ظل او مفخرة — بقيت بعد انتزاع « العقبه »
بعد تطويق بلاد العرب لا — تنتظر الا انحناء الرقبه
لا يطيب العيش فى مملكة — أدخل العقرب فيه ذنبه
كم أنادى القوم فى مضجعهم — وكأني قد انادى خشبه
رميت بالعقم ارض النجبا — وقديما هي كانت منجبه
ليت شعري طبعها منقلب — أم طباع لهم منقلبه

* * * *

يا نياما عن مصير العقبه — سوف تحيون حياة متعبه
أي أمن لقباها والصفا — بعد درع لهما مغتصبه
حرم يأوي اليه خائف — هدد الخصم بخوف قببه
خط « حيفا » افعوان غادر — شحذت أم الدواهي أنيبه
سوف يلتف على اعناقنا — حيث لا يبصر راء منكبه

* * * *

ويح شرق مرجت اهواوه — لست أرضى عجمه او عربه
وشعوب جمعتهم ملة — ثم كل راح يبغى مذهبه

شعبوا في الدين والدنيا معا　　كل شعب شعب منشعبه
قد اضاعوا النسب الجامع اذ　　راح كل مستثيرا نسبه
جربوا الاسياف فيما بينهم　　ليت فى الاعداء هذي التجربه
شربت اسلافهم صرف العلا　　وهم قد أسكرتهم عنبه
تركوا صرح المعالي للعدا　　وتفانوا في سبيل العتبه
ثم ظنوا انها منقبة　　لا تواز يها لديهم منقبه

* * * *

في فريقين من الناس هوى　　وطن العرب ولاقى كربه
ففريق ميت من ترف　　وفريق ميت بالمسغبه
غلبتهم شهوة الجيب على　　ان يفوزوا في العلا بالغلبه
ليس للاوطان من مرتبة　　عند من تاهوا بحب المرتبه
ما خراب الدار الا من هوى　　فى نفوس موهشات خربه
أخصبت اجسامهم لكنما　　تحتها تلك القلوب المجدبه

* * * *

خطة اسمها منتدب　　فى بلاد دعيت منتدبه
زرعوا الاضغان فى تربتها　　واذاقوها صنوف المتربه
ثم قالوا هاكم استقلالكم　　واشكروا الله على ما وهبه
واقمنا حفلة العرس وهل　　ثم عرس والحلى منتهبه
وضعوا الاقياد فى أرجلنا　　فحسبناها حجولا مذهبه
لست أدري رأسها من عقب　　حالة ما فتئت مقتضبه

* * * *

سوف تبقى فى صباها فتن　　حضنتهن عجوز شهربه

ليس ياجوج وماجوج سوى ما توارى خلف تلك الحدبه
غول بحر شرب البحر ولم يران البحر وفى مشربه
يشبه اليربوع فى اكثاره من احافير تقيه عطبه
غير ان الدهر فى العابه دائب يفتن فيما لعبه

* * * *

قيل: للفصل تصدت عصبة وهي للاطماع كانت عصبه
تخمد النيران فيما زعموا وهي نيران الوغى محتقبه
بالديناميت هضاب حشيت فهي يوما كالحيا مرتقبه
ترسل الشهب الى جو السما وهو يلقى من اعال شهبه
سوف تمسي الارض منها جمرة من تباريح بها ملتهبه
مثلها اذ فارقت جسم ذكا وتناءت كرة محدودبه
كتمت اسرارها موجزة وهي فى الافشاء جداً مسهبه

* * * *

وهب الغرب لهذا الشرق لا عن وداد هبة اي هبه
بعث اليقظة في ارجائه فهي في كل رجا معشوشبه
لا ارى منا على الشرق له ان ذا فيما مضى كان ابه
غير ان الغرب عق الشرق فى انه لم يرع فيه أدبه
ان ذا الشرق على عري به مستعيد دون شك سلبه
وخيار الرأي معقود اذا ظبة من بطل لاقت ظبه

* * *

كيف حال الكون فى يوم به تلتقى تيتانه والدببه
لست تحظي فيه الا بالشقا او بانسانية منتحبه

ربما ود ابـن حـــوا انه	لم تزل اظهر عيس مركبه
هي في يوم النوى مركوبة	وهي في يـوم الطـوى مختلبه
اصبح العقـل عليه ءافـــة	ربما يلعـن من قـد هذبه
ان تكن في عقلنا موهبة	فهي عمر الله بئس المـــوهبه

٥ ـ حول التداعي بالعنصريات ـ ترك عرب

اقتلوا نغمة قضت علينا بالتمزيق فان احياءها سيقضي علينا بالاضمحلال !

تحت هذا العنوان نشر الباروني باشا في جريدة « الاهالي » الصادرة في ١١ ربيع الثاني ١٣٥٣ ، المقال التالي (١) وهذا نصه :

منذ ظهرت كلمة : ترك ، عرب ، وقبل سنوات ظهر تمزيق العرب خاصة ، لان الترك والعجم والافغان قد استقلوا بحد سيوفهم بعد الحرب العظمى استقلالا حقيقيا تاما ، واما العرب فقد قسمت ممالكهم بين المستعمرين الذين حاربوا معهم جنبا لجنب ليتخلصوا من دولة كانوا هم أشرف عضو عامل فيها ، وليستقلوا بانفسهم فاصبح اكثرهم مستعبداً استعباداً لا رائحة للحريه فيه والقليل الباقي منهم قد استعبد ضمنا تحت ستار استقلال هو اوهى من خيط العنكبوت !

فعوضا عن ان نتناسى هذه النغمة المزعجة ترك ـ عرب ، ونتلافى ما فات بالتقرب والتحابب مع جيراننا اليوم واخواننا وشركائنا في الملك بالامس ، قمنا نحي ذكرها الآن كأننا استسعدنا بها من قبل وما هي الا مبعث داء عبودية عضال أصاب العرب وحدهم .

بدأت كلمة : عرب ـ ترك تلوح على الألسنة في هذه الايام وتجاوزتها الى الاقلام بوسيلة تجلى المودة والتقرب بين ممالك فارس وتركيا والأفغان المسلمات الشرقيات .

---

١) سياتي قريبا بيان ما احدثه من التاثير البليغ في اندية الشرق .

وبدلا من ان نرحب بهذا المظهر الجديد في الشرق ونعده اساسا متينا لقاعدة الخلاص من الذل صرنا نتشاءم به ، ويعد البعض منا موجها الى العرب والبعض يراه موجها الى العراق خاصة ولا ادرى لماذا ذلك وكلنا يعلم ان لا نجاة لنا الا في الاتحاد والتعاون على ما فيه سلامتنا . وان ما يظهر من القوة في جانب منا هو قوة للكل .

ولا شك ان في احياء كلمة « عرب ـ ترك » دعاية لتوطيد قدم الاستعمار من حيث لا نشعر .

سبق ان قلت في مقال لي على حرب نجد واليمن ان اظهار صحف الاستعمار التخوف من الملك ابن السعود هو توطئة لاتخاذ ذلك وسيلة لزيادة القوة البرية والبحرية والهوائية في البلاد التى تحتلها بدعوى حمايتها من ابن السعود الذى سيلتهمها يوما ما ويقضي على سيادة الغرب في الشرق على زعمها ، وقد شاهدنا اخيراً شيئا من هذه الزيادة في كثير من المستعمرات للسبب عينه .

والآن وقد ظهرت هذه الاشاعة الجديدة أصبحنا نشاهد آثارها تتجلى بسرعة يوما فيوما بدعوى وقاية الممالك العربية من الخطر التركي العجمى الافغاني الداهم الذي سيجدد عهد « جنكيز وهولاكو » فيما يزعمون .

وقد بالغ بعض المتشائمين من هذا الحلف المتحمسين للعراق فى كلامه حتى قال : ان العرب كلهم فداء للعراق اذا حدثت هؤلاء الحلفاء الثلاث « العجم والترك والافغان » أنفسهم بالاساءة الى العراق !

ولا ادري اي العرب يعنون على فرض وقوع الاساءة للعراق ؟ فان كانوا يقصدون عرب الشام باقسامه فاننا لا نعلم ان في الشام جنداً ينجد وسلاحا يقتل غير جند فرانسا وسلاحها .

وان كانوا يعنون عرب الاردن فالكل يعلم ان ما هناك الا جند بريطانيا

وسلاحها وقائدها ابو حنيك امير البادية .

وان كانوا يعنون عرب فلسطين فالحجر والمدر والانس والجن يشهدون بأن ما فى فلسطين الا جند وسلاح الصهيونيين المتسترين بالانكليز .

وان كانوا يعنون عرب نجد واليمن فقد علم الناس انهم قد قيدوا بمعاهدات لا تسمح لهم ان يتجاوزوا حدودهم قط !

وان كانوا يعنون الكويت والبحرين فان هاتين الامارتين قد اصبحتا كقاعدتين حربيتين للاسطول البريطاني الهائل في الخليج الفارسي فلا حركة ولا سكون فيهما الا بأذن بريطانيا .

فلم يبق الا ان نفسر ذلك ان وراء العراق قوات فرانسا المرابطة في الشام وقوات بريطانيا المتمكنة في شرق الاردن والعقبة والقوات الصهيونية الانكليزية القابضة على فلسطين ، فهى مع متطوعة العرب القوة التى تقدر ان تصد العجم وحلفاءهم عن العراق اذا قصده بسوء ، وبعبارة اخرى اذا ارادوا العبث بانابيب البترول الفرنسية الانكليزية .

وها هنا يجب ان ندرك اننا قد استنصرنا بدول اجنبية على دول شرقية اسلامية الامر الذي كان الكثير منا يحذر منه الامام يحيي عند زحف جيوش الملك ابن السعود على بلاده قابلين بوجوب تسليم عرشه لأخيه المسلم العربي الزاحف عليه اذا غلب على أمره .

ولا يجوز له ان يحتمى او يستعين بدولة اجنبية ، والا حل غضب الله والملائكة والناس أجمعين ، لانه بذلك يكون قد اعان المشركين على امتلاك بلاده الاسلامية العربية ولم يسلمها لملك مسلم وان كان باغيا عليه فى اعتقاده .

نعم — لو صدر مثل هذا الكلام من افرنسي او انكليزي لكان معقولا وذلك بأن يقول مثلا : اذا فكرت روسيا في غزو مستعمراتنا الشرقية من طريق

الحلفاء الثلاث : ايران وتركيا وافغانستان على العراق والاستيـــلاء على منابع ثروتنا النفطية فاننا لا نهتم بذلك لان اكثر الغرب او كلهم في ايدينا وفي امكاننا ان نسوقهم كما سقناهم فى الحرب العظمى الى العراق للدفاع عن منابعنا وانابيبنا النفطية ، وعن طريقنا الى الشرق بدون ادنى صعوبة . او نفقـة كبيرة لكن الانكليز والفرنسيس ساكتون ونحن نتكلم بمـــا سيقضى على البقية الباقية لنا مما مزقته سابقا كلمة « ترك عرب » من الشمل .

كأن الاصبع التي لعبت دورها المحزن في حرب الاخوين : نجد واليمن قد تم مرادها هناك ، فانتقلت الى هذه الجهـات لتلعب دوراً آخـر في حرب بين الجارين المسلمين العجم والعراق ، ولا ريب فى ان النتيجة ستكون كتلك فيخسر الطرفان المال والرجال والسلاح وتلعق الاصبع وحدها الزبدة والعسل .

وكأني بالفرنسي والانكليزي والصهيوني يقولون : اذا كان للعرب قـدرة على حماية العراق من اعتداء اخوانهم المسلمين العجم والترك والافغان المتحالفين فما بالهم لم يحموا بلادهم منا ؟ ولم يطردونا منها ليجنوا خيراتها ويشيـدوا ملـكا يحيون به عهد معاوية وابن عبد العزيز فى الشام جنة الله فى ارضه وعهد صلاح الدين الأيوبي فى البيت المقدس قبلة المسلمين الاولى .

أليس هكذا ايها القارىء المنصف ؟

هذا والحقيقة التى لا مرد فيها على ما اعتقـــده هي ان العجم وحلفاءهم لا يفكرون قط في الاساءة الى العراق لأسباب كثيرة اهمهـا الجـــوار والاسلام واشتراك المنافع . وعلى فرض تجاهلهم ذلك كله ، فانهم لا يقدرون ان يتجاهلوا المعاهدة البريطانية العراقية فهي أمامهم أشهر من نار على علم ، وأمامهم مطـار « الهنيدي » العتيد ومطار « سن الذبان » الجبار ، وأمامهم أسطول بريطانيا العظيم الذي ملأ ما بين البصرة والبحرين فى خليج فارس ووراء ذلك كله الجند

الجرار والمدفع الثرثار والدينار السحار المهيئين للعمل عند اول اشارة تصدر من القائد البريطاني ، ومع ذلك يعلمون أن الحرب مع العراق هي حرب مع بريطانيا وحلفائها ، ومعنى ذلك الحرب العامة .

وهذا ما لا يخطر ببال العجم وحلفائهم ان يخوضوا عبابها لأنهم في حاجة الى سلم مستمرمدة طويلة يجددون فيه ما تخرب من ملكهم ويجمعون قوتهم التى لم تزل فى درجة التأسيس ، ويحلون فيه مشكلاتهم مع جيرانهم فى جو مملوء بالصداقة وحسن النية .

فالواجب على كتاب ومتكلمي العرب والعجم وحلفائهم ان يتحققوا انهم فى عصر ووضع يفرضان عليهم ان يتناسوا كل فارق في سبيل التقارب والتحابب وان يشتغلوا بالجديات المنتجة قولا وفعلا ، لا بالتهويل بالطرق التي يعلم المستعمر حق العلم انها كنفخ في رماد وصيحة في واد ، وهو يعمل بجد صامتا لدوام استعبادنا .

سليمان الباروني

وبعد — فهذه بعض نماذج من ءارائه في المشاكل العالمية ، وفى المشاكل الاسلامية العامه عرضناها على انظار الباحثين ليروا مبلغ ومناحي تفكيره فقط لا للاستقصاء ، لانه يستدعى مجلداً على حدة ، وكتابنا الوجيز لا يتسع لذلك كله فمعذرة .

هيام الباروني باشا باقطار افريقيا الشمالية

طرابلس تونس الجزائر مراكش

اذا علم الاخ الباحث مبلغ فناء الباروني باشا فى الجامعة الاسلامية منذ نعومة اظفاره .

واذا علم هواه العذري الخاص نحو مصر من قصيدته التى قرأها له فى هذا الكتاب التي مطلعها : هويتك يا مصر وهل فى الهوى صبر ؟ الخ

فكيف يتصور مبلغ هيامه وكنه هواه وشدة تعلقه باقطار افريقيا الشمالية على الخصوص طرابلس تونس الجزائر مراكش .

ان له نحو هذه الاقطار لشغفا لا يمارى ، وحباً لا يجارى ، ونظرات بعيدة لا تتناهى ، وغايات عالية لا تتسامى ، ومطامع واسعة غير محدودة ، واماني بعيدة ممدودة . ونحن نلم هنا الامة خاطفة في هذا الشأن فيما يلي :

اولا — فاما طرابلس منبته ومسقط رأسه — فاننا وان كنا لخصنا عنه فى شأنها ما مر من جهاده بالقلم واللسان والسنان ذوداً عن حياضها حيث لا يفتر مدة حياته عن ذلك فى سائر ميادين الكفاح ، وكلما ارغمته الظروف على الانسحاب من ميدان ، تولى متحرفا الى ميدان آخر ، فمن قلم الى منبر الى سيف ومن سيف الى منبر الى قلم وهكذا الى آخر حياته كما علمت شيئا من ذلك من قبل . غير اننا نرى أتماما للفائدة تسجيل بقية من ذلك هنا .

فانه رغماً عن محنة الابعاد والتشريد والامراض وقلة المادة فهو لا يزال يسمع العالم من حين لآخر قوارعه على رءوس الظالمين والعابثين غير هياب ولا وجل ولئن كان استقصاء ذلك غير مستطاع لكننا نأتى هنا ببعض النماذج حسب خطتنا لهذا الكتاب :

١ - رسالته لموسوليني من عمان

في عنفوان طغيان الدكتاتور الايطالي موسوليني كتب اليه الباروني باشا وهو اذ ذاك رئيس وزارة الامام الرسالة الحازمة الآتية من عمان عندما بلغه اعتداء ايطاليا على طرابلس بالغاء قانونها الاساسي وهذا نصها :

عمان - مسقط — ١٥ ذي القعدة سنة ١٣٤٥

الى حضرة الوزير الخطير السنيور موسوليني

قرأت مع الاسف العظيم فى بعض الصحف العربية ما عزمتم عليه من نقض بناء القانون الاساسي لحكومة طرابلس الغرب الذي نظمت مواده بالاتفاق معى انا واخوانى رؤساء مجاهدي طرابلس ، الهيأة العسكرية المحترمة التى كان يرأسها الرجل المخلص لأيطاليا في حروبه معنا الجنرال تارديتى وصدقه مجلس الوزراء الايطالي ومجلسا النواب والاعيان وجلالة الملك الموقر ورضيته الامة الايطالية جمعاء وحبذته الامم الشرقية والغربية كلها معلنة الثناء على ايطاليا بما أبدته من السعي وراء حقن الدماء والميل الى السلم وخدمة الانسانية ومد يد التعاون على اقامة العمران والاعتراف ببعض حقوق الطرابلسيين التي خولهم اياها « مبدع الكون » وشهدت عليها الدهور وسجلها التاريخ وأيدتها استماتتهم في سبيل الدفاع عنها بصورة لم يسبقهم الى مثلها غيرهم فى هذه العصور القريبة حتى كان عملهم انموذجا لكل أمة تطالب بحقوقها وحريتها في هذا الوقت .

وقد برهن الطرابلسيون بعد هذا القانون على الوفاء بالعهد ومدوا ايديهم لمساعدة ايطاليا على الاصلاح بالمال والانفس وكفى دليلا على ذلك تقديمهم ستة ملايين ليرة ايطاليا للقرض الفاشيستي على ما قرأته فى بعض الصحف العربية .

وقد كانت طرابلس في ايام الدولة العثمانية عاجزة عن القيام بتصريف ادارتها

فضلا عن ان تساعد الدولة باعانات كبيرة مثل هذه وما هـذا الا من باب الوفاء بالعهد من الطرابلسيين مؤملين من الحكومة الايطالية تطبيق ذلـك القـانون المعطل من يوم توقيع جلالة الملك عليه وفتح مجلس النواب الطرابلسي الـذي اهتمت حكومة روما اذ ذاك باتمام تشييده وبقي مغلقا الى اليوم ، والمارون امامه يقرأون ذلك السطر التاريخي المنقوش على جبهة بابه وفيه ما نصه :

مجلس المبعوثان الطرابلسي

لـكن مع الاسف خاب ظنهم وضاع أملهم في ايطاليا الفاشيستية اذ اصبحتم تبرهنون لهم بهذا النقض على ان لا عهد ولا ميثاق ، فانتم بعملكم هذا تسفهون رأي ممثلي الامة الايطالية في مجالسها العالية وتعبثون بشعـور الشعب الايطالي المجسم في توقيع جلالة مليكه وتنقصون حكم العالم الانساني الذي حكم لايطاليا عند اعلانها هذا القانون بأنها أقرب أمة الى التسامح وحب المساواة وانها الامة الوحيدة بين امم الاستعمار التي يمكنها توسيع دائرة ملكها والتأثير على نفوس غير ابناء جلدتها بسهولة .

اما ما يتفوه به بعض الفاشيستيين من مروجي فكرة هذا النقض من وصفهم الوزراء والقواد الذين أسسوا هذا القانون بالجبن وضعف العزائم والحط مـن الشرف العسكري الايطالي ، فان المنصفين يرونه مخالفا للحقيقة . لأن اولئك الذين أسسوه كانوا من خيرة قواد ايطاليا . ولا أظن الا ان اكثرهم الآن من اعضاء حزب الفاشيست ، ولأن تاسيس هذا القانون كان في وقت حرج بالنسبة لأيطاليا ، لأن رسل الرئيس « ويلسون » كانت بعد الهدنة واستمرار الحرب في طرابلس واعلان الجمهورية فيها تتردد على عاصمة طرابلس لاستكشاف الحالة فيها .

لأن ايطاليا كانت تظهر ان الحرب قد ختمت في طرابلس لكن لما

وصلت الرسل وجدتنا بجيوشنا حـــول اسوار طرابلس ، وربما سمعت اصوات مدافعنا من الفندق الذي نزلت فيه بجوار السراي الحمراء مقر القائد العام .

وربما رأتنا من استحكام قرقاش ونحن نحوم بخيلنا ورجلنا في ميدان النضال بين عين زارة وزنزور نقابل قنابل الطائرات المنهمرة علينا كالصـواعق بافئدة لا تتزلزل ونتلقى رصاص دم دم المسموم ونار المـدافع الضخمة والسيارات المـدرعة بصدور رحبة .

فلو لم يعلن هذا القانون اذ ذاك لـكانت ايطاليا فى مركز حرج بين الدول خصوصا امريكا والامة الايطالية نفسها ، لأن حكومة روما رغما عن انتصارها مع حلفائها واحتلالها القسطنطينية فرجم طرابلس اذ ذاك وسندها المتين لم تقدر ان تخفف من جندها المحارب في طرابلس البالغ اكثر من مائة الف على قـول بعض كبار القواد الذين اخبروا ايضا بان مصرف هذا الجيش كان مليونا فرنك فى كل يوم والامة الأيطالية كانت حينئذ في ملل من الحرب وضيق المالية .

وقد شعر الجنرال « تارديتى » فيما أظن عند مذا كرتنا على هـذا القـانون بميل بعض رؤسائنا الى الصلح بدون قيد ولا شرط .

او انه تلقى من بعضهم وعداً في التخلف بقبـائلهم عن الحرب اذا لم يحصـل الاتفاق فقطع المذاكرات اكثر من مرة وأعلن الحرب ولـكن لم يتقدم شبرا واحداً في منطقة طرابلس وزنزور والزاوية الغربية التي كان قائدهـــا الجـنرال مزبتى الجسور المعدود من كبار القواد حتى فى العهد الفاشيستى الآن .

فعاد الجنرال تارديتي الى فتح المذا كرات مرة اخرى واستمرت الى ان حصل الاتفاق على المواد المعلومة المطبوعة تحت توقيع جلالة الملك وبعنوان : « القانون الاساسى » لحكومة طرابلس الغرب .

واذ ذاك ختمنا الحرب بدون ان نصغى الى نصيحة من اشار علينا بمداومة

الحرب والعمل على طلب قانون اوسع من هذا اعتماداً على مواد الرئيس ويلسون ولو لم نختم الحرب بهذا القانون لدامت ولما وجدت ايطاليا الفاشيستية الآن مجالا لتوسيع خطاها ومد يديها الى الجهات الاخرى .

ونحن ما كنا نحارب ايطاليا لمجرد بغض فيها او لعداوة نضمرهـا لها او لطمع في درهم واحد من خزائنها او في منصب من مجالسها ، بل للمحافظة على بعض حقوق ورثناها عن ءابائنا ، فدافعنا عنها لنورثها ابناءنـا مسجلة في عهد مسطور مطرز بتوقيع جلالة ملك ايطاليا .

وها هي اوراق وسجلات اسلافك الوزراء بين يديك فراجعها فلا تجـد اسماءنا الا فى دفاتر الوقائع والمعارك .

اما دفاتر المالية والهدايا الثمينة والمطالب الشخصية فلا تجد لنا فيها ولا نخر اثراً ولا ذكراً .

فالجنرال تارديتي والوزارة المحترمة لم تقصر في المحافظة على الشرف العسكري الايطالى قطعا لكنها مع ذلك لم يبلغ بها الغرور الى حد ان تجحد حق امـة خلقت من تربة الارض الطرابلسية منذ الوف من السنين لا يعلم اولها الا الذي انشأهـا ،

وقد شهد لها التاريخ الصادق بانها لم يات عليها زمن لم تقاوم فيه الامم التي قصدت التغلب عليها حتى فى عهد الاسلام الذي محا ءاثار العنصريات والمذاهب بين بني البشر .

اما ما يترنم به غواة الاستعمار من ان ايطاليا لم تعتـد على الطرابلسيين وانما عادت الى ارض ءابائها الاقدمين الذين ابقوا آثارهم دالة عليهم، فقول لايقبله سليم العقـل ولا ينطبق على شيء من التاريخ الحقيقي .

فان بلاد الايطاليين منذ عرفوا ايطاليا المعلومة بحدودها فى كتب الجغرافيا

وراء البحر الابيض ما اجتازوا هـذا البحر الا غازين او مسترزقين كما اتوا الى تونس والجزائر وغيرهما ، وكما اتى العرب الى قطانيا وسارا كوزة وباليرمو ومسينا وغيرها من بلاد ايطاليا التي ملكوها قرونا من الدهر .

فهل لهم ان يقولوا الآن تلك بلاد ءابائنا واجدادنا ؟

وقد أتى طرابلس من غير الايطاليين كثيرون كالمصريين والحجازيين والسوريين والترك وعادوا عنها واحتلوها مدة بعد حروب طـاحنة ثم بارحوها فهل لهم ان يدعوا كلهم انها بلاد اجدادهم ؟

ولو التفتت دولتكم التفاتة خفيفة الى الوراء لرأيتم ان رأية ايطاليـا كـانت قبل خمسة عشر عاما فقط مرفوعة فوق اسوار مرزق في فزان وفوق قصور غات وغدامس على حدود السودان ، فما بالها رجعت في اول الحرب العامة متقهقـرة الى ان اوقفها البحر فانحصرت داخـل اسـوار طرابلس وزوارة والخمس تاركة وراءها كل عزيز لديها من مال وسلاح ووجال ؟

أليس اولئك المتقهقرون هم عينهم الفاشيستيون الآن ومنهم دولتكم ؟

ام الفاشيستية نزلت ومعها رجالها من السماء ؟ لا ـ لا ـ وشرفك !

فحينئذ أليس من الصواب المحتم اتباعه استبقاء رضاء الطرابلسيين لايطاليـا والمحافظة على ولائهم واخلاصهم الذي برهنوا عليه لايطاليا في مقابلة هذا القانون الواجب الاحترام بصورة كانت غير مأمولة منهم ، لانهم أدركوا ان لا راحة لهم مع هذا الانقلاب العظيم والتغير المشاهد على الكرة الارضية الا بالاتحاد وتبادل المودة مع ايطاليا التي عرفتهم وعرفوها سنين متعددة في ميادين ما اجتمع فيهـا اثنان ثم تصالحا الا كانت صداقتهما بعد ذلك امتن صداقة وادومها .

فالانصاف الانصاف والنظر النظر الى المستقبل ببصائر لا تغفل عن المـاضي لأن التاريخ يعيد نفسه كما قيل ، وقد قال الشاعر العربي !

ما انت اول سار غره قمر ورائد أعجبته خضرة الدمن

ايها الوزير الخطير ـ انك قد أعليت شأن الامة الايطالية واحييت مجدها والبستها تاج الفخار وخلدت لنفسك ذكراً لاينسى فلا تجعل نقض القانون الاساسي الطرابلسي نقطة سوداء بين اسطر تاريخك الذهبية .

وفى الختام تقبل احترام ابن العزيزة طرابلس الغرب :

نزيل الشرق ـ سليمان الباروني

٢ ـ كونوا كما تريدون
وانما لا تدخلوا طرابلس في نظرياتكم

عندما كانت المعركة القلمية حامية الـوطيس في صحف سوريا وفلسطين ضد بعضها فى شأن مدح ايطاليا او ذمها في سنة ١٩٣٥ من اجل استمالتها اليهـا لتقوى بها على نيل بعض حقوق بلادها على حساب طرابلس الغرب كتب الباروني باشا المقال التالي تحت العنوان اعلاه ونشره في جريدة الف باء فى جـوان ١٩٣٥ وهذا نصه :

. . . نرى مع الاسف العظيم فى هذه الايام اكبر صحف الشام وفلسطين المحترمة ومن انتصر لها تتحارب وتسود اعمدتها يوميا بالتنابذ وكشف العورات ناسية كل المحن المحدقة بها ، كـأن معول الاستعمار لم يبلغ الى نصابه متغلغلا فى افئدتها الى الآن .

ولكون اكثر اصحابها ومحرريها ممن يشار اليهم بالبنـان فى السياسة والوطنية الصادقة والعلم الواسع ، لا اتطاول الى نصيحتهم او تنبيههم الى ان مسلكهم هذا سيؤدي الى خسران قضيتهم وذهاب اتعابهم ادراج الرياح وبقائهم مثقلين باغلال الاستعمار والعبودية الى اجيال لا يعلم منتهاها الا الله ،

والذي دعاني الى كتابة هذه الاسطر هو ماشممته من عبارات بعض الصحف التى تكاد تكون صريحة فى ان المقصود من مدح او ذم اعمال ايطاليا في طرابلس هواستمالتها اليها لتقوى بها على نيل بعض حقوق بلادها .

وهذا معناه الصريح ، هو جعل طرابلس فداء لسوريا وفلسطين وهو مقصد جارح ومؤلم لكل طرابلسي حيث كان ، ننزه عقلاء اخواننا السوريين والفلسطينيين عنه .

ان الطرابلسيين خصوصا الذين تلقوا بصدورهم مدة تسع سنين متواليه قنابل عدوهم وغازاته السامية من يوم محاربة الساحل الشهيرة ومحاربة قصر الهاني الطاحنة على اثر احتلال العدو عاصمتهم سنة ١٩١١ الى اواسط ١٩١٩ .

وخسروا من رجالهم الالاف ومن اموالهم واموال الدولة العثمانية التى كانت تمدهم بها ما يعد بالملايين .

ثم بارحوا وطنهم مرغمين وتشتتوا بالاقطار صابرين غير سائلين احدا نفعاً لايقبلون ابدا ان تجعل بلادهم وسيلة لتنازع الاحزاب او ان تتخذ حقوقها فدية لحقوق غيرها من البلدان .

ان الذى يريد ان يستميل ايطاليا لمصلحته بتمجيد أعمالها في طرابلس يمكنه ان يمجدها بجهات اخرى غير طرابلس فان لها مستعمرات واسعة ويغرقها مدحا كونها من الدول المعظمة التى تدير الكرة الارضية كما تشاء فى هذا الوقت .

والذي يريد استمالتها بالتهديد يمكنه ان يعد مساويها فى غير طرابلس من مستعمراتها . ويمكنه ان يذمها ان اراد لكونها دولة استعمارية محضة ، وما بعد الاستعمار ذنب ! فان فيه كل ممقوت شرعا وعقلا وانسانية ما لا يجتمع مع المدح قط .

والذي يرى في نفسه قوة على نفع طرابلس والتاثير على ايطاليا فليحملها على

اعادة دستورها الذى نالته سنة ١٩١٩ مصدقا من مجلسي شيوخ ونواب ايطاليا متوجا بتوقيع ملكها المعظم .

فهذا هو الذى يرضي الطرابلسيين خوض الصحف فيه ، ومن قـــدر على اعطاء طرابلس اكثر من دستورها فله الف شكر مقدما .

اما زخرفة المساجد المعطلة واحداث مدارس لطمس البصائر وقتل الشعور واعادة البقرةاوالنعجة والثور والتيس وخرابات الطين وكثبان الرمل والاراضي السبخية لأصحابها فى مقابلة السكوت عن طلب الدستور فامور لا تهم المجاهدين الذين لا يزالون يقاسون انواع الآلام فى هجرتهم الى اليوم ، وانما تهم اشخاصاً معدودين يجب ان يسموا لها باسمائهم الخاصة بهم لا باسم طرابلس التى لا يرضيها الا دستورها او أكثر منه ، ولو كان فى ذلك انقطاع نسل البقر والحمير وانقلاب الجبال براكين والرمال رماداً والاخضر يابسا ، أقول هـــذا بالنسبة لبلادى طرابلس التي يحدها شرقا قطر بني غازي وغربا تونس .

اما قطر بنى غازي فلا حق لي في التعرض لشئونه لان له رجالا وابطـالا حاربوا دونه ببسالة سمع بها العالم كله الى ان أستشهد الشيخ عمر المختار واكثرهم موجودون في مصر وفي مقدمتهم اشبال العائلة « السنوسية » المحترمة ، فانهم أحق بالكلام على بلادهم .

هذا وارجو ان لا أكون ملوما على مقالتي هذه ، لان الصبر الى ان يبلغ السيل الزبى دليل على الخمول المتناهى والاعتراف بالواقع .

واعتقد ان كل او اغلب اخواني مجاهدي ورؤساه الحرب الطرابلسية على هذا الرأي .

بغداد　　　　　　　　　　سليمان الباروني

اصداء مقالاته فى اندية الشرق

كان لمقالات الباروني باشا من الوقع والتأثير في أندية الشرق ما كان لمدافعه من الزلزال في ميادين الغرب .

فانه كلما نشر مقالا في الصحف في اي موضوع لا يمر مقاله كما يمر كلام المغمورين على الآذان ، ولكنه يحدث من الرجات ما يزعزع الاطواد ويزلزل الجبـــــال .

والكلام الحق اذا خرج من القلب دخل فى القلب . وقد عبر عـن ذلك بنفسه فى رسالة منه الينا مؤرخة في ربيع الاول ١٣٥٦ جاء فيها ما نصه :

. . . كان الطرابلسيين الذين في المهجر : الشام ومصر ادركوا انهم لا امل لهم في غير الباروني فاكثروا من مكاتبتي .

اما الذين فى تونس فقد تنبهوا على أثر اطلاعهم على ما نشرته من المقالات وما كتبه أمين سعيد فى مؤلفه عن حرب طرابلس ، فجاءتني كتب من بعضهم يطلبون مني العمل وانه لا امل لهم في غيري الخ .

وعليه أرجو ان ترسلوا مما نشر ونقلته الامة من مقالاتي عن حرب طرابلس خصوصا مقالة الرابطة « القول الفصل فى حرب طرابلس » التي لم ارها تامة في الامة ولم ادر السبب ومقالي الذى نقلته من الجهاد في ان الحكومة والحرب فى طرابلس لم يكونا مبنين على مذهب او طريقة وانما على الاسلام والوطن.

من اخيكم سليمان البارونى

وقبل ان نفرغ من الكلام عن هذا الموضوع يجدر بنا ان نورد بعض نماذج من ذلك عن مدى التأثير الذي يحدثه مـا يكتبه فى قضية طـرابلس خصوصا وشمال افريقيا عموما .

١ — عندما رد على الاستاذ عمر فائق شنيب البرقاوي صاحب جريـــــدة

شامي يتزلف لايطاليا فى اواسط عام ١٣٥٦ ، كتب الباروني باشا مقالا يؤيد فيه الاستاذ عمر فائق فيما سلكه ضد المتزلف لايطاليا ونشره فى الرابطة العربية وقبل وصول الرابطة له وردته رسائل عديدة من بعض الغيورين الطرابلسيين والبرقاويين في الشام تنويها بمقاله المومى اليه (١)

من ذلك رسالة لطيفة بامضاء : « مهاجر مغربي »

قال بعد كلام طويل فى رسالته ما نصه : وفى هذا القنوط المخيم علينا وفى هذا التردد بين اليأس والرجاء ، وفي هذا السوق النافقة بالدعايات تحمل الرابطة العربية صوتا من بغداد ويندفع زئير هزبر باسل ترددت اصداؤه فى دمشق وفى كافة الاقطار العربية فزلزلت له الارض وارتجفت منه الفرائص يؤيد عمر فائق شنيب ، فتساءل القوم لمن الصوت ؟ فاذا به صوت زعيم طرابلسي غير مدافع وسيد البلاد بلا منازع « سليمان باشا الباروني » !

فاذا بعمر ينبعث فيه نشاط ما كان يعرفه من قبل ! واذا بعمر يبتديء عمله من هذا اليوم ! واذا بعمر يشمر عن ساعد الجد كأنه خلق هذه الساعة !

ولا أكتم سيدي انني — والله — كنت أقرأ المقال وعمر يرقص رقصاً حقيقيا لا مبالغة فيه .

اما انا فقد كان دموع الفرح والسرور تتساقط من محاجري كالمطر !

كيف لا أفرح وما عجزت عنه وضقت به ذرعا قضاه الزعيم البطل بمقال واحد ! وكيف لا يرقص عمر طربا وقد تشرف بتائيدكم ونال رضاكم الذي سيذخره شهادة بين يدي الله على اخلاصه لوطنه .

سيدى ان صوتا واحداً من معاليكم يرد الحجر من حيث أتى ويقطع الطريق

---

١) نحن لم نقف على هذا المقال ولعله — كما ورد الخبر من سوريا — ان الرابطة صودرت في بغداد من اجل هذا المقال ولم تصل نسخة منه الى احد من بريد بغداد

عن كل من يريد بالبلاد سوء . الخ

قال الباشا : وهذا لا أعرفه الا بالسماع ولم يكتب الي قط وهذا يدل على مقدار تاثير المقال . الخ

ومن ذلك رسالة طويلة من السيد عمر فائق نفسه (١) جاء فيها ما نصه :

لا اقدر ان أصف كيف قرأت تلك الكلمة التى صدرت من سيد البلاد المطاع في مجلة « الرابطة العربية » بعددها ٦٥٨، جمادى الاولى ١٣٥٦ وما كان لها من تاثير بليغ فى قلبي وقلب كل صادق مخلص لوطنه من ابناء بلادى ، وما احدثته من رنة استحسان فى جميع الاوساط الوطنية والاندية السياسية فى دمشق كما انني أؤمل بلا شك فى ان صداها أثر فى تونس ومصر اضعافا مضاعفة ، وان وصفت او تكلمت أقول باختصار :

لقد احييت يا زعيم البلاد الحقيقى القضية الطرابلسية البرقاوية وبعثتها من جديد بعد ان كادت تندرس ان لم نقل اندرست او اضمحلت ، واحييت فينا ميت الامل بل وبعثت فينا قوة ونشاطا ليس لهما حد ، وافهمت الراي العام معنى الرجولية ومعنى الحق فى الذب عن حياض الوطن وقيمة الجهاد الحقيقى والغاية من السياسة والسيادة .

فلك الشكر الذى يراس كل شكر ، واكرر ما قيل :

فلو كان للشكر شخص يبين اذاً لتمثله الناظر
لتمثله لك حتى تراه ، فتعلم اني امرء شاكر

وقد نقل حضرة الكاتب في رسالته هذه قسما من كتاب ورد اليه من السيد ادريس يقول هكذا :

« سليمان باشا الباروني كاتبته من زمن وشكرته على ما كتبه في الجرائد

---

١) هو من اعيان برقة ومن خواص السيد ادريس السنوسى

فرد علي بكتاب الى ان قال : « انى مؤيده فى كل ما كتب وهو الرجل الوحيد العاقل العالم المجرب والذى ينظر الى الامور من وجهها الحقيق . الخ

٢ — أثر وفاة فقيد العروبة والاسلام المجاهد العظيم الشيخ احمد الشريف السنوسي عقد لتأبينه حفل كبير القى فيه امير البيان شكيب ارسلان خطابا مستفيضا نشر في جريدة « الجهاد » ولكن حاد فيه عن الجادة في بعض كلمات فكتب الباروني باشا رسالة في شأنها الى الجهاد في محرم ١٣٥٢ غير ان الجهاد لم ينشرها ، وهذا نصها :

. . . قرأت ما نشره « الجهاد » المحترم للامير شكيب ارسلان فى تأبين فقيد الاسلام ورجله العظيم السيد السنوسى الذي كانت رزية فقده من اعظم مصائب العالم الاسلامي اليوم ، وقد اجاد فيما يتعلق بفضائله العالية واخلاقه الزكية وجهاده الكبير ، الامر الذي لا نزاع فيه ولا ينتطح فيه عنزان .

ولو وفقت فى ترغيبي بعض اهل الرأي من بغداد في عقد اجتماع لتأبينه لأديت الواجب فى حقه بما لا يقل عن كلام الامير مما تحققته عنه خدمة للفضيلة وتعزية للعائلة السنوسية الجليلة .

هذا وقد استغربت من الامير ذكره جملا فى رسالته هذه منها قوله :

لولا السيد احمد الشريف رحمه الله لكانت ايطاليا استصفت قطرى طرابلس وبرقه في الشهر الاول من غارتها عليها ، لولاه لم يكن انور قدر ان يعمل شيئا ولا كانت الدولة العثمانية قدرت ان تدافع عن طرابلس شهراً واحداً وهو وحده كان مصدر هذه الارادة التي انشأت باذن الله هذا الجهاد الطويل العريض وحفظت شرف الاسلام المعتدى عليه فى طرابلس وغير طرابلس .

فاني ما كنت اعتقد ان الامير يتعمد انكار المحسوس وطمس حقائق التاريخ الى هذا الحد على مسمع ومرءى من العالم كله ، وفيه من رجال التاريخ

واساتذة التدوين وفطاحل العلماء ومحرري الصحف ورجال الحرب الـواقفين على دقائقها ما لا يعلم عددهم الا الله ، وهو يدري ان التـاريخ امانة ثمينـة يجب ان تحفظ للاجيال غير مشوهة . وان المؤرخ أمين لا تزعزعه الاغراض ولا تستهويه العواطف .

فانه بالتأمل في تلك الجمل يتضح انه جرد الـدولة العثمانية ورئيسهـا الخليفة الاعظم (اذ ذاك) من فضل الدفاع عن طرابلس وبني غازي تجريداً تاما

اما انور باشا ، فلم يجعل له فيه شانا ولا نصيبا قط

واما الطرابلسيون والبنغازيون فقد طوى صحيفتهم طيا ، اشـارة الى انهم هم وعلماءهم ورؤساءهم وابطالهم كانوا فى ذلك الدفاع كله حمراً مستنفـرة ، وغنما تساق من غير اختيار منها الى المجزرة بارادة السيد السنوسى فقط ، سواء كان السيد مقيما في حدود السودان ام في استامبول أم في بروسه ام فى انقره ام في مرسين ام في الرياض ام فى العسير ام فى الحجاز ؟

ولو اطلع السيد السنوسى على هذا الـكلام لما ارتضاه بدون شك عنـدي لأنه عالم بما هو عائد اليه من هذا الجهاد ومـا هو عائد الى غيره ، ويتنـزه ان يكون من الذين قال الله فيهم « لا يحسبن الذين يفرحون بما اوتوا ويحبـون ان يحمدوا بما لم يفعلوا » الآية

وقد مزج الامير فى كلامه حرب بني غازي (برقة) بحرب طرابلس ، وهو عالم بانه لا علاقة لأحد القطرين بالآخر فى الحـرب : لا اداريا ولا عسكريا ولا ماليا قط !

لكنه تعمد هذا المزج لأمر ما :

١ — وحيث ان الجمل المذكورة لا تتفق مع تاريخ حرب طرابلس الصحيح قطعـا .

٢ — وحيث ان فيها اهانة جلية وغصبا لحق مجاهدى طرابلس الذين ضحوا مختارين بارواحهم واموالهم واولادهم وخضبوا الرمال والجبال بدمائهم فى سبيل الدفاع عن شرفهم ، وهاجموا الايطاليين على اثر اعتدائهم بدون تردد ولا انتظار امام اسوار طرابلس قبل ان تقـرر الحكومة العثمانية ومجلس نوابها جواز الدفاع وقبل ان يبلغ الخبر السيد السنوسي المقيم اذ ذاك مطمئنا عند حدود السودان فى واحة الكفرة التى تبعد عن مدينة طرابلس بمسافة لا تقل عن شهر ونصف ، جلها رمال كالبحر ومفاوز قاحلة وصحاري معطشة .

واستمروا في دفاعهم متكلين على ربهم مستمدين من دولتهم بعد ان قررت الحرب مسترشدين من قوادها الابطال من عرب وترك وغيرهم حتى صاروا مثالا للامم التي اقتدت بهم ، وقامت للمطالبة بحقوقها كما صرح بذلك كاتم اسرار سفارة بولونيا في استامبول في مأدبة سنة ١٩١٣ .

٣ — وحيث ان فيها انكارا لفضل الخليفة الاعظم ، ودولة الخلافة اذ ذاك التى قامت بواجبها ، فكانت تنفق الملايين من الذهب والسلاح مدداً لمجاهدي طرابلس وبني غازى الى ساعات احتضارها لما كانت امم البلقان زاحفة على مركزها « استامبول » سنة ١٩١٢ ، ولما كانت اساطيل وجيوش اعظم دول الدنيا متجمعة امام مضيقي الدردانيل والبسفور لاقتحامهما وللاستيلاء على استامبول سنة ١٩١٥ وما بعدها للقضاء على الخلافة الاسلامية التى كانت قذى في أعينهم مئات من السنين .

وهي دولة الخلافة على يقين من انها لا تجنى لنفسها من وراء الانفاق على حرب طرابلس وبني غازي اولا واخراً شروى نقير ، وانما تعود فائدة ذلك على القطرين اذا حصلت ، ولذلك يرى الطرابلسيون والبنغازيون انهم مدينون لها ما دامت الارض والسماء ، ولا ينسون جميلها وان انقرضت واصبحت فى خبر

كان وورثتها جمهورية تركيا الآن ، فان نسيان الجميل والمروءة لا يجتمعان .

٤ — وحيث ان فيها جحوداً لجهاد انور الذي مجده حينئذ العالم باسره ولا ينساه الطرابلسيون والبنغازيون كبيرهم وصغيرهم لمشاركته اياهم في محنتهم قولا وفعلا الى النهاية وان مات مجاهداً فى سبيل مبدإه مقاوما للمستعمرين اينما حل ، ولم يبق اليوم الا اسمه ورسمه والبقاء لله وحده .

٥ — وحيث ان حرب طرابلس وبنى غازي أصبحت عند الناس ككنز مطلسم كل يقول فيه ما عن له ، والبعض يتصرفون فيه كمال مشاع ، والباحثون عن حقيقتها فى حيرة لأختلاف الروايات وتعدد المصادر المتباينة .

٦ — وحيث كان ما ذكر كله وفيه مخالفة لحقيقة التاريخ ، رأيت ان أقدم للجهاد المحترم سلسلة مقالات مختصرة كانموذج لهذه الحرب المطلسمة تكشف عن بعض حقائقها وتشخص للقراء المغرمين بها ماهيتها على التقريب ، تكون لهم كنبراس يهتدون به الى معرفة الصحيح من المزيف مما يجدونه مكتوبا عنها . وكل ذلك عن مشاهدة لا عن قيل وقال او اقتباس من رسالة او استنتاج من مقالة ، وليس الخبر كالعيان .

ولا أتعرض فيها لذكر اسماء الاشخاص الا حيث لا محيد عن ذكرها لأن الاسماء كثيرة والمقال مختصر وذكر البعض واهمال البعض خروج عن دائرة الانصاف .

وسيحصل ذلك باذن الله فى التاريخ المفصل الذى سيكون جامعا لاسماء وصور الرؤساء والقواد والضباط والممتازين بالاقدام والآلات الحربية ولصور بعض الاماكن والخرائط والوثائق الرسمية وغير الرسمية التى لا تشوبها شبهة .

سليمان الباروني

كما لاحظ بعض النابهين على الامير نفسه اغفال مواقف الباروني باشا فى

جهاد طرابلس الغرب في خطبة التأبين ، فكتب الامير استدراكا نشره فى الجهاد الصادر في ابريل ١٩٣٢ ، ومما جاء في استدراكه قوله :

« انى لعارف من فضل الشيخ سليمان الباروني فى جهاد اهالي الجبل الغربى من طرابلس ما لا يباريني احد في تقديره ، لأن هذا الرجل هو الذي ثار بقومه الفرقة الاباضية قبل الجميع فى غربي طرابلس . الخ

فكتب الينا الباروني باشا فى هذا الصدد رسالة مؤرخة فى ٢٩ ربيع الاول ١٣٥٣ ، وهذا نص محل الحاجة منها :

. . . قلت لكم فى جوابى السابق لايهمكم ما يكتبه المعروفون عن طرابلس ، ولا تجعلوا له صبغة مذهبية ، فان الواقفين على الحقائق يسخرون من تلك الكتابات .

فليكن ابكاتهم بظهور التاريخ الصحيح المدلل بالوثائق الرسمية الشاهدة بانني ما حاربت بالاباضية فقط كما ذكر « شكيب » فى تصحيحه الاخير الذي نشره فى الجهاد تحت عنوان « فضل البارونى فى جهاد طرابلس » بالاباضى والبربري القليلين وبالسنى والعربى الكثيرين وباصحاب الطرق كلها وهو الامر الذى جعل الطليان اذذاك يسألون عن هذا السر خصوصا بعد تسليم الدولة فى حرب ١٩١٢ .

فقد حاولوا ان يحدثوا تفرقة باسم العناصر والمذاهب والطرق فلم يفلحوا اذاً لا لزوم للاشارة الى المذاهب قط ولنقتصر الآن على هذا . الخ

٣ — لما كتب الباروني باشا المقال الذى عنوانه « ترك عرب » وقدسبق تسجيله فى محله من الكتاب كتب الينا عن مبلغ تاثيره فى اندية الشرق ما نصه : اليكم مع هذا مقال « ترك عرب » وقد احدث ضجه عظيمة في النوادى والمقاهي ، والكل على تصويبه قائلين :

« هذه حقيقة خنت صوتها منذ الحرب العظمى » وقـــد قال لي بعض الاصدقاء : انك لا تزال مخاطراً براحتك !! فقلت له ألم تسمع بقول القائل :

« انا الغريق فما خوفي من البلل ! » انى محصور بين بغـــداد ومسقط فاذا رأوا نفي الى مصر او تونس او الجزائر فاني مستعد لذلك ! فضحك .

١٥ ربيع الثاني ١٣٥٣ — من اخيكم سليمان الباروني

٤ — عندما كان اقطاب العروبة والاسلام يتبادلون الاراء فيم هـو أنفع للمسلمين والعرب ؟ أهو الجامعة الاسلامية أو الوحدة العربية ؟ وأي منهمـــا أجدر بالتحقيق ؟ وما هي حدوده ؟ جنح امير البيان شكيب أرسلان الى الثانية « الوحدة العربية » فالقى خطابا في هذا الموضوع في النادي العربي بـدمشق ، حصر فيه الوحدة العربية فى حدود ضيقة وترك كثيراً من البـــلاد العربية الاسلامية خارج هذه الحدود وعلل نظـره هـذا بانه لا يتحمل عـــداوة دول الاستعمار لأجل صداقة مسلمي مستعمراتها فيما نقل عنه بعض الكاتبين

وحيث ان هذه النظرية صادمت أقدس ما في نفسية الباروني باشا ، وهو الذي فنى كله فى الجامعة الاسلامية وقطعت عنه طريق اماله الـتي كان يصبو اليها نحو شمال فريقيا منذ نشأته ، كتب مقـــالا رد فيه على الامير ونشره في الرابطة العربية (١) فكانت له هزة عنيفة في أندية الشرق ، فجاءت اليه رسـائل ومضابط من رجال التحرير من مهاجرى طرابلس وبرقة وتونس والجزائر .

وقبل ان نسجل بعضا من ذلك فيما يلي نقدم بين يـــديه ما كتبه الينا الباروني باشا نفسه فى هذا الشأن ، قال رحمه الله :

---

١) كما نشرناه عنها فى « الامة » عدد ١٤٧ - ١٤٨ - ١٤٩ الصادرة فى ١٧ شوال ٢٤ منه ١ ذي القعدة ١٣٥٦ ، وكما كتب عنها الاستاذ افلح الشيخ بيـوض للجمع بين اميري السيف والبيان نشرت كذلك فى الامة بعدها .

أحدث مقالي في شكيب رنة استحسان في جميع الجهات لأشتماله على حقائق كان الناس يجهلونها .

واليكم — مع هذا — ما كتب به الي من رئيس مقر جمعية الطرابلسيين واعيانهم في الشام ومن أحد ادباء الشام المشهورين ، اما فى بغداد فبمجرد انتشار خبره تسابق الناس الى الكتبية ، ولما وصلني العدد أرسلت من يشتري لي منه اعداداً لأرسلها الى اصدقاءي فى الخارج فلم يجد عند الباعة شيئا منه .

من رأى ان لا تذهبوا الجامعة العربية بل صوبوها بالنسبة الى الشرق ، وانما المغرب لا تنفعه الا الجامعة الاسلامية ، لانه ليس فى المغرب كله من طرابلس الى المحيط غير مسلم من الوطنيين حتى تجب مراعاته .

وفيه غير العرب ملايين من بربر وترك وسودان وغيرهم ، ولا تجمعهم الا كلمة الاسلام والوطن التى تجمع الجميع بالاقطار الاسلامية كلها وتوجب عليهم حق الاخوة الاسلامية التي فرضها الله في كتابه : « انما المؤمنون اخوة »

هذا رأي فتفاهموا في مثاله مع اخوانكم خصوصا رجال جمعية العلماء . والرأي لكم .

سليمان الباروني

اما ما كتب اليه حول ذلك المقال ففيما يلي نموذج من ذلك :

١ — رسالة مستفيضة اليه من دمشق مورخه فى تشرين الاول - جانفى سنة ١٩٣٧ ، وهذا نصها :

حضرة سيدى الافخم الزعيم الكبير المفدى الشيخ سليمان باشا البارونى حفظه الله ورعاه . تحية واحتراما

وبعد — فقد تشرفت بمطالعة كتابكم الموقر المبشر بصحتكم الغالية مسروراً بهذه البشرى وحمدت الله تعالى على ذلك ، كما رجوته ان يديمها علينا ويحفظها ذخراً للوطن والدين ، وان يقبل منكم الصيام والقيام ويمتعكم به

وبامثاله فى الوطن المقدس وهو رافع رأية الاستقلال فى اقرب وقت انه سميع مجيب

وصلت الرابطة واطلعت على ما فيها من رد على الامير شكيب بصورة حاوية جميع الحقائق والحجج فكان لها رنة واى رنة ، جزاكم الله خيراً عن الوطن وبنيــه .

اما تاثير ذلك فى الاوساط فهو ما لا نقدر ان نوضحه فى هـذه العجالة ، وكفى ان أقول : ان ليلة ورود العدد حضرت ومعي الاخ التونسي ثلاثة اجتماعات ضمت كثيراً من الشخصيات وادباء سوريين ، فجميعهم كانوا يثنون على سعادتكم ويقولون : ان هذا هو الزعيم الحقيقى الذى تكلم .

وقال آخرون : لو ان الامـة السوريه انتخبت مثل هذا القـائد الفحل المشهور بعامه وغيرته على الدين الى المجمع العلمي وامنت له معيشته لكان خير كافل لتوثيق الروابط بين الاقطار الاسلامية ، لا كمن يدجل على النـاس باسم الوطن والدين و . . . مثل . . . وبعض الزعماء المزيفين فشكرتهم على ذلك .

اما اخوانى العاملون معي فكل منهم يقول : روحي فداء زعيمنا الحقيقي البـارونى ! هذه خلاصة مجملة مختصرة

قررت مع الاخ التونسي زيارة جريـدة الايام عسى ان نتوفق لنقل مـا كتب في الرابطة فيها ، وقرر التونسى ان يكتب كلمة على صفحات الرابطة .

من مدة ايام كتبت كلمة في الايام نقدمها لكم ، وهي خلاصة ما اخذته في كتب من تونس ومصر ، ومع ذلك يا مولاي الباروني باشا لك ملء الحق ان تتصرف وتكتب ما تشاء او تشير الي بما يجب كتابته ولو كان في ذلـك اعدامي ، وهو غاية ما اتمناه فى سبيل الله والوطن ، لانى جندي تحت لوائكم وقصدي اذ ربما ترون اشياء يجب كتابتها ولكن لا يجـوز ان توقـع باسمكم لان مقامكم سامي فى جميع الاندية والمقامات وبين الحكومات التى تزن كل كلمة

تصدر منكم ، واما مثلي فهو جندى امين خادم لوطنه ودينه وزعيمه بالروح والجسم والقلم ، والله على ما نقول شاهد ووكيل .

وهذا قول مجاهد وطني وفي مخلص ان شاء الله

اذ كثيراً ما يجيش في نفسي ان أكتب فى المسائل العامة ولكنى أحجم عن ذلك حرصاً على قضية بلادي .

هذا من جهة ومن جهة ثانية ، ما انا الا كنقطة من بحركم الزاخر بالعلوم والتجارب والحقائق ، وأني أعترف بالتقصير ، ولكن أعتمد دائما على عفوكم ،

فاتني من ايام ان ارسل لكم ما اطلعت عليه في كتاب وارد للاخ التونسى من السيد الثعالبي بمناسبة محاضرة الامير شكيب ارسلان ، وها اني اذكر ذلك لكم كما نقلته حرفيا من كتاب الثعالبي لا زيادة ولا نقصان :

كلمة الشيخ الثعالبي فى محاضرة الامير

قال مخاطبا للاخ التونسى : قرأت كلمتك التي علقت بها على محاضرة الامير شكيب ارسلان عن الوحدة العربية ، ولست أحسبه جاداً حين أظهر الشك فى عروبة شمال افريقيا ، بل كان يلغظ لغظ السياسيين حين يريدون تجاهل الحقائق المسلمة .

ومن يستطيع ان يتجاهل عربية افريقيا الشالية من مصر الى المحيط وان زعم الزاعمون انهم برير فقد اطبق المحققون من علماء الاجناس ان برابرة جنوبي الاطلس انحدروا من جزيرة العرب عن طريق مصر في احقاب مختلفة من التاريخ في ايام الفراعنة والفنيقيين ثم تكاثروا فى غمار الايام وعمروا البلاد فى عهد الاسلام وسادوا عليها عرقا وثقافة ، فهم عرب قديما وحديثا ، وبلادنا موطن من مواطنهم حب من حب وكره من كره ولن يضرنا فى ذلك شك شاك مغمور بترويج دعاية سياسية اجنبية اهـ حرفيا .

ولقد عجبت بالثعالبى وعددته من رجال افريقيا الذين يفتخر بزعامتهم حقا واني سأجد مناسبة واكتب له شكري ومايخالج ضميري نحوه ، لاننا افريقيون مسلمون طال الزمان او قصر ، وسنرسل له عدداً من الرابطة مشفوعا بكتاب من الاخ التونسى ونشكره ، كما انني سأكتب الى كل من السيد محي الدين القليبى والسيد محمد الغربى في تونس ولفت نظرهم للمقال ، ونطلب منهم ان ينقلوه الى بعض صحفهم التى تنشر في الجزائر ومراكش وان يعطوا هذا الامر عنايته : فاما جامعة اسلامية ، والا لا يفتروا بعد الآن بخزعبلات طلاب الوحدة العربية السائرة تحت ستار الدعاية الاجنبية . الخ فلان

٢ — رسالة الى البارونى باشا ايضا من هذا الكاتب فى هذا الشأن نفسه وهذا نصها :

دمشق ٢٧ رمضان ١٣٥٦

سيدي ومولاي الزعيم المفدى سليمان باشا الباروني الافخم ، تحية واحتراما وبعد فانى قدمت قبله مفصلا عن مقالكم البديع فى الرابطة ، وبعد توديعي اياه في البريد أخذت كتابكم الثانى المرسل لى مع الاخ ... فأشكر الله تعالى على صحتكم التي هي كل شيء عندنا . وأحيطكم علما ان تاثير مقالكم في النفوس والاندية كان له أحسن وقع حتى انه بلغني ان جماعة ... وبعض رجال الجبهة الشعبية قرروا ان يجعلوه مع مقال « هانى » في نشرة خاصة ويوزعوا منه اعدادا ، هذا ما بلغني اليوم فاذا تم ذلك فاني سأقدم لكم منه اعداداً .

وما عدا بعض اشخاص تربطهم بالامير رابطة المصلحة الطليانية تقريبا ، اذ هى رابطة المنفعة الشخصية ، فالجميع جاءهم ما كتبتم برداً وسلاما .

ومما يؤلمني بل ويقتلني ان « فلانا » ساكت عن هذه الاحوال ولم ينبس ببنت شفة نظراً لأرتباطه بالامير وباصدقاء الامير ظنا منه ان امثال هؤلا

يفيـدون وطننـا والحقيقة انهم جميعا يضحون به مثلما ضحى به الامير ، مـع ان لدى « فلان » من الوثائق على الامير ما اذا نشر واحدة منها لجملته فى خبر كان ، وعلى كل لا اريد الآن البحث مطولا ، ولا بد لى من الاستحصـال على قسم من هذه الوثائق عينا نرسلها لـكم لتكون حجة عندكم عليه . الخ

فلان

٣ — جملة من رسالة اخرى من احد ادباء سـوريا المشهورين وردت الى الباروني باشا نقتطف منها ما يلي :

ان مقالكم عن شكيب كان له وقع كبير ، ولقد رايت اهتمـاما من كـثيرين بطلب اقتناء عدد الرابطة الذي يحمل مقالـكم ، ولنفاذ الاعداد كلفت المتعهد ان يستحضر كمية منها بسرعة . الخ المخلص « فلان »

٤ — مضبطة — عريضة تحمل شعور جماعة من علماء وادباء مهـاجري طرابلس - برقة في سوريا نحو الزعيم الباروني باشا فى شأن مقاله المـومى اليه ، وهذا نصها :

سيدنا الزعيم المفدى - ايها البطل الـكبير ، لو بحثنا في لغة يعرب ونقبنا في قواميسها ومحيطها لنجمع من دررها تاج لنـكلل به مفرقكم الوضـاء وجبينكم الناصع لما وفينا بشكركم وقمنا بحمدكم .

واي لسان يعرب عما يخالج ضمائر جنودكم من اخـلاص لكم وولاء لزعامتكم المقدسة والتفاف تحت لوائـكم .

سيدنا ، لقد اوشكت نهضتنا ان يخمد اوارها فاذا بنور يشع من نبراسكم فاضرم نار الحماس فى قلوب الشيب والشباب منا .

وها ان نفحاتـكم قد غمرتنا حتى اصبحنا نعدها ولا نحددها فهنـاك زئير يصم اذان سماسرة الفاشيزم .

وهناك يراع امضى من السيف جرد على اعداء الوطن !

وهناك عطف ابوي على هؤلاء الجنود الذين يتفانون فى حب قائدهم الاعظم حتى باتوا يرفعون به الرأس عاليا ويفاخرون بزعيمهم المفدى امم العالم .

وان ننسى لا ننسى ذلك الصوت الداوي الذي هز اركان المروبة على صفحات الرابطة ، وتلك الاريحية التي تجلت في تأبين فقيدنا الغالي « فوزى النماس » وكانت خطبتكم فيها بيت القصيد

واخيراً نرجو من الله ان يمد في حياتكم لنصل الى هدفنا الاسمى تحت رأيتكم كي تجوسوا خلال ديارنا ونحن في ركابكم سيدنا المعظم . التواقيع

ثانيا — واما تونس منبته العلمي فان عطفه وحنوه نحوها أمر لم يفارقه منذ حداثة سنه الى اخر ايام حياته

فقد انشأ في علمائها وبعض ملوكها غرر القصائد في شبيبته، والتجأ اليها بعائلته في محنته بعد حرب طرابلس الاولى سنة ١٩١٣

وعمل فى قيادته مع رجالها الاحرار لاسيما مع الزعيم علي باش حامبه والاستاذ الثعالبي لتحريرها فى الحرب الكبرى سنة ١٩١٤-١٩

وقد شملتها اليته بان لا يحلق شعر رأسه حتى :

تسود اعلام الخليفة في البلاد الضائعات

من قصيدته السابقة التي مطلعها :

هذا هو الشعر الذي شهد الحروب الهائلات .

كما حن اليها فى شيخوخته حنو البازى الى وكره للسكون فيه بافراخه ، وقد رأيت الشيء الكثير من ذلك فيما اوردنا له من الرسائل في « فصل » مراجعاته للحلفاء للاذن له بالدخول الى احدى البلاد الداخلة تحت نفوذها ، فلا تقرأ رسالة له منها الا وتجد فيها ذكر تونس .

وعلى قدر هذا العطف وهذا الحنو منه كان اصرار فرانسا وتشددهـــا في ايصاد الباب واحكام اغلاقه دونه !

وان اهتزازه بوجود بعثنا العلمية فيها وتغنيه بها ونعيه على من ينكر علينا ذلك امر عرفه منه الاخ الباحث فيما تقدم .

ثالثا — واما الجزائر معهده الثقافي فكل ما قلناه عنه في تونس نقوله عنه فى الجزائر ، فان نشؤه بميزاب فى احضان قطب الائمة الشيخ طفيش وجولاته العديدة فى العمالات الثلاث بالقطر الجزائري منذ سنة ١٣١٤ وامتزاجه العلمي والادبي والاجتماعي برجال القطر وتبادل الرسائل والقصائد بينه وبينهم ومسايرته لنهضة الجزائر فى سائر اطوارها ، كل ذلك وغيره جعله يعد الجزائر وطنه الثانى فى كل شيء فكان يفرح لفرح الجزائر ويألم لألمها .

ومن اجل ذلك خافت فرانسا الخوف الشديد من اي اتصال له برجال هـذا القطر ، حتى عادت تحصي الانفاس وتلاحظ الخطرات وتقرأ للاتصـال به الف حساب وتبالغ دائما في اغلاق بابها في وجهه ، رغما عن تسامحها الواسع عمن دونه ، حتى قال وزير خارجيتها يومئذ « بون مارشي » فى هذا الشأن كلمته المشهورة : « ان الباروني لن يدخل الجزائر ولو في المنام » !

ولكن لم يدر هذا واضرابه ان الباروني وان لم يدخلها بجسمه فقد دخلها بمبادئه ، وان بذوره التي بذرها هو ورجال التحرير منذ سنة ١٩١٤-١٩ قـد آتت اكلها فى سنة ١٩٥٤ .

وفيما يلي نورد امثلة من اهتمامه الشديد بالجزائر كادلة على ما نقول :

١ — عندما ثارت زوبعة قلمية بين بعض افاضل الكتاب الجزائريين حول الانتساب الى القبائل كتب الينا ضمن رسالة ما يلي :

تتبعت ما ينشر فى البصائر الغراء على توقيع الزواوى والصنهاجي من

الاعتراضات والرد عليها حتى أصبحت فتنة ، واني لا ارى لهذا مبرراً قط فانه لا شعوبية في ذلك ، كما لا شعوبية في الخالدي والراشدي والعموري والحفصي والورغمي والهلالي والهمامي والنايلي والصويعي ، لانه نسبة الى قبيلة لا الى عنصر كالعربي والمزبغي — على الصحيح — او البربرى على المشهور .

فان الواجب على سكان المغرب وطرابلس الى المحيط ان يهجروا الاخير لانه فتنة فلا يكون هناك الا المسلم المراكشي او المسلم الجزائري او المسلم التونسي او المسلم الطرابلسي في العموميات فلا يذكر عربي او مزيغي ، واما الانتساب الى القبائل كما تقدم فلا مبرر لأنكاره في نظري .

ان دعوى العربية والعروبة في هذه الجهات قد داست كلمة الاسلام والمسلمين بنعالها زعما بان فيها رضاء للقسم الضئيل من غير المسلمين ، وهو محو بل دفن لكلمة الاسلام .

ان رافعي اعلام كلمة العرب والعروبة وطي كلمة الاسلام تحت ستار توحيد الكلمة ، والذين اكثرهم حركة واجتهاداً هم غير مسلمين . هذا رأي

وتحيتي القلبية الى اعضاء جمعية العلماء الجليلة ورئيسها المجاهد .

وقد انشرح صدرى لعنوان « المؤتمر الاسلامى الجزائري » فليكن في المغرب من يصدق دائما الحديث المروى ، أرجو ان تعرض هذا الرأى على الجمعية لعلها تراه صوابا .   والسلام عليكم اجمعين من اخيكم : سليمان الباروني

٢ — عندما بلغه اخبار جمعية العلماء ونشاط رجالها ومشاركتنا فيها كتب الينا الرسالة الآتية في جمادى الاولى ١٣٥٣ يعرب فيها عن مبلغ سروره بالاتحاد والوئام الحاصل بين علماء الجزائر العاملين المخلصين. وهذا نصها :

تلقيت كتابك المؤرخ في ١٩ ربيع الثاني بيد السرور وتغذت الروح بما حواه من اخباركم المبشرة بما انتم عليه من تحسن الحالة عما كانت عليه

وطالعت بامعان خطبكم وقصائدكم العالية وحركاتكم الجليلة في سبيل الدين والوطن الدالة على ما هنالك من حسن الوئام وجمع الكلمة وتناسي أسباب التفرقة أخذ الله بايديكم وكلل مساعيكم بالنجاح (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) تحيتي الى الاخوان كافة والى الاخوان المخلصين جمعية العلماء المحترمة خاصة . وسأكتب اليكم غير هذا وارسل اليكم بعض مناظر بغداد . الخ

من اخيكم سليمان الباروني

٣ — عندما وقعت حوادث قسنطينة في ٥ اوط ١٩٣٦ وتناقلت شركات التلغرافات والصحف اخبارها الى العالم عامة والى الشرق خاصة هاله الامر وتحير فكتب الينا الكلمة الآتية :

. . . قرأنا في التلغرافات والصحف خبر فتنة قسنطينة ، فاضطربت افكارنا جداً وخف الاضطراب اذ تحقق — اذا صح — ان قتلى المسلمين اربعة فقط نرجو انه لم يصب احد الرجال المعروفين بسوء

اني فى انتظار جوابكم ببيان الحقيقة ، وارجو ان يكون فى الطريق .

والسلام عليكم أجمعين من اخيكم : سليمان الباروني

٤ — اثر حوادث قسنطينة وعواقبها من مقاطعة اليهود التي انجرت منها بدسائس اليهود مقاطعة تجار بني ميزاب في اواخر ١٩٣٦ كتب الى الشيخ امتياز ابراهيم فى هذا الصدد رسالة مؤرخة في ٢٩ شعبان ١٣٥٣ وهذا محل الحاجة منها :

اما بعد . فقد تلقيت باحترام كتابك الكريم المؤرخ فى ١٩ نفامبر وكدرني جداً ما كنت متوقعه من حصول سوء التفاهم بين الأخوان بسبب مقاطعة اليهود ، وهو امر عظيم يجب السعي في تلافيه قبل وقوع ما لا يمكن معه الاصلاح بعد ذلك ، فمكائد اليهود لا تحصى ولا يستهان بها . فالواجب على

عقلاء الطرفين (بنى ميزاب واخوانهم العرب) خصوصا العلماء منهم ان لا يدعوا مجالا لتمكن اليهود من عقول السفهاء فيشفوا غيظهم ويأخذوا ثارهم من الجانبين ، وهذا شيء لا أظن ان عقلاء وعلماء الفريقين يجهلونه .

انما يجب اذا كان العمل جديا حقيقيا ، الاتفاق على بيان معنى المقاطعة العمومية ، وعلى معنى المقاطعة التي يجب ان يتبعها بنو ميزاب نظراً لأشتباك معاملاتهم من قديم مع اليهود ، فلتكن مقاطعتهم تدريجية حتى يتمكنوا من تأسيس معاملاتهم مع ديار فرانسا مباشرة ، واذ ذاك تجب المقاطعة بمعناها التام وأظن ان عقلاء الفريقين (بني ميزاب والعرب) لا يعجزون عن ايجاد طريقة لحل هذا المشكل ، لأن من العرب تجار كتجار بني ميزاب فماذا صنعوا ؟

وقد تشاءمت مما حصل من الشقاق بين جمعية العلماء والحزب الجديد وهذا مما تضيع معه نتيجة الجهود السابقة كلها ولا حول ولا قوة الا بالله .

أرجو ان يكون رجالكم اغتنموا الفرصة فربطوا معاملاتهم مع دور التجارة فى فرانسا واستراحوا من اسر اليهود ، فالعمل العمل لهذا بكل ما لديكم من جهد والله الموفق .

وصلت الي اعداد « الامة » والله المسئول ان يمد فى عمرها .

ودمتم موفقين محفوظين ، تحيتي الى الاخوان كافة . سليمان الباروني

٥ — على أثر رحلة قمت بها لتونس ، ونظراً لفائدتها ونتائجها للقطر الجزائري كتب الينا الرسالة الآتية ، وهذا محل الحاجة منها :

كلنا فى صحة وهناء والمنة لله . اهنيئك والاخوان كافة بعيد الفطر المبارك وأقدم لك تهنيئتي الخصوصية بسياحتك الى تونس وما لاقيته من رجالها العاملين من الاجلال والاحترام ، وما شنفت به اسماعهم من خطبك الرنانة (١) التى

---

١) يشير الى خطاب ألقيته امام نخبة من الادباء والصحافيين اذ ذاك بتونس موضوعه :

أدخلت علي من السرور ما الله به اعلم فلله انت، زادك الله توفيقا واعانة على اظهار ميزاب والجزائر كلها بالمظهر اللامع الفتان الذي يجدد ذكرها ويحي مجدهـا بين الاقطار . تحيتي القلبية الى رجال العمل للدين والدنيا الاخـوان الـكمل جمعية العلماء ورئيسها البطل الجليل .

أرجو ان تسلموا لادارة « البصائر » الغراء المجاهدة الجريئة قيمة الاشتراك عن سنة من اول عدد منها وضموه الى حسابي ولـكم الشكر . الباروني

٤ — واما مراكش فانه يعده داخل بلاد افريقيا الشمالية التي تتألف منها وحدة اسلامية عربية عمل لتحريرها مع رجال التحرير سنة ١٩١٤-١٩ حتى الى ان لا يحلق شعر رأسه حتى تتحرر من الاستعمار الاجنبي وتسود عليها اعلام خليفة المسلمين .

وكان مراكش من بين البلاد التي طرق بابها للدخول اليها والالتجاء بعائلته اليها طلبا للراحة والسكون من عنائه وجهاده المرير المتواصل .

ولـكن أوصد بابها دونه ايضا كما علمت من قبل ولله الامر من قبـل ومن بعد ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم .

عاطفة الباروني باشا نحو وادي ميزاب

ان الـكلام على عاطفة الباروني باشا نحو وادي ميزاب مثل الـكلام على عاطفته نحو مسقط رأسه « جادو »

فان من يتتبع هواه نحو ميزاب في سائر اطوار حياته منذ شبيبته من لدن ١٣١٤ الى اواخر ايامه في ١٣٥٩ يرى ان حبه العميق نحو وادي ميزاب ممزوج

« الحركة الادبية الحديثة في الجزائر » وذلك في نادى الشبيبة المدرسية في ٩ ديسامبر ١٩٣٤ كما نشر في الامة عدد ١٤و١٥

بلحمه ودمه فى سائر حركاته وسكناته ، فمن عكوفه للتعلم عن استاذه الشيخ طفيش ما يقرب من ثلاث سنين ، ومن تعرفه باقطاب العلم والادب من قدماء تلامذة استاذه ، ومن مساجلاته لهم في فنون العلم والادب على الدوام ، ومن اتصالاته المتنوعة بسراة وكبراء ميزاب ، ومن شهوده للمحافل الكبيرة والمآدب الفخمة فى شتى قرى الوادى ، ومن مشاركته بعض الاغنياء منهم فى الشئون الاقتصادية كالطبع والنشر ، ومن زياراته المتوالية لقرى ميزاب ولسائر المراكز التجارية لبني ميزاب في التل ومن مراسلاته المستمرة لعلمائهم وادبائهم واعيانهم ومن ادلائه بارائه فى كثير من مشـــاكلهم العلمية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية بخالص النصح وغاية الصراحة كواحد منهم .

لم يفتر عن جميع ذلك في سائر احواله العامة في حالة الرخاء والشدة فى حالة السلم والحرب فى حالة البعد والقرب فى حالة الصحة والسقم فى حاله اقبـــال الايام وادبارها .

فان الملاحظ اذا تتبع ذلك منه بامعان يتراءى له كأنه من صميم الميزابيين سلالة ونسبا ونشأة وخلقا وعاطفة وهوى .

ان كل ما اسلفناه من علاقة اجداده ءال بارون الى والده — متشتتا — نحو وادى ميزاب نجده متجمعا فيه وزيادة نحو الشعب الميزابى باكله .

وعسى ان تبقى هذه العلاقة متينة ومتينة جداً بين اولاده واحفاده الاشبال وبين وادي ميزاب الى اجيال متطاولة .

وتائيداً لما اجملناه هنا ندلي ببعض النماذج من رسائله فى هذا الشأن حتى لا يظن الاخ الملاحظ اننا ذهبنا في ذلك مذهب المبالغة ، بل بعكس ذلك انما ناتي بقل من كثر وغيض من فيض ، لأن برنامج الكتاب لا يتسع لغير هذا وما سنورده هنا ، انما هو نماذج قليلة من مجموعة كثيرة لا نسبة بينها

ـ وهي مجموعة — وبين ما لم نتصل بها وهي متفرقة بين سائر احبابه واصدقائه القدماء والمخضرمين والمحدثين . وربما يستاء البعض من تسجيل بعضها هنا ولكن هي الحقيقة والتاريخ — كلغة الارقام — لا تبالي بغير الـــواقع عرضا على الاجيال المقبلة .

١ — رسالة منه الينا من عمان مورخة فى ١ شوال ١٣٤٦ . وهـذا نص محل الحاجة منها :

. . . اما بعد فاني فى عافية ولله الفضل ، وبمناسبة حلول عيد الفطر السعيد أرفع بواسطتك اليك والى اخوانى الافاضل الذين بطرفكم واجب التهنيئة به ، سائلا منه تعالى ان يعيده على الامة الاسلامية بالعز والنصر دهراً طويـــلا وان يمتعكم بالعافية والانس بالاهل والاولاد . من هنا الاصدقاء كافة يقدمون لـكم التحية والتهاني .

الامام أعزه الله في نزوى مشمولا بالصحة والعافية . وقد رزءي الاسـلام عامة وعمان والمذهب خاصة بوفاة علامة عصره قاضي الامام الشيخ عامر بن خميس ذى التصانيف والتحقيق صاحب الارجوزة العظيمة الجامعة البالغة مـــائة الف بيت فرحمه الله رحمة واسعة . وقد ارتجت عمان واغلقت أغلب الاسواق فى كل الجهات بمصابه لكن لا راد لقضاء الله ، وهو رابع اربعة من اكبر العلماء عمان فقدهم الاسلام والعمل والعلم فى هذه السنة : الشيخ مـاجـد بن خميس والشيخ ربيعه والشيخ محمد ابن شيخان والشيخ عامر والامر لله .

استبشار

لا أقدر ان اكيف مبلغ سروري وانشراح صدري بنزول اخواننا تلامذة شيخنا القطب رحمه الله الى ميدان التحرير والسياسة كالاخ الشيخ حمو بن باحمد والشيخ سليمان بن نوح اللذين رأيت لهما ذكراً وكلاما في « وادي ميزاب »

وغيره (١) يغبطان عليه فالى الامام ، الا اني يعجبني من الشيخ حمو ان لا يجعل مقالاته كدرس وعظ رمضان الجامع فان ذلك ميدان وها هنا ميدان وهنالك سامعون وها هنا قراء ومنتقدون فليمزج كلامه بصورة تصلح للفريقين فلا ينفر اولئك ولا يتأفف هؤلاء ، وبالممارسة يسهل كل صعب ، ابلغها وغيرها تحيتي .

ولعلها لم ينسيا ما كنت اقوله اذ كنا معا فى هذا السبيل ، حتى غضب من كلامي ذات مرة الاخ الحاج اسماعيل (٢) وقال وقلت ثم اخبرت استاذنا رحمه الله فضحك قليلا معجبا بكلامي وناقشني فى كوروية الارض ، فاستدللت له بالدليل المعروف : السفن والبحر الخ ، فقال اذاً يلزم ان تكون الارض قبابا بارزة في كل عدة اميال فطلبت ان يأتى بالزجاجة المكورة المعروفة لدينا - بيضة ابليس - التى تعلقها النساء فى البيوت للزينة ومددت فوقها مسطرة وصرت أديرها وهو يشاهد المسطرة متماسكة بنقطة مع الكورة حيثما دارت ولا قباب فتبسم ضاحكا مستبشرا وقال كفى كفى زال الشك .

وقد الهمت هذا الدليل اذ ذاك ولا أعرفه من قبل (٣)

في اصطلاحات ميزاب

ثم قال : انى في اهتمام كبير بالاصطلاحات الجارية في ميزاب خصوصا المتعلقة بالولاية والبراءة ، فانها مما لا تدوم رابطة فى ميزاب بدونها وانه لمثل عظيم لسيرة هذا المذهب النقي لا يوجد لها نظير في الدنيا فمضوا بالنواجد على محافظتها في المدن والقرى فانها جامعة الشمل فلا توهنوها بمسائل السياسة والوطن

---

١) هما زميلاه في التلمذة لدى الشيخ طفيش وقد نشرنا للاول مقالا في عدد ٦٣ من وادي ميزاب وآخر فى عدد ٦٨ منه وآخر فى ٨٠ منه

٢) هو كذلك من زملائه من بنى يزقن وهو شيخنا زرقون الحاج اسماعيل بن ج ابراهيم

٣) وقد حضرت مجلسهم هذا ومحاورتهم في ايامى الاولى من حضوري تلميذا لدى الشيخ طفيش في شوال ١٣٢٥ هـ

العمومى فتضيع الميزة والشخصية البارزة لميزاب والميزابيين وهذا لا ينافى اتحاد ابناء القطر كله من جهة اخرى

قوله الفصل بين العلوم القديمة والجديدة

ثم قال فى نفس الرسالة مواصلا كلامه :

هذا رأي منذ كنت فى باريس وقد سمعتم رأي في فندق تونس فانه يلزم وجود متخصصين في علوم الدين والعربية ولو خلوا من غيرها ليكونوا مرجعاً عند الحاجة فلا تبالغوا فى الانكار ، بل حرضوا على المحافظة عليها من جهة المشتغلين بها ، فانها هى الاساس ونبهوهم الى الالتفات الى غيرها .

ولا باس بل لابد من تفرغ فريق لغيرها ليكونوا مرجعا ايضا فيما يختص به وذلك بعد ان ترسخ فى نفوسهم الاصطلاحات والقواعد الدينية والوطنية والا أصبحوا نقمة كما ترونهم في تونس والجزائر ومصر .

أرجو نقل كلامي هذا للاخوين وغيرهما ممن يدرك له فائدة .

سمائل　　　　　　من اخيكم سليمان الباروني

فى سياسة ميزاب

٢ — عند ما عطل « وادي ميزاب » في سنة ١٣٤٧ كتب رسالة الى المرحوم الحاج عمر العنق أوضح فيها رأيه فى السياسة التى يجب سلوكها فى ميزاب ، وهذا نص الحاجة منها :

. . . طالت المدة ولم ار منك جوابا كما لم ار من الاخ أبي اليقظان جوابا عن جملة كتب ارسلتها اليه ، ولما قرأت فى الصحف تعطيل وادي ميزاب علمت انه فى شغل .

واني ابارك لوادي ميزاب بما ناله من الاهتمام والاعتبار فى نظر رجال

الدولة وارجو ان يخلفه قريبا الوادى او ميزاب او الجنوب .

فاجعلوا همتكم فى ذلك واعتدلوا فى المشرب فقد قلت لكم من قبل « ان قليلا دائما خير من كثير منقطع »

وان لكم امتيازا خاصا يلزمكم ان تحافظوا عليه ولو بالسكوت عما لا يعنيكم . ويكفيكم ان تحافظوا على حقوقكم اذا قدرتم .

هذا رأي فى هذا الموضوع خفف الله المصائب الخ

٢٥ ذي القعدة ١٣٤٧ سليمان الباروني

في قضية التجنيد بميزاب

لما اخذت قضية التجنيد بميزاب تنحل عقدتها بفضل المساعي المبذولة من رجال ميزاب من جهة وحسن تفهم جناب الوالي العام م فيوليت من جهة اخرى كتب الباشا كلمة فى الموضوع ضمن رسالة للمرحوم الحاج عمر العنق مورخة فى شوال ١٣٤٤ وهذا نصها :

اليوم وصلني كتابك المورخ فى ٣ رمضان المعظم فشرح صدري وحمدت الله اذ كنت بخير وسرني جداً تحسن حالة قضية التجنيد بحسن ادارة الوالى الجديد أصلح الله الامور

ثم كلمة اخرى في رسالة اخرى له مورخة في رجب ١٣٤٥ حينما وقع تدرج محسوس في حل القضية وهذا نصها :

وصلني كتابك الكريم وتأنست به وبما حواه من اخباركم المؤنسة ادام الله سروركم وعزكم

وقد ضاعف سروري تساهل الدولة معكم فى مسالة التجنيد بهمة الوالي الجديد الحر فنهيئكم بذلك .

فى قضية الاذان

٤ — رسالة منه الينا ضمنها تألمه العميق من قضية الاذان التى يراها دسيسة وضعت عمداً لتمزيق الشمل بين ابناء الامة في اوان تاسيس جمعية العلماء ومشاركتنا فيها ، قال :

. . . تلقيت كتابك الكريم في ٢٢ ذى القعدة ١٣٤٩ بعد زمن طويل كنت التقط فيه بعض اخبار كم من « المغرب » الذي ما وصلني الا عدده الخامس وبعض مما بعده ، فكنت اتالم مما اراه من التحزب لمسألة « الاذان » الموضوعة لتمزيق الشمل وتحطيم بعض ما بقى لميزاب من الامتياز الحافظ للدين الحامى للبلاد لا تسأل عما انا فيه من التألم مما هو جار من التضييق على المسلم حيث كان وبالاخص ما يهدد ميزاب من الاخطار ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

أرجو اتصال كتبك كلما حانت فرصة ، وان تأخرت عنك كتبي فان اعذاري كثيرة وشوقي الى اخباركم عظيم .

وصل مسقط الحاج محمد بن سليمان اليسجني ورفيق له ولا اعرفهما اذ كنت بحضرة استاذنا القطب رحمه الله ورضي عنه ولعلها اذ ذاك صغيران .

فى موقفه ازاء نهضتنا الحديثة

٣ — ما مر فى فصل « اتصالنا » بالباشا في النزل » من التحفتين الادبيتين منه في صفحة ١٨٦ - ١٨٩ فى الجزء الاول من هذا الكتاب .

٥ مكرر — من رسالة منه الينا من جملة ما جاء فى مضمنها موقفه المشرف ازاء بعض الجامدين زاروا عمان وحاولوا بث دعاية غير شريفة ضد نهضتنا الجديدة ولعل منهم ذينك الرجلين اللذين ذكرهما في اخر رسالته الآنفة ، قال :

أرى فى كتبكم اهتماما من القادمين الى عمان ؟ وأقول لا يهمكم الامر قط

اما الذي ذكر انه كتب اليكم في اول الامر من مسقط نصيحة فقد بينت له خطأه بصورة أخجلته حتى قلت له :

أعجب ممن يتطاول الى نصح من أوقفوا انفسهم واموالهم وأقلامهم والسنتهم على الدفاع عن الدين ومذهبهم ووطنهم خاصة حتى أسسوا لذلك مطابع ومجلات وجرائد رغماً عن مقاومة حصلت لهم من اعظم المقاومين

وهل من المعقول ان يتصدى لنصحهم من لا يملك من هذا مثقال ذرة ؟ وهو المسئول بالقيام بمثل هذا لو كان اهلا لشيء الخ

وبالجملة فليس هنا شيء اذكره حتى تهتموا به .

نعم — تمنيت انهما كانا خير مثال لمصعب في بلاد نائية بينها وبين وطنها مطلع الشمس ومغربها ولكن (انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء) فان عزة المرء وشرفه بقومه عند من لا يعرفه من قبل وليس له من الاعمال ما يدعو الى اجلاله . والسلام من اخيكم سليمان الباروني

في اهتمامه بمشاكل ميزاب

٦-٧-٨-٩ -- حينما ثارت زوبعة قامية حول بعض المشاكل بميزاب ولاسيما قضية « التليفون » الشهيرة ، كان الباروني باشا يتتبعها على بعد المكان بكل عناية واهتمام فكتب الى اخوانه في شأنها رسائل كثيرة تعبر عن ألمه وأمله فيها :

فمن ذلك رسالة منه الى المرحوم الحاج عمر العنق مورخة في ٤ محرم ١٣٥٥ وهذا نص محل الحاجة منها :

كدرني جداً حصول الاختلاف فى ميزاب على بعض المسائل حتى آل الامر الى التشاتم واظهار المعائب على صفحات الجرائد والاوراق المطبوعة بصورة بشعة لا تصدر من عاقل ، وقد كتبت مراراً الى الاساتذة . . . في الكف

عن النشر الى ءاخر ما كتبته ولم يفد والامر لله الخ

ومن ذلك رسالة منه الينا مورخة في ربيع الاول ١٣٥٤ ، وهذا نص محل الحاجة منها :

ان ما ذكرته من الشقاق الواقع بين العزابة بسبب خطاب الاستاذ ...قد كدرني كدراً لا مزيد عليه ولا أُصوب رائيكم في احداث شيء جديد خلاف ما جرى به العمل ولاضرر فيه ، فان أقل شيء يحدث انقساما مضراً انتم في غنى عنه ، ويكفيكم اعتبار قضية « الصلاة على النبيء » صلى الله عليه وسلم فانها لم يخف أثرها السيء بعد فما معنى اثارة غيرها .

عن الحوزة

ان ما يعنيه اصحابنا من الحوزة لا ينطبق فى نظري على القرارة وبنى ريان لعدم اتصال املاكها بالوادي ، ولفصل الغير بينهما ، كما هو الحال في يفرن الذي هو مركز الجبل كله عندنا .

فان اهل الجهة الغربية من الجبل يصلون فيه قصراً لانفصاله بقبائل الزنتان وغيرها عنها ، اما بين لالوت وفساطو فمعدود حوزة حوزة واحدة لاتصال الاملاك وان وجدت مسافات قليلة من الاراضى المشاعة لم يعتبروها فاصلة .

على ان اخواننا العمانيين ، رغما عن تقارب قراهم الكثيرة لا يرون الحوزة وقد ذكرتها لهم فلم يروا العمل بها ، لانه قد يؤدي الى اختلاف في الراي لا داعى اليه

عن قراءة القرآن على الميت بالاجرة

قال : اما قراءة القرءان على الميت بالاجرة فأمر جرى به العمل عند اقطارنا كلها وعند غيرنا ، رربما يؤيده جواز الاجرة على الحج والصيام مطلقا عند

الجميع . فاظهار كلام فيه موجب للتفرقة لا معنى له .

هذا والذي أقوله من باب النصيحة الرجوع عن هذا الرأي واعلانه والكف عن مخالفة كل ما هو جار به العمل مما له وجه شرعى قطعا لأسباب النزاع الديني ، ويكفيكم محنة النزاع السياسى . وانى فى انتظار جوابكم عن هذا ليطمئن قلبى .

اما العادات السيئة فيجب ابطالها تدريجيا بمداولات لا عناد فيها لأن اليد العليا لغيركم . الخ

ومن ذلك رسالة منه الينا مورخة فى محرم ١٣٥٥ ونصها :

. . . وقد رزق زكريا اخا جديداً ، اليوم سابعه سميناه محمداً جعله الله محمود السيرة والعاقبة دينا ودنيا ،

وقد أرسلت اليك قبل هذا جوابا ذكرت لك فيه اني سأرسل اليك رسم الشعر والى الآن لم أتمكن من ذلك وسأفعل ان شاء فى هذه الايام

لا ازال اقرأ مع الاسف مقالات في الصحف وكلاما فى اوراق ملونة تدل على انكم لم تأخذوا بما اقترحته عليكم من توقيف النزاع الى ان اعود الى عمان واذاكر حضرة الامام والعلماء في المسائل ، لأني سئلت مراراً من طرف بعض اخواننا الزنجباريين فيما اختلفتم فيه ، وانا لي رأي لكنى علقت الجواب على اجتماعى بالامام لأنه هو الذي يمكنه ترجيح ما يراه من الاقوال مناسبا فى المختلف فيه حتى لا يقع اختلاف في المذهب مع سهولة المواصلة وقربها للتفاهم والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم ، ودمتم موفقين من اخيكم :

سليمان الباروني

ومن ذلك رسالة الينا مورخة في ٢٨ ربيع الاول ١٣٥٦ يستبشر فيها بحصول الاتفاق فى ذلك وهذا نص محل الحاجة منها ــ قال :

اما بعد — فقد قرأت مع الافتخار والسرور في الامة حـــوادت ميزاب والاتفاق التام المبارك والحمد لله ، نسأله تعالى حصول النتيجة المحمـودة ودوام الاتحاد والتحابب ، وقد اخبرني الاخ ... اليوم فى رسالة منه بذلك فضاعف سروري الخ

فى عنايته بمنشئاتنا

١٠ - فى وادى ميزاب

كتب الينا في شأن جريدتنا « وادى ميزاب » كثيراً لم يحضر لدينا منه الا ابيات تقريظا له فى ذي الحجة ١٣٤٥ ونصها فيما يلي :

انت يا ناطقا بفصل الخطاب　　　خل ذكر الابدال والاقطاب
واذكر الناهضين في كل قطر　　　من كهول وسادة وشبـــاب
واجن ورداً وان تشأ لؤلؤ البحـــر فغص فى بحار وادي ميزاب
تلق من جوهر السياسة عقداً　　　لا يبـــاع ويشترى بحساب
كيف لا ومـدير دفته اليقـــظان من جاءنا بكل عجاب

١١ - فى المطبعة العربية

فيما يلي كلمته في المطبعة العربية وردت فى بعض رسائله الينا ، قال

وقد استبشرت بتأسيس المطبعة العربية فارجو لها حياة طويلة لنشر مئاثر السلف الصالح . الخ

١٢ - فى الديوان والنور

وفيما يلي كلمة له في الديوان والنور وردت اثناء رسالة الينا مورخة فى ٢٠ ذي الحجة ١٣٥٠ ، قال :

الديوان الجليل وصل فى وقته — وانا مشغول — والنور لا يزال يسطع وعند استراحة الفكر ان شاء الله أكتب فيها وفى المطبعة ، وعند انفراج الازمة.أسعى فى رواجها باذن الله . الخ

ثم كلمة أخرى له في النور ونصها :

وقد قرأت شاكراً همتك العالية وحميتك الخارقة معجبا بفكرك الوقاد كل ما رصعت به هالة النور الساطع ، مد الله أشعته الى الآفاق وكان لك مؤيداً وموفقا

١٣ - فى الامة

وفيما يلي كلمته فى « الامة » وردت اثناء رسالة الينا مورخة فى ١٢ رجب ١٣٥٣ عندما استأنفنا سيرها اذ ذاك ، قال :

وقد وصلت الامة رافلة فى حلتها الجديدة الفاخرة ، فاهنيء الامة بالامة واتمنى لها طول العمر وعلو الهمة والتغلب على الحوادث المدلهمة .

علاقته بخواص اخوانه بنى ميزاب

ان علاقة البارونى باشا بخواص اخوانه الميزابيين تحمل كل معاني الصدق والاخاء والاخلاص والوفاء فى سائر الاحوال .

فمن مشاركتهم فى افراحهم واتراحهم بالتهاني والتعازى ومن مقاسمتهم الآلام والآمال في السراء والضراء ، ومن مبادلاتهم الآراء والنظريات بصراحة ونصح فى كل ما يهمهم من شئون الحياة العامة والخاصة ، ومن مكاشفتهم عن شئون حياته الخاصة والعامة بما لا يبوح به لأحد سواهم ، ومن تنويهه بحسناتهم وشكره لمكارمهم وان قلت ، ومن تغاضيه عن سيئاتهم وتسامحه بصدر رحب عن هفواتهم وان جلت .

ذلك كله — رغما — عن البون الشاسع والفرق الكبير بين مرتبته

ومراتبهم ، وبين درجته ودرجاتهم .

فانك تراه يخاطب او يراسل ، وهو عضو في البرلمان العثماني او والي وقائد جيش او رئيس وزارة احداً من أصغر اخوانه متى أحس منه صدقا واخلاصاً ووفاء ، كما يخاطب أخ اخاه او صديق صديقه ، او خليل خليله !

وهو لن ينسى اى مزية من احد مهما كان فى غمرة من المغامرات او في لجج من الاشغال او فى جمرات من فراش المرض او في مضيق من الازمات او في مكان من الغربة سحيق

كما انه لن يتجاهل مروءة أحد منهم وهو في أريكة تسامي الى ما يقرب من ارائك الملوك !

لا توهن علاقته باحدهم غفلة هذا عنه او تراخي مراسلته له ، او غضه من حقه ، مالم يحد هذا عن منهاج الحق ، فهناك يمحضه النصح باخلاص وان اعرض عن نصحه وكل أمره الى الله ، وسأل منه تعالى الهداية والرشد وكفى .

ذلك — لعمري — منتهى درجات الصدق والاخلاص والوفاء ، وما يلقاها الا ذوحظ عظيم ، ولا تتسامى عنها الا درجات الانبياء والرسل الذين يقول سيدهم صلى الله عليه وسلم فى امثال هذه المواطن «اللهم اهد قومي فانهم لايعلمون»

ان استعراض أمثلة كثيرة من ذلك قد يخرجنا عن خطة هذا الكتاب

ولكنا — زيادة على ما تقدم في هذا الشأن بالتبع — نقتصر لايضاح ما اجملناه انفا على النماذج الآتية :

١ ـ رسالة منه للمرحوم الحاج عمر العنق شكراً له على مروءته مورخة في في جمادى الثانية ١٣٤٣ ، وهذا نص محل الحاجة منها :

السلام عليك وعلى رفيقك الــــذي اعتقد انكما المنقذان الاولان لي مع السيد عمر ، والمنقذ الثانى هو ملك الحجاز الحقني الله على مكافأة الجميع بخير

وصلني كتابك الاول ثم الذي ذكرت فيه مرضك بالحمى فأشكرك وارجو ان لا تقطع عني كتبك كل اسبوع فانها تؤنسني ، وسلم على الاخوان كافة .

من اخيكم سليمان الباروني

٢ ـ رسالة منه اليه في تهنيئته بعيد ، وهذا بعض ما جاء فيها :

شرفني كتابك الكريم المورخ في ٢٤ شوال فتلوته مسروراً مبتهجا ولا زلت انتظر جوابي فرانسا وايطاليا في الاذن اسأل الله تسهيل ما صعب واني اقدم اليك والى الاخوان الافاضل والجماعات التهنيئة بعيد النحر المبارك اعاده الله على الجميع اعواما كثيرة في عز ونصر الاسلام ، ومن هنا الاصدقاء يقدمون لكم التهنيئة والتحية .

ننتظر وصول حضرة الامام من نزوى بعد اسبوع . وسلامي الى ابنائك النجباء ، وارجو اتصال كتبك فانها تونسني ، والحمى لا زالت تعاودني ، وسيصلك رسم المدرسة ان شاء الله . ودم موفقا لأخيك : سليمان الباروني

٣ — رسالة اليه ايضا مورخة في رمضان ١٣٥١ ، ونصها :

... اني والعائلة في صحة ولله الحمد ، ابراهيم بعد ان شفي عاد الى مسقط للتدريس في المدرسة السلطانية ، ولما عطلتها الازمة عينه السلطان في العدلية هو هناك في صحة طيبة .

أنقطعت عني كتبك فاين انت ؟ ارجو انك بخير وصحة وان احوالك على ما يرام .

بمناسبة قرب انتهاء رمضان المعظم والعيد السعيد أقدم لك وللاخوان الكرام التهنيئة احيا كم الله اعواما كثيرة في عز وهناء ونصر للاسلام وأهله الخ

من اخيك المخلص سليمان الباروني

٤ ـ رسالة اليه في فرحه بقيامه بمهمة التعليم بوارجلان مورخة في ٢٢

ذي القعدة ١٣٥١ ونصها :

اما بعد فني اسعد اوقات تلقيت بيد الاحترام كتابك الكريم المورخ فى ١٥ رمضان بعد ان وصل مسقط وتلوته مسروراً

وقد كنت استفهمت عنك من الشيخ ابى اليقظان لما انقطعت كتبك عني ونسيت عنوانك فاجابنى في هدا الاسبوع بانك فى وارجلان بلد السلف ومدفن رجاله العظام وأرسل الي الظرف الذي يصلك فيه كتابى هذا ، يعلم الله مبلغ سرورى بوجودك في ذلك القطر ، ولعل الله قدر له ان يحيي على يدك وان تكون سببا لعمرانه بالمذهب كما يدل عليه اسمك ، اسأل الله لك تسهيل الرزق والربح فيه حتى تستقر ، فاعمل جهدك ايها الاخ فى ايقاظ همم من بقى من رجاله الى احياء المذهب وتعمير الجامع العظيم التاريخي وارجو ان داء التعصب المذهبي قد خف او زال او حصل التئاخي ، وقد سررت جداً بصورة الجامع ومنارته ـ فلله انت ما ادراك بما تتوق اليه نفسي فزدني من مناظرها ومن مناظر ميزاب الجديدة وارجو انصال كتبك الى بغداد فاني استحسنت الاقامة اذ تجددت صحتي والحمد لله والصحة نعمة لا مثيل لها

ارى انه يجب على رجال ميزاب اعانتك بما امكن على احياء الاسلام هناك والقيام بما يعجز عنه اهل المكان ولو بمقدار من فضلة اموالهم لنشر العلم الديني ومبادئه والقرءان الكريم . الخ المخلص سليمان الباروني

٥ ـ رسالة اليه ايضا في شوال ١٣٥٣ وهذا نصها :

اما بعد ـ فاننا بفضل الله في صحة وهناء وشوق زائد اليكم ـ وقد شرفني كتابكم الكريم مهنيئا بعيد الفطر فلكم الشكر الجزيل احياكم الله لأمثاله فى عز وتائيد اعواما كثيرة .

هذا وقد كدرني جداً ما ذكرتموه من وفاة اخيكم الجليل الحاج بكير



صورة المصلح الكبير المرحوم العنق الحاج عمر بن الحاج ابراهيم
الصديق الوفي للمرحوم البارونى باشا

لكن لا حيلة مع القدر وكل نفس ذائقة الموت ، فالواجب امتثال قوله تعالى « والذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون » ، فرحمه الله رحمة المسلمين واحسن عزاءكم وعظم اجركم وجعل البركة في اعماركم ولا اراكم مكروها

ومن هنا ابراهيم يقدم لكم تحيته ، ومنذ اسبوع مشغول بالامتحان في كلية الحقوق وفقه الله .

من اخيكم المخلص سليمان الباروني

٦ — رسالة منه الى الشيخ امتياز ابراهيم شكراً له على اريحيته ونجدته ، وهذا نص محل الحاجة منها :

بالامس تلقيت كتابك الكريم بيد الاحترام ، ولا تسأل عما ادخله علي من السرور ، وقد ذكرني بكتابك القديم الذي أجبتك عنه اذ ذاك وانا فى مرض شديد بارك الله لك ولأخوانك الافاضل ، وللاطمئنان على وصول كتابكم قدمت اليكم هذا ، وانا أقول مرتجلا :

ملأتم فراغا كاد يملأ بالدين — وابعدتم بؤسا يشاهد بالعين

اذا ما عددت المنقذين من الاذى — فمثالثهم في العد انتم بلا مين

فلله انتم كثر الله خيركم — وزادكم عزاً وبعداً عن الدين

ودمتم فى حفظ الله موفقين ، من هنا ابراهيم يقدم لكم احترامه ، تحيتي الى الاخ الاستاذ ابي اليقظان ، وارجو ان جريدة الف باء او الشعب وصلته من الشام وفيها حديثي مع مخابرها الى آخره ، اما جريدة العقاب فقد توقفت عن نشره باشارة من بعض المصادر فيما أظن والسلام من اخيكم : سليمان الباروني

٧ — رسالة منه اليه فى شأن « مدالية الحرب » التى اهدتها اليه دولة النمسا واليك بعض ما جاء فيها :

بالامس سلم لي القائم باعمال مفوضية النمسا في بغداد مدالية الحرب الذهبية التي انشأتها النمسا حديثا تذكاراً للحرب العامة واهدت منها للذين قاموا باعمال

حربية لها شأن فى الحرب العامة ، ولا يخفى اني كنت اذ ذاك واليا وقائداً عاما لطرابلس الغرب العزيزة ضد ايطاليا عدوة النمسا حينيئذ فلم تنس ما كان ، أرجو ان تخبر الاخ الاستاذ ابا اليقظان والاخوان ، والمدالية في حجم الريال الفرنسي القديم كما ترى صورتها أسفله ، وسأرسل اليكم صورتى بهـا مع ما سبق ، ودمتم موفقين . بغداد ـ ١٤ صفر ١٣٥٦ من اخيكم سليمان البارونى

ثم جاء في رسالة منه اليه اثر هذه ـ التصحيح الآتي :

« ذكرت لك انها من الذهب لـكن ظهر انها من البرنز الذى يشبه الذهب الخالص في اللون واللمعان فحصل الخطأ فاذا اخبرت الاخ ابا اليقظان بذلك فاخبره بهذا التصحيح اذ ربما ينشر فى الامة خبرها وانها من الذهب اعتمـاداً على كلامي الاول . »

٨ — رسالة منه الينا وبعض الاصدقاء الافاضل في شئون شـتى من بينهـا ما هو في شأن نسخة له من متن النيل اذ بيعت في جملة ما بيـع من كـتب نفوسة في سوق الـكتبية بتونس أثر حـوادث الفتن فى طرابلس المشـار اليهـا سابقا ـ فـكانت النسخة من جملة حظ ذلك الاخ الصديق بالشراء وبعـد ان استخبر الباشا عنهـا اجابنا فى هذا الشأن في ٢٧ شعبان ١٣٥٠ بما يلي :

اما نسخة النيل ذات الجلد الاحمر التي كتبت عليها اثناء قراءتها على شيخنـا القطب رحمه الله فقد سلمتها عارية للاخ الحاج عبدالله بن عمر الميزابي اذ حصلت بيننا مودة اذ كنت موقوفا بطرابلس من طرف حكومة عبد الحميد وهو اذذاك مقيم فى طرابلس ورغبته في مطالعة كتب المذهب ، وقد فرقت الحوادث بيننا وانقطعت المواصلات الى ان توفي ليلة قصده للالتحاق بي فى حـرب طرابلس الاولى وكـنت دائما افكر فى مخاطبة السيد احمد فى شأنها لأنه يعـز علي مـا كـتبته من التقريرات مما تلقيته من لسان القطب رضي الله عنه ـ فارجو حفظها

باسمى ، اما الكتب الاخرى فعلى كل من منهوبات الفوضى التى أعانت عليها ايطاليا الناهبين باموالها وسلاحها لا انهم فعلوا ذلك بانفسهم جهاداً في الدين كما يزعمون !

فاذا امكنك شراء شيء منها مما هو بخط الوالد رحمه الله او احد اجداد البارونيين فلا تقصر ولك الشكر . والسلام من اخيكم سليمان الباروني

٩ — رسالة منه الينا في شئون شتى من بينها ما هو في شأن حادث أليم وقع لأهلنا ، وهذا نص محل الحاجة هنا من الرسالة :

. . . شرفني كتابك الاول المحرر فى ١٣ رجب اي في الوقت الذى كنت اعانى فيه ما شرحت للاخ الحاج عمر ثم كتابك الثانى المؤرخ فى ٢ شوال ، اي اليوم الذي كانت فيه أحدى البنات مشرفة على القبر حتى أمرت باحضار الكفن والغاسلات ثم نفخ فيها الروح .

تألمت مما اصابك فى الاهل والنفس من المشاق ومن الازمة الحاصلة فى المطبعة والنور ، وهذا أمر قد عم الاقطار والامر لله الواحد القهار .

اما هنا فلا تسأل وسببه سقوط القرش المساوي المتعامل به في عمان فانه كانت المائة منه بمائة واربعين ربية فتدحرج حتى أصبحت المائة منه بخمس وسبعين ربية فقط ثم سقوط سعر البسر الذى يصدر الى الهند وتمر الفرض الذي يصدر الى امريكا وبهما قوام البلاد فقد بلغ ثمن البهار من البسر فى السنة الماضية الى ٣٠٠ قرش وفى هذه السنة لا سؤال عنه والقليل الجيد منه يباع بثلاثين قرشا للبهار وعلى هذا القياس الفرض فكادت النقود تفقد من البلاد ولولا لطف الله لجلا اهلها لكن تداركهم برحمته فهطلت الامطار فى السنة الماضية واستمرت فكثرت المزروعات بانواعها حتى السكر والقطن وعاش الناس بمحصولات البلاد والحمد لله .

تحيتي الى اخوان الصفا كافة خصوصا شبلك عيسى وعضدك تمموت عيسى ومن هنا الاصحاب كافة يسلمون . وبمناسبة مرور العيد السعيد أقــدم اليكم التهنيئة به والسلام . سمائل ٢٠ ذي الحجة ١٣٥٠ البارونى

١٠ — رسالة الينا في شئون شتى مورخة في محرم ١٣٥٥ وهذا نصها :

السلام عليكم اننا على ما سبق

وقد أحزنني ما وصلت اليه قضيتكم حتى أصبحت شتما وسفاهة على الصحف والاوراق ، وقد كـنت موملا توقف ذلك بعد ان أجبت الاستـاذ . . . (وما تشاءون الا ان يشاء الله)

ورد الى جوابك وقصيدتك الغراء من مدة وأوقفت الجواب الى ان أرسل اليك « الظل » الشعري الجديد لانه باق ، فطال الامد ، وسأرسله اليـك قريباً ان شاء الله .

وأرجو ان الحالة تحسنت وادركـتم وخامة العاقبة هداكم الله . وقـد كنت كـتبت الى الاخ . . . كتابا ذكرت فيه شيئا وأحلته فى الباقى على جـوابي الى الاستاذ . . . فأجابنى متألما مما كـتبته اليه ومبينا انه لم يسمع بجـوابي الى الاخ . . . فعلمت انك لم تخبره فضلا عن ان تطلعه عليه كما قلت لك فاضطرت ان ارسل اليه نسخة منه لأن المقصد مما فيه موجه الى الفريقين ، واليوم كتبت اليه ان يطلعكم على ما كـتبته اليه سابقـا وما كتبته اليه الآن لأنى لا أستطيع الكتابة الى الجميع الآن .

تلزمني خريطة طرابلس الجديدة من صنع ايطاليا ويلزمني دليـل طـرابلس الايطالي ايضا اذ يمكنكم الحصول عليهما من الجزائر او تونس . ولتكن الخريطة كبيرة مفصلة اذا توجد .

وقد وجدت فى اوراقي ذكرا لجريدة « الحق » الفرانسية التي كانت تصدر

فى وهران في وقت هجوم ايطاليا على طرابلس ، وانها اول من انتصر للحق وكتبت مقالات على الحرب فهل يمكنكم الاطلاع على مجموعتها في سنة ١٩١١ - ١٢ ونقل ما يهم التاريخ منها وان كان في ذلك تعب ومشقة وارجو اطلاع الاخ ... على كتابي هذا الخ

من اخيكم سليمان البارونى

١١ — رسالة الينا فى شئون شتى كذلك وهذا نص محل الحاجة منها :

اما بعد فقد وصلنى كتابك الاول المبشر بوصول الاستاذ الاخ طفيش ونجله النجيب « قالمة » فأهنيئكم وأهنيئه بذلك الانس وانشراح الصدور بمشاهدة الاخوان وزيارة الوطن .

ثم وصل جوابك الثاني المورخ في ٧ جمادى الثانية الذي شرحتم فيه سياحتكم الى « تيهرت » عاصمة مجدنا القديم وسياحتكم الخصوصية الطويلة وما اتيت على تلاوة اسماء « تيهرت » وما معها من المدن حتى تمنيت ان تكون لي اجنحة اطير بها واتجول فيها ولو يوما واحداً واعود !

فهنيئا لكم بما اتاكم الله ، لاسيما الاخ طفيش من حرية التنقل فى تلك البقاع النضرة العامرة بالاصحاب ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ويمنعه عمن يشاء . الخ

١٢ — رسالة الينا مؤرخة في ربيع الاول ١٣٥٦ وهذا نص محل الحاجة منها

هذا وقد فرج الله عنا الضائقة التي استحكمت حلقاتها منذ سنين وان لم يشعر بها هنا أحد بفضل التكتم والاقتصاد التام .

قد أمر جلالة الملك بصرف ١٥ دينار لنا شهريا من خزانته الخاصة ، وذلك لما بلغه اني أستعد السفر بابراهيم لتبديل الهواء ، ورأى ان ذلك يستدعي نفقة واسعة فتذاكر مع رئيس الوزارة « حكمت بكر سليمان » فاقترح تخصيص هذا المقدار (والمنتظر غيره) فبلغ لي رسميا (وقد تقدم ملخص عن هذه الصلة

السنية في فصل « كيف افرجت الازمة فجأة » فى صفحة ١١٢)

ويصلنى الى البيت ءاخر كل شهر بدون ان أذهب مثـــل غيرى الى دائرة الخزانة فى البلاط جازى الله الاثنين خيراً ، والحمد لله الذي يرزق من يشـــاء بغير حساب .

ثم قال : ابو يحيى زكريا واخوه محمد في غاية الصحة والذكاء ، سارسل اليك يا ابا اليقظان صورتى الجديدة بالشعر مع ابيات جواب ابياتك مع صورة بالرتبة وعليها كل الاوسمة التي نلتها بعد الصورة القديمة التي عندكم

وسنخرجها بطلب من الاخوان المهاجرين فى الشام ومصر ، عرفوني بوصول هذا اليكم وقد أرسلته ضمن رسالتى الى الاخ ... اقتصاداً فانى لا انسى الماضي

ودمتم لاخيكم سليمان البارونى

وبعد — فقد نقلنا الكثير من الوثائق والرسائل التى بين ايدينا للبارونى باشا كنماذج فى مختلف المواضيع من الكتاب ، وا كتفينا في ذلك غالبـــا بمجرد النقل ، وتركنا لالمعية الاخ الملاحظ وذكائه مهمة التعليق والاستنتاج واستخراج مواطن العبر من خلال ذلك كله .

وذلك محافظة منا على البرنامج الذي رسمناه لهذا الكتاب ، ونرجو اننا قد وفقنا الى ذلك ووفينا بالغرض المقصود منه بلا اخلال ولا إملال .

كما نرجو ان يخرج الاخ الباحث بالنتيجة التى نهدف اليها منه من وضع البارونى باشا في منزلته اللائقة به ومن اتخاذه مثـلا اعلى في البطـــولة والنزاهة والاستقامة والكمال .

أسرة البارونى باشا

تتألف أسرته الكريمة من أخوين وزوجتين وابنين وبنتين وحفدة .

فاما الاخوان — فهما الشيخ يحيى والشيخ أحمد .

اما الشيخ يحيى فانا نعرفه شخصيا ايام كان تلميذاً لدى قطب الائمة الشيخ طفيش سنة ١٣٢٥ وايام ان تلاقينا بتونس اوان التجائهم اليها سنة ١٩١٣ بعد حرب طرابلس الاولى ، ونعرف منه انه اديب المعي لطيف المعشر بديع النكتة ميال الى الدعابة والمزاح يشع وجهه بشراً وابتساما .

وهو قد درس العلوم — كاخيه الباشا — في القاهرة وتونس وميزاب

وله شعر رائق . نشر بعض قصائده في ديوان البارونى يعاتب اخاه الباشا فيها بمغامراته ومطلعها : (١)

اراك - اخى - بالدهر غير مبال وقد ذقت منه المر بضع ليال

وقد لعب ادواراً مهمة في حرب طرابلس لاسيما فى ذلك الدور الخطر من الجهاد الوطني بطرابلس ١٩١٤ ـ ١٩

فقد علمت مقدار المهمة الخطيرة التي كلفه بها اخوه الباشا فى غضون سنة ١٩١٦ من الذهاب مع ضباطه في غواصة لتقصي اخبار طرابلس في ظروف حرجة ، فقام بها احسن قيام بما اوتى من شجاعة واقدام وكياسة وسياسة حتى نال بذلك رتبة جنرال - فيما بلغنا ، وكان نائب رئيس مجلس الشورى لجمهورية طرابلس الوطنية سنة ١٩١٨ - ١٩

ناهيك به سمواً ورفعة شهادة اخيه الباشا فى حقه بتلك القصيدة الرائعة

---

١) ص ١٥ من قسم التقاريظ للديوان وقد أجابه الباشا عن قصيدته بقصيدة اخرى على الاثر ومطلعها :

صدقت - اخى - والنجح فيك مؤمل نظمت فكان النظم احسن فال

البليغة التي رثاه بها لما بلغه نعيه وهو بسمائل (عمان) فى اواخر جمادى الاولى سنة ١٣٤٦ ، ولاشتمالها على ما لم يعلمه الناس من فضائله ومزاياه ننقلها فيما يلي وهذا نصها : (١)

(اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة) قرءان كريم

يحيى اخى اين انت اليوم مستتر	يا خير عون اذا ما احدق الخطر
يا مخزن السر يا رب الوفا ويا	فخـر الرجال ويا من وجهه قمـر
نعاك لي اليوم كل الكاتبين ولم	اجد سوى الصبر فيماشاءه القدر
بالطبع نحزن لكن هل لنا امل	في عودة منك ؟ كلا ما لذا اثر
انا حزنا وطال الصمت وانزعجت	منا النفوس ولكن هل شفى الضجر
هيهات هيهات لا عود ولا صلة	من بعد موت ولا نعت ولا خبر
الى القيامة حيث الحشر يجمعنا	نرجو اللقا وذنب الكل مغتفر

* * *

ما الحزن يحيى لموت كلنا عبر	للموت جيئنا فلا تبقى ولا تذر
وانما لمقر كنت فيه انى !! (٢)	في ضيق عيش وقهر الخصم اذقدروا
هذا الذى طرد النوم اللذيذ ولم	نهدا ولم ندر نام القوم ام سهروا
لم يغن للدول الكبرى تزلفنا	حتى جرى فيك ما قد خطه القدر

* * *

لهفى عليك عزيز النفس قد نضبت	منك الحياة وغطى وجهك النضر
ودعت اهلك والاوطان وانقطعت	منك العلائق منهم وانتهى العمر

---

١) حياة سليمان باشا البارونى ص ١٤٢ نقلا عن نسخة منها للشيخ ابى اسحاق طفيش من قلم الناظم الباشا .

٢) لم يظهر هنا معنى انى ولعله ابيا فوقف عليه لضرورة الشعر

رفعت فوق رءوس كنت ترفعها على سرير الى روض بها حضروا
واروك وانصرفوا داعين واتعظوا بك فهم ادركوا ان لا بقا ودروا

* * *

لنا «زوارة» مذ كنا وقد نشأت اخواننا الاصفياء ما شابهم كدر
فلست يحيى غريبا فى البلاد بلى انت الاصيل اذا ما دقق النظر
فحيثما كنت مدفونا بلادك لا تستقلن رمالا ما بها مدر
اه اه ابا زكريا الحر قد قطع الـ امال نعيك قطعا واستوى الذعر
يبني المؤمل والاقدار ضاحكة والغر يبسط والآجال تختصر
كم فكرة في الدياجي كنت أنظمها فى سلك مستقبل الآمال افتكر
أضحت سرابا وخاب الظن وانعكست بالنعي كم من قضايا جاءها سفر

* * *

ما انت يحيى الذي ان مات قبل فتى قد غاب لم يبق فى الدنيا له أثر
بل انت يحيى الذي خضت الخضم على عفريتك الاسود الفتاك اذ زخروا
تغوص طورا وطورا فوق موجته تطارد المنشئات الشم تنتظر
شاهدت منظر من اغرقت مركبهم فأصبحوا ما لهم مأوى ولا صور
اضحوا طعام سباع البحر فى ظلم والمركب الضخم امسى حظه الشرر
جازفت بالنفس يحيى غير مكترث قطعت بحراً ونار الحرب تستعر
وجبت برا مديرا فى طرابلس وعدت تحمل اخبار الالى نصروا
وعدت ايضا ولم تقبل لها بدلا وقلت ذا وطنى يفدى فذا الوطر

* * *

بل انت يحيى الذي للحرب كنت على جوادك الادهم الكرار تنحدر
حكمت فى الجبل الغربي اونة فكان من راحتيك العدل ينفجر

أمنت فيه سبيل السالكين وقد اثنى عليك الفتى والشيخ والخمر

* * *

ان يجهلوك فانى لا أصدقهم اذ أنت عند الخصم الضيغم الخطر
او يكتموك فانى لا اعاتبهم ولا ارد جوابا ان هم سخروا
علما ودينا وءادابا منقحة جمعت معها مزاحا ما بـه ضرر
محافظ لفروض الله مجتنب اهل الهوى واثق بالله مصطبر
كرعت فى الازهر المعمور موردنا وتونس وبني ميزاب يا خضر
لا تعرف الغش اصلا لم تقل كذبا ولم تنم ولم تسع وان عثروا
ولست تعرف خوفا ان دهت نوب وان تكن عصبيا حين تحتقر
لم تحمل المن من اي الرجال واذ أمحلت صمت وقال الاهل نندثر
تجود ان وجدت كفاك منقبض اذا استقلت كما اذ كنت تحتضر
صبرت اذ لم تجد فكا لأسرك من ابناء رومة يحيي حينما مكروا
سدوا الدروب فقلت المكث اوفق لي وراقبوا فاختفت من عندك الزبر
أبرزت كل جهاد فى طرابلس ولم تلن قط يا يحيي وان ظفروا
لم ترض ذلا ولم تمدد يداً ابدا لمحسن فى استلاب العقل مقتدر

* * *

لا بدع انك شبل الاسد من قدم اجدادك الشم كم ءاوا وكم نصروا
ان كان جدك يحيى لم يكن علما فالبدر عيسى ابنه فى القطر مشتهر
أبوك بحر الندى والعلم ليس له في الغرب مثل اذا اهل التقى اختبروا
اما أبو زكريا الحبر من عقدت له الامارة من اجدادك الغرر
فكان خير امير فى الجبال له صيت وعدل وعلم كله درر

* * *

اما الهزبر ابو يحيى الذي نطقت … بجوده البكم وانقاذت له الزمر
وكررت ذكره البيضا صحائفه … وعدله كتب الاخبار والسير
فهو الامام الحكيم الضيغم المرتضى … امارة حفها الافلاس والخطر
فذاد عنها وكان النصر رائده … في نائبات لها الاكباد تنفطر
يعطي فيغني ويكسو لا يرد يدا … الا وفي كفها الدينار ينتثر
اما الامير الغزير العلم كوكبهم … ابو الربيع سليمان الذي شكروا
فحدثن عنه كالبحر الخضم ولا … تحصى خصالا له في الكتب قد عثروا
وسل اذا شيئت عن موسى الامام ابي … هارون جد الجميع المجتبى عمر
فهو الذى حاز بالاجماع مرتبة … من قبل الف من الاعوام تعتبر
فطوق الدهر عقداً من عدالته … واصبح الجبل الغربي يفتخر
وسل وسل ان تشا عن غيرهم لترى … فى وصفهم كل تمجيد اذا ذكروا
فابن الباروني يحيى انت لا عجب … اذا حوت مدحك الاسفار والزبر

* * *

ارثيك يحيى ولا ابكي فلست بمن … يسيل دمعا اذا ما عضه القدر
لادمع عندي يحيي انت تعرفني … فى كل نائبة فالجفن يعتذر
أرثيك ما دمت حيا بالقريض ولا … انساك من صدقات حين اقتدر
اما بنوك فابناء لنا ولهم … منا الاعز وان عزوا اذا كبروا
(نزيهة) النفس في عيني «زعيمة» بل … «عزيزة» هي «والمعصوم». مدخر

* * *

يحيي تخلفت حيث الشمس مغربة … كيما تغيب كما غاب الالى قبروا
اما انا اليوم حيث الشمس مشرقة … ولي شروق طويل اليسر معتكر
ولي غروب ككل المشرقين بلى … لكنه بعد ان يسترقب الظفر

يا غربة لي اراها بعد فقدك يا ... يحيى ستغشل شيئا صار ينتثر
كنت الذي ما ملات الدهر صحبته ... ولا علمت له ذنبا فيغتفر
كنت الطليعة لي طول الجهاد وقد ... اصبحت من قادة الاموات ماالنظر

* * *

فى ذمة الله سر روحا مجردة ... من كل بال فلا لحسم ولا شعر
دعها مكفنة في القبر هامدة ... الى المعاد عليها الحزن ينهمر
وطر الى ملكوت الله مغتبطا ... حيث السعادة لا بؤس ولاضجر
ولا جهاد ولا داء ومخمصة ... كلا ولا الخلفاء والشر والغير
واسرح مع الاولياء الأجداد قبلك مع ... رسل الالاه وارواح الالى صبروا
ولا تهمنك الدنيا فنحن بها ... حتى نوافيكم اذ ينتهي العمر

* * *

رثيت يحيى اخي بالنظم مختصراً ... تلك المزايا التى لم يدرها البشر
فلا الام اذا جالت مجاوزة ... حد المناسب اقلامي فى كدر

سمائل ـ عمان — ١ جمادى الثانية ١٣٤٦ سليمان الباروني

واما الشيخ احمد فانه كاخيه الشيخ يحيى بعد ان تلقى مبادىء العلوم الدينية عن أبيه ذهب معه الى القاهرة لتلقي العلوم العربية من منبع الازهر الشريف ثم الى تونس كذلك .

وكان اريبا متزنا غير مغامر كاخويه ، ولم نعرفه شخصيا الا لماما ايام التجائهم الى تونس بعد حرب طرابلس الاولى سنة ١٩١٣ ، ثم رجع منها الى الوطن بمرافقة اخيه الباشا ليحفظ املاك الاسرة من الضياع .

وقد تولى القضاء الشرعي زمانا بمركز « نالوت » و« الرحيبات » وغيرها

من الاماكن الكثيرة الى ان احيل على المعاش فى سنة ١٩٥٤ ، وهو الآن فى السن السبعين من عمره .

ولمركزه العالي هذا لابدا أن تكون له حياة حافلة في ميدان القضاء نظراً لمركزه العلمي والاجتماعي بين ابناء قومه ، لكننا نجهل شيئاً كثيراً عن هذا الرجل الكبير الذي لم نحظ بالاتصال به كما حظينا من جانب أخويه العظيمين ، وغاية ما نعلم عنه — حياه الله — انه أشد قضاة طرابلس تحرياو نزاهة وخبرة ودراية باحكام القضاء حتى قيل : انه رفع من احكامه ٨٥ حكما الى محكمة الاستيئناف بطرابلس فلم ينقض له ولا حكم واحد قط

ومع هذا فان مركز « نالوت » الذي تولى قضاءه هو اكبر مراكز الجبل الثلاث ، هذا ومركز « فساطو » ومركز « يفرن » اذ يشتمل هذا على سبع مديريات : ١ — مديرية كباو ، عرين العائلة البارونية . ٢ — مديرية الحرابة ٣ — مديرية الجوش . ٤ — مديرية وازن . ٥ —مديرية سيناون . ٦. مديرية درج . ٧ — مديرية غدامس .

وفي كل مديرية نائب قاضي تابع لقاضي مركزه (١)

وله من الابناء عشرة منهم : عبدالله ، يوسف ، سعيد وهو متصرف بترهونة علي ، صالح ، سليمان وغيرهم .

واما الابنان فهما سعيد وابراهيم

فاما سعيد فبعد ان تلقى مبادىء العلوم التحق بالمدرسة الحربية في استامبول ايام كان أبوه عضواً في البرلمان العثماني ، وقد نال رتبة ضابط « فسيان » فيما بقي بذاكرتي ، ثم غابت عنى أخباره ، أيام الغمرات التي أقتحمها أبوه .

---

١) انظر جريدتنا « الامة » عدد ١٢٩ الصادر في ٣ جمادى الاولى ١٣٥٦ الموافق ١٣ جويلية ١٩٣٧

. واما ابراهيم

فقد ورث خلال والده — حقا — من ذكاء وفطنة وطموح ، وقد تقلب منذ طفولته مع أبيه فى سائر ادوار حياته رخاء وشدة منذ اواخر الحرب الاولى بطرابلس ، فقد التجأ طفلا صغيراً مع أبيه وعائلته الى تونس ، وقد رأيته هناك صبيا يفيض ذكاء ويطير خفة ولطفا وأبوه وعمه الشيخ يحيى يدربانه على الاعمال الحربية ، من مشي الجندي وحمل البندقة ونحو ذلك ، ثم انتقل معه الى استامبول وتلقى مبادىء علومه هناك . ثم أرسله أبوه الى مدرسة رأس التين الاميرية بالاسكندرية فواصل تعليمه بها الى ان نال الباكلوريا .

وانتقل الى طرابلس ولبث بجنب العائلة أيام محنة ابيه بالاغتراب ، وكان الباشا يأمل ان لو التحق بافراد بعثتنا الميزابية بتونس ولكن لم تساعده الاقدار الى ذلك .

ثم انتقل الى ابيه لعمان ، ثم أنتابه هناك مرض الملاريا فى جملة من انتابه من افراد العائلة ثم انتقل به أبوه الى بغداد للمداواة ثم التحق بمدرسة الحقوق هناك ، ولكن لم تساعده الظروف لمواصلة دروسه بها حتى يحصل على شهادة الليصانص في الحقوق رغم استعداده ، فتكرم جلالة الملك « غازى » فاضافه الى دائرته السنية فى جملة كتاب ديوانه .

ورجع لمسقط فعاد يزاول مهنة التعليم بالمدرسة السلطانية ثم أختص بتعليم افراد العائلة المالكة .

ولما أضناهم مرض عمان وانتقل أبوه الى الرفيق الاعلى حسبما يأتى أنتقل هو والعائلة الى طرابلس ، وقد ترك فى نفسه ذلك المرض أثره العميق عافاه الله .

وكان له نثر رائق وشعر فائق ، وقد نشرت له صحف ومجلات العراق والشام ومصر فصولا ممتعة ومقالات بديعة وشعراً بليغا ، كما نشرنا له شيئا من

ذلك فی جریدتنا « الامة » ، وان تتبع ذلك يخرجنا عن خطتنا المـرسومة .

ولكـنا نشير الى ذلك بعناوين البعض منها ثم نختم الموضوع ببعض النماذج ليستدل الاخ الباحث منها على وجهة تفكيره ومبلغ نضوجه فيعلم ان هـذا الشبل من ذلك الاسد ، وانه لو ساعده القدر لسد حقيقة مسده ولملأ فراغه ، ولله الامر من قبل ومن بعد .

وهذه عناوين تلك المقالات على الترتيب الآتى :

العنوان	الصحيفة او المجلة
١ ـ طلائع عهد جديد	نشر في الرابطة العربية فی مصر
٢ ـ مطالب المرأة الحديثة	ـ التمدن الاسلامي في دمشق
٣ ـ ترجمة تفسير القرءان الكريم	ـ الرابطة العربية في مصر
٤ ـ قضية فلسطين	ـ الدفاع في العراق
٥ ـ بشائر الاسلام	ـ التمدن الاسلامی في دمشق
٦ ـ تحية العلم	ـ الفتح (مصر) الامة (الجزائر)
٧ ـ تحية الشهيد	ـ الدفاع

وفيما يلي بعض النماذج له من نثر ونظم :

فمن الأول — رسالة منه الينا مورخة يوم ١٦ جادى الاولي ١٣٥٦ وهـذا نصهـــا :

. . . ولقد سرني اهتمامكم بنشر مقالي عن قضية فلسطين ، وهـا هي الايام كل يوم تجيء بجديد مصداقا لما ورد فيه .

ولعل اعداد الدفاع التالية التى بها مناقشتي للاستاذ ساطع الحصرى عميد كلية الحقوق البغدادية سابقا — ايام كنت بها — قد وصلتكم ايضـا وأظن ان الموضوع سيعجب قراء « الامة » رغم انحصاره فی دائرة الادب خصوصـــا

الفصل الاخير في « الوطنية في دراسة التاريخ »

كنت كتبت لمجلة « التمدن الاسلامى » الدمشقية فصلين أجملت فيهما بمناسبة ذكرى المولد النبوي لهذا العام نشوء الاسلام والاحوال التى مهدت لظهوره فى العرب ومظاهر البطولة في كفاح أول المؤمنين في سبيل الاسلام ثم سبيل العرب الى المدنية وانتشار الاسلام والدواعى والأسباب التي أدت اليه وقد تعذر حينئذ نشرهما لطولها وضيق المجلة ، وقد رىء أخيراً ان يبدأ بنشرهما فى العددين السادس والسابع ، شعبان ورمضان ١٣٥٦ ، ثم يطبعهما على حدة بصورة كتيب صغير على نفقة جمعية التمدن ولمنفعتها .

وقد اردت ان أنبهكم من الآن حتى اذا اردتم طبعه فى « الجزائر » ايضا نقلا عن التمدن فليكن ذلك تعميما للفائدة المرجوة منه للناشئين فى دراسة تاريخ الاسلام .

والمقال والكتاب ايضا سيصدران ان شاء بعنوان « بشائر الاسلام » فارتقبوه ، هذا موقتا .

حتى اذا استحسنتم طبعه في الجزائر نظرنا في الكمية التي نطبع منه والقيمة التي تقدر له .

نشيد (تحية العلم) الذي نقلتموه عن الفتح قد حور صاحب الفتح مطلعه فاذا رأيتم ان تعيدوا نشره مصححا بمناسبة اقتراح جريدة الدفاع العراقية التي نشرته مصححا بعد مجلة الفتح على وزارة المعارف العراقية تلقينه لتلاميذ المدارس العراقية وتلحينه حسنا تصنعون . والتصحيح هكذا :

عش منيعا مستعزاً في السماء　　　مالئا باسم الوطن عرض الفضاء

خافقا　.　.　.　.

للوطن انت شعار ولنا　　　انت معنى العز رمز الكبرياء

هذا وقد نشر الفتح بعد هذا قطعة اخرى لا غلط فيها هي (تحية الشهيد) فاذا نشرت في (الامة) فضعوا معها هذه المقدمة التي أسقطها صاحب الفتح لأنها وردت فى خطاب طويل خاص :

« تحية الى شهداء الحق والحرية من ابنـــاء مصر العزيزة وفلسطين المقدسة وجنود الاسلام في كل مكان »

ومن عجيب الاتفاق انى وضعت الرسالة المتضمنة لهذا النشيد في البريد يوم الثلاثاء ويوم الخميس الذى يليه أعلن مصرع بكر صدقي القائد العام لجيش العراق وكانت هذه المقطوعة مطوية في اوراقى منذ عام ١٣٥٠ ، فكان اقتران نشرها بعد هذا النسيان الطويل -- مع ذلك الحادث — من الصدف الغريبة حقا .

ابناءي محمد وزكريا يقبلان يديكم وارجو ان يسعدها التوفيق فى يـوم ما بزيارة تلك الاقطار العزيزة بلاد القطب رحمه الله واطلال « تيهرت » الزاهرة ان شاء الله .

سلامي واحترامى للاصحاب كافة ولمن شيئت له السلام ممن يسأل عنـــا الوالد منحرف الصحة منذ ايام ، وقد لزم الدار باشارة الطبيب وهو يسلم عليكم .

والسلام من ابراهيم الباروني

ومن الثانى قصيدة رائعة كنا نشرناها فى الديوان تحت عنوان « العلم يحي كل شعب ميت ، كما نشرناها من قبل في جريدة (وادى ميزاب) تحت نفس ذلك العنوان (١) ومطلعها :

طيف ألم بساحتي فأقاما وأحل ما قد كان قبل حراما

وختامها — وهذا لم ننشره مراعاة للظروف — وهو :

---

١) ذلك فى صفحة ٥٠ من الديوان وفى عدد ٨٦ من وادي ميزاب الصادر في ٢٥ ماى ١٩٢٨ وقد انشاها بالاسكندرية فى ١٧ ذى الحجة ١٣٤٥

فلابد من حرب تجدد أمرنا ‏ نحيا كراما او نموت كراما

ومن ذلك نشيده الموى اليه ءانفا والذي عنوانه :

تحية العـــلم !

وقد نشر فى الفتح كما نشرناه فى الامة (١) وقـــد توجه بمقـدمة لطيفة وهذا نصها معا :

. . . بعد السلام ورحمة الله وبركاته ، أقدم اليك هذا النشيد الذى أعتقد ان شباب العرب فى كل مكان فى أشد الحاجة الى مثله ، ولست أزعم انه النهاية التي لا مطمع وراءها ، ولكني أعتقد انه بداية صالحة لما هو أفضـل واكمـل ، وقد لاحظت فى وضعه ان يطابق حاجات المستقبل مهما تبدلت الاوضاع وتشكلت الروابط بين اقطار العروبة ، فلم أخصصه بسمة تميزه وتقصره على مكان او زمان ، وهو من اليوم يصلح ان يتغنى به شبـاب العرب في مصر والشام والعراق والحجاز واليمن وغيرها وان اختلفت الاعلام .

وحسب هذا النشيد ان يعبر عن الشعور المشترك الى ان يجيء اليوم الـذي تزول فيه الفوارق كلهاان شاء الله وينضوي الجميع تحت لواء واحد يحبه الجميع ويحيونه بهذا النشيد وقد تمثله الارواح وتشربته القلوب ، فهل لك ان تقـدم بيدك البرة هذه التحية للقراء عساها تلقى صدى في نفوسهم كما لقيت فى نفسى ونفس من وقف عليها من اصدقاءى ؟

الناظم

وها هو هذا النشيد فيما يلي :

عش منيعا مستعزاً فى السماء ‏ مالئا باسم الوطن عرض الفضاء

خافقا تبعث فينـا نشوة ‏ وحيـاة ويقينـا ورجاء

---

١) عدد ١٣٣ الصادر فى ٢ جمادى الثانية ١٣٥٦ - ١٠ اوط ١٩٣٧

للوطن انت شعار ولنا انت معنى العز رمز الكبرياء
وانهج المجد نجم لا يغيب

أنت للماضى سجل لا يبيد انت للاحفاد ميراث مجيد
جمعت فيك امانى فرقت في عصور بين شيخ ووليد
ثابت كالطود تستعرضها قائما بين قديم وجديد
بؤرة انت لها تجمعها ثم تفشيها كنور قد بدا
في سبيل القوم يهدي السالكين

كل قلب خافق يخفق لك كل طرف حائر يرنو اليك
كل حي اذ غدا يهرع لك يستحب الموت يلقاه فداك
ويوارى رمسه بين يديك

في ظلال الحق فاخفق يا علم وقرين النصر دم طول الزمان
وبفضل الله ميمون الخطى في مراقى السعد فاصعد بامان
ولتعش للضاد رمزاً ساميا واماني العرب فى كل مكان
وانهج المجد نجما لا يغيب

بغداد ابراهيم البارونى

واما البنتان

فهما زعيمة وعزيزة . فاما زعيمة فهى الكاتبة البارعة الشهيرة بمقالاتها البليغة في مختلف الصحف والمجلات مثل مجلة « صوت المربي » الطرابلسية ومجلة « الافكار » الجديدة العهد بطرابلس .

وتمتاز باسلوبها القصصي الشيق الخفيف الروح ، كما تمتاز هى بالروح الفدائية التى ورثتها عن والدها المرحوم، حتى انها اختارت لنفسها حياة الانقطاع والفناء في مبدإ المفاداة لدينها ووطنها عن الحياة الزوجية التى تقيدها بحقوق

الزوج عن كثير من الاعمال والخدمات العمومية .

ومما يؤثر عنها — في هذا الباب — انها قالت فى شأن القيام بابناء أخيها ابراهيم ما مؤداه : « أني اعاهد الله ان أبذل جهدى في تنشيئة ابناء اخى ابراهيم التنشيئة القويمة التي ارادها لهم جدهم المرحوم الوالد الباشا ، ولو كلفني ذلك الى اخر قطرة من دمي »

ولها مراسلات قيمة في امثال هذه الشئون العامة مع اخيها هـذا تدل على مبلغ علمها وثقافتها واخلاقها واخلاصها لمبدإها .

اما مقالاتها النفيسة فاننا نشير الى ما اتصلنا به منها بعناوينها فقط ليعلم الاخ الباحث من هي (زعيمة) زعيمة الجنس اللطيف بالشمال الافريقى ، وهى :

١ ـ أبي كما عرفته	فى حياة سليمان باشا البارونى
٢ ـ فزان البعيدة	فى صوت المربى عدد ١
٣ ـ وفق الله الجهود النبيلة	— ٤
٤ ـ الكرامة الحقة	فى هذا الكتاب
٥ ـ أجوبة صادقة عن اسئلة مهمة	— —
٦ ـ بنت الحاضرة	فى الافكار عدد ٦

واما رسائلها فنحن نقتصر هنا على واحدة منها كنموذج لها مورخة في ٦ جوان ١٩٥٦ الى كاتب هذه السطور ليأخذ منها الاخ الباحث صورة كمرءاة لآلامها وءامالها ، وهذه نصها :

باسمه تعالى — الى حضرة عوض الوالد الشيخ . . . المحترم

بعد التحية اللائقة بمقامكم الكريم ، منذ مدة انقطعت رسائلكم المحترمة كما منعتني مشاغل العمل وانحراف الصحة عن الكتابة اليكم والسؤال عن اخباركم التي أرجو ان تكون سارة .

فأقول منذ اسابيع جاءني ابن عمي وزوج اختي السيد عمر احمد الباروني برسالة وجهت الى الشيخ أبي الربيع تتضمن الاسئلة التي طلبتموها من صاحب الرسالة . . . وقد اغتنمت فرصة قصيرة فكتبت بعض ما امكنني الاجابة عن اسئلتكم ، وها انا ارسلها راجية من المولى تعالى ان يوفقكم لنشرها ضمن الكتاب المنتظر (وقد نشرت في صفحة ١٦٩ من الجزء الاول)

وطبعا أرى نفسي مسئولة عما اجبت لانه الصدق والامانة والحمد لله .

وهو بعض ما يستحق اسم أبي رحمه الله حيث حرمتنا الايام والنـاس عن القيام بما علينا نحوه للحقيقة والتاريخ الانساني الكريم .

والرجاء عدم المؤاخذة اذا وجدتم فيها اخطاء لأني كتبتها بعجلة ومن غير تبييض يذكر ، وفوق ذلك لم أترك عندي نصا لضيق الوقت .

وعلى كل حال ستتفضلون بقبولها ولكم الشكر سلفا .

انتهت السنة الدراسية على خير ، وقريبا يعود طارق ابراهيم الباروني من مصر فادعوا لهم بالنجاح ، انه مجيب قريب . اما هنا فلا يزال سليمان نور الدين ابراهيم الباروني ابن الاخ الاصغر منحرف الصحة سلمه الله .

هذا فتفضلوا بقبول احترامات افراد اسرتنا جميعا لكم ولمن يلوذ بكم من الاهل والاحباب . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته من المخلصة :

زعيمة الباروني باشا

نائبة مديرة دار المعلمات

اما وظيفتها ، فقد كانت ـ مع قيامها بشئون الاسرة وابناء اخيها ابراهيم الباروني ـ معلمة ببعض مدارس البنات بطرابلس ، ثم ترقت لحسن سيرتها وكمال استعدادها الى ان أصبحت نائبة لمديرة دار المعلمات بطرابلس كما رأى الاخ الباحث ذلك من امضائها الآنف الذكر ، زادها الله عزاً وسمواً وارتقاء .

واما الخمدة فهم طارق وعز الدين وسليمان وهم ابناء ابراهيم بن الباروني باشا

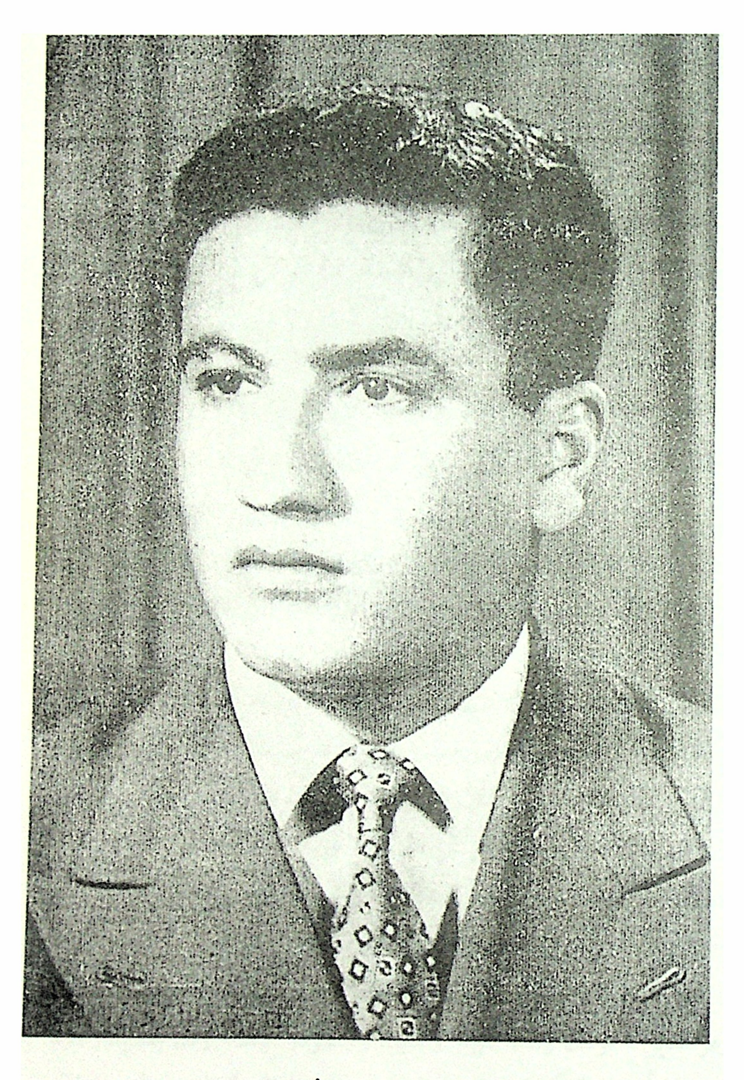
فاما طارق ، وهو المكنى ابا يحيي ابن ابراهيم وقد ولد سنة ١٩٣٥ وكان في اول نشؤه ريحانة قلب جده لما يتوسم فيه من الذكاء ومخـائل النجابة ، ولما يعلق عليه من الآمال الواسعة ، وقد احتضنته بعد جده المرحوم الباشا عمته الفضلى « زعيمة » وءالت على نفسهـا ان تنشئه هو واخوته النشـأة القويمة التى يهدف اليها جدهم المرحوم ولو كلفها ذلك ما كلفها ولو الى ءاخر قطرة من دمها كما مر ،وقد برت ـ حفظها الله ـ بيمينها ، فبعد ان حصل على شهادته الابتدائية في بعض مدارس طرابلس التحق بالمدرسة الثانوية الى ان حصل على الشهادة الثانوية (البا كالوريا) فيها .

وعندما كانت حكومة (ليبيا) تعد بعثة من ابنائها لأرسالها الى المدرسة الحربية بمصر لتخريج الضباط عملت (زعيمة) جهدها ليكون طارق ضمن البعثة الملكية لمصر فكلل سعيها المبرور بالنجاح فذهب طارق مع تلك البعثة المباركة الى القاهرة .

وفى هذه الصائفة رجع لزيارة وطنه واهله فيمن رجع من زملائه ، ونحن لاننسى لحكومة ليبيا هذه المزية الكبرى .

واما عز الدين فهو المسمى محمد بن ابراهيم البارونى ، وقد ولد هو كذلك في حياة جده المرحوم الباشا ببغداد فى اوائل عام ١٣٥٥ .

وقد أحتضنته كذلك بعد جده عمتـه (زعيمة) كأخيه طارق فنشـأ نشأته في المدرسة الابتدائية ثم التحق بالمدرسة الثانوية بطرابلس .



صورة طارق بن ابراهيم بن سليمان باشا الباروني ، من مواليد بغداد سنة ١٩٣٥

كيف أنتقل البارونى باشا الى الرفيق الاعلى

لما ألح عليه المرض وأحس بدنو أجله أنتقل بعائلته من بغداد الى مسقط (عمان) مسقط أجداده الاقدمين ، واقتضت حكمته ان يستقر بها ويجمع شمله فيها ، وقد نزل لدى جلالة السلطان السيد سعيد فى منازل العز والكرامة ، وتولى فيما بلغنا امراً هاما من شئون الدولة ، ولكن المرض لم يمهله كثيراً .

وكان آخر رسالة وردت منه الى الشيخ امتياز ابراهيم مورخة فى ١٢ صفر ١٣٥٩ جاء فيها ما نصه :

تقرر ان اسافر مع جلالة السلطان الى الهند في الاسبوع المقبل ان شاء الله وتحيتى الى الاخوان كافة والى الاخ ابي اليقطان المحترم وجماعته الافاضل .

من اخيكم : سليمان البارونى

اما كيف كانت نهايته رحمه الله ، فلنستمع لما كتبته ابنته البارة زعيمة فى هذا الشأن فى الفصل المومى اليه ، والذي عنوانه (أبى كما عرفته) وهذا نص محل الحاجة منه ، قالت لا فض فوها :

ظل المرض ملازما للزعيم الكبير وظلت صحته معتلة ولكنه دبر في داخلية نفسه امراً من الامور وبيت في حناياه عملا من الاعمال ، واظهر لنا رغبة في السفر قصد المعالجة وما كان يخفي علينا ما يكنه فى صدره من امنية قوية تتلخص في انه مصمم على السفر الى احدى الجهات في تونس او مصر ليجتمع بمواطنيه للقيام بواجب الوطن فى تلك الظروف وتخليصه من نير الاستعباد الغاشم والاستعمار المستبد ، ورغم معارضتنا وتخوفنا فقدم السفر كما احب واراد شاءت المقادير وجاء وقت الوداع فقلت له : أهكذا يا والدي تترك طارقا وعز الدين ؟ فوقف وقفته المهيبة والشيب والوقار يجللانه وقال بصوت حازم قوى لا أثر فيه لما كان يعانيه من امراض : (ماذا على طارق وعز الدين وانتم

في رفقتهما ؟) وان أخي جلالة السلطان يرعى صوالحكم جميعا وهو منكم بمنزلة الوالد والوصي .

ثم اغرورقت عيناه بالدموع وأخذه شبح الفراق الاخير ، وكأنه كان يعلم جيداً ان هذا ءاخر موقف له بين اولاده واحفاده ، فاسرع يزاول مكانه هابطا درج القصر وهتاف حفيديه يملأ ءاذانه ، وهما لا يعلمان من حقائق الامور شيئا

كان ذلك صبيحة يوم المولد النبوي الشريف من عام ١٣٥٩ ، ولم تمض بعدها ايام حتى جاء نبأ وفاته برقيا صبيحة يوم ٢٣ من نفس الشهر الانور الى مقر الحكومة السلطانية بمسقط (١)

لقد فاضت روحه الطاهرة الى بارئها الاعلى وانتهت حياته الحافلة بعيداً عن طرابلس المحبوبة وثراها الطيب .

فلم يعش في بمباي غير ساعات قليلة سقط بعدها مغشيا عليه فحمل وقتئذ الى المستشفى فلما افاق كان قد فقد قوة النطق والحركة .

ولم يستطع اخوانه العمانيون ان يفهموا شيئا مما كان وقتيئد يجول بخاطره او يفكر فيه سوى ما سمعوه يتردد على لسانه فى اللحظة الاخيرة من حرفين اثنين هما : ز - م ا فلم يفهموا من ذلك شيئا وفي الحال اغرورقت عيناه بالدموع وفارقت روحه الجسد .

بذلك انتهت حياة الباروني باشا المخلد الذكر فى حياته الشجاع الصابر المتجلد الذي عرف كيف يكون شديداً متمسكا بتقاليده الاسلامية الطاهرة .

انتهت هذه الحياة بدمعة حزينة وشفتاه ترددان حرفين عزيزين هما اول اسمي حفيديه : زكريا ومحمد عز الدين اللذين تركهما ينتظران عودته حاملا معه

---

١) يوافقه يوم ١ ماي ١٩٤٠ وهو يوم الاربعاء الذى كان يتفاءل به دائما خيرا اذ فيه كانت اغلب انتصاراته كما اشار اليه سابقا فنرجو له فيه رقيه الى عليين .

كل جميل من لعب الاطفال ، وليسكنوا معه طرابلس العزيزة فيما بعد وليتحف الجميع بتفاحها الطيب وبرتقالها الجميل الجيد ، كما كان ينتهى دائما في حواره معهما فى شأن حب طرابلس وبعد مسافة طرابلس والعودة القريبة ال طربلس التي من أجلها تحمل عداوة الرجال حقا وباطلا فسهر الليالى منكبا غير ءابه لما يصيبه من صعاب وعراقيل طرابلس التى جعل اسمها جزء من عنوانه ، طرابلس التى خلق لحبها وتمجيدها واخلص لأجلها قلبا وقالبا مهما كانت ظروفه واحواله الخاصة طرابلس التي وضع نفسه جنديا فدائيا لها لا يهاب المخاطر ولا يفكر في سواها انتهى بعيداً عنها وهي ملىء حياته وتفكيره وخواطره ، يعاتب القدر لما كسته ويستمهل الاجل حتى ينحو نحوها تاركا وراءه كل شيء .

وبعد — فليت شعري هل عرفت الحكومة الليبية الفتية لكفاح وجهاد هذا الرجل الفذ حقه فى شخص أسرته الكريمة التى ما زالت ولا تزال تكابد مضض العيش والحرمان من جراء ذلك الكفاح المرير الذي توج اخيراً بالتاج الملكي السنوسي ، ولا نخال والحكومة تعرف ابناءها الابطال الا فاعلة ما تبيض وجه العزة والكرامة الوطنية .

❀ ❀ ❀

فهرست الجزء الثانى

من كتاب البارونى باشا فى اطوار حياته

تنبيه واعتذار

نعتذر لقرائنا الكــرام عن بعض غلطات مطبعية وقعت ، وهي لا تغير معنى ولا تغيب على الفطن اللبيب ، والتي لا يخلو منها في الغالب أي مطبوع والكمال لله وحده .

انتهى بعون الله وتوفيقه طبعه فاتح رمضان المعظم ١٣٧٧
المـوافق ٢٢ مارس ١٩٥٨